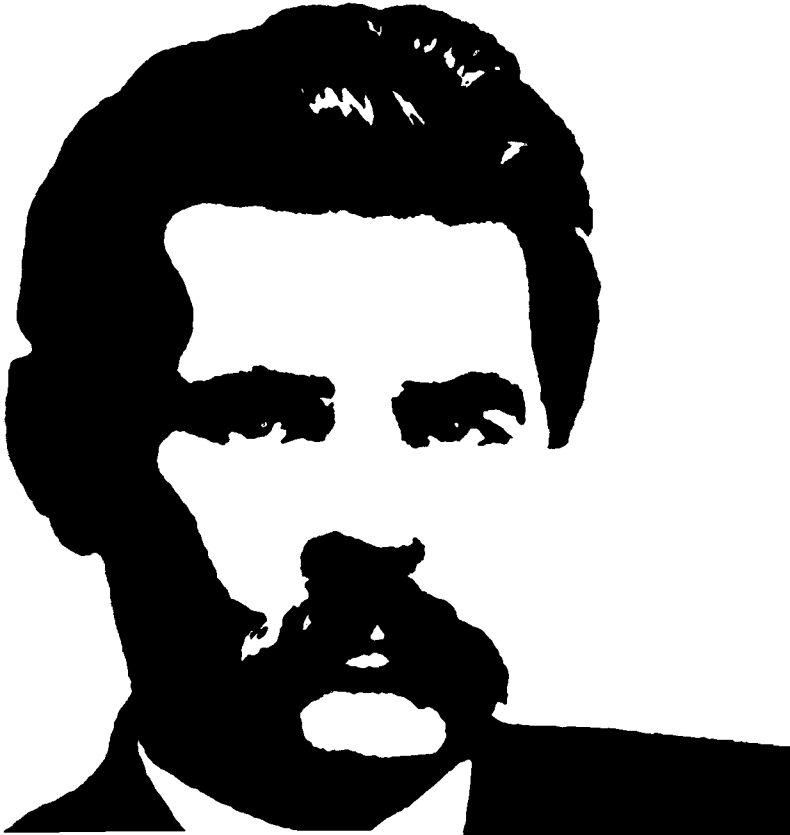
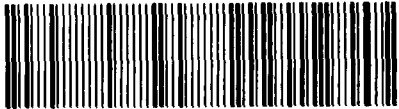


مكسيم غوركي



BTJ System AB

800 18 90 8535 74



«مسرحية» البرجوازيون الصغار»
متألقة جدا ، مكتوبة بأسلوب خاص
بفورمي لفظ ، أصيلة . وممتعة
جدا . . . البطل الرئيسي للمسرحية -
لهل - عكس بصورة رائعة للغاية !»
انطون تشيخوف
«للادخلتم حلقة زمنية ذات تركيب
سياسي هام وبينتموها . . . خلال عدد
من الشخصيات الفنية . . . «أعداء» في
اعتقادي أجود مسرحية درامية عصرية ،
وواحدة من احسن المسرحيات في تاريخ
«المسرح الفني» .
فلاديمير نيمروفيتش - دان تشينكو

INTERNATIONELLA BIBLIOTEKET

Hsg.02

GORKIJ
Masrahiyat

مكسيم غوركى

المؤلفات المختارة في ٦ مجلدات

المجلد ٦

مسرحيات

ترجمة المحامى سهيل ايوب



دار «رادوفا»
موسكو

М. ГОРЬКИЙ

Собрание сочинений

в 6-ти томах

т. VI

Пьесы

На арабском языке

Orientalia
Bok & Biblioteksservice

المكتبة العربية الشرقية

أورينتاليا

Surbrunnsgatan 13

114 21 Stockholm

Tel. 08-612 04 35

© حقوق الترجمة الى اللغة العربية محفوظة لدار التقدم ، ١٩٨٣

© دار «رادوغا» ، ١٩٨٨

طبع في الاتحاد السوفييتي

Г 4702010200 513 070 88
031(01) 88

ISBN 5-05-001726-2

ISBN 5-05-001732-7

البرجوازيون الصغار

كتب غوركي هذه المسرحية في عام ١٩٠١ . عرضت لأول مرة في ٢٥ آذار (مارس) ١٩٠٢ في بطرسبورغ يؤديها مسرح موسكو الفني .

الشخصيات

- فاسيلي فاسيليفيتش بيسيمينوف ، ٥٨ عاماً ، برجوازي صغير موسر ، كبير جمعية الدهانين .
- أكولينا ايفانوفنا ، ٥٢ عاماً ، زوجته .
- بيوتر (بيتيا) ، ٢٦ عاماً ، ولده ، طالب سابق .
- تاتيانا (تانيا) ، ٢٨ عاماً ، ابنته ، معلمة مدرسة .
- نيل ، ٢٧ عاماً ، ولده بالتبني ، سائق قاطرة .
- بيرتشيخين ، ٥٠ عاماً ، من أقربائه الأبعد ، تاجر بطيور مفرّدة .
- بوليا ، ٢١ عاماً ، ابنة بيرتشيخين ، خياطة تعمل بالاجرة لدى العائلات .
- يلينا نيقولايفنا (لينا) كريفتسيفا ، ٢٤ عاماً ، أرملة ناظر السجن تستأجر غرفة في بيت عائلة بيسيمينوف .
- تيتيريف ، مرتل في جوقة الكنيسة } مستأجران لدى عائلة شيشكين ، طالب } بيسيمينوف
- تسفيتايفا ، ٢٥ عاماً ، معلمة مدرسة وصديقة تاتيانا .
- ستيبانيدا ، الطاهية .
- امرأة عابرة .
- غلام ، دهان .
- طبيب .
- تجري الأحداث في مدينة افليمية صغيرة .

المشهد

حجرة في منزل برجوازي صغير موسر . الزاوية اليمنى في مؤخرة المسرح معزولة بحاجزين أصميين يشكلان الزاوية القائمة مما يضيق خلفية المسرح ويؤلف غرفة صغيرة في مقدمته اليمنى تفصلها عن الغرفة الكبيرة قوس خشبية كبيرة ثبت بها سلك معلقة به ستارة من قماش قطني موّرد . ثمة باب في الجدار الخلفي للغرفة الكبيرة يؤدي الى المدخل والى النصف الآخر من المنزل ، حيث تقوم غرف المستأجرين والمطهى . والى يسار الباب ينتصب صوان ضخّم للاواني ، وفي الزاوية صندوق . وهناك ساعة عتيقة الطراز خشبية القاعدة عن يمين الباب ، وبندولها ، الكبير مثل القمر ، يتأرجح في بطن في صندوقه الزجاجي ، وحين يرين السكون على الغرفة يمكن سماع صوته البارد الخامد : تيك-تاك ! وفي الجدار الايسر بابان يوصل أحدهما الى غرفة بيسيمينوف وزوجته ، والاخر الى غرفة ولدتهما بيوتر . وبين هذين البابين مدفأة مطلية بترايع بيضاء . وامام المدفأة كنبّة عتيقة منجدة بمشمع ، الى جانبها منضدة كبيرة تتناول الاسرة عليها الطعام والشاي . وهناك عدد من مقاعد خشبية رخيصة خفيفة مصفوفة بفواصل منتظمة دقيقة للغاية عند الجدران . وثمة خزانة زجاجية عند مقدمة المسرح الى اليسار فيها علب متعددة الألوان ، وبيض عيد الفصح ، وشمعدانان برونزيان ، وملاعق للشاي والحساء ، وعدة أكواب وكؤوس فضية . وفي

الغرفة الصغيرة المفصولة بالقوس ، عند الجدار المواجه
للنظارة ، بيانو وخزانة ذات رفوف عليها نوتات موسيقية .
في الزاوية اليمنى برميل فيه زهور الفيلودندرون .
وفي الجدار الايمن نافذتان وضعت على افريزيهما أصص
للزهور ، وتحتهما اريكة والى جانبها ، في مقدمة المسرح ،
منضدة صغيرة .

الفصل الاول

الساعة تقارب الخامسة مساء ، ومن النافذتين يطل غسق خريفي . الغرفة الكبيرة تكاد ان تكون مظلمة . تاتيانا تقرأ في كتاب وهي نصف مضطجعة على الارىكة . وبوليا جالسة الى المنضدة تخط .

تاتيانا (تقرأ) : «ونهض القمر . وكان من الغرابة ان ترى مثل هذا القمر الصغير الحزين يغمر الارض بكل ذلك الفيض من الضياء الازرق الفضي الحنون» . . . (تلقي بالكتاب في حجرها .) الدنيا تظلم .

بوليا : هل أشعل المصباح ؟

تاتيانا : لا تزعجي نفسك! ضجرت من القراءة . . .

بوليا : ما أعذب كتابته ! بسيطة بسيطة . . . وحزينة . . . تؤثر في النفس . . . (صمت .) لكم أتوق الى معرفة النهاية . هل انهما سيتزوجان ام لا ؟

تاتيانا (مغتاظة) : وما أهمية هذا ؟ . . .

بوليا : ليس في مقدوري قط ان أحب مثل هذا الرجل !

تاتيانا : لماذا ؟

بوليا : انه يبعث على الضجر . . . لا يكف عن الشكوى . . . ذلك لانه متردد . . . على الرجل ان يعرف مبتغاه في الحياة . . .

تاتيانا (في صوت رقيق) : وهل . . . نيل يعرف ؟

بوليا (بصوت واثق) : يعرف من دون ريب !

تاتيانا : وما هو مبتغاه ؟

بوليا : لا أستطيع ان اقص عليك ذلك . . . بالاسلوب

البسيط الذي يوضح هو الامور به . . . ولكنني

اعرف امرأ واحداً : لسوف يسيىء الى الناس

الاشرار . . . الجشعين والخبثاء منهم ! فهو

يكرههم . . .

تاتيانا : من هو الشرير ومن هو الخير ؟

بوليا : انه عارف بذلك (تصمت تاتيانا دون ان تنظر الى

بوليا التي تتناول ، مبتسمة ، الكتاب عن حجرها .)

لقد كتبت على اروع صورة ! لكم هي جذابة -

بسيطة وصريحة ، لها قلب ابيض ! عندما تقرئين عن

مثل هذه المرأة الخلافة يخيل اليك انك غدوت انت

نفسك احسن حالاً . . .

تاتيانا : لكم انت ساذجة . . . وتبعثين على الضحك ، يا

بوليا ! اما انا فقصص من هذا النوع تثير ثائرتي ! لم يكن

هنالك مثل هذه الفتاة قط ! ولا مثل ذلك البيت ،

والنهر ، والقمر ! انه مجرد خيال . الكتب لا تصوّر

الحياة قط على ما هي عليه عندنا . . . حياتك

مثلاً . . .

بوليا : انهم يكتبون عما يبعث على الاهتمام . اما نحن فماذا

يبعث على الاهتمام في حياتنا ؟

تاتيانا (متضايقة ومتجاهلة ما نطقت به) : يتراءى لي كثيراً

ان الناس الذين يكتبون الكتب . . . يكرهونني ويطيّب

لهم الخصام معي دائماً . كما لو انهم يقولون لي : هذا أحسن مما تظنين ، وهذا أسوأ . . .

بوليا : وانا اظن ان الكتاب جميعاً طيبون ولطيفون من دون ريب . . . كم أود ان أرى احد الكتاب ! . . .

ناتيانا (كأنها تخاطب نفسها) : هم لا يصفون الاشياء السيئة المحزنة مثلما أراها أنا . . . هم يصورونها بصورة خاصة . . . يضخمونها . . . ويجعلونها تبدو مأسوية . أما الاشياء الطيبة - فهم يخلقونها . ليس هنالك من يعترف بحبه مثلما تصف الكتب ذلك ! والحياة ليست مأسوية أبداً . . . بل هي تتدفق في هدوء ورتابة ، . . . أشبه بنهر كبير موحل . تتعب عيناك من مراقبة النهر ، وتتضجر نفسك . . . ويتبلد ذهنك فلا تتكلفين عناء التساؤل عما يجعله يتدفق .

بوليا : (ترسل النظر الى امام غارقة في تفكيرها) : اما انسا فأحب ان ارى كاتباً ! طوال الفترة التي كنت تقرئين فيها كانت تخطر لي فكرة بين الفينة والفينة : كيف تراه يبدو ؟ أهو شاب ؟ عجوز ؟ أسود الشعر ؟ . . .

ناتيانا : من ؟

بوليا : المؤلف . . .

ناتيانا : انه ميت . . .

بوليا : وأسفاه ! أظوي منذ زمن بعيد ؟ هل كان شاباً يوم مات ؟

ناتيانا : كان متوسط العمر . وكان يشرب الفودكا . . .

بوليا : يا للمسكين . . . (صمت .) ما الذي يهيب بالاذكياء

ان ينغمسوا في الشراب ؟ خذي هذا المستأجر
لديكم ، المنشد في جوقة الكنيسة . . . انه
ذكي ، وهو يُقبل على الشراب . . . وأتساءل لماذا ؟
تاتيانا : لان الحياة تبعث على الضجر . . .

بيوتر (يخرج من غرفته وقد بدا عليه انه استيقظ. للتو) :
اي ظلمة كثيفة هنا ! من يجلس هناك ؟

بوليا : أنا وتاتيانا فاسيلييفنا . . .

بيوتر : لمَ لا تشعلان المصباح ؟

بوليا : نحن نستمتع بالغسق . . .

بيوتر : رائحة زيت الايقونات تتسرب الى غرفتي من غرفة

الوالدين . . . لعل هذا هو السبب في انني رأيت في

حلمي اني اسبح في نهر مياهه دبقة مثل القطران . . .

كانت السباحة صعبة . . . كان عليّ ان اسبح وأنا

فقدت الاتجاه . . . ولا أرى الشاطئ . وكانت قطع من

اشياء تطفو حواليّ ، لا أكاد اتشبهت بها حتى تفتت

هباء مثوراً . . . فهي رخوة ومتعفنة . حلم

سخيّف . . . (يرأح ويغادي وهو يصفر .) حانت

ساعة الشاي ، أليس كذلك ؟

بوليا (تشعل المصباح) : سأهتم بتحضيره . . . (تخرج .)

بيوتر : منزلنا هذا يبدو لسبب ما في المساء كئيباً مقبضاً

لللغاية . وكل هذه الاشياء العتيقة تلوح وكأنما تنتفخ

وتغدو اكبر واثقل . . . تزيح الهواء وتحول دون

التنفس . (يدق على الصوان بقبضته .) خذي الصوان

هذا - فلقد ظل رابضاً في هذا المكان . . . لا يتزحزح

ثمانية عشر عاماً . . . ثمانية عشر عاماً . . . يقولون ان الحياة تتحرك قدماً بسرعة ، ولكن هذا الصوان لم يتزحزح أنملة واحدة منذ اليوم الذي وضع فيه هنا : ظلمت أضرب رأسي به غير مرة حين كنت صغيراً . . . والآن ايضاً يقف في طريقي عثرة لسبب ما . انه شيء سخي . . . انه رمز اكثر منه صواناً . . . ليأخذه الشيطان !

ثاتيانا : انت مضجر كثيراً ، يا بيوتر . . . ومن المضر بك ان تعيش بهذه الطريقة . . .

بيوتر : أي طريقة ؟

ثاتيانا : لا تذهب الى اي مكان . . . فيما عدا صعودك كل مساء الى فوق لرؤية لينا* . . . وهذا يثير قلق الوالدين كثيراً . . . (بيوتر لا يجيب ، بل يراوح ويغادي وهو يصفر .) اسمع ، بدأت اشعر بتعب شديد . . . في المدرسة يرهقني الضجيج والفوضى . . . وفي البيت هنا هدوء ونظام ، رغم ان الجو ازداد مرحاً منذ قدوم لينا . اجل ، أنا اشعر بتعب شديد ! واعيايد الشتاء لا تزال بعيدة . . . نوفمبر . . . ديسمبر . (تدق الساعة معلنة السادسة .)

بيسيهينوف (يطل برأسه من باب غرفته) : انت تصفر مثل القوزاق ! لا أحسبك كتبت ذلك الالتماس بعد .

* التدليل من اسم ايلينا . الناشر .

بيوتر : فعلت ذلك ، فعلت . . .
بيسيمينوف : لقد وجدت وقتاً لذلك بجهد جهيد . . . اوه ،
اوه ! (يختفي)

تاتيانا : اي التماس ؟

بيوتر : بشأن استحصال سبعة عشر روبلاً وخمسين كوبيكاً
من التاجر سيزوف - تكاليف دهان سطح سقيفته . . .
اكولينا ايفانوفنا (تدخل حاملة مصباحاً آخر) : المطر مرة
أخرى . (تمضي الى الصوان وتخرج منه أدوات الشاي
وتضعها على المنضدة .) الجو بارد هنا . أشعلنا
المدفأة ، ولكن الجو بارد . البيت عتيق . . . تهب
الرياح عبر الشقوق . . . اوه ، اوه ، اوه ! ابوكما غضبان
مرة أخرى ، ايها الولدان . . . يقول ان ظهره يوجعه .
انه عجوز . . . اما اموره فكلها خاطئة وفوضى . . .
ونفقات كثيرة . . . وهموم .

تاتيانا : (الى شقيقتها) : هل كنت عند لنا ليلة البارحة ؟ . .
بيوتر : أجل . . .

تاتيانا : أفضيتم وقتاً طيباً ؟

بيوتر : كالعادة . . . شربنا الشاي ، وغنينا . . .
وتجادلنا . . .

تاتيانا : من ضد من ؟

بيوتر : نيل وشيشكين ضدي أنا .

تاتيانا : كالعادة . . .

بيوتر : نعم . عبر نيل عن اعجابه بالحياة . كان يشير أعصابي
جداً بدعايته للنشاط والحيوية والحب للحياة . . .

شيء مضحك ! عندما تصفين اليه تصورين هذه الحياة التي لم يشاهدها أحد شبيهة بالعملة الاميركية التي قد تجيء في أية لحظة وتغدق البركات المختلفة عليك . . . اما شيشكين فأكثر من الحديث عن التأثيرات النافعة للحليب والتأثيرات الضارة للتبغ . . . واتهمني ان لدي نظرة برجوازية .

تاتيانا : الشيء القديم ذاته .

بيوتر : تماماً . كالعادة . . .

تاتيانا : أتعجبك لينا كثيراً ؟

بيوتر : لا بأس بها . . . فهي مرحة . . . وطيبة . . .

اكولينا ايفانوفنا : انها طائشة ! ولا فائدة من حياتها ! تستقبل ضيوفاً كل يوم - شرب وأكل ، وغناء ورقص . . . ولا تستطيع ان تبتاع لنفسها حوضاً للغسيل ! - فهي تغتسل في الطست وترش الماء على الارض . . . انها تضر بالمنزل . . .

تاتيانا : ذهبتُ الى حفلة عائلية في النادي ليلة البارحة . كان سوموف هناك - فهو عضو في مجلس بلدية المدينة وراعي مدرستي - حيّاني بايماء خفيفة من رأسه . . . هكذا . ولم تكذ عشيقه القاضي رومانوف تدلف الى الغرفة حتى اندفع اليها ، وانحنى أمامها كما لو كانت زوجة المحافظ ، وقبّل يدها . . .

اكولينا ايفانوفنا : يا له من عديم الحياء ! ما ؟ بدلاً من ان يتأبط ذراع فتاة شريفة ويتبختر معها في اعتزاز على طول القاعة تحت أنظار الجميع . . .

تاتيانا (الى شقيقها) : كلا ! فكّر في الامر اذن ! ان معلمة المدرسة في نظر هؤلاء الناس اقل مدعاة للاحترام من المومس المملوطة بالاصباغ . . .

بيوتر : لا تعيري هذه الدناءة التفاتاً . . . ينبغي ان تكوني اسمى منها . . . اما بالنسبة الى تلك المرأة فهي قد تكون مومساً ، ولكنها لا تستعمل الاصباغ . . .

اكولينا ايفانوفنا : وكيف تعرف ذلك ؟ هل لعقت خدهما ؟ أهينت شقيقتك وأنت تدافع عن المرأة التي كانت سبباً في الاهانة . . .

بيوتر : اماء ! كفى عن ذلك . . .

تاتيانا : يستحيل ان نتحدث في حضور أمنا . . . (تسمع خطوات ثقيلة من وراء الباب المؤدي الى المدخل .)

اكولينا ايفانوفنا : تهاجمون امكم ! بدلاً من ان تروح وتجيء على هذا الغرار ، يا بيوتر ، يحسن أن تأتي بالسماور . . . ستيبانيدا تشكو من انه ثقيل بالنسبة اليها . . .

ستيپانيدا (تدخل بالسماور ، وتضعه على الأرض الى جانب المنضدة ، وتنهض جذعها ، وتخاطب سيدتها في صوت لاهت) : أحببت ذلك أم لا ، فأنا أكرر القول مرة أخرى اني لا اقوى على حمل مثل هذا الثقل . فساقاي تترتشان من ثقله . . .

اكولينا ايفانوفنا : يخال لي أنك تريدنا أن نستأجر شخصاً خاصاً يحمل عنك هذا السماور ؟

ستيپانيدا : هذا من شأنك ! فليحمله منشد الجوقة - فذلك

لا يؤذيه . بيوتر فاسيليفيتش ، تلتطف برفع هذا
السماور على المنضدة . فأنا لا أقوى على ذلك ، أقسم
باللّه !

بيوتر : حسناً . هوب !

ستيبيانيدا : لك شكري . (تخرج .)

اكولينا ايغانوفنا : يالها من فكرة ، يا بيتيا * . قل ذلك
لمنشد الجوقة . وليحملنّ السماور . في الحقيقة . . .

ناتيانا (متنهدة في كآبة) : أوه ، يا ربي . . .

بيوتر : لعلي أطلب اليه جلب الماء ، ومسح الأرض ،
وتنظيف المدخنة ، وغسل الثياب ايضاً ؟

اكولينا ايغانوفنا (تلوّح بيدها في فنوط) : فيم تتكلم
عبثاً ؟ هذه الامور كلها تُنجز في أوقاتها دون مساعدة
منه . . . أما بالنسبة الى السماور . . .

بيوتر : يا امامه ! أنت تثيرين هذه القضية المشؤومة كل
عشية بخصوص مَنْ يحمل السماور ، صدقيني ان هذه
القضية لن تجد حلاً لها ما لم تستأجري
كناساً . . .

اكولينا ايغانوفنا : ما حاجتنا الى هذا الرجل ؟ فوالدك يكتس
فناء البيت بنفسه . . .

بيوتر : هذا ما يسمونه تفتيراً . ولا يحسن بالمرء ان يقتر
وهو يملك في المصرف . . .

اكولينا ايغانوفنا : صه ! أمسك لسانك ! اذا سمعك أبوك

* التديل من اسم بيوتر . الناشر .

أذاقك طعم المال في المصرف ! فهل أنت الذي وضع
النقود هناك ؟

بيوتر : اسمعي !

تاتيانا (واثبة) : يا بيوتر ، كفّ عن ذلك . . . فصبري
ينفد . . .

بيوتر (يذهب اليها) : آسف . لا تصرخي ! فالمرء يغمس في
مثل هذا الشجار قبل ان ينتبه اليه . . .

أكولينا ايغانوفنا : بدأت الشكاوى ! والام لا تستطيع التفوه
بكلمة واحدة . . .

بيوتر : الأمر ذاته يوماً بعد يوم . . . ان هذا الشجار يغطي
نفس المرء بالصدأ والهباب . . .

أكولينا ايغانوفنا (منادية نحو باب غرفتها) : ابتاه ! تعال
واشرب الشاي . . .

بيوتر : حينما تنتهي فترة حرمانني من الجامعة أعود أدراجي
الى موسكو ولن آتي الى هنا لأكثر من أسبوع واحد كل
مرة كما اعتدت أن أفعل . ان ثلاث سنوات في الجامعة
أنستني ماهية الحياة في البيت بجميع . . . هذا التقدير
وهذا البهرج التافه الحقيقير . . . حلوة هي حياة
الوحدة ، بعيداً عن مفاتن بيتي العزيز !

تاتيانا : أما انا فأني لا أملك مكاناً أذهب اليه . . .

بيوتر : قلت لك ان ترحلي وتدرسي . . .

تاتيانا : آه ! وفيم أفعل هذا ؟ لا أريد أن ادرس - بل أريد
أن أحيأ . أريد أن أحيأ . . . ألا تفهم ذلك ؟

أكولينا ايغانوفنا (تحرق يدها وهي ترفع الابريق عن

السماور) : أف ! أخذك الشيطان !
تاتيانا (الى شقيقها) : أنا لا أدرك ولا أتصور معنى أن يحيا
الانسان حقاً . كيف أستطيع أنا ان أحيا ؟
بيوتر (متفكراً) : أ جل . ينبغي على المرء ان يحيا
بحذق وبحذر
بيسيمينوف (يخرج من غرفته ، يمعن النظر في ابنه وابنته ،
ويجلس الى المنضدة) : هل ناديتم على المستأجرين ؟
اكولينا ايفانوفنا : يا بيتيا ! اذهب ناديهما !

(يخرج بيوتر ، وتتجه تاتيانا الى المنضدة)

بيسيمينوف : اشتريتم قطعاً من السكر مرة أخرى ؟ كم مرة
قلت لكم

تاتيانا : ما الفارق في ذلك ، يا أبتاه ؟

بيسيمينوف : أنا لا أخاطبك ، بل أنا أخاطب أمك . فالأمور
كلها سيان لديك ، وأنا أعرف هذا

اكولينا ايفانوفنا : اشتريت رطلاً واحداً ، يا أبتاه . هنالك
قمع كامل لم نمسه بعد ، لم يكن لدينا وقت
لتكسيه فلا تغضب !

بيسيمينوف : لست غاضباً بل أنا أقول ان السكر
المقطع ثقيل جداً وحلاوته قليلة ، وهذا معناه أن لا
توفير فيه . يجب أن نشترى دائماً أقمعاً من
السكر وتكسيها قطعاً صغيرة بأنفسنا .
وسيتخلف عن ذلك فتات ، وهذه الفتات يمكن

استخدامها في الطبخ . والسكر نفسه يكون خفيفاً
شديد الحلاوة . . . (الى ابنته .) ما الذي يجعلك
تزفرين وتمتعضين ؟

تاتيانا : لا شيء ، لا شيء . . .

بيسيمينوف : تقولين : لا شيء ، فلا ضرورة للزفرات اذن .
أم يصعب عليك حتى هذه الدرجة الاصغاء الى ما يقول
والدك ؟ أنا لا أتحدث من أجلي ، بل من أجلكم أنتم
الشبان . لقد عشت أيام حياتي ، أما أنتم فأيامكم
أمامكم ، وحينما أنظر اليكم أروح أتساءل كيف
تعيشون في هذا العالم . ما هو هدفكم ؟ أنتم لا تحبون
نمط حياتنا ، وأنا أستطيع رؤية هذا بوضوح كامل ،
لكن ما هو النمط الجديد الذي يخطر في أذهانكم ؟ هذه
هي القضية ! . . . جل . . .

تاتيانا : ابتاه ! أتعلم عدد المرات التي كررت فيها هذا
الكلام ذاته ؟

بيسيمينوف : وسأكرره مرة أخرى ، وأظل أكرره وأكرره
دائماً حتى يضمني اللحد ! فأنا لا أعرف الراحة في
حياتي - وكل ذلك بسبب منكم . . . عبتاً أتحت لكم
فرصة الدراسة ، هذا لم امعنت الفكر فيه
جيداً . . . والنتيجة - هذا يطرد من الجامعة ،
وأنت . . . غدوت عانساً . . .

تاتيانا : ان لديّ عملي . . . فأنا . . .

بيسيمينوف : هذا ما سمعت ، لكن ما الفائدة من ذلك ؟

ليس من هو في حاجة الى الخمسة والعشرين روبلاً التي تتقاضينها - حتى ولا أنت . كان يحسن ان تتزوجي وتستقري حالك حال اية امرأة محترمة . وكنت نفسي أعطيك اذن خمسين روبلاً في الشهر .

اكوлина ايفانوفنا (وقد كانت طوال حديث الوالد والابنة تتململ في مقعدها في عصبية ، وتحاول بين فترة وأخرى أن تقول كلمة ، وأخيراً سألت في لطف) : يا ابتاه ! أتريد شيئاً من الفطائر بالقريش ؟ لقد تبقى قليل منها من الغداء . . . أتريدها ؟

بيسيمينوف : (يستدير اليها ، ويحملك فيها برهة في غيظ ، ثم يبتسم ابتسامة تخفيها لحيته) : حسناً . هاتي ما لديك من الفطائر بالقريش . . . هاتيها . . . (تسرع اكوлина ايفانوفنا الى الصوان ، ويلتفت ببسيمينوف الى ابنته .) أتريين كيف أمك تردعني ؟ مثل أوزة تطرد الكلاب عن صغارها . . . لا تزال تخاف من أن أقول شيئاً يجرح احساساتكم . . . آه ، تاجر العصافير ! ها أنت هنا بعد غياب طويل !

بيرتشيغين (يظهر عند الباب وبوليا تدخل وراءه صامتة) : السلام على صاحب هذا البيت الشائب ، وزوجته الوسيمة وذريته المحترمة ، الآن والى ابد الابدين !

بيسيمينوف : وهكذا عدت تتعاطى الشراب من جديد ؟

بيرتشيغين : اني أغرق متاعبي .

بيسيمينوف : اية متاعب ؟

بيرتشيخين (ينحني امام الجميع وهو يقول) : بعث هذا النهار
شرشوراً . . . بقي عندي ثلاث سنوات ، كان يصدق
بصوت رائع ، لكنني بعته ! كان ذلك عملاً دنيئاً
ارتكبته ، وهكذا أغرقت همومي في الشراب ، لكم
آسف على ذلك العصفور . فقد أفتته . . .
وأحببته . . .

(تبتسم بوليا وتومي لوالدها)

بيسيمينوف : وفيم بعته اذن ؟
بيرتشيخين (يستند على ظهور المقاعد وهو يدور حول
المنضدة) : قبضت عنه ثمناً محترماً . . .
اكولينا ايفانوفنا : وما قيمة المال بالنسبة اليك ؟ فانت
تنفقه عبثاً مهما يكن الامر . . .
بيرتشيخين (وهو يجلس) : صحيح يا ام ! فانا لا امسك
نقوداً . . . صحيح تماماً !
بيسيمينوف : وهكذا لم يكن ثمة سبب يدعوك الى بيعه بعد
ذلك كله . . .
بيرتشيخين : بلى ، كان هنالك سبب . فقد كان العصفور يفقد
البصر . . . وهذا يعني أنه سيموت قريباً . . .
بيسيمينوف (يبتسم ساخراً) : وهكذا فلست ذلك الغبي كما
تبدو . . .
بيرتشيخين : اتحسب ان ذكائي دفعني الى ذلك ؟ ابدأ - بل
هي حقارة نفسي . . .

(يدخل بيوتر وتيتيريف)

لاتيانا : أين نيل ؟

بيوتر : ذهب وشيشكين الى التمرين .

بيسيمينوف : وأين ستعرض المسرحية ؟

بيوتر : في ميدان الركوب . انه عرض خاص بالجنود .

بيوتشينين (الى تيتيريف) : احتراماتي للمزمار الالهسي !

أترافقني لصيد عصافير القرقف يا رجل ؟

تيتيريف : فليكن . متى ؟

بيوتشينين : غداً اذا طاب لك .

تيتيريف : ليس غداً . فينبغي ان أرتل في جنازة .

بيوتشينين : فلنذهب قبل القداس اذن .

تيتيريف : موافق . مرّ بي . ألم يتبق شيء من الغداء ، يا

أكولينا ايفانوفنا ؟ قليل من العصيدة ، او شيء آخر ؟

أكولينا ايفانوفنا : بلى يا سيدي . اذهبي ، يا بوليا ،

وجيئه به . . .

(تخرج بوليا)

تيتيريف : شكراً جزيلاً . فاليوم ، كما تعرفين ، حالت جنازة

وحفل زفاف بيني وبين تناول الغداء . . .

أكولينا ايفانوفنا : أعرف ، أعرف . . .

(يتناول بيوتر قدحاً من الشاي ويمرّ تحت القوس الى الغرفة

الصغيرة ، تلاحقه نظرة أبيه الثاقبة ونظرة تيتيريف

العدائية . يأكل الجميع ويشربون في صمت عدة لحظات .)

بيسيمينوف : سوف تكسب كثيراً من المال في هذا الشهر ،
يا تيرينتي خريسانفوفيتش . فلا يمرّ يوم دون ميّت .
تيتيريف : الحظ الى جانبي . . . لا بأس .
بيسيمينوف : وحفلات زفاف كثيرة . . .
تيتيريف : صحيح . فهم يتزوجون بلا كلل . . .
بيسيمينوف : ادخر نقودك وتزوج بدورك .
تيتيريف : لا أرغب في ذلك . . .

(تتجه تاتيانا الى شقيقتها ويشرعان في الحديث همساً)

بيرتشيخين : هذا صحيح ، حذار من الزواج . فالزواج لم
يخلق للبط الغريب من أمثالنا . الاخرى بنا ان نذهب
لصيد طيور الدغناش . . .
تيتيريف : هيا بنا . . .

بيرتشيخين : في صيد طيور الدغناش متعة خالصة ! الثلجة
الاولى سقطت للتو ، فتكسو الأرض بوشبي يشبه ثياب
الكاهن في عيد الفصح . . . كل شيء حوالياً نقي براق
وساكن في السكون الناعم . . . واذا اتفق أن كان
النهار مشمساً - فان قلبك ليرقص نشوة اذن !
وأوراق الخريف لا تبرح تتلألأ على الاشجار كالذهب ،
والغصون قد فضّضها الثلج بطبقة رخوة . . . وعلى
حين فجأة وسط هذه الروعة المؤثرة كلها - ورر !
ورر ! - من قلب السماء الصافية ينطلق سرب من
الطيور الحمر اللامعة تروح تجثم على الغصون مثل نبات

الغشخاش - تشيرب ! تشيرب ! تشيرب ! يا للطيور
الصغيرة ، الطيور السمينة ، الرزينة مثل الجنرالات ،
تروح تزقزق وتسقسق - انه منظر يخلب اللب حقاً !
يجعلك تتمنى ان تنقلب أنت نفسك طيراً كيما تستمتع
باللهو معها على الثلج . . . ما أروع هذا ! . . .

بيسيمينوف : الدغناش طائر أحمق .

بيرتشيخين : وأنا نفسي أحمق . . .

تيتيريف : لقد أحسنت الصورة . . .

اكوлина ايغانوفنا (الى بيرتشيخين) : انك مثل طفل
صغير . . .

بيرتشيخين : أنا مولع بصيد الطيور ! أهناك في الدنيا ما
هو افضل من طائر صداح ؟

بيسيمينوف : صيد الطيور خطيرة . أفلا تعرف ذلك ؟
بيرتشيخين : أعرف ذلك ، ولكن لا حيلة لي فيه . فهو الشيء
الوحيد الذي أحب ان أفعله وأعرف كيف أفعله .
ويخال لي ان الحب يجعل اي عمل كان كريماً . . .

بيسيمينوف : أي عمل كان ؟

بيرتشيخين : اي عمل !

بيسيمينوف : وماذا لو أحببت ان تدس في جيبك أشياء
الناس الآخرين ؟

بيرتشيخين : هذا لا يعتبر عملاً ، هذا سرقة .

بيسيمينوف : أجل . . . لعله كذلك . . .

اكوлина ايغانوفنا (متثابئة) : أوه - هو - هو ! ذلك
مضجر . . . اي مضجر في العشيات دائماً . . . ماذا لو

أحضرت قيثارتك وعزفت شيئاً ، يا تيرينتي
خريسانفوفيتش ؟
تيتيريف (في رباطة جأش) : حين استأجرت غرفة منك ، أيتها
المحترمة أكوлина ايفانوفنا ، لم ألتزم بالترويج
عنك . . .

أكوлина ايفانوفنا (لم تستوعب كلامه) : ماذا قلت ؟
تيتيريف : لقد قلت ما قلت بصوت مرتفع وبوضوح .
بيسيمينوف (مشدوفاً ساخطاً) : أنظر اليك ، يا تيرينتي
خريسانفوفيتش ، وأندهش . أنت رجل تافه ، اذا
صفحت عن تعبيري هذا ، رجل لا فائدة منه ، ولكن
فيك من الفخار ما في سيد نبيل . فمن أين لك هذا ؟
تيتيريف (في رباطة جأش) : ولدت على هذه الخصال . . .
بيسيمينوف : بماذا تراك تفاخر اذا سمحت باخباري ؟
أكوлина ايفانوفنا : انه غريب الاطوار . ما الذي يمكن أن
يعتز به رجل مثله ؟

تاتيانا : أمه !

أكوлина ايفانوفنا (منتفضة) : إيه ؟ ما هذا ؟

(تهزّ تاتيانا رأسها مؤنبة)

أكوлина ايفانوفنا : هل قلت من جديد شيئاً ما كان ينبغي ان
أتفوه به ؟ حسناً ، سأبقي فمي مغلقاً . . . والله
المسامح !

بيسيمينوف (مغضباً) : انتبهي لما تقولين ، يا أم . نحن

نعيش وسط أناس مثقفين . يمكن أن ينتقدوا كل شيء ، لهم معرفة وذكاء . أما أنا وأنت فنحن عجوزان أحمقان ليس غير . . .

أكولينا ايقانوفنا (مسترضية) : ليس لي ما أقوله ! فهم في الحقيقة يعرفون أموراً كثيرة
بيرتشيخين : صدقت في هذا ، يا أخي . نطقت به مازحاً ، ولكنك صدقت فيه . . .

بيسيمينوف : لم أمزح . . .
بيرتشيخين : لحظة ! فالشيوخ فعلاً حمقى . . .
بيسيمينوف : وخاصة بعد ان يروك انت .

بيرتشيخين : أنا لا أهمية لي وأكثر من ذلك أظن انه لا يمكن ان تكون هنالك حماقة لو لم يكن هنالك شيوخ . . . فالعجوز يفكر مثلما تحترق شجرة رطبة - لا تعطي لهباً بقدر ما تطلق من دخان . . .
تيتيريف (مبتسماً) : أنت على حق !

(تحدث بوليا في أبيها برقة ، وتربت على كتفه .)
بيسيمينوف (متجهماً) : حسناً ! واصل أكاذيبك . . .
(يكف بيوتر وتاتيانا عن الحديث ويراقبان بيرتشيخين)

(مبتسمين)

بيرتشيخين (في حيوية) : الشيوخ عنيدون - هذا هو الأمر الرئيسي فالشيخ يعرف أنه على خطأ ، وانه لا يفقه شيئاً من شيء ، ولكنه لا يستطيع ان يعترف بذلك . انه متكبر جداً ! فهو يقول في نفسه : أيمن اني

عشت هذه السنوات كلها وأبليت أربعين بنطلاً او ما شابه ، وأجد نفسي فجأة لا أفقه شيئاً ؟ كيف يمكن هذا ؟ فيؤلمه هذا الأمر كثيراً ! ولذلك فهو لا يكف عن ترديد نفس الشيء : أنا شيخ ! أنا على صواب ! بيد ان الأمر بعيد عن ذلك ! فقد أصبح ذهنه ثقيلًا . . . أما الشبان - فذهنهم متوقد وسريع . . . بيسيميثوف (في جفوة) : ليس هنالك من هو أكذب منك . . . لكن قل ، ما دمننا حمقى أفما كان من الضروري أن نُلَقِّن الحكمة ؟

بيرتشيخين : أبدأ ! لا جدوى من اطلاق السهام على صخرة . . . بيسيميثوف : مهلاً ، لا تقاطعني - فأنا أكبر منك سنًا . اليك ما أقول : فيم يهرب منا أصحاب العقول المتوقدة السريعة ، نحن الشيوخ ، ويختبؤون في الزوايا ويقطبون في وجوهنا ويسخرون منا ويرفضون حتى مجرد مخاطبتنا ؟ فكّر في هذا . . . سأخرج أنا لأفكر فيه أيضاً - لوحدي ، طالما أنني أحقق بالنسبة الى جماعتكم هذه (يدفع كرسيه الى الورا في صخب ، ويمضي الى غرفته ويقول عند المدخل) . . . يا ولدي المثقفين . . .

(صمت)

بيرتشيخين (الى بيوتر وتاتيانا) : فيم جرحتما أحاسيس والدكما العجوز ، - يا شباب ؟

بوليا (مبتسمة) : أنت الذي جرحت أحاسيسه . . .
بيرتشيخين : أنا ؟ أنا لم أغضب في حياتي برغوثاً . . .
أكولينا ايفانوفنا : أوه ، يا أصحاب ! الامور عندنا ليست
على ما يرام . . . فيم تغضبون الرجل العجوز ؟ جميعكم
مقربون غابسون . . . وهو عجوز . يحتاج الى السلام
والهدوء . . . والاحترام . . . فهو والدكم . . .
سأذهب اليه . وأنت اغسلي أدوات الشاي ، يا
بوليا . . .

تاتيانا (تقترب من المنضدة) : لماذا يغضب والدنا منا ؟
أكولينا ايفانوفنا (عند الباب) : لانك تبتعدين عنه طوال
الوقت . . . أيتها الذكية !

(بينما بوليا تغسل أدوات الشاي يرتفق تيتيريف المنضدة
ويرنو الى وجهها بنظرة قاسية . يتجه بيرتشيخين الى بيوتر
ويقتعد المنضدة الصغيرة . تنصرف تاتيانا الى غرفتها في
خطوات متأنية .)

بوليا (الى تيتيريف) : فيم تنظر اليّ مثل . . . مثل هذه
النظرة ؟

تيتيريف : هكذا . . .

بيرتشيخين : فيم تفكر ، بيتيا ؟

بيوتر : ايان عليّ ان أذهب من هنا لو فعلت . . .

بيرتشيخين : ثمة أمر كنت أريد ان أسألك عنه منذ زمن
طويل . قل لي من فضلك ما هي «شبكة المجاري» ؟

بيوتر : وفيم اهتمامك بها ؟ ان الحديث عن ذلك بحيث تفهم

بوضوح - حديث طويل . . . وممل . . .

بيوتريشغين : وأنت نفسك ، هل تعرف معناها ؟

بيوتر : دون ريب . . .

بيوتريشغين (يتطلع في وجهه متشككاً) : هم . . .

بوليا : ما الذي أطل غيا ب نيل فاسيليفيتش هكذا . . .

تيتيريف : ما أجمل عينيك . . .

بوليا : أخبرتني بذلك نهار أمس .

تيتيريف : وسأخبرك به غداً . . .

بوليا : لماذا ؟

تيتيريف : لست أدري . . . قد يخطر لك أنني متيم في هواك ؟

بوليا : يا للسموات ، أبدأ ! لا يخطر في بالي شيء من هذا .

تيتيريف : أبدأ ؟ يا للأسف ! حاولي أن تفكري . . .

بوليا : في ماذا ؟

تيتيريف : في أي شيء - ما الذي يحدوني الى مغازلتك مثلاً .

بوليا : فكري في الأمر ، وأخبريني . . .

بوليا : ما أغرب أطوارك !

تيتيريف : أعرف هذا . . . فقد سبق اخباري به . سأقول لك مرة أخرى : ارحلي عن هذا المكان ! من المضر بك ان تجيئي الى هذا البيت . . . اذهبي !

بيوتر : هل هذا مشهد الاعتراف بالحب ؟ أتريد أن أنصرف ؟

تيتيريف : أبدأ ! لا تزعج نفسك ! فأنا أصنفك مع الأشياء الجامدة . . .

بيوتر : دعا بة سخيفة . . .

بوليا (الى تيتيريف) : لكم تحبّ الخصام !

(يبتعد تيتيريف وينصت في اهتمام الى حديث بيوتر
وبيرتشيخين)

تاتيانا (تخرج من غرفتها وهي تلف نفسها بشال ، وتجلس
الى البيان . تسأل وهي تقلب النوتات الموسيقية) :
ألم يصل نيل بعد ؟
بوليا : كلا . . .

بيرتشيخين : الجو مقنط . . . على فكرة ، يا بيتيا : قبل فترة
وجيزة قرأت في الصحيفة أنهم بنوا سفناً طائرة في
انجلترا . تبدو مثل السفن الأخرى ، لكن اذا ركبتها
وضغطت على زر معين - زينغ ! - تحلق في الفضاء
مثل العصفور في قلب السحب ، وتحمل الناس الى حيث
لا يعلم الا الله . . . ويقولون ان كثرة من الانكليز
اختلفوا على هذا الغرار . أهذا صحيح ، يا بيتيا ؟

بيوتر : هراء !
بيرتشيخين : ولكنه نشر في الصحف . . .
بيوتر : ما ينشر من الهراء في الصحف غير قليل .
بيرتشيخين : كثير اذن ؟

(تعزف تاتيانا لحنًا حزينا خافتًا)

بيوتر (مغتاظًا) : كثير منه بالطبع !
بيرتشيخين : لا تغضب . وفي الحقيقة ، لماذا تكونون ، انتم
الشبان ، على هذا القدر من الغرور بالنسبة الينا نحن

الكهول ؟ حتى انكم لا تودون مخاطبتنا ؟ هذا لا يليق !
بيوتر : ماذا بعد هذا ؟

بيرتشيخين : بعد هذا أقول : حان أوان انصرافي طالما أنكم
تضايقتم مني . هل ستذهبن الى المنزل عن قريب ،
يا بوليا ؟

بوليا : حالما أنظف المكان . . . (تغادر الغرفة . يتبعها
تيتيريف بعينه .)

بيرتشيخين : أجل . . . نسيت ، يا بيتيا ، كيف كنا أنا
وأنت نصيد طيور السميلي معاً . كنت تحبني هاتيك
الأيام . . .

بيوتر : وحتى الآن أنا . . .

بيرتشيخين : أرى وأشعر . . . ما في قلبك الآن !

بيوتر : كنت أحب كعك الزنجبيل والكراميل في هاتيك
الأيام ، أما هذه الايام فأكرهها . . .

بيرتشيخين : مفهوم . . . ياعم تيرينتي ! هل نذهب لتناول
جرعة من البيرة ؟

تيتيريف : ليست لديّ رغبة . . .

بيرتشيخين : سأذهب وحدي اذن . العانة هي المرح ،
والبسطة . أما هنا ، فالمرء قد يموت من الكآبة
بينكم ، وهذا القول ليس في صالحكم . أنتم لا تفعلون
شيئاً . . . ولا تريدون شيئاً . . . ماذا لو لعبنا
بالورق ؟ لعبة القاشوش ؟ فنحن أربعة . . . (ينظر
تيتيريف الى بيرتشيخين ويبتسم .) لا تشعرين برغبة
في ذلك ؟ كما تهوون . . . اذن وداعاً ! (فيما هو

يقترّب من تيتيريف يأتي بحركة من يده دلالة على
اغتيابك الشراب . هل تأتي ؟
تيتيريف : كلا . . .

(يأتي بيرتشيخين بحركة يائسة من يده ، ويدلف خارجاً .
صمت . تسمع الأنغام المنفردة الخافتة التي تعزفها تاتيانا
على البيان ، وهي تقرأ النوتات ، في وضوح جلي . يصغى
بيوتر من حيث اضطجع على الأريكة ، ويبدأ يصفر اللحن .
ينهض تيتيريف ويجوس أرض الغرفة . وراء الباب المؤدي الى
المدخل يسقط شيء ما حديدي : دلو أو أنبوب سماور
محدثاً ضجة ، يسمع صوت ستيبانيدا يقول : «الى أين ،
ياخذك الشيطان» . . .)

تاتيانا (تسترسل في عزفها) : ما أطول غياب نيل . . .

بيوتر : لا أحد يأتي . . .

تاتيانا : أنتتظر يلينا ؟

بيوتر : أنتظر أي انسان . . .

تيتيريف : لن يأتي أحد لرؤيتكم . . .

تاتيانا : أنت دائماً عبوس . . .

تيتيريف : لن يأتي أحد فليس لديكم ما تعطون . . .

بيوتر : هكذا تكلم تيرينتي الملهم . . .

تيتيريف (في أصرار) : أفلم يخطر لكما ان ذلك «الساقط» ،

تاجر الطيور السكر ، كائن حي ، روحاً وجسداً ، في

حين أنكما ، وأنتما على عتبة الحياة بعد ، أصبحتما

شبه ميتين ؟

بيوتر : وأنت ؟ ما هو تقديرك لنفسك ؟
تاتيانا (تنهض عن مقعد البيان) : ايها السادة ! كفى ! سبق
ان قيل الشيء ذاته ! تحدثتما في هذا الموضوع من
قبل . . .

بيوتر : يروقني أسلوبك ، يا تيرينتي خريسانوفيتش . . .
وأنا أحب الدور الذي تلعبه - دور القاضي الذي
يحاكمنا جميعاً . . . لكني أود ان أعرف : فيم اختيارك
هذا الدور بالذات ؟ أنت تتحدث دائماً وكأنك ترتل
مدائح للراحل . . .

تيتيريف : ليست ثمة مثل هذه المدائح . . .
بيوتر : الامر سيان . ما أردت أن أقول هو أنك لا
تحبنا . . .

تيتيريف : جداً . . .
بيوتر : شكراً على هذه الصراحة .

(تدخل بوليا)

تيتيريف : هنيئاً لك !
بوليا : بم تضيف يا ترى ؟
تاتيانا : اهانات . . .
تيتيريف : بل الحقيقة . . .
بوليا : أريد الذهاب الى المسرح . . . هل يأتي أحدكم
معي ؟

تيتيريف : أنا . . .

بيوتر : ماذا يعرضون الليلة ؟

بوليا : «الشباب الثاني» . . . ألن ترافقينا أيضاً ، يا تاتيانا

فاسيليفنا ؟

تاتيانا : كلا . . . يخال لي اني لن أذهب الى المسرح هذا

الشتاء . فقد مللته . أنا لا أطيق كل تلك الدرامات

بما يتراكم فيها من طلاقات وصيحات وبكاء . انها تثير

أعصابي وتغيظني . (يدق تيتيريف بأصبعه على أحد

مفاتيح البيان ، فتنتلق منه نغمة حزينة خفيفة) كل

شيء مزيف . والحياة تسحق الناس دون ضجيج أو

صراخ . . . ودون عبرات . . . ودون أن يحس أحد

بذلك . . .

بيوتر (مكتئباً) : انهم يمسرحون عذابات الحب ، لكن أحداً

لا يهتم بمأساة الانسان الممزق بين الواجب

والرغبة . . .

(يتابع تيتيريف ، مبتسماً ، الضرب على مفاتيح الصوت

الجهر .)

بوليا (تبتسم في خجل) : أما أنا فمجنونة بالمسرح . خذوا

دون سيزار ده بازان ، ذلك النبيل الاسباني . . . انه

رائع في منتهى الروعة ! انه بطل حقيقي . . .

تيتيريف : هل أشبهه ؟

بوليا : اوه ! ماذا تقول ! على الاطلاق !

تيتريف (يطلق ضحكة قصيرة) : يا للأسف !
تاتيانا : يضجرتني الاصغاء الى الممثلين وهم يمثلون عن
الحب على المسرح . الحب في الحياة الحقيقية لا يشبه
ذلك أبداً ! . . .

بوليا : حسناً ، أنا ذاهبة . . . هل ستأتي ، يا تيرينتي
خريسانوفيتش ؟
تيتريف (يكف عن ضرب المفاتيح) : لن أذهب بعدما قيل لي
اني لا أشبه نبيلاً اسبانياً . . .

(تخرج بوليا ضاحكة)

بيوتر (يراقبها وهي تخرج) : ما هو النبيل الاسباني بالنسبة
اليها ؟

تيتريف : انها ترى فيه انساناً صحيحاً . . .
تاتيانا : ملابسه جميلة . . .
تيتريف : ومزاجه مرح . . . الناس المرحون طيبون على
الدوام . . . والأوغاد يندر أن يكونوا مرحين .
بيوتر : عطفاً على نظريتك هذه لا بدّ أنك أعظم وغد على
وجه البسيطة . . .

تيتريف (يضرب على مفاتيح البيان ، من جديد ، فتدوي
انغاماً ثرية عذبة) : أنا مجرد سكير . أتعرفون لماذا
تمتلي روسيانا بالسكارى ؟ يلائم المرء ان يكون
سكيراً . وهم يحيون السكارى عندنا ويكرهون
المبتكرين والناس الجسورين . ذلكم أنه أسهل ان

تحبّ شيئاً صغيراً لا قيمة له من أن تحبّ شيئاً
عظيماً وصالحاً . . .

بيوتر (يجرس أرض الغرفة) : روسيانا . . . روسيانا . . .
ما أغرب وقع هذه الكلمة ! ما أغرب وقع هذه الكلمة !
هل روسيا لنا حقاً ؟ هل هي لي ؟ هل هي لك ؟ ومن
«نحن» ؟ ما «نحن» ؟

تيتيريف (يغني) : نحن طيور حرة . . .
تاتيانا : يا ترينتي خريسانفوفيتش ! كفّ عن الضرب على
البيان ، فعزفك أشبه بأجراس لحن جنائزي !
تيتيريف (يستمر في العزف) : انني أعزف لحناً ينسجم
والمزاج العام . . .

(تخرج تاتيانا غاضبة الى الباب المؤدي الى المدخل)

بيوتر (متأملاً) : اجل . . . كفّ حقاً عن هذا الضرب ، فهو
يثير الأعصاب . . . يخيل اليّ أنه حين يقول الفرنسي
أو الانكليزي : فرنسا ! أو انكلترا ! فان هذه الكلمة
تعني بالنسبة اليه شيئاً ملموساً ، شيئاً محسوساً
ومفهوماً . . . أما حينما أقول أنا - روسيا - فهذه
الكلمة لا تعني شيئاً بالنسبة لي . وليست لديّ
القدرة على تضمينها أي مضمون واضح . (صمت .
يستمر تيتيريف في الضرب على مفاتيح البيان .) ثمّة
كلمات كثيرة نستخدمها بتأثير العادة ، دون أن نفكر
فيما وراءها من معنى . . . الحياة . . . حياتي . . .

ما الذي يختبئ وراء هاتين الكلمتين من معنى ؟ . .
 (يذرع أرض الغرفة في صمت . تيتيريف يضرب على
 مفاتيح البيان في عذوبة ، فيملاً الغرفة أنغاماً حزينة ،
 فيما هو يلاحق بيوتر بابتسامة متجمدة على وجهه .)
 أي شيطان دفعني الى الاشتراك في تلك الاضرابات
 الطلابية ! ذهبت الى الجامعة لأدرس ، وهذا ما كنت
 أفعله . . . أرجوك ، كفّ عن هذا الرنين ! . . لم
 أكن واعياً أن أي نظام للحكم يحول بيني وبين دراسة
 القانون الروماني - لم أكن أشعر بذلك حقاً ، اذا
 أردنا أن نكون صريحين . غير أنني كنت أشعر بضغط
 زملائي . . وقد خضعت له . وهكذا ضاع من عمري
 سنتان . . . أجل ! وهذا ما أسميه العنف ! العنف
 بحقي - أليس كذلك ؟ كنت أحلم أن أنهي دراستي ،
 وأصبح محامياً ، وأحصل على عمل ، وأطالع ، وأدرس
 الحياة - وبكلمة : أن أعيش !
تيتيريف (يكمل في سخرية) : في سبيل اسعاد والديك ، وخير
 الكنيسة والوطن ، مثلما يليق بخادم مطيع
 للمجتمع . . .
بيوتر : المجتمع ؟ هذا هو الشيء الذي أمفته ! فهو لا يبرح
 يزيد من متطلباته من الفرد دون أن يمنحه فرصة
 للتطور بصورة صحيحة ودون عوائق . . . المجتمع ،
 بلسان رفاقي ، صرخ في وجهي : على المرء أن يكون ،
 قبل أي شيء آخر ، مواطناً ! حسناً ، كنت مواطناً . . .
 لعنة الله عليهم . . . لم تكن بي رغبة . . . ولم أكن

مرغماً على الخضوع لمتطلبات المجتمع ! أنا فرد !
والفرد حر . . . اسمع ! كفّ عن هذا . . . عن هذا
الرين الملعون . . .
تيتيريف : اني أصحابك . . . أيها البورجوازي المحترم الذي
كان مواطناً - الى متى ؟ - نصف ساعة ؟

(صخب وراء الباب المؤدي الى المدخل)

بيوتر (مغتاظاً) : لا . . . لا تسخر مني !

(يتابع تيتيريف ، وقد ألقى على بيوتر نظرة متحدية ضربه
على مفاتيح البيان . يدخل نيل ، ويلينا ، وشيشكين ،
وتسفيتاييفا ، وفي اثرهم تاتيانا .)

يلينا : ما معنى هذا القرع الجنائزي ؟ عمت مساء ، أيها
الدب الرهيب ! مساء سعيداً ، أيها المدعي العام
العتيد ! ماذا تفعلان هنا ؟

بيوتر (مقطباً) : نهرف في الحديث .

تيتيريف : أعزف لحسن الوداع للرجل الذي ارتحل عن
الحياة قبل أن تأتي ساعته . . .

نيل (الى تيتيريف) : اسمع ! هلا أسديتني خدمة ؟ (يهمس في
أذنه شيئاً . يوميّ تيتيريف برأسه .)

تسفيتاييفا : اه ، أيها السادة ! كان التمرين رائعاً !
يلينا : كان ينبغي أن ترى كيف كان الملازم بيكوف يغازلني

بعنف هذه الليلة ، ايها المدعى العام !
 شيشكين : صاحبك بيكوف حمار . . .
 بيوتر : ما الذي يجعلك تظنين أنني أبدي اهتماماً بمن
 يغازلك وكيف يفعل ذلك ؟
 يليينا : اوه ! انت خارج عن طورك ؟
 تسفيتايفا : بيوتر فاسيليفيتش خارج عن طوره دائماً .
 شيشكين : هذه حالته الروحية الطبيعية . . .
 يليينا : يا تانيتشكا ! وهل أنت ، أيضاً ، في حالتك
 الطبيعية ؟ حزينة مثل ليلة خريفية ؟
 تاتيانا : نعم . أنا مثلما قلت . . .
 يليينا : أما أنا فأحس أنني أطيّر من الفرح ! لماذا تروني
 دائماً أطيّر من الفرح أيها السادة ؟
 نيل : لا أستطيع جواباً عن هذا . فأنا أيضاً أشعر بالمرح
 على الدوام !
 تسفيتايفا : وأنا كذلك ! . . .
 شيشكين : أنا لست دائماً ، ولكن . . .
 تاتيانا : . . . طوال الوقت .
 يليينا : اهذه محاولة للهزل ، يا تانيتشكا ؟ ما أروعك !
 أخبرني ، أيها الدب ، فيما أنا أمرح مرحاً على الدوام ؟
 تيتيريف : يا للطيّش المجسّد !
 يليينا : هكذا ! حسناً ! سأذكرك بهذه الكلمات حينما تعترف
 بحبك لي !
 نيل : لا أمانع في الحصول على شيء آكله . . . عليّ أن
 أذهب الى العمل بعد فترة قصيرة . . .

تسفييتايفا : وستعمل الليل بطوله ؟ يا للمسكين العزيز !
فيل : الليل والنهار معاً . . . يفضل أن أذهب الى المطبخ
وأتوسل بستيانيدا . . .

تاتيانا : سأطلب اليها أن تطعمك . . . (تخرج برقعة نيل .)
تيتيريف (الى يلينا) : لحظة ! أيجب عليّ أن أقع أسير
هواك ؟

يلينا : أجل ، يجب ، أيها الرجل الجسور ! أجل ، يجب ،
أيها المسخ النكد ! يجب ، يجب !
تيتيريف (يتراجع الى الخلف) حاضر . . . لن يصعب عليّ
ذلك . . . فقد كنت مرة أحب فتاتين وامرأة متزوجة في
وقت واحد . . .

يلينا (تواصل التقدم نحوه) : وماذا نجم عن ذلك ؟
تيتيريف : لا شيء . . .
يلينا (بصوت خافت ، وهي توميّ بعينيها ناحية بيوتر) :
ماذا حدث بينكما ؟

(يضحك تيتيريف . يتحدثان هامسين .)

شيشكين (الى بيوتر) : إسمع يا اخ ! هلا اعطيتني روبلاً
لثلاثة أيام ؟ فقد تمزق حذائي . . .

بيوتر : خذ . . . صرت مديناً لي بسبعة روبلات . . .
شيشكين : لم أنس هذا . . .

تسفييتايفا : بيوتر فاسيليفيتش ! لِمَ لا تشتترك في
مسرحتنا ؟

بيوتر : لا أستطيع التمثيل . . .

شيشكين : أعتقد أننا نستطيعه ؟
تسفيتاييفا : في مقدورك على أقل تقدير أن تحضر تمريناتنا .
فالجنود يستدعون اهتماماً كبيراً . بينهم واحد يدعى
شيركوف - مضحك الى أبعد الحدود ! ساذج وبريء ،
له ابتسامة خجول لطيفة جداً . . . لكنه لا يفهم
شيئاً . . .

بيوتر (يراقب يلينا من طرف عينه) : كيف تجدين ما يبعث
على الاهتمام في شخص لا يفهم شيئاً ؟ هذا أمر يفوق
مداركي !

شيشكين : ليس شيركوف هو الشخص الوحيد . . .
بيوتر : لا أرتاب في أن الفرقة بأسرها على هذا الغرار . . .
تسفيتاييفا : كيف يمكن أن تقول هذا ؟ لا أفهم . ما الذي
يجعلك على هذه الصورة ؟ أهذا ما تسميه
أرستقراطية ؟

تيتريف (يتحدث فجأة في صوت عال) : أنا لا أعرف ان
أشفق . . .

يلينا : صه !

بيوتر : وكما هو معروف لديكم ، فأنا فرد من الطبقة
الوسطى .

شيشكين : وهذا ما يعسر فهم موقفك تجاه عامة
الناس . . .

تيتريف : لم يشفق أحد عليّ قط . . .
يلينا (بصوت خافت) هلا عرفت ان على المرء ان يقابل الشر
بالخير ؟

تيتيريف : ليس لديّ ما أقابل به . . .

يلينا : آه ! هدى صوتك ! . . .

بيوتر (يرهف سمعه الى ما يتبادله تيتيريف ويلينا من

حديث) : لكنّ هناك شيئاً لا أفهمه : فيم تدعون

العطف على عامة الناس ؟

تسفيتايفا : نحن لا ندّعي . فنحن نقاسمهم ما يتوفر

لدينا . . .

شيشكين : بل هذا الأمر ليس سبباً . . . فنحن نشعر

بالسرور لأننا بينهم . . . فهم صادقون لا يتكفون . . .

وثمة شيء يريح الأعصاب فيهم كالهواء في الغاب . . .

عشاق الكتب من أمثالنا يحتاجون الى ملء رئاتهم بهواء

عليل بين فترة وأخرى . . .

بيوتر (في اصرار وضيق مكظوم) : تحبون خداع أنفسكم . . .

ثمة حوافز لا تعترفون بها تدفعكم الى التعويض على

هؤلاء الجنود . وذلك شيء سخيف اذا عذرتهم صراحتي !

البحث عن الهواء العليل بين الجنود . . . هذا . . .

أستميحكم العذر . . .

تسفيتايفا : ليس بين الجنود وحسب ! فنحن نقدم عروضنا

المسرحية في مستودع السكك الحديدية أيضاً ، كما

تعرف . . .

بيوتر : الأمر سيان . ما أقوله هو انكم تخدعون أنفسكم

حين تسمون جلبتكم وضجيجكم عملاً حيويًا ، وتؤمنون

أنكم تساعدون على رقي الفرد . . . وما شابه

ذلك . . . انكم لا تفعلون أكثر من خداع أنفسكم .

غداً يحضر ضابط أو رئيس للعمال ويعطي هذا «الفرد» الذي تنادون به لكمة على فكه . تنتزع من رأسه كل ما حشرتم فيه - ان كنتم حقاً قد حشرتم فيه شيئاً . . .
تسفيتايفيا : من المؤسف ان يسمعك المرء تقول مثل هذه الأمور !

شيشكين (مكتئباً) : اجل . . . هذا الكلام غير مناسب . . .
وليست هي المرة الأولى التي أسمعك تنطق بهذه الأمور ، وفي كل مرة أسمعها أزداد منها نفوراً . . .
سيأتين² يوم نتحدث فيه أنت وأنا حديثاً حاسماً ، يا بيوتر - ونتفارق الى الأبد !

بيوتر (في برودة وبطء) : أنا خائف من هذا اللقاء ! ولكنني تواق اليه . . .

يلينا (في حمية) : ما هذا الذي يجعلك تتظاهر بهذا الشكل ؟ ايها السادة ! لماذا يريد أن يعتبره الناس خبيثاً ؟
بيوتر : من أجل التميز كما أظن .

تسفيتايفيا : طبعاً ! هو يريد أن يبدو متميزاً عن الآخرين .
جميع الرجال يحاولون ان يبدوا متميزين في حضرة النساء . بعضهم يتظاهرون أنهم متشائمون ، وآخرون أنهم على غرار مفيستوفيل . بينا هم في الحقيقة مجرد كسالى . . .

تيتيريف : كلمة مختصرة واضحة . ومعبرة جداً !
تسفيتايفيا : تريدى أجامل الرجال ؟ لسوف تنتظر طويلاً
اذن ! انا أعرفهم اطيب معرفة !
تيتيريف : انك تعرفين الأمر أفضل مما أعرفه أنا .

وبالمناسبة ، ان كنت تعرفين كثيراً ، فلعلك تعرفين ما يلي : هل ينبغي على المرء أن يقابل الشر بالخير ؟ وبكلمات أخرى ، هل تعتبرين الخير والشر عملة متساوية في القيمة ؟

تسقيتاييفا : أنت تلوي الأمور دائماً بصورة متناقضة !
شيشكين : مهلاً ، لا تقاطعيه ! هذا ممتع . أنا ، أيها السادة ، أحب أن أصغي الى تيتيريف ! فهو يحشر بين الفينة والفينة في رؤوسكم فكرة جديدة مقلقة . . .
بينما نحن جميعاً نفكر - اذا قلنا الصراحة - أفكاراً عادية جداً - مسطحة وممسوحة كالعملات القديمة . . .
بيوتر : أنت في غاية الكرم . تضيي على الآخرين فضائلك الخاصة . . .

شيشكين : هيا ، هيا ، علينا ان نقول الحقيقة يا أخ ! ينبغي أن نكون صادقين حتى في التفاهات ! أما بالنسبة اليّ ، فانا أعتزف صراحة أنني لم أعبر قط عن أية فكرة أصيلة ، ولكم أتوق الى ذلك أيها السادة !

تيتيريف : لقد فعلت ذلك لتوك !

شيشكين : (في حماسة) : ما هذا ؟ ألا تكذب ؟ أتعني ذلك حقاً ؟

تيتيريف : حقاً يا أخ ! لقد نطقت بواحدة ، وسأترك تخمن بنفسك ماهيتها .

شيشكين : لا ريب أنها كانت مصادفة أفلتت بمحض الصدفة . . .

تيتيريف : لا يمكن أن يكون الانسان أصيلاً عن عمد .

جرت أنا ذلك . . .

يلينا : أسمعنا ماذا تريد أن تقول عن الخير والشر ، أنت ،
يا معذّبنا ، أنت .

شيشمكين : هيا ، ولتطلقنّ أبخرة الفلسفة !

تيتريف (يتخذ وضعاً مسرحياً) : أيها المحترمون من أصحاب
القائمتين !! تخطؤون كثيراً حين تقولون انه يجب أن
تقابلوا الشر بالخير . الشر صفة وراثية فيكم ، ولذلك
فهو قليل القيمة . والخير شيء اكتسبتموه بأنفسكم ،
ودفعتم فيه ثمناً غالياً جداً ، ولذلك صار نادراً
وعزيزاً وأحب الى قلوبكم من أي شيء آخر على وجه
هذه البسيطة . ومن هنا النتيجة انه ليس ثمة منفعة
أو جدوى بالنسبة لكم من مقابلة الشر بالخير . أقول
لكم : الخير يجب أن يقابل بالخير وحده . أبداً لا يجوز
أن تقابلوا أكثر مما حصلتم عليه ان كنتم لا تريدون
ان توقظوا في الآخرين غريزة المرابي . الانسان مخلوق
جشع . اذا أخذ مرة أكثر مما هو له فلسوف يطالب
بعدئذ بالمزيد باستمرار . وكذلك لا ينبغي ان تعطوه
أقل من حقه لأنكم ان غالطتموه الحساب مرة -
وتذكروا أن الانسان لا ينسى الاساءات ! - فلسوف
يعلن افلاسكم . ولسوف يفقد كل احترام لكم ومن
بعد ، وبدلاً من مقابلة الخير الذي تستأهلون ، سوف
يعرض عليكم الصدقات . راعوا الدقة في مقابلة الخير
بالخير ، أيها الأخوة ، لان أحداً على الأرض ليس أكثر
مدعاة للأسى والاشمئزاز من ذلك الذي يعرض على

جاره صدقة ! أما حين تتلقون الشر فردوه أضعافاً مضاعفة ! كونوا أسخياء بقوة في ردّ الشر الذي يتليكم به جاركم ! وإذا طلبتم كسرة من خبز فأعطاكم حجراً فاهدموا على رأسه صخرة ! (يبدأ تيتيريف خطبته في غبطة خفيفة ، ويزداد حديثه جدية كلما انطلق فيه ، وينتهي منه في نبرات قوية ملتهبة . وحين يصمت يتعد في خطوات ثقيلة . يرين الصمت على الجميع . ويسيطر الوجود عليهم ، ويشعرون بما في كلماته من صدق .)

يلينا (في عذوبة) : لا بدّ أنك قاسيت من الناس عنقاً رهيباً . . .

تيتيريف (مكشراً عن أسنانه) : ولكنني عامر بالأمس المرح أنهم ، في الوقت المناسب ، سيقاسون مني . . . او بالأحرى سيقاسون من أجلي . . .

نيل (يدخل وفي يديه قصعة وشريحة من خبز ، يتحدث وهو يراقب القصعة بعينه كيلا يهرق ما في داخلها . تدخل تاتيانا وراءه) : كل ذلك فلسفة ! ان لديك ، يا تانيا ، عادة سيئة في التفلسف بخصوص الأمور التافهة - المطر ، أو أصعب مجروح ، أو مدفأة تطلق دخاناً . حين أسمع الفلسفة تهدر على مثل هذه الأمور التافهة أجدني مرغماً على التفكير أن الثقافة تسبب أذى عظيماً لبعض الناس . . .

تاتيانا : أنت شديد الفظاظة ، يا نيل !

نيل (يجلس الى المنضدة ويشرع في الطعام) : لا شأن لهذا
بفظاظتي ! اذا ضجرت فابدئي عملاً ما فالمرء الذي يعمل
لا يجد للضجر وقتاً . اذا كانت حياتك في البيت غير
سعيدة فاذهبي الى الريف وعلّمي الأطفال هناك . أو
اذهبي الى موسكو وادرسي . . .

يلينا : نالت جزاءها ! هلا وبخت هذا الحقير أيضاً . (تشير
الى تيتيريف)

نيل (يرميّه بنظرة جانبية) : نموذج آخر ! هيراقليطس
الثاني . . .

تيتيريف : سويفت الثاني اذا أذنت !

نيل : هذا كثير عليك !

بيوتر : كثير جداً !

تيتيريف : كم يطيب لي ان أسمعكم تسموني هكذا . . .

تسفيتايفنا : أنت تحب الاطايب كثيراً !

نيل (دون أن يرفع عينيه عن القصة) : هيا ، لا تغضب .

وبالمناسبة ، هل . . . هل بوليا هنا ؟ أو بالأحرى

أين ذهبت ؟

تاتيانا : الى المسرح . لماذا ؟

نيل : لا شيء ، كنت أسأل فحسب .

تاتيانا : أحتاج اليها في أمر من الأمور ؟

نيل : كلا . لا أحتاج اليها . أعني ليس في هذه اللحظة ،

أما عموماً فانا . . . أنا . . . أحتاج اليها دائماً .

أوه ، يا لللعنة ! تورطت في الكلام !

(يبتسم الجميع عدا تاتيانا)

تاتيانا (في اصرار) : لماذا ؟ ما حاجتك اليها ؟

(يتابع نيل طعامه متجاهلاً سؤالها)

يلينا (تخاطب تاتيانا في نبرات سريعة) : فيم كان يوبخك ؟

أخبريني !

تسفيتايفا : أجل . هذا يبعث على الاهتمام !

شيشكين : أحب أسلوبه في التوبيخ . . .

بيوتر : وأحب أنا . . . أسلوبه في التهام الطعام . . .

نيل : كل ما أفعله ، فأنا أفعله جيداً . . .

يلينا : هيا ، يا تانيا ، أخبرينا !

تاتيانا : ليست بي رغبة . . .

تسفيتايفا : انها لا تريد القيام بشيء ابداً !

تاتيانا : وكيف تعرفين ؟ لعلّ عندي رغبة جامحة في . . .

الموت .

تسفيتايفا : هه ! اعاف السمع لهذا !

يلينا بررر ! لا أحب التحدث عن الموت !

نيل : ماذا يمكن أن يقول المرء عن الموت قبل أن يموت ؟

تيتيريف : ياله من فيلسوف حقيقي !

يلينا : فلنذهب الى غرفتي أيها السادة ! هيا بنا ! لا بدّ

وان السماور يغلي من زمان . . .

شيشكين : هذا هو المطلوب . . . قدح من الشاي ! وأرجو

أن يكون معه شيء يؤكل ؟

يلينا : دون ريب !

شيشكين (يشير الى نيل) : رؤيته تفعمني غيرة ، أنسا
الغاطي !

نيل : ليس هنالك ما يستثير غيرتك - فلقد التهمت كل
ما هو موجود ! وسأذهب برفقتكم - فلدي أكثر من
ساعة من الزمن لا عمل لي فيها . . .

تاتيانا : ألا يفضل أن تستريح قليلاً قبل الذهاب الى عملك ؟
نيل : لست أحتاج ذلك . . .

يلينا : بيوتر فاسيليفيتش ! هل تأتي معنا ؟

بيوتر : اذا سمحت لي بذلك . . .

يلينا : بكل سرور ! هات ذراعك !

تسفيتايفا : قفوا أزواجاً ! نيل فاسيليفيتش ، تعال
معي . . .

شيشكين (الى تاتيانا) : وأنت معي .

تيتيريف : يقولون ان هنالك نساء أكثر من الرجال في العالم ،

ولكنني عشت في عديد من مدن هذا البلد ولم أجد ،

مرة واحدة ، امرأة واحدة تركت لي . . .

يلينا (ضاحكة ، وهي تتجه الى الباب وتغني) :

Allons, enfants de la patri-i-i-e!*

* بالفرنسية في الاصل . وتعني : هيا بنا ، أبناء الوطن !

شميشكين (يدفع بيوتر في ظهره) : هيا ، تحرك بسرعة ، يا ابن
الوطن ! . .

(يخرجون في جلبة ، وهم يغنون ويضحكون . تبقى الغرفة
خاوية لحظات . وينفتح باب غرفة الوالدين فتدلف منه
أكولينا ايفانوفنا . تتشاءب وتطفئ المصابيح . من داخل
الغرفة يدف صوت الرجل العجوز يتلو صلواته بصوت
رتيب . تتعثر المرأة العجوز في الظلمة بالمقاعد وهي تشق
طريقها الى حجرتها)

ستار

الفصل الثاني

(المشهد ذاته)

ظهيرة يوم خريفي . بيسيمينوف جالس الى المنضدة . تاتيانا تراوح وتغادي في الغرفة على مهل دون أن يندّ عنها صوت . بيوتر يقف عند القوس بين الغرفتين يمدّ بصره عبر النافذة .

بيسيمينوف : هذه ساعة كاملة وأنا أتحدث فيها اليكما ، يا ولدَيّ العزيزين ، لكن كلماتي فيما يبدو لا تجد لها في قلبيكما صدى . أحكما يقف وقد أدار لي ظهره ، والأخرى تتمشى في غدوٍ ورواح كأنها غراب على سور .
تاتيانا : سوف أتخذ لنفسني مقعداً . (تجلس .)

بيوتر (يلتفت الى والده) : حدثنا صراحة : ماذا تبغي منا ؟
بيسيمينوف : أريد أن أعرف ماهيتكما . أما أنت فأودّ أن أعرف أي نوع من البشر أنت .

بيوتر : رويدك ! فسأجيبك في الوقت المناسب . ستري وتفهم ، لكن دعني أنهى دراستي أولاً .

بيسيمينوف : هه ، الدراسة . حسناً هيا وادرس ! ولكنك لا تفعل . أنت تهمل من حواليك . وتعلمت أن تشمخ بأنفك حيال كل شيء ، بيد أنك لم تتعلم قواعد السلوك . فقد طردوك من الجامعة . أتظنهم فعلوا ذلك ظلماً ؟ أبدأ . الطالب هو طالب ، وليس من شأنه

أن يحدد كيف ينبغي أن تكون الأمور . إذا راح كل طالب في العشرين من العمر يحاول ان يقر نظامه فلسوف يتشوش كل شيء ، ولا يبقى في هذه الدنيا مكان للناس العقلاء المعقولين . عليك أن تتعلم أولاً ، وحين تغدو في عمك خميراً يحين الحين لتبدأ انتقاداتك . والى أن يأتي ذلك الوقت فلكل انسان الحق في أن يقول «بخ !» لانتقاداتك . لا أقول هذا تشفياً ، بل أقوله من أعماق قلبي لأنك ابني ، لحمي ودمي ، وما شابه ذلك . أنا لن أقوله لنيل ، بالرغم من أنني بذلت كثيراً من الجهد معه ، فهو وان يكن ابني بالتبني ، لكن دمه يختلف عن دمي . وكلما كبر كلما ابتعد عني . أعلم أنه خلق ليكون وغداً - ممثلاً أو شيئاً من هذا القبيل . . . ولعله يغدو اشتراكياً . حسناً ، فليصر اشتراكياً . هذا ما يستحقه !

أكولينا ايفانوفنا (تطل من الباب وتقول في صوت ذليل

شاك) : ألم يحن وقت الطعام ، يا أبي ؟

بيسيمينوف (في حدة) : أخرجني من هنا ! لا تدسي أنفك فيما

لا يخصك . (تغلق أكولينا ايفانوفنا الباب . تنظر

تاتيانا الى والدها نظرة موبخنة ، وتنهض على

قدميها ، وتروح تتجول في الغرفة من جديد .) رأيتما ؟

أمكما لا تجد لحظة هدوء - فهي أبدأ آخذة أهبتها

لتحميكما - تخشى أن أرح شعوركما . لا أريد ان

أرح أحداً . ولكنكما جرحتما مشاعري ، جرحتماها حتى

الصميم . فانا أسير في بيتي باحتراس ، فكان الأرض

مفروشة بزجاج مكسور . وكفّ أصدقائي القدامى عن زيارتي ، فهم يقولون : نال ولدك ثقافة رفيعة ونخشي أن يسخرنا من أناس بسطاء من أمثالنا ! انتما سخرتما منهم أكثر من مرة ، مما ضررني ذلك خجلاً . لقد هجرني أصدقائي جميعاً ، فكان الابناء المثقفين طاعون . انتما لا تبديان بأبيكما اهتماماً ، ولا تخاطباناه قط بكلمة واحدة رقيقة ، ولا تخبرانه أبداً عما يجول في ذهنكما ، ولا تفضيان له بمشاريعكما البتة . أنا أشبه برجل غريب بالنسبة اليكما . ومع هذا فأنا أحبكما ! أجل ، أحبكما ! أتفهمان معنى هذا - ان تحب شخصاً ؟ طردوك من الجامعة ، فتعذبت أنا من جراء ذلك . بلا مبرر تذوي تاتيانا ، العانس ، وأنا . يتملكني الأسى لذلك . بل لا أدري ماذا أقول للناس . فهل ابنتي تاتيانا أسوأ من الاخريات اللواتي تزوجن ولديهن كل ما يجب ان يكون ؟ أريد أن أراك رجلاً ، يا بيوتر - وليس طالباً . أنظر الى ابن فيليب ، نازاروف - لقد أنهى دراساته ، وتزوج بفتاة لها بائنة طيبة ، وحصل على عمل راتبه الفان في السنة ، ولسوف 'ينتخب عاجلاً' عضواً في مجلس بلدية المدينة . . .

بيوتر : أنتظر ، لسوف أتزوج بدوري عندما يحين الاوان .
بيسيمينوف : أنا لا أشك في هذا ! أنت على استعداد للزواج غداً ، لكن ممن ؟ من امرأة طائشة خليعة ! اصف الى ذلك انها أرملة ! يا للأسف !

بيوتر (منفجراً) : ليس لك الحق ان تنعتها بهذه الصفات !
بيسيمينوف : أنعتها بماذا ؟ بأرملة ؟ أم بخليعة ؟
تاتيانا : ابتاه ! أرجوك ، أرجوك ! كف عن هذا الموضوع !
بيوتر ، ابرح الغرفة أو اصمت ! أنا أسكت ، فلماذا لا تفعل أنت مثلي ؟ اسمعوا ! أنا لا أفهم شيئاً . حين تتحدث ، ياوالدي ، يخال لي أنت محق ! وأنت محق من دون ريب . أنا أشعر بذلك ، صدقني ! ولكن ما هو حق بالنسبة اليك ليس هو حق بالنسبة الينا - بيوتر وأنا . الا ترى ذلك ؟ ان لنا وجهات نظرنا الخاصة - رويدك ، يا أبي ، لا يأخذنك الغضب ! كل منا على حق يا ابتاه . . .

بيسيمينوف (ينتفض واثباً) : هذا كذب ! واحد منا فحسب على حق ! أنا على حق ! كيف يمكن أن تكونا على حق ؟
أريني كيف ! أثبتي ذلك !

بيوتر : لا تصح ، يا أبي ! أنا أقول ذلك أيضاً . أنت على حق ، ولكن طريقة رؤيتك للأمور طريقة ضيقة جداً بالنسبة الينا . لقد كبرنا بالنسبة اليها مثلما كبرنا فضاقت علينا ثيابنا . انها تضايقنا ، تخنقنا . وان كل ما كان يشغل بالك وأسلوبك في الحياة لا يناسبنا . . .

بيسيمينوف : طبعاً ، لا يناسبكما ! من تحسبوا انفسكم ؟
مثقفين . أما أنا ؟ فأنا أحمق . وأنتم . . .
تاتيانا : ليس الأمر على هذا الغرار ، يا ابتاه . . . ما تقول ليس . . .

بيسيهينوف : أجل ، هو على هذا الغرار . هو على هذا الغرار
بالضبط ! زملاؤكما يحضرون لرؤيتكما - والبيست
يضجّ بالصخب فلا يقوى المرء حتى على النوم ليلاً .
(الى بيوتر) وانت تغازل تلك المرأة التي تسكن هنا
أمام باصرتي . (الى تاتيانا) وانت متجهمة الوجه دائماً
وأنا وامكما ننكمش في زاوية . . .

أكولينا ايفانوفنا (تندفع في الغرفة وتصيح في اسي) : آه ، يا
أحبائي ! وكأنني . . . هيا ، يا عزيزي ، أتراني
شكوت قط ؟ أنا في الزاوية ، أو هنالك في الحظيرة ،
شريطة ألا يدب بينكم اختصام ! لا تهبوا في وجوه
بعضكم بعضاً ، يا أحبائي !

بيسيهينوف (يمسك بها باحدى يديه ويدفعها عنه
بالأخرى) : أغربي من هنا ، أيتها العجوز ! فهما لا
يحتاجان اليك . هما لا يحتاجان أيّاً منا ! فهما أكثر
منا ذكاء ، نحن غريبان عنهما .

تاتيانا (مزجرة) : يا للعذاب ! يا للعذاب !
بيوتر (وقد أشحبه اليأس) : ألا ترى ، يا أبتاه ، أن هذا
سخيف ! سخيف بصورة مقبلة ! على حين فجأة ، ومن دون
أي سبب . . .

بيسيهينوف : على حين فجأة ؟ أبدأ ! ليس على حين فجأة .
منذ أعوام كثيرة وهذا ينخر في فؤادي !
أكولينا ايفانوفنا : أتركه على سجيته ، يا بيتيا ، ولا
تناقشه ! يا تانيا ! اشققا على أبيكما !

بيسيمينوف : سخيف ؟ أبدأ ، أيها الأحمق ! ليس سخيفاً ، بل مرّوعاً ! على حين فجأة - الأب والولدان - جميعهم على حق ! حيوانان ، هذه حصافتكما !

تاتيانا : بيوتر ، أخرج من الغرفة ! إهدأ ، يا أبي - إهدأ ، أرجوك .

بيسيمينوف : ليس في قلوبكما أية شفقة ! تعصران منا الحياة . بماذا تفخران ؟ ماذا فعلتما كيما تفخران به ؟ أما نحن ، فنحن قد عشنا ! وعملنا . وبنينا البيوت - من أجلكما . ارتكبنا المعاصي - كثيراً من المعاصي ، كل ذلك من أجلكما !

بيوتر (صائحاً) : هل طلبت منك ذلك يوماً ؟

أكولينا ايفانوفنا : بيوتر ! وحقّ الله . . . !

تاتيانا : أخرج من الغرفة ، يا بيوتر ! أنا لا أطيق ذلك ! سأرحل ! (تتهالك على مقعد مرهقة .)

بيسيمينوف : آها ! تهربان من الحقيقة ! مثلما يهرب الشيطان من البخور . صحا ضميركما آخر الأمر !

نيل (يفتح الباب على مصراعيه ويقف عند المدخل . لقد رجع من العمل لتوه . وجهه قذر ملوث بالتراب والهباب . ويداه قذرتان أيضاً . يرتدي جزمة تصل حتى ركبتيه ملطخة بالوحل ، ومعطفاً قصيراً مشدوداً بحزام يلتصق بالاوساخ والشحوم . يمد يده خلال حديثه .) : أعطوني عشرين كوبيكاً بسرعة أدفعها للحوذي ! (ينهي ظهوره المفاجئ وصدى صوته الهادي الصراخ في الغرفة في

الحال ، ويروح الجميع يحدقون فيه في صمت . يلحظ
الأثر الذي أحدثه حضوره فيخمن السبب بسرعة . يقول
وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة موبخة) : مرة اخرى !
شجار جديد !

يسيميئوف (صائحاً في حدة) : انت ، ايها الكافر ! اين تحسب
نفسك ؟

نيل : كيف ، اين انا ؟

يسيميئوف : قبعتك ! اخلع قبعتك !

أكولينا ايفانوفنا : كيف تفعل هذا في الحقيقة ؟ تندفع في غرف
البيت بهذه الثياب القذرة ! كيف تفعله !

نيل : عجلوا واعطوني عشرين كوبيكاً !

بيوتر (في صوت خافت وهو يناوله النقود) : ارجع الى هنا
باقصى سرعة . . .

نيل (مبتسماً) : تريد مساعدة مني ؟ موقف صعب ، ها ؟
سأرجع حالاً !

يسيميئوف : ها هو ! هذا واحد آخر يفعل كل شيء في نوبات
وانتفاضات ، يحشون رأسه أفكاراً غريبة . ولا يكن
احتراماً لأي انسان في الوجود . . .

أكولينا ايفانوفنا (تحاكي نبرته) : صحيح ما تقول !
مشاكس ، هذا ما هو عليه ! أسرعي ، يا تانيا ،
اذهبي . . . الى المطبخ . . . اذهبي الى المطبخ واخبري
ستيبانيدا أن تجلب طعام الغداء . . .

(تخرج تانياانا)

بيسيمينوف (في ابتسامة جافة) : والى أين ستبعثن بيوتر ؟
آخ منك ، أيتها العجوز الغبية ! انت غبية حقاً . هل
تحسبينني وحشاً ؟ ألا ترين أن الأمر ليس بسبب أنني
قاس ، بل بسبب أنني قلق . . . قلق عليهما . ليس
الغضب ما يدفعني الى الصراخ على هذه الوتيرة ، بل
الآلام التي تحز في روحي . ففيم تظلين تبعدينهما عني ؟
أولينا ايغانوفنا : أنا أعرف ، ياعزيزي . أرى كيف هي
الأمور ، ولكنني أشفق عليهما ! أنت وأنا عجوزان .
نحن كما نحن ، أنت وأنا . ما حاجتهما الينا ؟ يا الهي !
اي فائدة لهما منا ؟ أما هما فأمامهما الحياة بطولها !
وكذا جميع الضربات التي سببلمقياها من الغرباء ذاك
الحيبان المسكينان !

بيوتر : لا أرى سبباً لاثارة القلق في نفسك ، يا أبتاه . لقد
أقحمت هذه الفكرة في ذهنك . . .

بيسيمينوف : أنا خائف ! خائف من الأيام . فهي أيام سيئة !
الأشياء جميعاً تتهاوى . تتحطم . والحياة جيشان ! وأنا
خائف عليك . ماذا لو . . . ؟ فمن يأخذ بيدنا في
شيخوختنا اذن ؟ أنت الذراع الوحيدة التي نعلم
عليها . أنظر الى نيل هذا . . . أنت تراه على حقيقته !
وتيتيريف أيضاً . فان له الريش ذاته ! حذار منهما
معاً ! فهما يكرهاننا ! فحذار !

بيوتر : هراء ! لن يصيبني مكروه . سأنتظر فترة أخرى

وعندها أكتب الى الجامعة واطلب اعادتي اليها .
أكولينا ايفانوفنا : عجلّ في ذلك ، يا بيتيا ، كيما يطمئن
أبوك . . .

بيسيمينوف : أنا أثق فيك ، يا بيوتر ، حين تتحدث على هذا
المنوال . . . في جدية وحكمة . أثق عندها أنك
ستتقضي حياتك ليس أسوأ مما قضيت حياتي . وفي
أحيان أخرى . . .

بيوتر : فلنطوّل هذا الموضوع ! كفاية ! فنحن نكرره
ونكرره على الدوام !

أكولينا ايفانوفنا : يا حبيبي العزيزين !
بيسيمينوف : وهنالك تاتيانا أيضاً ! أه ! الأفضل ان تترك
مدرستها ! فماذا جنت منها ؟ التعب وحده . . .

بيوتر : انها في حاجة الى الراحة حقاً .

أكولينا ايفانوفنا : اوه ! دون ريب ، دون ريب !
نيل (وقد أبدل ثيابه فارتدى قميصاً أزرق ، ولكنه لم
يغتسل بعد) : متى سنتغدى ؟

(ينصرف بيوتر بسرعة الى الباب المؤدي الى المدخل فور
رؤيته نيل)

بيسيمينوف : كان يحسن أن تغسل بوزك قبل أن تسأل عن
الطعام .

نيل : بوزي ليس كبيراً - أستطيع غسله في لحظات . ولكنني
جائع كالذئب ! مطر بارد وريح وقاطرة قديمة

معطوبة - ذقت فيها الامرّين الليلة الماضية ! لقد
خارت قواي ! أود ان أحمل رئيس قسمنا على ان يقوم
بجولة في هذه القاطرة وفي مثل هذا الجو . . .

بيسيمينوف : كفى ثرثرة ! أرى أنك أصبحت تتحدث بمزيد
من الحرية عن رؤسائك . حذار ، والا ساءت الأمور !
نيل : لن تسوء بالنسبة اليهم .

أكولينا ايفانوفنا : الأب لا يتحدث عنهم ، بل هو يفكر فيك .
نيل : آه ، يفكر فيّ .

بيسيمينوف : أجل ، أفكر فيك !

نيل : آه . . . !

بيسيمينوف : لا تتأوه ! بل اسمعني .

نيل : انني أسمع .

بيسيمينوف : أنت متغطرس .

نيل : أنا متغطرس منذ زمن طويل ؟

بيسيمينوف : لا أسمح لك بالتحدث معي بهذا اللسان
السليط !

نيل : أنا عندي لسان واحد (يمدّ لسانه) . اتحدث به مع
الجميع . . .

أكولينا ايفانوفنا (وهي تلوح بيديها) : يا لك من عديم
الحياء ! فكّر فيمن تخرج له لسانك !

بيسيمينوف : رويدك ، يا أم ، مهلاً ! (تخرج أكولينا
ايفانوفنا وهي تهز رأسها لائمة) . أنت يا فتى جدّ
ذكي ! يروقني أن أتحدث معك قليلاً .

نيل : بعد الغداء ؟

بيسيمينوف : كلا ، الآن !

نيل : يفضل ان تتحدث بعد الغداء ! صدقني انني مرهق وجائع والبرد ينخر عظامي . هلاًّ أجلت الحديث من فضلك . ثم . . . ماذا تستطيع ان تقول لي ؟ أنت تبحث عن شجار ، وأنا لا يروقني الشجار معك . بل افضل أن . . . حسناً . . . أخبرني صراحة أنك لا تطيقني ، وانني سوف . . .

بيسيمينوف : فليخطفنك الشيطان ! (يذهب الى غرفته ، ويغلق الباب وراءه بشدة واحكام .)

نيل (مغمماً) : حسن ! اني افضل رفقة الشيطان على رفقتك . . . (يتمشى في الغرفة مدندناً بينه وبين نفسه . تدخل تاتيانا .) هل تشاجرتم مرة أخرى ؟
تاتيانا : لا يمكن أن تتصور . . .

نيل : بلى ، أتصور جيداً جداً . مشهد مأسوي من ملهاة لا نهاية لها : « لا هنا ولا هناك » .

تاتيانا : سهل عليك الحديث على هذه الشاكلة ! ففي مقدورك التنحي جانباً .

نيل : في مقدوري ان أدفع هذا الهراء جانباً . وما أسرع ان أطرحه كله الى الابد . فانا أحاول الانتقال الى عمل ميكانيكي في الورشة . فلقد سئمت وتعبت من قيادة قطارات البضائع ليلة بعد أخرى ! كان الأمر يختلف لو كانت قطارات ركاب - سريعة - تطير في الهواء ، بأقصى سرعة الى الأمام ! أما هذه - فتزحف بطيئة وليس الى جانبك غير الوقاد ! شيء مممل ! أنا أحب

أن أعيش بين الناس . . .

تاتيانا : ومع ذلك فانت تهرب منا .

نيل : صفحك عني ، لكن أي انسان كان يود أن يهرب منكم ! أنا أعشق الحياة ، والضجة ، والصخب ، والعمل ، والناس المرحين البسطاء ! أتحسبن أنكم تعيشون ؟ أنتم تتعلقون فحسب بجوانب الحياة ، ولسبب مجهول توالون الأنين والشكوى . . ممن ولماذا ومن أجل اي شيء ؟ هذا الامر يتجاوز ادراكي !

تاتيانا : يتجاوزه حقاً ؟

نيل : حقاً ! حينما يرى المرء نفسه مستلقياً بصورة غير مريحة ينقلب على جنبه الآخر ، أما حين يجد الحياة غير مريحة فهو لا يفعل أكثر من التشكي والآنين . فلم لا يبذل جهداً للانقلاب على الجنب الآخر ؟

تاتيانا : قال أحد الفلاسفة مرة ان الحمقى وحدهم يجدون الحياة بسيطة !

نيل : يبدو أن الفلاسفة يعرفون عن حماقة أموراً كثيرة . أنا لا أعتبر نفسي حكيماً . غير أنني أجد الحياة معكم كثيية بصورة لا تطاق ، ولا أعرف لماذا . قد يكون ذلك لانه يروق لكم ان تتذمروا على الدوام . وفيم ذلك ؟ ومن سيساعدكم ؟ لا أحد . ليس هنالك من يقوى على ذلك ، و . . . الأمر لا يستأهل هذا لو وجد ذلك الانسان .

تاتيانا : ما الذي يجعلك على مثل هذه الجلافة ، يا نيل ؟

نيل : أتسمين هذا جلافة ؟

تاتيانا : قل : قسوة . اعتقد انك قد أصبت بالعدوى من تيتيريف ، هذا الذي يكره الجميع لسبب من الأسباب .
نيل : ليس الجميع (مطلقاً ضحكة قصيرة) هل خطر لك مرة أن تيتيريف يشبه الفأس ؟

تاتيانا : الفأس ؟ ماذا تقصد ؟

نيل : فأساً حديداً عادية لها مقبض خشبي .

تاتيانا : كلا . لا تمزح ، أرجوك لا تمزح . أود ان اقول لك . . . يسرني التحدث اليك ، فأنت طاهر ، بيد أنك قليل . . . قليل الاكتراث . . .

نيل : بماذا ؟

تاتيانا : بالناس . بي مثلاً .

نيل : هم . . . ليس بالجميع . . .

تاتيانا : بل بي . . .

نيل : أنت ؟ كذا (يجنحان الى الصمت . نيل يتفحص مقدمة حذائه . تاتيانا تشخص اليه منتظرة شيئاً ما .) أنت ترين ، فانا . . . أنت . . . (تاتيانا على وشك ان تندفع اليه لكنه لا ينتبه اليها .) أنا . . . أحترمك جداً . . . وأحبك ولكنني لا أرى فيم ينبغي أن تكوني معلمة مدرسة . أنت لا تحبين عملك . انه يضجرك وينهك قواك . والتدريس عمل عظيم ! فالأطفال هم نساء المستقبل ورجاله . ويجب عليك أن تحبهم وتعرفي قدرهم . يجب أن تحبي أي عمل اذا شئت أن تؤديه بصورة جيدة . خذيني مثلاً . . . أنا أحب أن أعمل في طرق الحديد . يفتنني أن أهوي بالمطرقة على

كتلة حمراء لا شكل لها من الحديد لاذعة خبيثة . . .
فأجد متعة شديدة في الضرب عليها ! تروح تنفث
بصقات نارية لافحة محاولة أن تعمي عيني وأن تطير
من بين يدي . انها تتنفس ، انها حية ، مرنة ، وأنت
تهوي بضرباتك القوية عليها ، وتصنع منها ما يحلو
لك .

تاتيانا : يجب أن يكون المرء قوياً للقيام بهذا العمل .
نيل : وماهراً .

تاتيانا : اسمع يا نيل . . . ألا تشعر احياناً بالشفقة . . .
نيل : على من ؟

يلينا (وهي تدخل) : لم تتناولوا غداءكم بعد ، أليس كذلك ؟
حسن . أرجوكم ان تذهبا معي ! يجب أن تريا الكعكة
التي خبزت ! أين المدعي العام ؟ كعكة رائعة حقاً !
نيل (يقترب من يلينا) : أنا ذاهب ! لسوف ألتهم كعكتك
الرائعة كلها . أنا أموت جوعاً ، وهم لا يعطونني ما
آكل عن قصد ! غضبوا مني لسبب أو آخر .
يلينا : هذا بسبب من لسانك ، فيما يخال لي . تعالسي ،
يا تانيا !

تاتيانا : ينبغي أن أخبر أمي أولاً . (تخرج .)

نيل : كيف عرفت أنني أخرجت لساني للرجل العجوز ؟

يلينا : ماذا تقول ؟ لم أعرف شيئاً ! ماذا حدث ؟

نيل : في هذه الحال لن أخبرك شيئاً . أفضل ان تخبريني
عن كعكتك الرائعة .

يلينا : لسوف أعرف ما حدث هنا ! أما الكعكة - فقد علمني

صنعها سجين حكم بجريمة قتل . أجاز له زوجي
المساعدة في المطبخ . كان رجلاً نحيلاً يثير الرثاء . . .

نيل : زوجك ؟

يلينا : ماذا تقول يا سيدي المحترم ! كان زوجي يبلغ ١٢
فيرشوك * طولاً ، فضلاً عن متر ونصف .

نيل : أكان فتى واطناً بهذا القدر ؟

يلينا : صه ! وكان له شاربان بهذا الطول . (تشير
بأصابعها .) ثلاثة فيرشوك طولاً في كل جانب . . .

نيل : أبدأ لم أسمع من قبل عن مزايا انسان تقاس
بفيرشوك !

يلينا : وأسفاه ! لم يكن له من مزايا غير شاربيه !

نيل : يا للحسرة ! وأصلي حديثك عن الكعكة . . .

يلينا : كان السجين طاهياً ، وقد قتل زوجته . ولكني كنت
معجبة به جداً . أنه قتلها ضمن ما . . .

نيل : ضمن ما كان يفعل . . . فاهم ذلك !

يلينا : أغرب عن وجهي ! لست أريد الحديث معك ! (تظهر

تاتيانا عند المدخل تراقبهما . يدخل بيوتر من باب

آخر .) أيها المدعي العام ! تعال ، وتذوّق كعكتي !

بيوتر : بمنتهى السرور !

نيل : عنفه والده اليوم لعدم اظهاره الاحترام الواجب .

بيوتر : أوه ، كفى !

* فيرشوك مقياس روسي قديم للطول وهو يساوي ٤,٤
سم . الناشر .

نيل : انا مندهش كيف يجرو على زيارتك قبل الحصول على إذن أولاً .

بيوتر (ينظر الى باب غرفة والديه ويقول في عصبية) : فلنذهب اذا كان ذلك مقرراً !

تاتيانا : إسبقوني . سألق بكم سريعاً . . .

(نيل وبيوتر ويلينا يخرجون . تتجه تاتيانا الى غرفتها . يناديهما صوت اقولينا ايفانوفنا من غرفة العجوزين في ذلك الوقت .)

اقولينا ايفانوفنا : تانيا !

تاتيانا (تقف وترفع كتفها متضايقه) : ماذا ؟

اقولينا ايفانوفنا (عند المدخل) : تعالي ! (في شبه همس) هل ذهب بيتروشا * لرؤية تلك المرأة من جديد ؟

تاتيانا : أجل . وسأذهب بدوري .

اقولينا ايفانوفنا : بلوى ! ستوقعه هذه الطائشة في

شباكها ! أحسّ بذلك في نخاعي ! هلاً نصحت له !

أخبريه أن ينأى عنها . أخبريه انها ليست اهلاً له !

فهي لا تملك أكثر من ثلاثة آلاف وراتب زوجها

التقاعدى . أعرف ذلك حق المعرفة !

تاتيانا : لا تتدخل في هذا الموضوع ، يا أماه ! فيلينا لا

تبدي شيئاً من الاهتمام ببيوتر .

* اسم التديل من بيوتر . الناشر .

أكولينا ايفانوفنا : انها تفعل ذلك عامدة ! عامدة أقول لك !
كيما تلهبه حباً ! انها شيطانة تتصنع عدم الاهتمام
به ، ولكنها في الوقت ذاته تراقبه مثلما يراقب القط
فأرة .

تاتيانا : أه ! وما علاقتي أنا بذلك ؟ ما شأنني وذلك ؟
أخبريه أنت اذا طاب لك ، لكن دعيني وشأني ! أنا
متعبة ، أفلا ترين ذلك ؟

أكولينا ايفانوفنا : لا ضرورة أن تحدّثه الآن . استلقي ،
يا عزيزتي ، واستريحي . . .

تاتيانا (في شبه صراخ) : لا مكان أستريح فيه ! انني متعبة
حتى البقية الباقية من عمري . . . حتى البقية الباقية من
عمري ! هل تسمعين ؟ متعبة منكم . متعبة من كل
شيء ! (تسرع الى باب المدخل . تخطو أكولينا
ايفانوفنا خطوة وكأنها تود ايقافها ، ولكنها تأتي
بيديها حركة يائسة ، وتقف في مكانها فاعرة فاهها في
حيرة .)

بيسيمينوف (يتطلع عبر الباب) : شجار جديد ؟

أكولينا ايفانوفنا (منتفضة) : كلا . لا شيء . . . لا
شيء . . .

بيسيمينوف : فهمي ماذا ؟ هل أغلظت لك في القول ؟
أكولينا ايفانوفنا (في عجلة) : كلا ! ما الذي يدفعك الى هذا
الظن ؟ قلت ان الوقت حان لتناول الغداء ، وقالت انها
لا تريد أن تأكل ، فسألتها لماذا ، فأجابت . . .
بيسيمينوف : أنت لا تقولين الحقيقة ، أيتها الأم .

أكولينا ايفانوفنا : ولكنني أقول الحقيقة ، فعلاً !
بيسيمينوف : يا للأكاذيب التي تروين في مصلحتهما !
أنظري في عيني . لا تستطيعين ، أليس كذلك ؟ آخ !
(تقف أكولينا ايفانوفنا صامتة امام زوجها مطرقة
رأسها ، ويقف هو صامتاً يمستد لحيته في تفكير .
يزفر متنهداً .) أخطأنا حين علمناهما .
أكولينا ايفانوفنا (في لطف) : ليس الأمر هكذا ، أيها الأب !
فبسطاء الناس في هذه الأيام ليسوا أفضل من
المثقفين . . .

بيسيمينوف : ليس من المناسب أن يعطي المرء أولاده
أكثر مما حصل عليه هو نفسه . وأكثر ما يحزنني هو
أنهما لا يملكان حزمًا ولا أية شخصية . يجب على
الانسان ان يملك شيئاً يجعله يختلف عن الآخرين .
وهما لا يملكان مثل هذا الشيء . فليس لهما
شخصية ! خذي نيل مثلاً - انه صفيق ، وغد ، ولكن
له شخصيته ! انه خطير ، ولكنك تستطيعين فهمه .
(يرسل زفرة عميقة .) يوم كنت يافعاً أحببت الاناشيد
الكنسية كما أحببت أن أجمع الفطر من الغابات . فهل
هنالك شيء يحبه بيوتر ؟

أكولينا ايفانوفنا (في تنهيدة خجلى) : لقد ذهب الى المرأة
المستأجرة . . .

بيسيمينوف : هكذا اذن ! ويلها ! سأرينّها ! (يدخل
تتيريف يبدو عليه النعاس والتجهّم أكثر من ذي
قبل . يحمل في احدى يديه زجاجة من الفودكا ، وفي

الأخرى قدحاً .) عدت اليه من جديد ، يا تيرينتي
خريسانفويتش ؟
تيتيريف : الليلة الماضية ، بعدما انتهت صلاة الغروب . . .
بيسيمينوف : ما السبب ؟
تيتيريف : ليس هناك سبب . هل سيجوز الغداء فوراً ؟
أكولينا ايفانوفنا : حالما أعد المائدة . (تشرع في اعدادها .)
بيسيمينوف : يا للأسف الشديد ، يا تيرينتي
خريسانفويتش . رجل ذكي مثلك يدمر نفسه
بالشراب !

تيتيريف : أنت على خطأ ، أيها البورجوازي المحترم جداً !
ليس الشراب ما يدمرني ، بل الافراط في الطاقة . قوة
فائضة جداً - تلك مصيبتني !
بيسيمينوف : ليس هنالك قوة فائضة . . .

تيتيريف : تخطئ أيضاً ! القوة غير مفيدة في هذه الايام .
المكر والاحتيال هما المطلبوب في هذه الأيام .
المراوغة . على المرء أن يكون مراوغاً كالثعبان . (يشمر
عن ساعديه عارضاً عضلاته .) أنظر الى هذا : ضربة
واحدة وتتحطم المنضدة قطعاً صغيرة . لكن في الحياة
ما من شيء أقوم به . في مقدوري أن أقطع الأخشاب
بهذه اليد ، ولكنني عاجز عن الكتابة بها مثلاً ، ومن
الحماقة أن أحاول ذلك . ماذا تراني فاعل بمثل هذه
القوة العظيمة ؟ الشيء الوحيد الذي أستطيع أن أفعله
بها هو أن أعرضها في سيرك السوق - أرفع الاثقال
واحطم السلاسل الحديد - الخ . . . لكنني كنت طالباً

مرة ، وطالباً متفوقاً - ولهذا طردوني من المعهد
اللاهوتي . كنت طالباً ، وأنا لا أريد الآن أن انقلب
الى مادة معروضة على الناس من أمثالك يحدقون فيها
في رضى هادى . أريد الجميع أن يحدقوا فيّ في
اضطراب جيّاش . . .

يسيمينوف : أنت رجل خبيث . . .

تيتيريف : الحيوانات في مثل حجمي لا تكون خبيثة - أنت لا
تفقه شيئاً في علم الحيوان . الطبيعة شديدة الذكاء .
فلو أضافت الى حجمي الكثير شيئاً من الشر ، فكيف
يمكن أن تجد لنفسك مهرباً مني ؟

يسيمينوف : لم أكن لأحاول ذلك . أنا في بيتي .

أكولينا ايغانوفنا : يفضل ان تصمت ، أيها الأب .

تيتيريف : صدقت ! أنت في بيتك . العالم بأسره هو بيتك .
أشدته بنفسك . ولهذا فليس هنالك متسع لي فيه ،
أيها البورجوازي المحترم جداً !

يسيمينوف : انت تحيا عبثاً . . . لا فائدة منك . ولو كنت
تريد . . .

تيتيريف : لا أريد ان أريد . فأنا أكره ذلك . وأجد أنه من
الأفضل أن أشرب وأدمر نفسي عن أن أحيا وأعمل لك
ولأمثالك ايها البرجوازي . أتستطيع أن تخيلني غير
مخمور ، أنيق الملبس ، أخطبك باللغة الذليلة التي
يخاطبك بها خادمك المطيع ؟ كلا ، لا تستطيع . . .
(تدلف بوليا الى الغرفة ، وحينما تقع عينها على
تيتيريف تتقهقر متراجعة . يراها هو ، فيبتسم ابتسامة

عريضة ، ويهز رأسه ويمدّ لها يده) يا مرحباً ، لا
يستبدن بك الخوف . لن أقول كلمة أخرى لأنني
أعرف كل شيء !

بوليا (مرتبكة) : ماذا ؟ لا يمكن أنك عرفت . . .
أكولينيا ايفانوفنا : أنت ! اذهبي وقولي لستيبانيدا أن تحضر
الحساء . . .

بيسيهينوف : حان الوقت . . . (الى تيتيريف) يؤنسني حقاً
الاصغاء اليك وأنت تطلق أفكارك ، خاصة حين تكون
هذه الأفكار عن نفسك . أنظر اليك - لا بدّ لي من
القول انه مشهد مخيف ! حالما تشرع في التفاضح أميّر
جميع نقاط الضعف فيك . . . (يقهقه في هدوء
وحبور)

تيتيريف : أنت تروق لي أيضاً . فأنت نصف حصيف ونصف
أحمق ، نصف طيب ونصف شرير ، نصف صادق
ونصف كاذب ، نصف شجاع ونصف جبان .
وباختصار ، أنت بورجوازي نموذجي ! وجدت فيك
الحقارة تجسيدا مثالياً ، وهي قوة ينحني أمامها
الابطال أنفسهم - قوة تعيش وتزدهر . . . فلنشربن
اذن قبل حساء الملفوف ، أيها الخلد المحترم !

بيسيهينوف : رويدك ريثما يحضرونه . لكن ، فيم هذه
الخشونة ؟ لا ينبغي أن تجرح شعور الناس من دون
سبب . يجب أن تعبر عن رأيك في تواضع ولطف حتى
يسعدهم الاصغاء اليك . فليس هنالك من يروقه

الاصغاء الى الاهانات ، ما لم يكن مغفلاً !

نيل (داخلاً) : هل جاءت بوليا ؟

تيتيريف (في ابتسامة مقتضبة) : جاءت . . .

أكولينا ايفانوفنا : وما شأنك بهذا ؟

نيل : (الى تيتيريف ، متجاهلاً سؤالها) : عدت اليه ثانية ؟

لقد أخذت تكثر منه . . .

تيتيريف : أن تشرب الفودكا أفضل من أن تشرب الدم

البشري ، خاصة في هذه الآونة حيث أصبح الدم

الانساني هزيلًا جدًّا ورديئًا جدًّا وعديم الطعم . الدم

الثري الطيب صار قليلًا جدًّا . فقد امتصوه

بأكمله . . .

(تدخل ستيبانيدا حاملة سلطانية الحساء ، وبوليا حاملة طبق

اللحم)

نيل (يتجه الى بوليا) : مرحبًا . هل جوابك جاهز ؟

بوليا (بصوت خافت) : ليس هنا ، أمام الجميع .

نيل : سخافة ! ممّ نخاف ؟

بيسيمينوف : عمّن تتحدث ؟

نيل : عنى . وعنّها .

أكولينا ايفانوفنا : ماذا هناك ؟

بيسيمينوف : لست أفهمك .

تيتيريف (في ضحكة مقتضبة) : أنا أفهم . (يصب لنفسه

قدحًا من الفودكا ويشرع في الشراب .)

بيسيمينوف : ماذا هناك ؟ ماذا حدث ، يا بيلاغيا * ؟

بوليا (مرتبكة في صوت خافت) : لا شيء . . .

نيل (يجلس الى المائدة) : انه سر - لغز !

بيسيمينوف : ان كان سرأ فامضيا وتهامسا به في احدى

الزوايا ، وليس هنا امام الجميع . تسخران منا في

وجوهنا ! هذا يكفي ليطرد الانسان من بيته ! جميع

هذه الاشارات السريية ، والهمسات ، والمؤامرات ،

وانا جالس هنا فاغراً فمي كالابله . من تحسبني ،

يا نيل ؟

أكولينا ايفانوفنا : حقاً ، يا نيل ، فالامر . . .

نيل (في هدوء) : انت والدي بالتبني . ولكن لا ضرورة

لللغضب وتهويل الأمور . فلم يحدث شيء خاص . . .

بوليا (ناهضة من المقعد الذي جلست عليه للتو) :

نيل . . . فاسيلييفيتش . . . عرض عليّ . . .

أخبرني الليلة الماضية . . . سألني . . .

بيسيمينوف : ماذا سألتها ؟ ماذا ؟

نيل (في هدوء) : لا تخيفها . . . سألتها ان كانت تقبلني

زوجاً . . .

(يحدق بيسيمينوف ، وقد توقفت ملعقته في الهواء ، في نيل

وبوليا في دهشة وارتياب . وتتصلب أكولينا ايفانوفنا .

يشخص تيتيريف في الفراغ وهو يطرف عينيه في بطة .

* الاسم الكامل لبوليا . الناشر .

ترتعش يده الموضوعه على ركبته ارتعاشاً متشنجاً . تنكس
بوليا رأسها .)

نيل (مواصلاً حديثه) : وقالت انها ستعطيني الجواب هذا
النهار . هذا كل شيء

تيتيريف (ملوحاً بيده) : بسيط للغاية ، لا شيء غيره
بيسيمينوف : هكذا اذن . الأمر في الحقيقة بسيط
جدا ! (في مرارة) وعصري جداً على آخر طراز !
وبعد . ماذا أستطيع ان اقول !

اكولينا ايفانوفنا : انت كافر ! أنت شاب طائش ! كان
يفضل ان تحدثنا عنه أولاً

نيل (في أسى) : يا لها من زلة لسان !
بيسيمينوف : دعيه وشأنه ، أيتها الأم ! فهذا لا يعنيننا في
شيء ! تناولي غداءك ولا تقولي شيئاً . وأنا لن أقول
شيئاً أيضاً

تيتيريف (وقد انتشى سكرآ) : أما أنا فساقول او
يفضل أن أمسك لساني حالياً

بيسيمينوف : اجل يحسن أن يمسك الجميع السننهم .
ولكنني لا أستطيع الامتناع عن القول انك تجحد بالخبز
والملح ، يا نيل وبكل ما صنعت من اجلك . فأنت ،
دائماً ، ترتب أمورك خلسة على هذا المنوال

نيل : لقد سددت لك جميع ما صنعت من أجلي عن طريق
العمل ، وسأتابع التسديد ، ولكنني لا أرغب في الانحناء
لرغباتك . أردت أن تزوجني تلك المرأة الغبيسة

المسماة سيدوفا لانها تملك بائنة قدرها عشرة آلاف روبل . فماذا أفعل بها ؟ أنا أحب بوليا . وقد أحببتها طويلاً ، ولم أحاول اخفاء ذلك . دائماً عشت صريحاً واضحاً وسأظل كذلك ، وليس لديك ما تلومني عليه وما تغضب عليّ بسببه .

بيسيهينوف (متحفظاً) : هكذا . هكذا ! عظيم . . . حسناً ، اذن ، اذهبا وتزوجا . ولن نقف في طريقكما . لكن ، لعلك تخبرنا على حساب من ستعيشان ؟ أخبرنا ان لم يكن ذلك سراً .

نيل : سنعمل . أنتقل الى الورشة . وهي . . . هي ستجد لنفسها عملاً ايضاً . ولسوف تظل أنت تتلقى مني ثلاثين روبلاً شهرياً مثلما كنت أدفع لك .

بيسيهينوف : ان غداً لناظره قريب . فما أسهل صرف الوعود !

نيل : خذ مني ايصلاً بذلك اذا رغبت . . .

تيتيريف : أيها البورجوازي ، خذ منه ايصلاً ! خذه !

بيسيهينوف : ليس هنا أحد يطلب منك التدخل في هذا . . .

أكولينا ايفانوفنا : يا لك من ناصح رائع !

تيتيريف : خذه منه ، على أية حال ! لكنك لن تفعل -

فضميرك واهن ، ولن تجرؤ على هذا . . . أعطه

الايصال من تلقاء نفسك ، يا نيل ، واكتب فيه :

اني ، الموقع أدناه ، أتعهد أن أدفع في كل شهر . . .

بيسيهينوف : أستطيع أن آخذه منه . ان لي الحق كما

أظن ، فقد أطعمته وأسقيته ، وألبسته ، وأنعلته

منذ كان في العاشرة من عمره . وهو الآن في السابعة
والعشرين . . . هكذا . . .

نيل : ألا يحسن أن نسوي حساباتنا فيما بعد ؟
بيسيميثوف : يمكن هذا . (منفجراً) لكن تذكر شيئاً واحداً ،
يا نيل . من الآن فصاعداً أنت وأنا عدوان ! أبدأ لن
تغيب عن بالي هذه الالهانة - أبدأ ، ليس في مقدوري
ان أغفر لك الالهانة . تذكر ذلك !

نيل : أية اهانة ؟ لم تكن تنتظر في أن أتزوجك أنت ، اليس
كذلك ؟

بيسيميثوف (وقد أثاره الغضب فلم يسمع ما قال نيل له) :
تذكر ! تسخر على هذا الغرار ممن أطعمك وأسقاك !
وتعمل في السر . حتى دون أن تسأل وتشاور (الى
بوليا) وأنت ! أنت الوديعة الصغيرة الهادئة ! فيم
تنكسين رأسك ؟ ليس لديك ما تقولين ؟ ما ؟ اتعرفين
انني استطيع ان افعل بك ما . . .

نيل (ناهضاً) : لا تستطيع أن تفعل بها شيئاً ! كفّ عن
الصراخ ! انا السيد في هذا البيت أيضاً . طوال عشر
سنوات ظللت أعمل وأعطيك أجري كله . كثيراً من
عملي وضعت هنا ! (يدق بقدمه على الأرض ويشير الى
الجدران حوله بحركة واسعة من ذراعه .) الانسان
الذي يعمل هو السيد . . .

(خلال حديث نيل تنهض بوليا وتخرج . تلتقي بيوتر وتاتيانا
عند المدخل . يتطلع بيوتر الى الغرفة ويختفي ، وتقف
تاتيانا مستندة الى دعامة الباب .)

بيسيمينوف (يحملق في نيل بعينين) : ما هذا ؟ أنت ،
السيد ؟

أكولينا ايفانوفنا : تعال ، أيها الأب . هيا بنا من فضلك !
(تهز قبضتها في وجه نيل .) ويلك ، يا نيل ! (باكية)

ستحصل على ما كنت تبحث عنه !

نيل (في اصرار) : الانسان الذي يعمل هو السيد ، فلا تنس
ذلك !

أكولينا ايفانوفنا (تحاول أن تسحب زوجها وراءها) : تعال ،
أيها العجوز ، تعال ! ليسامحهم الله . لا تتكلم ، ولا

تصرخ ، فليس ثمة من يصغي اليها .

بيسيمينوف (يستسلم لها) : حسناً ! ابق هنا ايها السيد !
سنرى من هو السيد ! سنرى !

(يدخل بيسيمينوف وزوجته الى غرفتهما . يتمشى نيل في
الغرفة مضطرباً . في مكان بعيد في الشارع يرتفع صوت أرغن
يدوي)

نيل : هذا أنا فعلتها ! أي شيطان دفعني الى فتح فمسي
لأسأله ، أنا الغبي ! لا أقوى أبداً على أن أضغط سري
في جوانحي - فكل شيء يزلّ عن لساني رغماً عني !
يا للأسف . . .

تيتيريف : لا بأس ! مشهد صغير يبعث على الاهتمام الكبير ،
استفزني السرور مما راقبت وسمعت . شيء لا بأس
به ! لا تقلق ، أيها الاخ ! فأنت موهوب . في مقدورك
ان تلعب دور البطل . والأبطال مطلوبون في اللحظة

الراهنة . صدقني ! في زماننا يجب تقسيم الناس جميعاً
الى طبقتين : الأبطال ، يعني الحمقى ، والأندال ، يعني
الاذكياء . . .

نيل : لماذا الزمت بوليا بمثل هذا المشهد المقرف ؟ لقد
أرعبتها فيما يترأى لي . بيد أنها ليست ممن يرتعون
بسهولة . هي أكثر استعداداً للغضب . . . تفو !

(حينما تسمع تاتيانا ، وقد وقفت عند المدخل ، اسم بوليا
تصيحها رعشة . يكف الارغن اليدوي عن ارسال ألحانه .)

تيتيريف : سهل جداً أن تقسم الناس الى حمقى وأوغاد . فالعالم
يعج بأوغاد لا حصر لهم ! وأذهانهم تعمل مثل أذهان
الحيوانات يا أخي ! فهم لا يعرفون غير القوة - قوة
ليست من صنف قوتي أنا - ليست القوة التي في
صدري أو ذراعي ، لكن قوة الدهاء . . . فذهن الحيوان
مكر كله .

نيل (دون أن ينصت اليه) : علينا الآن أن نسرع بيوم
الزواج . فهذا أفضل . هي لم تعطني جوابها بعد ،
ولكنني أعرفه سلفاً ، فهي حبيبتي العزيزة ! لكم أكره
هذا الرجل ! وهذا البيت ! والحياة هنا - المتعفنة حتى
مخ عظامها ! جميع الناس الذين يعيشون هنا غير
طبيعيين . أنهم لا يشعرون أنهم ، هم أنفسهم ، من
جعلوا الحياة على ما هي عليه - جعلوها مقتصرة على
التفامات ، جعلوها سجنًا ، عذابًا ، لعنة . وكيف

صنعوها على هذا الغرار شيء يفوق ادراكي ، ولكنني
أمقت كل مَنْ يفسد الحياة . . .

(تقوم تانياًنا بخطوة واحدة الى الأمام . تتوقف ثم تتجه دون
أن يندّ عنها صوت الى الصندوق فتجلس على زاويته .
تتكور على نفسها ، فتبدو صغيرة وأكثر مدعاة للشفقة منها
في أي وقت مضى .)

تيتيريف : الحمقى هم الذين يجعلون الحياة أكثر جمالاً . وهم
ليسوا كثيرين ، وما يبحثون عنه لا يبحثون عنه من
أجل أنفسهم فقط ، بل في الغالب من أجل الآخرين .
وهم مغرمون بالتفكير في مشروعات تحقق السعادة العامة
وغير ذلك من الهراء . وهم يحاولون أن يكتشفوا
بدايات الأشياء ونهاياتها . وبكلمة واحدة : هم يقومون
بحماقات . . .

فيل : (متأملاً) : نعم ، حماقات ! أنا أقوم بحماقات
كثيرة . . . وهي أكثر رشداً مني . وهي ، أيضاً ،
تحب الحياة ، ولكن جبهها من نوع هادى ساكن .
ستكون حياتنا معاً رائعة ، هي وأنا . كلانا شجاع ،
وحين نريد شيئاً نحققه من دون ريب . وهي تذكرني
ب . . . طفل وليد . (يضحك .) ستكون حياتنا معاً
رائعة ، هي وأنا !

تيتيريف : الأحق يقضي حياته بأسرها يتساءل ما الذي
يجعل الزجاج شفافاً ، لكن الوغد يأخذ الزجاج ويصنع
منه زجاجة . . .

(يتردد من جديد صوت الارغن اليدوي ، قريباً جداً هذه المرة ، يكاد أن يكون تحت النافذة .)

نيل : ذهنك لا تشغله غير الزجاجات !
تيتيريف : لا ، بل الحمقى . فالأحمق يتساءل أين تكون النار قبل أن تشتعل ، أين تذهب حين تنطفئ ، ولكن الوغد يجلس الى جانب النار يتدفأ . . .

نيل (مستغرقاً في التفكير) : اجل . . . يتدفأ . . .
تيتيريف : وفي الواقع فان كلاّ منهما أحمق ، لكن حماقة أحدهما جميلة وبطولية ، بينما حماقة الآخر دنيئة حقيرة . وطريق كل منهما تختلف عن طريق الآخر ، ولكن الطريقين تؤديان الى مكان واحد : القبر . ليس غير القبر ، يا صديقي . . . (يضحك . تهزّ تاتيانا رأسها بهدوء .)

نيل (الى تيتيريف) : ماذا أصابك ؟
تيتيريف : أنا أضحك . . . الحمقى الذين يقفون أحياء ينظرون الى أخيهم الميت ويسألون أنفسهم أين تراه رحل . أما الأوغاد فيرثون أملاك المرحوم ببساطة ويواصلون حياتهم الدافئة المريحة الشعبي . . . (يضحك .)

نيل : لقد سكرت حقاً . أفلا يحسن أن تذهب الى غرفتك ؟
تيتيريف : غرفتي ؟ ليس لي غرفة .
نيل : كفّ عن الحماقة . هل أوصلك اليها ؟
تيتيريف : لن تكون مساعدتي في مقدورك ، يا صديقي . فأنا

لا أنتسب الى المتهمين ولا الى المتهمين . أنا صنف
نسيج وحدي . أنا الدليل المادي على الجريمة ! لقد
فسدت الحياة ! فهي رسن سيى صغير جداً بالنسبة
الى اللاتقين من الناس . برجوازيوك الصغار تبروها
واغتصبوها ، وغدت الآن ضيقة ضيقة . وهذا أنا ،
الدليل المادي على حقيقة أن الرجل اللائق لا مكان لديه
يعيش فيه ، وليس لديه ما يعيش به أو من
أجله . . .

فيل : تعال ، تعال !

تيتيريف : ارفع يديك عني ! أتخاف أن أتهاوى ؟ لقد هويت
منذ زمن بعيد ، أيها الاحمق ! وكنت على وشك النضال
للووقوف على قدمي من جديد ، ولكنك جئتني ، ودون
قصد منك صرعتني من جديد ! دون ان تلاحظ هذا .
لا بأس ! سر ! تابع خطواتك . فأنا لا أشكو . . .
أنت معافى وقوي ، وتملك الحق في الذهاب الى حيث
تريد . أما أنا ، الساقط ، فأتبعك بنظرة تشجيع .
تابع طريقك !

فيل : عمّ تهذي ؟ يبدو لي هذيانك باعثاً على الاهتمام ،
ولكني لا أميز له رأساً من ذنب .

تيتيريف : لا تحاول ! ليس الحاجة في ذلك ! من المستحسن
ألا تستوعب بعض الأمور . فاستيعابها لا قيمة
له . . . سر ! تابع سبيلك !

فيل : حسناً ، سأذهب . (يخرج الى باب المدخل دون أن
يلحظ تاتيانا التي تكورت في الزاوية .)

تيتيريف : (ينحني له) : أطيّب تمنياتي ، أيها اللص ! لقد سرقنتني آخر أمل دون أن تدري . فليأخذ الشيطان ! (يتجه الى المنضدة حيث ترك زجاجته ، وفي هذه الأثناء يقع نظره على تاتيانا) ومن يمكن أن تكون هذه ؟
تاتيانا (في عذوبة) : أنا . . .

(يكف الأرعن اليدوي عن العزف فجأة)

تيتيريف : أنت ؟ هم . . . وقد خطر لي . . . خيل اليّ . . .
تاتيانا : لا ، بل أنا . . .

تيتيريف : مفهوم . لكن . . . لماذا أنت ؟ ولماذا هنا ؟
تاتيانا (في عذوبة ، لكن في صوت واضح المقاطع) : لأنه ليس لدي مكان أعيش فيه ، وما أعيش به او ما أعيش من أجله . . . (يتجه تيتيريف اليها متمهلاً وفي صمت .) لست أدري لماذا أنا متعبة حتى هذه الدرجة ولماذا أشعر بالضجر حتى اليأس ! ان لي من العمر ثمانية وعشرين عاماً فحسب . وأنا أشعر بالخلج - أشعر بخجل مخيف - لأنني ضعيفة وتافهة . أحسّ بالخواء في داخلي ، فكل شيء قد جفّ ، احترق في قلبي ، وصار مؤلماً جداً . لم ألحظ قط كيف حصل ذلك - كيف جاء هذا الخواء وسيطر عليّ . لكن ، فيم أقول لك هذا ؟

تيتيريف : لست افهم . . . فانا جد سكران . . . لا افهمك

على الاطلاق . . .

تانيانا : لا أحد يحدثني كما أشتهي . بالأسلوب الذي أشتهي
ان يحدثوني به . رجوت أن يفعل هو ذلك . وانتظرت
زمنًا طويلاً - دون أن أفوه بحرف واحد . وجاءت اثناء
ذلك هذه المشاجرات كلها ، والتفاهات ، والحقارات
والمضايقات - فخنقني ذلك كله . سحقني تمامًا .
شيئًا بعد شيء . والآن لا أملك القدرة على الاستمرار
بالعيش . حتى انه لا يوجد في ياسي شيء من قوة . أنا
خائفة . الآن - على حين فجأة - أنا خائفة .

تيتريف (يهز رأسه ، يبتعد عنها ناحية الباب ، وحين يفتحه
يلتفت اليها ويقول بلسان ثقيل) : اللعنة على هذا
البيت ! لا شيء غير اللعنة . . .

(تنهض تانيانا وتسير متماهلة الى غرفتها . يبقى المسرح
ساكنًا خاويًا برهة من زمن . تدخل بوليا بخطوات سريعة غير
مسموعة يتبعها نيل . يمضيان الى النافذة صامتين ، فيمسك
لها نيل يدها ويخاطبها في صوت خافت)

نيل : اغفري لي ما حدث هذا النهار . كان ذلك مني حماقة
وجنونًا . فأنا لا أعرف كيف أطبق فمي وأنا الراغب في
الكلام !

بوليا (في صوت شبه مهموس) : الأمر سيان . . . الأمر
سيان حاليًا ! ماذا يعنيني منهم ؟ الأمر سيان بالنسبة
الي . . .

نيل : أعرف أنك تحبينني . أرى ذلك . بل لن أسألك .
أنت مضحكة جداً ! قلت البارحة : سأخبرك في الغداة ،
يجب أن أتروى في الأمر ! أنت مضحكة جداً ! فيم
ستتروين ، ترى ؟ أنت تحبينني ، أليس كذلك ؟
بوليا : نعم ، نعم ! أحببتك منذ زمن طويل !

(تتسلل تاتيانا من باب غرفتها وتقف وراء الستار متنصتة .)

نيل : ستكون حياتنا رائعة معاً ، ستترين ! أنت رفيق طيب
جداً - لا تخشين الفقر - وتتغلبين على مصاعبك
دائماً . . .

بوليا (في بساطة) : ممّ أخاف وأنا معك ؟ حتى لوحدني لست
ضعيفة . أنا هادئة فقط .

نيل : وعنيدة . أنت قوية ، ليس من يقوى عليك . حسناً ،
أنا سعيد . عرفت أن الأمر سيكون على هذا الغرار ،
وأنا سعيد الى أبعد الحدود !
بوليا : عرفت ذلك ، أنا أيضاً .

نيل : حقاً ؟ عرفته حقاً ؟ جيداً . . . نعمة هي الحياة ، اليس
كذلك ؟

بوليا : أجل ، يا صديقي العزيز . انها لكذلك ، يا رجلي
الطيب .

نيل : ما أروع كلماتك . . . ما أجمل وقعها على الأذن !
بوليا : لا اطراءات من فضلك . لكن يجب أن نذهب . يجب
ان نذهب . قد يأتي أحدهم . . .

نيل : فليأتوا جميعاً .

بوليا : لا ، لا ، يجب أن نذهب ! تعال ، قبلني مرة أخرى !
(يقبلها ، ثم تتخلص من بين ذراعيه وتركض مجتازة
تاتيانا دون أن تلمحها . ولكن نيل ، الذي يتبعها
وابتسامة على شفقيه ، يشاهدها فيتوقف مذهولاً
متضايقاً . تشخص إليه في صمت بعينين ميتتين ، وعلى
شفقتها بسمة صغيرة شوهاء)

نيل (في احتقار) : تتنصتين ؟ تختلسين النظر من ثقب الباب ؟
تباءً لك ! (يخرج مسرعاً . تبقى تاتيانا واقفة كمن
تحوّل حجراً . يترك نيل باب المدخل مفتوحاً ، فيتسرب
منه صوت بيسيمينوف الخشن قائلاً : «ستيبانيدا !
من دلق هذا الفحم ؟ أعمياء أنت ؟ اجمعيه !»)

ستار

الفصل الثالث

(الغرفة ذاتها)

الوقت صباحاً . ستينايديا تمسح الغبار عن الاثاث .

أكولينا إيفانوفنا (تغسل ادوات الشاي) : ليس ثمة كثرة من الدهن في لحم هذا النهار ، فخذيه من لحم البارحة المشوي وضعيه في حساء الملفوف . هذا يخلع عليه مظهراً جيداً ويبدو دسماً ، أسمعين ؟
ستينايديا : أس . . . مع .

أكولينا إيفانوفنا : وعندما تقلين لحم العجل لا تسرفي في الزبدة . فقد ابتعت خمسة ارطال يوم الأربعاء ، والبارحة وجدت أنه ما تبقى إلا اقل من رطل . . .
ستينايديا : واذن فقد استهلكت . . .

أكولينا إيفانوفنا : اعلم انها استهلكت . فاني أرى كمية كبرى منها على شعرك . انه مترع مثل صفيحة القطران عند الفلاح . . .

ستينايديا : أبداً . فانا أدهن شعري بزيت قنديل الايقونات - ألا تسمين رائحته ؟

أكولينا إيفانوفنا : كفى ! (صمت) إلى أين أرسلتك تاتيانا هذا الصباح ؟

ستينايديا : إلى الصيدلية لشراء قليل من ماء النشادر .

قالت اشترى لي بما يعادل عشرين كوبيكاً . . .
أكولينا إيفانوفنا : أعتقد أن الصداع عاودها . (تتنهد)
فهي تمرض دائماً . . .
ستيبانيدا : زوجها . . . فسرعان ما تشفى إذن . . .
أكولينا إيفانوفنا : ليس من السهل أن تزوجي بناتك في
هذه الأيام - خاصة المثققات منهن . . .
ستيبانيدا : قدمي لها بائنة كبيرة فيأخذها رجل ما ،
وبنقافتها . . .

(يطل رأس بيوتر لحظة من باب غرفته ثم يختفي)

أكولينا إيفانوفنا : لن أرى ذلك اليوم السعيد . . . فتانيا
لا ترغب في الزواج . . .
ستيبانيدا : أنها لراغبة . . . كيف لا ترغب وهي في مثل هذه
السن ؟
أكولينا إيفانوفنا (زافرة) : اوخ . . . خ . . . من كان لدى
تلك المرأة في الطابق الأعلى ليلة البارحة ؟
ستيبانيدا : المعلم . . . الأحمر الشعر .
أكولينا إيفانوفنا : هذا الذي هربت منه زوجته ؟
ستيبانيدا : هو بالذات ! ثم ذلك المحصّل - النحيل الأصفر
الوجه . . .
أكولينا إيفانوفنا : أعرفه ! إنه زوج ابنة أخي بيمينوف ،
التاجر . وهو مريض بالسل .
ستيبانيدا : هكذا . . . يبدو عليه ذلك . . .

أكولينا إيفانوفنا : وهل كان مرتل الجوقة هناك ؟
ستيبانيدا : أجل ، وكان بيوتر فاسيليفيتش هناك . ظل
مرتل الجوقة ينشد اغنياته . . . ويرفع عقيرته حتى
الساعة الثانية صباحاً . كان يخور مثل الثور .

أكولينا إيفانوفنا : ومتى رجع بيتيا ؟
ستيبانيدا : كان النور قد انبج حين فتحت له الباب .

أكولينا إيفانوفنا : اوخ ! اوخ !
بيوتر (داخلاً) : أسرع ، يا ستيبانيدا ، أنهي ما تفعلين
وأخرجي . . .

ستيبانيدا : سأنتهيه حالاً . . . انا نفسي راغبة ان أنهيه
بأسرع وقت . . .

بيوتر : إذن أقلبي من الثرثرة واكثري من العمل . . .
(تبربر ستيبانيدا وتخرج .) أماء ! كم مرة ابتهلت
إليك ان تقللي من حديثك معها . لا يجدر بك أن
تفعلني ذلك - تناقشين شؤونك الخاصة مع
الطاهية . . . وتسألينها عن . . . عن . . . مختلف
الأمر ! لا يليق بك ان تفعلني ذلك ! فهل تفهمين هذا
أخيراً ؟

أكولينا إيفانوفنا (متضايقه) : وهل يتعيّن عليّ أن أسألك
مع من أستطيع أن أتحدث ؟ إذا كان ابني لا يريد أن
يحدثني ، أو يحدث والده أيضاً ، فلا بأس في أن
أتحدث مع الطاهية . . .

بيوتر : لكن ، ألا ترين أنها ليست لك نداءً ؟ فأنت لن
تسمعين من فمها غير الأقاويل !

أكولينا إيفانوفنا : وماذا تراني أسمع منك ؟ لقد مرّ على وجودك في البيت ستة أشهر حتى الآن ، ولم تمض منها ساعة واحدة مع أمك . لم تخبرها كلمة واحدة عن موسكو ، أو عن امورك فيها . . .

بيوتر : لكن ، اسمعي . . .

أكولينا إيفانوفنا : وإذا تحدثت ، فكلامك يؤلمني جداً . . . أنا لا أسمع منك غير «لا تفعلي هذا» و«لا تفعلي ذلك» . أنت تعلّم وتوبخ وتسخر من أمك المسكينّة وكأنها تلميذة ! (يلوح بيوتر بيده في يأس ويخرج بسرعة الى باب المدخل . تصرخ أكولينا إيفانوفنا في إثره .) أرايت ؟ كم كان حديثك قصيراً ! (تنشج ، وتمسح عينيها بطرف مئزرها .)

بيرتشيخين (يدخل الغرفة مرتدياً معطفاً قصيراً ممزقاً شديداً من وسطه بقطعة من حبل ، تبرز من ثقبه قطع من القطن القدر . ينتعل صندلاً من لحاء الشجر ، ويضع على رأسه قبعة من الفراء .) : ما الذي يبكيك ؟ أقال بيتروخا شيئاً يؤلمك ؟ لقد مرق بجواري مثل طائر الخنّاف . بل لم يقل لي كيف حالك ! هل ابنتي بوليا هنا ؟

أكولينا إيفانوفنا (زافرة) : هي في المطبخ تقطع الملفوف . . .

بيرتشيخين : ما أروع النظام وسط الطيور ! ما أن تنبت أرياش صفارها حتى تطير حيثما تشاء من دون أي وعظ من أبويها . ألم تبق لي جرعة من الشاي ؟

أكولينا إيفانوفنا : وانت تسلك سلوك الطيور في حياتك ،
أليس كذلك ؟

بيرتشيخين : بالضبط ! وما أروع ذلك ! أنا لا أملك شيئاً
ولا أفق في طريق أحد . كما لو كنت أعيش في الهواء
بدلاً من أن أمشي على الأرض .

أكولينا إيفانوفنا (في احتقار) : ولذلك لا يكن لك الناس
أي احترام . خذ شايبك . . . إشرب . . . ولكنه بارد ،
وخفيف بعض الشيء . . .

بيرتشيخين (يحمل القدر صوب الضوء) : خفيف . ولكننا نقدم
شكرنا لكل شيء صغير ! لو أنه كان ثقيلاً فقد
يستنفد قواي . أما بخصوص احترام الناس - فانا لا
أرجوهم ان يحترموني . . . أنا لا أحترم احداً
بدوري . . .

أكولينا إيفانوفنا : ومن ذا يحتاج إلى احترامك أنت ؟ لا
أحد . . .

بيرتشيخين : عظيم ! لقد رأيت أن الناس ، وهم يحصلون
على خبزهم اليومي على الأرض ، يتخاطفونه من أفواه
بعضهم بعضاً . أما طعامي أنا فأحصل عليه من فوق ،
من الهواء ، من الطيور السماوية ، فان شغلي لنقي !
أكولينا إيفانوفنا : حسناً ، هل سيتم الزفاف قريباً ؟

بيرتشيخين : زفاف من ؟ زفافي ؟ الوقوة التي يمكن أن تكون
شريك حياتي لا تطير إلى غاباتنا بعد ، تلك المحتمالة !
يبدو لي انها تحضر بعد فوات الأوان : وسوف أموت
قبل أن تصل إلى هنا . . .

أكولينا إيفانوفنا : كفى هراء واخبرني صراحة : متى تزفها ؟
بيرتشيخين : أرف من ؟
أكولينا إيفانوفنا : ابنتك ! وكأنك لا تعلم !
بيرتشيخين : ابنتي ؟ حينما يطيب لها ، إذا كان لديها إنسان
أزفها إليه . . .
أكولينا إيفانوفنا : أكانا يخططان لذلك من طويل زمن ؟
بيرتشيخين : ماذا ؟ من ؟
أكولينا إيفانوفنا : دعك من المراوغة ! لا ريبة أنها
أخبرتك . . .
بيرتشيخين : تخبرني بماذا ؟
أكولينا إيفانوفنا : بالزفاف . . .
بيرتشيخين : زفاف من ؟
أكولينا إيفانوفنا : تباً لك ! رجل عجوز مثلك يجب أن يخجل
من تمثيل دور الأبله !
بيرتشيخين : مهلك ! لا تغضبي . . . ماذا يدور في خلدك ؟
أكولينا إيفانوفنا : ليست لي رغبة في الحديث معك . . .
بيرتشيخين : لكنك تتحدثين ، وتفعلين ذلك منذ فترة طويلة
دون أن توضحني الأمور . . .
أكولينا إيفانوفنا (في جفوة وحسد) : متى تزف بيلاغيا إلى
نيل ؟
بيرتشيخين (يشب مشدوهاً) : ماذا ؟ بوليا إلى نيل ؟ أصحيح
هذا ؟
أكولينا إيفانوفنا : أتعني حقاً أنها لم تخبرك ؟ شباب شطار !
حتى والدها !

بيرتشيخين (جدلان) : هل أنت جادة ؟ لا ريب أنك تمزحين ؟
نيل ؟ لله در الأمور ! أهذا صحيح فعلاً ؟ يا
للنسناسين ! يا لبوليا من فتاة ! لكن ، أوأثقة أنت
أنك لا تخدعيني ؟ عظيم ! وكنت أنا أقول في نفسي
إن نيل ينوي الزواج من تاتيانا . وربى ! كل الأمور
كانت تدل على ذلك . . .

أكولينا إيفانوفنا (في غضب) : وكأننا نزوج تاتيانا من نيل !
نحن لا نحتاج الى هذا المشاكس . . .

بيرتشيخين : نيل ؟ ماذا تقولين ! لو كان لدي عشر بنات
لأغمضت عيني وأعطيتهن جميعاً لنيل ! نيل ؟ وهو . . .
وهو قادر وحده على أن يطعم مائة فم ! نيل ؟ هو ،
هو !

أكولينا إيفانوفنا (ساخرة) : حين أنظر اليك أقول في
نفسى : يا لهذا الحمو الذي سيحصل نيل عليه ! انه
لحمو لطيف جداً !

بيرتشيخين : حمو ! هو ، هو ! هذا الحمو لا يريد أن يكون
عالة عليه أو على أي كان ! ان ساقى ترقصان من
ذاتهما ! أنا الآونة حرٌ مثل عصفور ! سوف أحيا الآن
على هواي ! ولن تقع عين أحد علي من الآن فصاعداً !
وسأطيرن إلى الغابات - وداعاً ، أيها الناس جميعاً !
يا لبوليا من فتاة ! حدث ان كنت أفكر أحياناً : ماذا
سيكون مصير ابنتي ؟ وكان ذلك يؤلمني ، يؤلمني
حقاً . لقد أنجبتها الى هذا العالم ، وهذا كل ما استطعت
أن أمنحها إياه ! أما الآن ؟ الآن أذهب حيثما يروقني !

أذهب إلى آخر الأرض أبحث عن طائر النار !
أكولينا إيفانوفنا : إلى حيث تذهب ؟ الناس لا يديرون
حين يعترض الحظ سبيلهم . . .

بيرتشيخين : الحظ . ؟ أفضل حظ يمكن أن أحصل عليه هو أن
أذهب حيثما يروقني . . . ولسوف تكون بولينا
سعيدة . لا ريب أنها ستكون سعيدة ! مع نيل ؟
يا للفتى القوي المرح البسيط ! عقلي يشب من الغبطة
وقلبي تغني فيه القبثرات ! هل عرفت الدنيا عجوزاً
محظوظاً مثلي ؟ (يضرب بالقدم على الأرض كأنه يرقص)
ترا - لا - لا ! ترا - لا - لا ! لقد حصلت بولينا على
نيل ، هوراه !

بيسيمينوف (يدخل الغرفة . لا يبرح مرتدياً معطفه وحاملاً
قبعته في يده .) سكرت مرة أخرى !

بيرتشيخين : سكرت من الفرحة ! أسمعنت عن بيلاغيا ؟
(يضحك جذلان .) لسوف تتزوج من نيل ! ها ؟
رائع ، أليس كذلك ؟

بيسيمينوف (في قسوة وبرودة) : هذا لا يعيننا . . . سنأخذ
ما يخلصنا ، على أية حال . . .

بيرتشيخين : وكنت أحسب دائماً أن نيل راغب في الزواج
من تاتيانا . . .

بيسيمينوف : . . . اذ . . . ؟

بيرتشيخين : وحق الله ! كان واضحاً أن تاتيانا كانت
تسعى إلى ذلك - كانت تنظر إليه بالعين الواحدة
مرة . . . وبالعين الثانية مرة أخرى - أنت تعرف كيف

يفعلن ذلك على العموم . . وما شابه ذلك . . ما ؟
ثم على حين فجأة . . .

بيسيمينوف (في هدوء وفي حقد) : إليك ما سأعالك به ،
أيها الرجل الطيب : قد تكون أحق ، ولكن الوقت قد
حان لتفهم أنه من المخزي أن تقول مثل هذه الأشياء
عن فتاة . هذا أولاً . (يرفع صوته شيئاً فشيئاً اثناء
كلامه .) لا يهمني أبداً إلى من تتطلع ابنتك ، أو كيف
تتطلع إليه ، أو مَنْ يتطلع إليها وكيف ، أو أي
صنف من الفتيات هي ، ولكنني أقول شيئاً واحداً :
إذا تزوجت نيل فلا ردّها الله ، لأنه لا فائدة من أي
منهما ، ومن الآن فصاعداً سأبصق عليهما معاً ، رغم
أن كلاهما غارق حتى ركبتيه في الدين لي . وهذا
ثانياً . واليك آخر شيء : قد تجمعنا ، أنا وأنت ، قرابة
بعيدة ، لكن أنظر إلى نفسك - فمن أنت ؟ متشرّد ،
هذه هي حالك ! من أذن لك أن تدخل الى غرفة نظيفة
وأنت في هذه الحال ؟ في هذه الخرق المهلهلة ،
والصندل الفلاحي ؟

بيرتشيغين : ماذا دهاك ، يا فاسيلي فاسيليفيتش ؟
ماذا تقول يا أخ ؟ أهي المرة الأولى التي أجيء فيها إلى
هنا بهذه الحال ؟

بيسيمينوف : أنا لم أحص عدد هذه المرات ، وليس في نيتي
أن أفعل ذلك . ولكنني أعرف شيئاً واحداً : أنت لا
تحترم رب هذا البيت إذا جئت إلى هنا على هذا الغرار .
مرة أخرى أقول مَنْ أنت ؟ شعاذ ، لا شيء ، خرقه

مهلهلة . . . أسمعتَ ما أقول ؟ هذا ثالثاً : واخيراً :
 أخرج من هنا !
 بيرتشيخين (مذهولاً) : فاسيلسي فاسيليفيتش ! ماذا
 فعلت ؟ ماذا . . .
 بيسيمينوف : أخرج من هنا ! ولا تحاول ان تلف . . .
 بيرتشيخين : أفق لنفسك ! فأنا لم أؤذ . . .
 بيسيمينوف : حقاً ؟ ! أخرج قبل أن . . .
 بيرتشيخين (في أسف ولوم ، وهو يخرج) : أوه ، أيها
 العجوز ! إنني اشفق عليك حقاً ! وداعاً !

(يشد بيسيمينوف قامته ويذرع أرض الغرفة صامتاً متجهماً
 الوجه في خطوات قاسية ثقيلة . تراقبه أكولينا إيفانوفنا
 خلسة وهي تغسل آنية الشاي . ترتعش يداها وتهمهم بينها
 وبين نفسها)

بيسيمينوف : بماذا تهمسين ؟ رقية ؟
 أكولينا إيفانوفنا : انني أصلي ، أيها الأب ، أصلي . . .
 بيسيمينوف : إسمعي . . . يبدو أنني لن أصبح رئيساً *
 هذه المرة ! يبدو ذلك واضحاً ، عليهم اللعنة !
 أكولينا إيفانوفنا : ما هذا ؟ يا إلهي ، كيف يكون ذلك ؟
 لماذا ؟ لعلك . . .
 بيسيمينوف : لعليّ ماذا ؟ ان فيدكا دوسيكين ، كبير جمعية

* المقصود هنا رئيس اتحاد الحرفيين . الناشر .

صانعي الأقفال ، يسعى إلى أن يكون الرئيس . ذلك
الولد المغرور ! ذلك الجرو !

أكولينا إيفانوفنا : قد لا ينتخبونه . لا تبتئس بعد . . .
بيسيمينوف : لسوف ينتخبونه . واضح أنهم سيفعلون .
حين وصلت إلى هنالك كان جالساً في مجلس الإدارة
يتشددق ويقول : الأيام صعبة . ويقول : جميعنا ينبغي
أن نتكاتف . ويقول : كل شيء يجب أن نقوم به نحن
جميعاً ، التعاونيات ، هذا ما يجب أن نفعل . ويقول :
وهذه المصانع التي تسيطر على السوق . نحن الحرفيين
لا يمكن أن نعمل فرادى . ولكنني قلت : اليهود هم
سبب البلاء ! اليهود هم الذين يجب أن نهدمهم من
نشاطهم ! يجب أن نقدم شكوى ضدهم إلى
المحافظ . . . نخبره فيها كيف يضيئون الخناق علينا
نحن الروس ، ونطلب إليه أن يعمل على طردهم .
(تفتح تاتيانا الباب في هدوء وتترنج في طريقها إلى
غرفتها .) فابتسم دوسيكين ابتسامته تلك ، وقال :
وماذا نفعل بأولئك الروس الذين هم أسوأ من اليهود ؟
واتضح لي من كلماته الحذرة المختلفة أنه كان يغمز
من قناتي . تظاهرت أنني لم أفهم ، لكنني تبينت قصده
جيداً ، ابن الحرام ! أصغيت قليلاً ، ثم تنحيست
جانباً . وهمست في نفسي : رويدك فحسب ! سأردك
لك الصاع صاعين ! وعندها جاءني ميخائيل كريبوكوف
صانع الأفران ، وقال : يبدو أن دوسيكين سوف
يصير الرئيس ، وصرف عني نظرتة خجلان . كنت على

وشك ان اقول له : ماذا تفعل يا يهوذا الاحول !
يلينا (تدخل الغرفة) : صباحك سعيد ، يا فاسيلسي
فاسيليفيتش ! صباحك سعيد ، يا أكوлина إيفانوفنا !
بيسيمينوف (في برودة) : آه ، هذه أنت ؟ أدخلني . ما
وراءك ؟

يلينا : جئت أدفع أجرة غرفتي .
بيسيمينوف (في مزيد من التهذيب) : حسن جداً . كم معك
هنا ؟ خمسة وعشرون روبلاً ؟ أنت مدينة لي بَعْدُ
بأربعين كوبيكاً ثمن لوحين من الزجاج في نافذة
المدخل ، و . . . لنقل عشرين كوبيكاً ثمن المفصلة
التي كسرتها طاهيتك في سقيفة الاحطاب .

يلينا (مطلقة ضحكة قصيرة) : يا لك من رجل دقيق !
تفضل . . . لكنني سأعطيك ورقة ثلاثة روبلات .
فلست أحمل عملة صغيرة .

أكوлина إيفانوفنا : لقد أخذت مني كيساً من الفحم - أعني
طاهيتك هي التي أخذته .

بيسيمينوف : وكم ثمنه ؟

أكوлина إيفانوفنا : الفحم ؟ خمسة وثلاثون كوبيكاً للكيس .
بيسيمينوف : وهذا يعني ان المجموع هو خمسة وتسعون
كوبيكاً . الباقي روبلان وخمسة كوبيكات - تفضلي !
أما بخصوص الدقة فقد أصبت ، يا سيدتي العزيزة .
الدقة هي التي تجعل العالم يدور . فالشمس نفسها
تشرق وتغرب بدقة مثلما هو مقدّر لها منذ بداية
العالم ، وما دامت الدقة هي القانون في السماء ، فمن

الواجب بكل تأكيد أن تكون القانون على الأرض . خذي نفسك مثلاً . . . فأنت دائماً تسددين الأجرة بانتظام ، وفي الموعد المحدد . . .

يلينا : أنا لا أحب أن أكون مدينة .

بيسيمينوف : شيء جدير بالثناء ! ولهذا يثق بك كل الناس .

يلينا : حسناً ، وداعاً ! يجب أن أنصرف .

بيسيمينوف : احتراماتي . (ينظر في اثرها ثم يقول) ما أجملها ، هذه الشيطانة ! ومع ذلك يطيب لي أن أفذف بها خارجاً !

أكولينا إيفانوفنا : تفعل حسناً اذن ، أيها الأب .
بيسيمينوف : حسناً ، ومن ناحية أخرى ، فطالما هي مقيمة هنا تتاح لنا مراقبتها . أما إذا انتقلت ، فلا بد أن بيوتر سيتردد عليها ، ويسهل عليها عندئذ أن توقعه في حبالها بعيداً عن أعيننا . ويجب ألا يغيب عن بالك أنها تدفع الأجرة في مواعيدها ، وهي تسدد بكل طيبة خاطر مقابل كل ما تُلّف في غرفتها . هكذا ! اما بيوتر . . . فهذا شيء خطر وخطر جداً . . .

أكولينا إيفانوفنا : لعله لا يفكر في الزواج منها . لعله يريد فقط . . . أنت تعرف .

بيسيمينوف : لو أتيح لنا التيقن من ذلك ما شغل بالنا شيء وما بقي هنالك ما يثير قلقنا . يحسن أن نقيه هنا في البيت بدلاً من التردد على بيوت الدعارة . (تدف من غرفة تاتيانا أنة خسنة)

أكولينا إيفانوفنا (في صوت خافت) : ماذا ؟
بيسيمينوف (في صوت خافت مثلها) : ما هذا ؟
أكولينا إيفانوفنا (في همس وهي تتلفت حواليتها في قلق كمن يصغي الى شيء ما) : هنالك وراء باب المدخل . . .
 أليس كذلك ؟
بيسيمينوف (في صوت عال) : لا بدّ أنها القطة .
أكولينا إيفانوفنا (مترددة) : هنالك شيء أردت أن أفضي به إليك ، أيها الأب . . .
بيسيمينوف : حسناً ، هاتي قوله .
أكولينا إيفانوفنا : ألا تظن أنك كنت قاسياً نوعاً ما على بيرتسيخين هذا النهار ؟ فهو إنسان طيب .
بيسيمينوف : إذا كان طيباً فلن يتمكن منه الغضب ، وإذا غضب فلن نفقد شيئاً كثيراً . معرفتنا به لا تشرفنا كثيراً (يتردد الأنين مرة أخرى - أعلى منه قبلاً) . من هذا ؟ أيتها الأم . . .
أكولينا إيفانوفنا (مرتبكة) : لست أدري . . . حقاً . . .
 ماذا يمكن أن يكون . . .
بيسيمينوف (يندفع ناحية غرفة بيوتر) : أئمة شيء هنا ؟ بيوتر !
أكولينا إيفانوفنا (تندفع وراء مذعورة) : بيتيا ! بيتيا . . . بيتيا . . .
تاتيانا (تصرخ في صوت أجش) : أنقذوني ! أماء ! أنقذيني !
 أنقذيني ! (يندفع بيسيمينوف وأكولينا إيفانوفنا من غرفة بيوتر إلى غرفة تاتيانا صامتتين ، ويترددان عند

الباب لحظة كأنهما لا يجرؤان ان يدخلنا ، ثم يدخلان
من الباب في وقت واحد . تقابلهما صرخات تاتيانا .
أو - و - وه ، لكم يحرقني ! كم يؤلمني ! اسقوني !
اسقوني ! أنقذوني !

أكولينا إيفانوفنا (تندفع خارج الغرفة تفتح باب المدخل
وتصرخ) : يا ربي ! أيها الطيبون ! بيتيا ! (يدف من
غرفة تاتيانا صوت بيسيمينوف الاجش قائلاً : «ماذا
أصابك ، يا ابنتي ؟ ماذا بك ؟ ماذا أصابك ، يا
ابنتي ؟»)

تاتيانا : ماء ، فأنا أموت . كل ما في داخلي يحترق . آه ، يا
ربي !

أكولينا إيفانوفنا : أسرعوا ! إلينا ! يا ربي !
بيسيمينوف (من داخل الغرفة) : اسرعي ، استدعي الطبيب .
بيوتر (يدخل راكضاً) : ما الأمر ؟ ماذا حدث ؟
أكولينا إيفانوفنا (تمسك به من رदन سترته وتلهث) :
تانيا . . . تموت !

بيوتر (يتخلص من قبضتها) : اتركيني ! اتركيني . . .
تيتيريف (يرتدي معطفه وهو يدخل) : ماذا هنالك ، حريق ؟
بيسيمينوف : الطبيب ! أسرع وراء الطبيب ، يا بيوتر !
اعرض عليه خمسة وعشرين روبلاً !

بيوتر (يندفع خارجاً من غرفة تاتيانا مخاطباً تيتيريف) :
الطبيب ! أسرع باستدعاء الطبيب ! قل له . . .
تسمت . امرأة صبية . النشادر . عجل ! عجل .

(يركض تيتيريف إلى باب المدخل)

ستيبانيدا (تدخل مهولة) : يا إلهي ! يا إلهي !
تاتيانا : بيتيا ! إنني أحترق ! إنني أموت ! ولا أريد أن
أموت ! أريد أن أعيش ! اسقيني !
بيوتر : كم شربت ؟ ومتى فعلت ذلك ؟ قل لي !
بيسيهينوف : ابنتي ! ابنتي الصغيرة !
أكولينا إيفانوفنا : أهلكت نفسك ، يا حمامتي الصغيرة !
بيوتر : إذهبي ، يا أماء . خذيها من هنا ، يا ستيبانيدا .
إذهبي ، أقول لك ! (تركض يلينا إلى غرفة تاتيانا .)
أخرجي أمي . . .

(تدخل امرأة عجوز وتقف عند باب المدخل تسترق النظر إلى
الغرفة وتهتمهم لنفسها)

يلينا (تتأبط ذراع أكولينا إيفانوفنا وتخرج معها من غرفة
تاتيانا ، وتغمغم) : لا بأس ، لا تجزعي ، الأمر
بسيط . . .
أكولينا إيفانوفنا : كنزي ! ابنتي الحبيبة ! ماذا فعلت لك ؟
كيف أراني أسأت اليك ؟
يلينا : هذا الأمر سيزول . وسيكون كل شيء على ما يرام
عندما يأتي الطبيب . آه ! يا للمصيبة !
المرأة العجوز (تأبطت ذراع أكولينا إيفانوفنا الأخرى) : لا
تعزني يا سيدة ! هنالك مصائب أفجع ! آه يا

مسكينة ! سائق التاجر سيتانوف مثلاً - رفسه
الحصان في خاصرته . . .
أقولينا إيفانوفنا : يا حبيبتى ، يا غاليتى . ماذا أفعل الآن ؟
ابنتى الوحيدة ! (يخرجونها)

(تختلط صيحات تاتيانا بصوت والدها الأجدس وكلمات بيوتر
العصبية الحادة . ينقلب كرسي . وتسمع قعقعة صحون ،
وصرير نوابض سرير ، ووسادة تسقط على الأرض بلطف .
تركض ستيبانيدا عدة مرات خارجة من الغرفة ، شعرها مبعثر
وفمها مفتوح وعيناها ناتئتان ، لتختطف قدماً أو صحناً من
الخوان ، تكسر في كل مرة شيئاً ما وتختفي من جديد . تشاهد
في باب المدخل وجوه مشدوهة ، لكن أحداً لا يجروء على
الدخول . ينطلق عبر الباب فتى ، مساعد دهان ، ويختلس
النظر إلى غرفة تاتيانا ويعود أدراجه راکضاً ، معلناً في همس
عال : «إنها تموت !» . الأرغن اليدوي في الشارع يعزف
لحناً ، سرعان ما ينقطع صوته . تنساب من باب المدخل
همهمة خفيضة : «هل قتلها ؟» . «أبوها ؟» . «لقد
حذّرها . . . انتبهى ، أيتها الفتاة» . «على رأسها» . «أتعرف
بماذا ؟» . «هذا كذب - لقد ذبحت نفسها» . وصوت امرأة
يستفسر : «هل هي متزوجة ؟» . أحدهم يطقق بشفتيه في
شفقة)

المرأة العجوز (تخرج من غرفة الوالدين ، تختطف اثناء
عبورها كعكة محلاة عن المنضدة وتخفيها تحت شالها ،
ثم تقترب من باب المدخل) : هس ! إنها تموت !

صوت رجل : ما اسمها ؟

المرأة العجوز : ليزا .

صوت امرأة : ما الذي جعلها تفعل ذلك ؟

المرأة العجوز : منذ يوم انتقال العذراء قال لها : «ليزا» ،

وقال . . .

(حركة بين الحشد . يدخل الطبيب وتيتيريف . يتجه الطبيب مباشرة الى غرفة تاتيانا دون أن يخلع قبعته أو معطفه . ينظر تيتيريف عبر باب الغرفة ويبتعد عنه عابساً . تتردد من غرفة المريضة أنات وأصوات وأصداء أناس يتكلمون . وينطلق من غرفة بيسيمينوف عويل أكروليننا إيفانوفنا وصراخها : «دعيني ! دعيني أذهب إليها !» . يرتفع من بين الأصداء الخفيضة وراء باب المدخل أصوات متميزة تقول : «رجل رزين . . . إنه مرتل الجوقة ! غير صحيح ! أجل هو نفسه . من جوقة كنيسة يوحنا المعمدان»)

تيتيريف (يتجه ناحية الباب) : ماذا تفعلون هنا ؟ انصرفوا ، جميعكم ! هيا !

المرأة العجوز (عند الباب) : تحركوا ، أيها الطيبون ، تحركوا . لا شأن لكم بهذا .

تيتيريف : من أنت ؟ ماذا تريدين ؟

المرأة العجوز : أنا يا محترم بائعة خضار - بصل أخضر ، وخيار . . .

تيتيريف : وبعد ؟ ماذا تفعلين هنا ؟

المرأة العجوز : كنت في سبيلي إلى بيت سيميائينا . . .
إنها اشبيئة ولدي . . .
تيتيريف : وبعد ؟ أقول ماذا تفعلين هنا ؟
المرأة العجوز : كنت مارة وسمعت ضجة ، فحسبت أن النار
اشتعلت . . .

تيتيريف : وماذا ؟

المرأة العجوز : ودخلت . دخلت ألقى نظرة على المشكلة .
تيتيريف : اخرجي من هنا . انصرفوا جميعاً ! اخرجوا من هنا !
ستيبانيدا (تخرج من الغرفة راكضة تخاطب تيتيريف) : جئنا
بدلو من الماء . . . عجل ! (يطلُّ من الباب شيخ أشيب
اللحية معصوب الوجه بمندبل ، ويغمز لتيتيريف
قائلاً : «يا سيدي ! لقد سرقتُ كعكة من منضدتكم» .
يجتاز تيتيريف باب المدخل وهو يدفع الناس إلى
الشارع . صخب وجلبة . صبي يصيح : «آي !» .
أحدهم يضحك ، وآخر يقول موبخاً : «كفَّ عن
دفعي !» .

تيتيريف (دون ان يظهر) : إلى الشيطان ! هيا !
بيوتر (يمدُّ رأسه من الباب) : هدوءاً ! (يلتفت إلى الغرفة .)
إذهب ، يا أبتاه . فأمي تحتاج إليك . إذهب ! (ينادي
ناحية باب المدخل .) لا تدخلوا أحداً !

(يخرج بيسيمينوف من غرفة تاتيانا مترنحاً . حين يقترب من
المنضدة يتهالك على مقعد ويجلس يحدق ببلادة في الفضاء

أمامه عدة لحظات ، ثم ينهض ويدلف إلى غرفته حيث يسمع
منها صوتا أكوлина إيفانوفنا ويليينا .)

أكوлина إيفانوفنا : وكأنني لم أكن أحبها ! وكأنني لم أكن
أرعاها جيداً !

يليينا : هوّني عليك . . . يا عزيزتي . . .
أكوлина إيفانوفنا : أيها الأب ! يا غا . . .

(لم تسمع نهاية الجملة نتيجة إغلاق الباب . الغرفة الكبيرة
خاوية الآن . من اليسار تتسلل أصوات مكتومة من غرفة
بيسيمينوف ، ومن اليمين أنين تاتيانا ، وحديث خافت ،
ولغظ قصير يحدثه أولئك الذين يلازمونها . يحضر تيتيريف
دلواً من الماء ، ويضعه عند باب غرفة تاتيانا ، وينقر على
الباب بأصبعه في لطف . تفتح ستيبانيدا الباب وتأخذ الدلو ،
ثم تخرج إلى الغرفة الكبيرة وهي تمسح العرق عن وجهها .)

تيتيريف : ماذا ؟

ستيبانيدا : لا بأس .

تيتيريف : أهذا ما يقوله الطبيب ؟

ستيبانيدا : أجل . لكن . . . (تلوح بيدها يائسة .) لقد أمر
بمنع أيها وأمها من الدخول .

تيتيريف : أهي أحسن حالاً ؟

ستيبانيدا : من يدري ؟ لقد كفت عن الأنين . وجهها أخضر
اللون ، وعيناها كبيرتان بهذا القدر ! وهي ترقد ساكنة

كالأموات . (تهمس موبخة .) قلت لهم ذلك . كم مرة
قلت لهم أن يزوجوها ! قلت أن يزوجوها ! لكنهم لم
يعيرونني اذناً صاغية ، وإليك ما أصابهم ! لكأن الفتاة
يمكن أن تبقى في حالة سليمة حتى هذه السن من دون
زوج ! ثم هي لا تؤمن بالله . لا تصلي ولا ترسم
إشارة الصليب . وإليك ما حدث !

تيتيريف : أمسكي لسانك ، أيها الغراب !

يلينا (داخلة) : كيف حالها ؟

تيتيريف : لست أدري . يبدو أن الطبيب يعتقد أنها ليست
في خطر .

يلينا : يا للضربة التي نزلت بأبيها وأمها ! لكم أرثي لهما !

(يهز تيتيريف كتفيه في صمت)

ستيبانيدا (تهرول خارجة من الغرفة) : يا إلهي ! لقد نسيت
الفرن !

يلينا : ما الذي حدا بها إلى ذلك ؟ ماذا جرى ؟ يا لتانيسا
المسكينة ! يبدو أنها تشعر بآلام كبيرة . (تقطب وجهها
وتهز كتفها .) إنه يؤلم جداً ؟ جداً جداً ؟

تيتيريف : لست أدري . ماء النشادر شيء لم أشربه قط .

يلينا : كيف تجرؤ على المزاح في مثل هذه الحال ؟

تيتيريف : أنا لا أمزح .

يلينا (تقترب من غرفة بيوتر وتختلس النظر من الباب) :

هل بي . . . بيوتر فاسيليفيتش . . . في غرفتها بعد ؟

تيتيريف : لا بدّ أنه في غرفتها . إن لم يخرج منها .
يلينا (متفكرة) : أتخيّل كيف كان ذلك يؤثّر فيه ! (صمت .)
فكلما أنا . . . إذا صدف أن شاهدت شيئاً من هذا
القبيل فأنا . . أكره البلايا !

تيتيريف (مبتسماً) : عاطفة محمودة !
يلينا : أتفهم ما قصدت إليه ؟ احسّ أني أريد أن اتناولها
وأسحقها تحت قدمي . . . أسحقها حتى الموت !

تيتيريف : ماذا ؟ البلايا ؟
يلينا : أجل ! أنا لا أخافها . أنا أكرهها ! هذا ما أقصده !
يعجبني ان أعيش حياة مرحة متنوعة ، أن يكون حولي
كثير من الناس . فأنا أعرف كيف أجعل الحياة سارة
سهلة بالنسبة إليّ وإلى من يحيطون بي .

تيتيريف : أمر محمود كثيراً !
يلينا : وثمة أمر آخر - سأعترف لك به : فأنا قاسية القلب
إلى حد مخيف ! ولا أحب الناس الذين تخيم عليهم
التعاسة ، وهنالك دائماً أناس تعساء ، مهما بذلت في
سبيلهم ! لو وضعت الشمس على رؤوسهم بدلاً من
قبة - وأي شيء أروع من هذا ؟ - فيظلون يزفرون
ويشتكون : « آه ، يا لتعاستي ! يا لوحدي ! ليس
من يحبني ! الحياة مملّة معتمّة ! آه ! أوه ! أوو ! » .
وحيشما التقيت مثل هذا المرء فأنا أحس برغبة شريرة في
أن أجعله أكثر تعاسة منه قبلاً . . .

تيتيريف : يا سيدتي العزيزة ! لسوف أعترف لك أنا الآخر :
لا أطيق أن أسمع النساء يتفلسفن ، أما عندما

أسمعك تتفلسفين أنت فتراودني رغبة في تقبيل يديك .
يلينا (في دلال ومكر) : يدي فقط ؟ وحينما أتفلسف فقط ؟
(مستدركة .) لكن ، يا إلهي ! ماذا تراني أفعل ؟
أمزح . . . وألهو ، بينما هناك . . . إنسان
يتعذب . . .

تيتيريف (يوميٌ ناحية غرفة بيسيمينوف) : وهناك أيضاً
من يتعذب . وأنت أينما تشيرين بإصبعك تجددين من
يتعذب ! هذه هي عادته . . .

يلينا : ولكنه يتعذب فعلاً . . .
تيتيريف : دون ريب .

يلينا : وعلينا أن نرثي له اذن .

تيتيريف : ليس دائماً . بل ربما أبداً . لعل من الأفضل أن
نساعده من أن نرثي له .

يلينا : أنت لا تستطيع مساعدة الجميع . ان لم تشفق عليهم
أنت لا تستطيع مساعدتهم . . .

تيتيريف : يا سيدتي العزيزة ! إليك كيف أنظر إلى الأمر :
العذاب تولده الرغبة ، وهناك نوعان من الرغبة في
الانسان - رغبة جديرة بالاحترام ورغبة غير جديرة
به . والمرء يجب ان يمدد بالمساعدة لإشباع الرغبات
التي تجعله سوياً وقوياً والتي ، حين تسمو به ،
ترفعه فوق مستوى الحيوان . . .

يلينا (دون أن تصغي إليه) : قد يكون ذلك . قد
يكون . . . لكن ، ماذا يحدث هناك ؟ لعلها نامت ؟
يا للهدوء ! إنهم يتهامسون . والعجوزان أيضاً ذهباً . . .

إنهما يختبئان في ركنهما . يا للغرابة ! على حين
فجأة . . . ضجيج ، وصخب ، وصيحات ، وأنين ! ومن
بعد ، على حين فجأة - هدوء شامل ، وليس من يأتي
حركة .

تيتيريف : هكذا هي الحياة ! الناس يصيحون إلى أن يهدمهم
التعب ، فيخلدون إلى الراحة بعدئذ . وحين يستريحون
يباشرون الصياح من جديد . هنا ، في هذا البيت ،
يخيم الصمت على كل شيء بسرعة كبيرة - صيحات
الألم وضحكات المرح على حدّ سواء . وكل هزة هنا
تشبه ضربة بالعصا تنهال على بركة من الطين .
والصيحة الأخيرة هي دائماً صيحة الحقارة ، ساحرة هذا
البيت . هي التي تملك الكلمة الأخيرة هنا دائماً ،
سواء كانت كلمة الظفر أم كلمة الضغينة . . .

يلينا (متفكرة) : كانت الحياة أمتع يوم كنت في السجن حيث
كنت اعيش هنالك ! كان زوجي مقامراً . وكان يسكر
أيضاً ، وما أكثر ما يخرج إلى الصيد . وكانت بلدتنا
صغيرة نائية وكان سكانها من . . . من التافهين .
وكنت أملك كثيراً من أوقات الفراغ ، ولكنني لا أذهب
إلى أي مكان ولا أجتمع بأي كان غير المساجين . وكانوا
يحبونني . هم ظرفاء فعلاً حين تتعرف بهم عن كذب !
ظرفاء وبسطاء إلى حدّ بعيد ، صدقني ! حين كنت أنظر
اليهم أحياناً ما كنت أستطيع أن أصدق أن هذا لص
وان ذلك قاتل وان ثالثاً قد ارتكب شيئاً ما . قلت
مرة لواحد من القتلة : «صحيح أنك قتلت شخصاً؟»

فقال : «أجل ، يا سيدتي يلينا نيقولايفنا ، لقد قتلت . ما فعلتُ فعلتُ !» وتراءى لي أنه - أن ذلك القاتل - حمل وزر غيره على عاتقه ، وأنه كان مجرد حجر ألقى به سواه . هذا ما فكرت ! اشتريت لهم كتباً ، وحرصت على أن يكون هنالك ورق للعب والدومينو في كل زنزانة . وكنت أعطيهم تبغاً وقليلاً من الخمرة . وحين كانوا يخرجون للتنفس فهم يلعبون بالكرة والقضبان الخشبية . كانوا أشبه بالأطفال والله ! وحين كنت أقرأ عليهم قصصاً مسلية كانوا يضحون بالضحك - كالأطفال . واشتريت لهم طيوراً مغردة وأقفاصاً ووضعت واحداً منها في كل زنزانة . وأحبوا طيورهم مثلما أحبوني . وكانوا يحبون أن أرتدي ثياباً زاهية - بلوزة حمراء أو بلوزة صفراء . كانوا يعشقون الألوان البراقة المرححة ! صدقني ! وكنت أرتدي من أجلهم مثل هذه الثياب عن قصد . (تزفر .) كانت الحياة حلوة معهم ! وانقضت ثلاث سنوات دون أن أشعر بها . وحين قتل الحصان زوجي لم أبكه بقدر ما بكيت لأنه لا بدءاً لي من مغادرة السجن . حزنت كثيراً ! وكان المساجين أسفين أيضاً . (تتلقت حواليتها في الغرفة .) وهنا في هذه المدينة حياتي أسوأ . . . هنالك شيء - شيء مشؤوم في هذا البيت . ليس الناس من هم سيئون ، بل شيء آخر . لكن ، إسمع ، لقد استسلمت للأسى - ونال مني

البؤس . هذان نحن نتحدث هنا ، أنت وأنا ، في حين
أن امرأة قد يطويها الردى في تلك الغرفة .
تيتيريف (في هدوء) : ولسنا آسفين عليها .

يلينا (في سرعة) : ألا تأسف ؟

تيتيريف : كلا . ولا أنت تأسفين .

يلينا (بصوت خافت) : كلا ، أنت على حق . قد يكون هذا
خطئاً ، أنا أعرف ، غير أنني لا أشعر بذلك . يحدث
هذا أحياناً : أنت تعرف أن هذا الشيء خطأ ، بيد أنه
لا يلوح كذلك . اسمع . . . فأنا أشفق عليه - على
بيوتر فاسيليفيتش - أكثر مما أشفق عليها . أشفق
عليه عموماً . فهو بائس ههنا ، أليس كذلك ؟

تيتيريف : الجميع هنا بائسون .

بوليا (تدخل) : السلام . . .

يلينا (تثب على قدميها وتسرع نحوها) : هس ! صه !
أتعرفين ما جرى ؟ تناولت تانيا السم !

بوليا : م . . . ا . . . ا ؟

يلينا : أجل ، تناولته . الطبيب وأخوها موجودان لديها
الآن .

بوليا : أهي تموت ؟ هل ستموت ؟

يلينا : لا أحد يدري .

بوليا : فيم فعلت ذلك ؟ هل قالت ؟

يلينا : لست أدري . لا أظن ذلك .

بيوتر (يطل برأسه المشعث من الباب) : يلينا نيقولايفنا ،
لحظة من فضلك . (تسرع يلينا إليه)

بوليا (إلى تيتيريف) : لماذا تنظر إليّ على هذا المنوال ؟
تيتيريف : كم مرة طرحت عليّ مثل هذا السؤال ؟
بوليا : هذا شيء طبيعي - إذا ظللت ترمقني بمثل هذه
النظرة الخاصة ، لماذا تفعل ذلك ؟ (تتجه ناحيته
وتتحدث في صرامة) أتحسبني مسؤولة عن هذا ؟
تيتيريف (يضحك ضحكة مبتسرة) : أ تشعرين بما يشبه
الذنب ؟

بوليا : أشعر أنني أكرهك أكثر وأكثر - هذا ما أشعر به !
لكن قل لي ، كيف حدث ذلك ؟
تيتيريف : البارحة تعرضت لهزة صغيرة ، ولما كانت ضعيفة
سقطت اليوم . هذا كل شيء !

بوليا : هذا ليس صحيحاً !
تيتيريف : ما هو غير الصحيح ؟
بوليا : أعرف هذا الذي تلمح إليه ، ولكنه ليس صحيحاً !
إن نيل . . .

تيتيريف : أهو نيل ؟ ما علاقة نيل بذلك ؟
بوليا : لا شيء . وليست لي علاقة أنا الأخرى . لا علاقة لأي
منا أنت . . . كلا ! أعرف أنه يتبادر إلى ذهنك أنها
خطيئتنا ، لكن ما العمل ؟ أنا أحبه وهو يحبني . وقد
بدأ ذلك منذ زمن بعيد !

تيتيريف (في رزانة) : أنا لا ألومك على الإطلاق . أنت . . .
أنت تتهمين نفسك بشيء ما ، وهذا ما يجعلك تحاولين
تبرير نفسك امام أول من تقابلين . فيم تفعلين
ذلك ؟ أنا . . . احترمك كثيراً . من كان يقول لك

مراراً وتكراراً - بصورة دائمة وفي اصرار - أن
تخرجي من هذا البيت في أسرع وقت ، أن تبتعدي عنه
وانه ثمة شيء مؤذ هنا يسمّ روحك ؟ انا الذي
قلت .

بوليا : اذن ؟

تيتيريف : لا شيء . أردت أن أقول فحسب إنك لو عملت
بنصيحتي لما كنت تعانين مما تعانين منه الآن . هذا
كل شيء !

بوليا : حسناً . لكن ، كيف استطاعت أن تفعل مثل هذا
الأمر ؟ هل حياتها في خطر ؟ ماذا شربت ؟
تيتيريف : لا علم لي .

(يخرج بيوتر والطبيب من الغرفة)

بيوتر : أرجو أن تذهبي وتساعدني يلينا نيقولايفنا ،
يا بوليا .

تيتيريف (إلى بيوتر) : كيف حالها ؟

الطبيب : لأمر بسيط ! لو لم تكن المريضة عصبية لما
حدثت أية نتائج سيئة . فقد شربت كمية قليلة -
وأحرقت المرء قليلاً وتسرب شيء من النشادر إلى
معدتها ، ولكنها لفظته فوراً .

بيوتر : أنت متعب ، يا دكتور . ففضل بالجلوس . . .
الطبيب : شكراً ستشعر بوعكة خلال أسبوع تقريباً . كانت

لدي حالة طريفة قبل أيام : فقد شرب أحد الدهانين
السكرارى قدحاً من الطلاء بدلاً من الجعة . . .
(يفتح بيسيمينوف باب غرفته ويقف هنالك دون أن ينطق
بكلمة ، محدقاً في الطبيب في تساؤل كئيب .)
بيوتر : اطمئن ، يا أبتاه . فليس هنالك خطر !
الطبيب : نعم نعم ! ليس ثمة خطر ، لا تدعر ! في غضون
يومين أو ثلاثة أيام ستقف على قدميها من جديد .
بيسيمينوف : أحقاً تقول ؟

الطبيب : أوكد لك ذلك !
بيسيمينوف : لك شكري ! إذا كان ما تقول حقاً ، إذا كان
صحيحاً ما تقول من أنه ليس ثمة خطر ، فانا أجزى
لك مزيد الشكر ! بيوتر . . . تعال . . . إلى هنا .

(يذهب بيوتر إليه . يتراجع بيسيمينوف الى باب
غرفته . يسمع من هناك صدى همسات ورنين نقود .)

تيتريف (إلى الطبيب) : وماذا حدث للدهان ؟

الطبيب ؛ إيه ؟ ماذا ؟

تيتريف : الدهان . . . ماذا حدث له ؟

الطبيب : هو ؟ لا شيء . تحسنت صحته . هم . يخيل إليّ

أننا التقينا سابقاً ، أليس كذلك ؟

تيتريف : محتمل .

الطبيب ؛ ألم تكن . . . اهه . . . مرة نزيل المستشفى

مصاباً بالحمى التيفية ؟

تيتيريف : صحيح !

الطبيب (مسروراً) أرايت ؟ كنت واثقاً أنني شاهدتك ممن قبل . رويدك . . . كان ذلك في الربيع الماضي . أليس كذلك ؟ ويخال لي أنني أذكر اسمك ولقبك . . .

تيتيريف : وأنا أذكرك .

الطبيب حقاً ؟

تيتيريف : أجل . حين كنت أتماثل للشفاء سألتك أن تزيد نصيبي من الطعام ، فقطبت وجهك وقلت : «كن ممتناً لما يُعطى لك . إن أمثالك من المتشردين والسكرارى كثيرين» . . .

الطبيب (في ارتباك) : كيف هذا ! لكن ذلك . . . ذلك . . . عفوك ، لكن أنت . . . اسمك . . . إذن ، أنا الدكتور نيقولاى ترويروكوف ، و . . .

تيتيريف (يقترّب منه) : وأنا تيرينتي بوغوسلوفسكي سكير بالوراثة وفارس الزجاجة الخضراء . (يتراجع الطبيب من أمامه .) لا تخف ، فلن أؤذيك . (يمر تيتيريف الى جواره متجهاً صوب باب المدخل . يراقبه الطبيب في ارتباك ، يروّح وجهه بقبعته . يدخل بيوتر .)

الطبيب (يتلفت وراءه وينظر الى باب المدخل) : الا انسي يجب أن أذهب . الى اللقاء ! فهناك من ينتظرونني . إذا شكت ألماً كرروا لها القطرات . لكنه لن يكون هنالك ألم شديد . الى اللقاء ! أوه . . . إذن . . . ذلك الرجل الغريب الذي كان هنا لتوّه . . . هل هو . . . من . . . أقربائكم ؟

بيوتر : كلا ، هو مستأجر عندنا .

الطبيب : كذا ! عظيم ! انه غريب جداً ! طاب نهاركم ! شكراً لكم ! (يرافقه بيوتر الى الخارج . يدخل ببسيميونوف وأكولينا إيفانوفنا قادمين من غرفتهما ، ويتجهان على أطراف أصابعهما ، وفي حذر ، ناحية باب غرفة تاتيانا .)

بسسيميونوف : رويدك . لا تدخلني . ليس ثمة صوت . قد تكون نائمة . لا يجوز أن نوقظها . (يقود أكولينا إيفانوفنا ناحية الصندوق في الركن .) هذه هي الامور ، يا أمّ ، لقد عشنا لنرى يوم العيد ! ستنتطلق الأقاويل والثرثرة في البلدة الآن ، ولن يكون لها انتهاء !

أكولينا إيفانوفنا : أيها الأب ! ماذا بك ؟ ماذا تقول ؟ فليثرتوا ما طاب لهم . فليقرعوا الأجراس بهذا النبأ حسبنا ان تبقى حية !

بسسيميونوف : أجل ، أنا أعرف . . . هذا صحيح ! ولكنك . . . يا للخسارة ! انت لا تفهمين الأمر ! لقد لحق بنا العار انا وانت !

أكولينا إيفانوفنا : العار ؟ لماذا ؟

بسسيميونوف : أن تحاول ابنتك الانتحار بالسّم ! فاهمة ؟ هل آذيناها ؟ زعلناها ؟ هل كنا قساة معها ؟ اما هم فسوف يقولون عنا ما يشاؤون . لست أبالي ، أستطيع أن أحتمل كل شيء في سبيل أولادي ، لكن فيم يترتب عليّ ذلك ؟ ماذا فعلت لينوبني ذلك ؟ هذا ما أحب أن أعرفه . أولادي ! هم يعيشون

صامتين . ماذا في قلبيهما ؟ لست أدري . ماذا يدور في خلدكما ؟ لا يمكنني أن أحمّن ! وهذا ما يحزّ في نفسي !

أكولينا إيفانوفنا : أنا أعرف . وهو يحزّ في نفسي أيضاً . فأنا أمهما في نهاية المطاف . اليوم بطوله استنفد نفسي في سبيلهما ، ولا أتلقى منهما كلمة شكر واحدة . أنا أعرف ! لا أبالي كثيراً بذلك إذا كانا في صحة جيدة وسعادة ، أما أن يقع ما وقع !

بوليا (تخرج من غرفة تاتيانا) : انها تستسلم للنوم . الزموا الهدوء في كلامكم . . .

بيسيمينوف (ناهضاً) : كيف حالها ؟ هل يمكن أن ندخل ونراها ؟

أكولينا إيفانوفنا : ماذا لو دخلت في هدوء ؟ والدما وأنا فقط . . .

بوليا : أمر الطبيب ألا يراها أحد .

بيسيمينوف (متشككاً) : وكيف تعرفين هذا ؟ فأنت لم تجتمعي بالطبيب .

بوليا : أخبرتني بذلك يلينا نيقولايفنا .

بيسيمينوف : أهى هنالك في الغرفة ؟ ما رأيك في هذا ؟ الغرباء يرونها وأبواها ممنوعان . شيء مدهش حقاً .

أكولينا إيفانوفنا : سنتناول الطعام في المطبخ بحيث لا نسبب لها ازعاجاً ، ابنتي الغالية ! وغير مسموح لي باختلاس نظرة واحدة إليها ! (تخرج الى باب المدخل وهي تلوّح بيدها في يأس . تقف بوليا مستندة إلى الخوان محدقة

في باب غرفة تاتيانا . حاجباها مقطبان ، وشفاتها
منطبقتان ، وجسدها مشدود . يجلس بيسيمينوف الى
المنضدة كمن ينتظر شيئاً .)

بوليا (في لطف) : هل كان والدي هنا هذا النهار ؟
بيسيمينوف : أنت لا تسألين عن والدك . فما يهمك منه ؟
أعرف أنا عن تسألين . (تنظر إليه بوليا في
انشداه .) أجل كان والدك هنا . . . في ثيابه الرثة
القدرة ، مجرداً من كل ما يخلع عليه ذرة من اللياقة .
ومع هذا عليك أن تحترمه باعتباره والدك .

بوليا : أنا احترمه . فيم تنبئني بذلك ؟
بيسيمينوف : لكي تعرفيه . والدك أفاق ، ومع هذا من
واجبك الخضوع لمشيئته . هل تعرفون انتم الشبان
قيمة الأب ؟ أنتم الشبان جميعاً عاطلون من أي
شعور . انظري إلى نفسك - فتاة فقيرة ، لا تملكين
سقفاً . من المفترض أن تكوني متواضعة ، أن تكوني
لطيفة ورقيقة مع الجميع ، وبدلاً من هذا تحاولين أن
تفلسفي كما تشائين وان تحاكي المثقفين . هكذا .
والآن ستتزوجين ، بينما في تلك الغرفة فتاة كادت
تفقد حياتها . . .

بوليا : ماذا تقصد ؟ فيم تقول مثل هذا الكلام ؟
بيسيمينوف (في اضطراب من فقسد الترابط في أفكاره
مغضب) : فكري في الأمر . حاولي أن تفهمي . لهذا
السبب أنا أقول هذا الكلام ، كيما تفهمي ! من أنت ؟
شيء ، ومع هذا . . . ستتزوجين ! اما ابنتي . . .

فيم وقوفك هنا ؟ اذهبي الى المطبخ ! اصنعي اي شيء ! سأتولى أنا المراقبة ، فاخرجي أنت ! (تنظر بوليا اليه في حيرة ، وتستدير للانصراف .) لحظة ! أنا . . . أنا . . . كنت قاسياً مع أبيك هذا النهار . . .

بوليا : لماذا ؟

بيسيمينوف : ليس هذا من شأنك ! اذهبي . . . اخرجي ! (تخرج بوليا مشدوهة . يتحرك ببسيمينوف في هدوء ناحية باب غرفة تاتيانا ، ويفتحه قليلاً ليسترق النظر من خلاله . تخرج يلينا وتبعده عن الباب)

يلينا : لا تدخل . يبدو أنها نائمة !

بيسيمينوف : هم . في مقدوركم جميعاً أن تزعجوننا كما تستطيون ، هذا لا يهمكم ، ولا نملك نحن الحق في ازعاجكم .

يلينا (مشدوهة) : ماذا تقول ؟ انها مريضة !

بيسيمينوف : أعرف . . . أعرف كل شيء . (يخرج الى باب المدخل . تهزُّ يلينا كتفها وهي تلاحقه بنظراتها . ثم تخطو إلى النافذة ، وتجلس على الأريكة ، وتشبك يديها وراء رأسها ، وتستغرق في أفكارها . تلهو على شفيتها بسمة ، وتغلق عينيها حالمة . يدخل بيوتر كثيباً مشوش الهمدام . ينفض رأسه كمن يريد أن يتخلص من شيء . يتوقف حين يرى يلينا)

يلينا (دون أن تفتح عينيها) : من هنا ؟

بيوتر : فيم تبسمين ؟ غريب أن أرى أحداً يبتسم الآن ،
بعد كل ما جرى .

يلينا (تنظر إليه) : غضبان ؟ تعبان ؟ يا للصبى المسكين !
لكم أرثي لك !

بيوتر (يجلس على الكرسي الى جانبها) : أنا نفسي أشعر
بالرثاء على نفسي .

يلينا : يجب أن ترحل إلى مكان ما .

بيوتر : أعرف ذلك . حقاً ، ما الذي يبقيني هنا ؟ هذه الحياة
ترهقني الى حد بعيد .

يلينا : كيف تتمنى أن تعيش ؟ أخبرني ! ما أكثر ما طرحت
عليك هذا السؤال دون أن تعطيني عنه جواباً .

بيوتر : صعب أن أكون صريحاً .

يلينا : معي أنا ؟

بيوتر : حتى معك أنت . أنى لي أن أعرف رأيك فيّ ؟ او
كيف تتقبلين ما قد أقول لك ؟ يخيل إليّ أحياناً

أنك . . .

يلينا : أننى ماذا ؟

بيوتر : أنك طيبة . . .

يلينا : انني اضمر لك كثيراً من الطيبة يا صبيبي !
بيوتر (في حمية) : أنا لست صبيياً ! كلا ! لقد أطلت التفكير .

فاسمعي ، واخبريني بصدق - أثير اهتمامك كل هذه

الهموم الصاخبة لنيل ، وشيشكين ، وتسفيتايفسا ،

وجميع الآخرين من أصحاب الأصوات الطنانة ؟ كل تلك

القراءات المشتركة بأصوات عالية للكتب المفيدة وتلك

المسرحيات التي يقدمونها للعمال مما يعتقد انه أسلوب معقول لتزجية الوقت ونشاطاتهم الصاخبة كلها . . . هل هي نشاطات لها أهميتها حقاً ؟ هل هي جديرة أن يكرس المرء لها حياته كلها ؟ ما رأيك ؟

يلينا : أنا جاهلة ، عزيزي ! ولا أستطيع أن أحكم ، فانا لا أعرف . . . وأنا امرأة طائشة . وهم يبدون لطفاء في نظري - نيل وشيشكين والآخرين جميعاً . هم مرحون متالقون ودائماً يقومون بعمل من الأعمال . وأنا مغرمة بالناس المرحين . فأنا نفسي مرحة . لكن ، فيم تسأل ؟

بيوتر : لأنهم يثيرون أعصابي ! إن كانوا يستلذون هذه الحياة وتناسبهم فليعيشوها ! فلا اعتراض لديّ على ذلك . أنا لا أعارض على أحد ، مقابل ان لا يعترض على الطريقة التي أعيش بها . لماذا يمنحون عملهم أهمية خاصة ؟ فيم يسمونني جباناً وأنانياً . . .

يلينا (تلمس رأسه بيدها) : لقد عذبوك . . . واتعبوك . . . **بيوتر** : أبداً ، هذا غير صحيح . أنا متضايق فحسب . إن لي الحق في أن أعيش كما أهوى أنا ! أفلا أملك هذا الحق ؟

يلينا (تعبث بشعره) : هذا سؤال صعب أيضاً ، بالنسبة إليّ . انني أعرف امرأ واحداً وهو انني أعيش كما أهوى ، وأتصرف حسب رغباتي ، ولا يستطيع أحد ان يقنعني بالذهاب إلى الدير . لن أذهب إلى هناك

أبدأ ! وإذا أرغموني على ذلك هربت أو القيت بنفسي
في النهر . . .

بيوتر : أنت تقضين معهم من الوقت أكثر مما تقضين
برفقتي . ويعجبونك أكثر مما أعجبك أنا ! أنا أحس
ذلك . لكن ما وددت أن أقول لك - وبمقدوري أن
أقول هذا ! - أنهم براميل فارغة .

يلينا (مشدوهة) : هم ماذا ؟

بيوتر : براميل فارغة . هنالك اسطورة عن براميل
فارغة . . .

يلينا : أعرفها . ولكن . . . هل أنا أيضاً . . . يعني أنا
برميل فارغ أيضاً ؟

بيوتر : أوه كلا ! أما أنت فلا ! أنت تنبضين حياة . أنت
تنعشين المرء مثل جدول !

يلينا : كذا ! يعني هذا أنني باردة في نظرك ؟

بيوتر : أرجوك لا تمزحي ! هذه اللحظة . . . ولكنك
تضحكين . لماذا ؟ أمضحك أنا ؟ أريد أن أعيش ،
أعيش كما يطيب لي ، وكما أراه مناسباً !

يلينا : ولِمَ لا تفعل ؟ من يمنعك ؟

بيوتر : من ؟ هنالك شخص - أو شيء ! كلما فكرت أن
أعيش وحيداً مستقلاً هياً لي أن شخصاً يقول إن هذا
غير جائز لي !

يلينا : ضميرك ؟

بيوتر : وما شأن الضمير بهذا ؟ أنا لست راغباً في اقتراف

جريمة . أريد فقط ان اكون حراً . . . أريد ان أقول . . .

يلينا (تنحني نحوه) : هذه الاشياء لا تقال بهذه الطريقة ! ينبغي قولها ببساطة اكثر ! ولسوف أساعدك ، يا صغيري المسكين ، بحيث لا تختلط عليك هذه الأمور البسيطة .

بيوتر : انت تعذبيني بالمزاح ، يا يلينا نيقولايفنا ! هذه قسوة منك ! ما أريد أن أقول هو : هذا أنا ، أعري روحي أمامك !

يلينا : ليس هذا ما يجب ان تقوله !
بيوتر : قد أكون رجلاً ضعيفاً . فالحياة أقوى مني كثيراً ! وأنا احسّ وضاعة ما يحدث بي ، ولكنني عاجز عن تبديله أو ان ادخل شيئاً فيه . أريد ان ارحل ، وان أعيش وحيداً . . .

يلينا (تأخذ رأسه في يديها) : ردد ورائي ما أقول : أنا احبك !

بيوتر : اجل ، اجل ! ولكنك تهزئين !
يلينا : كلا ، أنا لا أهزل ، بل أنا اتحدث بجدية مطلقة . لقد قررت منذ زمن طويل ان أتخذك زوجاً ! قد لا يكون هذا امرأ طيباً ، ولكنني أريده بصورة مرعبة .
بيوتر : ما أسعدني ! احبك مثل . . . (يسمع أنين تاتيانا وراء الجدار . يشب بيوتر ويتطلع حواليه في ارتباك . تنهض يلينا بدورها في هدوء . يقول بيوتر بصوت خافت .) أهذه تانيا ؟ وهذان نحن ها هنا . . .

يلينا : (تمر به متجهة الى غرفة تاتيانا) : نحن لا نرتكب
إثماً .

صوت تاتيانا : ماء ! أعطوني ماء !

يلينا : أنا قادمة . (تبتسم لبيوتر وتذهب . يقف بيوتر
ممسكاً رأسه بيديه محدقاً أمامه في حيرة . ينفتح
باب المدخل وتقف أكوлина إيفانوفنا عند المدخل .)
أكوлина إيفانوفنا (في همسة مرتفعة) : بيتيا ! بيتيا ، أين
أنت ؟

بيوتر : هنا .

أكوлина إيفانوفنا : تعال وتناول طعامك .

بيوتر : لا أريد . لن آتي .

يلينا (تخرج من غرفة تاتيانا) : انه ذاهب الى غرفتي .

(تلقي عليها أكوлина إيفانوفنا نظرة مستاءة ، وتخرج .)

بيوتر (يندفع ناحية يلينا) : ما أفضح ما حدث ! هناك هي
تضطجع أما نحن . . . نحن . . .

يلينا : هيا . ما وجه الفظاعة في هذا ؟ حتى في المسرح يقدمون
دائماً شيئاً خفيفاً بعد المسرحية الثقيلة . أما في الحياة
الحقيقية فنحن أحوج ما نكون الى ذلك .

(يلتصق بيوتر بها فتتأبط ذراعه وتقوده خارجاً)

تاتيانا (تثن بصوت خشن) : لينا ! لينا !

(تدخل بوليا راکضة)

ستار

الفصل الرابع

(الغرفة ذاتها)

المساء . مصباح على المنضدة يرسل ضوءه في الغرفة . بوليا تهبط أدوات الشاي . تاتيانا التي لا تزال مريضة مضطجعة على الكنبة في الركن بعيدة عن متناول ضوء المصباح . تسفيتايفا تجلس على الكرسي الى جوارها .

تاتيانا (في رقة وعتاب) : اتحسبن أنني لا أريد أن أواجه الحياة بمرح وجرأة مثلك ؟ لكم أريد ذلك . . . ولكنني لا أستطيعه ! ولدت دون إيمان في قلبي . وتعلمت أن افكر .

تسفيتايفا : أنت تفكرين يا عزيزتي أكثر من اللازم . وعليك الاعتراف ان الامر لا يستأهل من المرء ان يكون ذكياً لمجرد التفكير حسب . أليس كذلك ؟ بلى التفكير شيء طيب ، لكنه يترتب أن يكون لدى المرء شيء من الخيال أيضاً . وإلا كانت حياته مملة وعبثاً لا يطاق . ينبغي أن يكون قادراً على تكوين رؤيا عن المستقبل . . . ولو من حين الى حين على أقل تقدير .

تبتسم بوليا في حنان وتأمل وهي تصغي الى تسفيتايفا
في انتباه)

تاتيانا : وماذا هنالك في المستقبل ؟

تسفيتايفا : أي شيء تريد أن تنعمي برؤيته !

تاتيانا : ولكن . . . لا بد أن يكون لديك خيال واسع !

تسفيتايفا : بل يجب أن يكون لديك الإيمان .

تاتيانا : الإيمان بماذا ؟

تسفيتايفا : بالحلم الذي تحلمين . اسمعي . . . عندما أنظر

في عيون تلاميذي أروح أفكر : هذا نوفيكونوف - حينما

ينهي المدرسة سيذهب الى الثانوية وبعدها الى

الجامعة - وقد يغدون طبيياً كما يبدو لي ! إنه تلميذ

مجتهد ، طيب وجدّي ، وله جبين عريض . وهو قريب

من قلوب الناس . ولطيف . لسوف يعمل جاداً ، دون

أن يخطر له الربح في بال ، وسيحبه الناس ويحترمونه

كثيراً ، وهذا ما أنا واثقة منه ! وذات يوم ، وهو

يستعيد ذكريات طفولته ، سيتذكر كيف أن معلمته

تسفيتايفا أصابته في أنفه حين كانت تلاعبه في

الفرصة . أو لعله لا يتذكر . فالأمر سيان ! ولكنه

سيتذكر دون ريب . فهو يحبني كثيراً . كما أن هنالك

كلوكوف المهلهل الثياب القذر الوجه الشارد الذهن .

انه كثير الجدل مشاكس شيطان . هو يتيم - يعيش

مع عمه الحارس الليلي . وهذا فقير جداً ، ولكنه فتى

عزيز النفس جسور ! أظن أنه سيصير صحفياً عندما

يكبر . آه لو تعرفين عدد الأولاد الظرفاء في صفي !

وأنا على الدوام أفكر من غير قصد في مستقبلهم والدور

الذي سوف يلعبون في الحياة . ما أمتع أن أتصور كيف

سيعيش تلاميذي . شيء تافه ، يا تانيا ، لكنك لا
تصورين مقدار السعادة التي يمنحنيها !
تاتيانا : وانت ، أين أنت نفسك ؟ قد يكون لتلاميذك
مستقبل برّاق في انتظارهم ، أما انت فأين تكونين
يومها ؟

تسفيتايفا : أتشيرين أنني قد أكون غدوت في القبر ؟ أبدأ !
عزمت أن أعيش حياة مديدة !
بوليا (تتنفس الكلمات في رقة ولطف) : ما أعذبك ، يا
ماشيا ! ما أطيبك . . .

تسفيتايفا (تبتسم لبوليا) : أخذتُ العصفورة الصغيرة
تغرد . . . أنا لست عاطفية ، يا تانيا ، لكنني حين
أفكر في المستقبل ، في أناس المستقبل ولون الحياة
التي سيعيشون ، تطفح في جوانحي أحاسيس عذبة
حزينة - كأن يوماً خريفياً منعشاً يشرق في قلبي . . .
تعرفين ما أعنيه بهذا القول ، ذلك حين تشرق في السماء
الصافية شمس وديعة ، ويشف الهواء ويسكن ، ويسبغ
الوضوح على الأفق البعيد - فالجو منعش وليس
بارداً ؛ مشمس وليس حاراً .

تاتيانا : أحلام ! أحلام ! بالمناسبة ، أنا أعتقد انكم جميعاً ،
أنت ونييل وشيشكين والآخرين ، من ذلك الصنف الذي
يقدر أن يعيش فعلاً على الأحلام ، أما أنا فلا أستطيع .

تسفيتايفا : رويدك ، فهي ليست مجرد أحلام . . .

تاتيانا : لم يبدُ لي أبدأً أي شيء حقيقياً . لا شيء . فيما
عدا أن هذا الشخص هو أنا ، وهذه الجدران . حين

أقول «نعم» أو «لا» ، فلا أقول ذلك عن اقتناع ، بل أقول لمجرد أن أجيب فحسب . والله ! وأحياناً حين أقول «كلا» افكر بيني وبين نفسي فوراً : أكنت على صواب ؟ أمّا كان يجب أن أقول «نعم» ؟

تسفيثايفا : أنت تستمتعين بذلك . إمعني الفكر في نفسك : أفلست مفتونة حتى درجة ما بهذا «الازدواج في الشخصية» ؟ أو لعلك خائفة من أن تضعي إيمانك في أي شيء . فالإيمان يتطلب مسؤوليات .

تاتيانا : لست أدري . . . صدقيني لست أدري . اهديني الى إيمانك . فأنتم تهدون الآخرين . (تضحك في رقة .) آرثي لأولئك الذين يصدقونكم . فأنتم تخدعونهم ! فالحياة كانت دائماً وستظل الى الأبد كما هي الآن - دامسة خائفة !

تسفيثايفا (باسمة) : أحقاً ؟ قد لا يكون هذا ؟

بوليا (كمن تخاطب نفسها) : لن يكون !

تاتيانا : ماذا قلت ؟

بوليا : قلت لن يكون هذا !

تسفيثايفا : عظيم ، أيها العصفور الصغير الوديع !

تاتيانا : واحدة أخرى من المؤمنين المساكين ! لكن أسألها لماذا لن يكون هذا ؟ وما الذي سيبدلها ؟ أسألها . . .

بوليا (تقترب منهما في هدوء) : المشكلة هي ان . . . الحياة في الوقت الراهن ليست ملكاً للجميع ! فليلون مسن الناس يعيشون حقاً . والغالبية فيهم لا يجدون وقتاً

لذلك . الوقت الوحيد الذي يملكون هو في سبيل
العمل . . . الحصول على لقمة العيش . أما حينما هم
أيضاً . . .

شيشكين (يدخل مسرعاً) : مرحباً للجميع ! (الى بوليا) مساؤك
سعيد ، يا ابنة الملك دونكان ذهبية الشعر !

بوليا : ماذا ؟ أي ملك ؟

شيشكين : أها ! ضبطتك ! من الواضح انك لم تقرئي اذن
هايني الذي تركته لديك قبل أسبوعين . طاب
مساؤك ، يا تاتيانا فاسيلييفنا !

تاتيانا (تمدّ له يدها) : ليس لديها وقت للكتب الآن .
فلسوف تتزوج .

شيشكين : حقا ؟ تتزوج ؟ ممن ؟

تسفيتايفا : من نيل .

شيشكين : نيل ! في هذه الحال بمقدوري حتى ان أهنتك ،
ولكنني بصورة عامة لا أرى شيئاً حكيماً في الزواج ،
وما يتبع ذلك من أمور . فالزواج في الظروف
الراهنة . . .

تاتيانا : أوه ، أسكت ! ارحمنا ! فلطالما سمعنا وجهات
نظرك في هذا الموضوع .

شيشكين : حسناً سأسكت ! فليس لديّ وقت ، على أية
حال . (الى تسفيتايفا) هل تأتين معي ؟ عظيم ! أين
بيوتر ؟

بوليا : فوق .

شيشكين : هم . . . كلا ، لن أذهب إليه ! أخبريه أنت ،

يا تاتيانا فاسيلييفنا ، أو أنت ، يا بوليا ، أنسي
فعلتها من جديد . . . وأن . . . الدروس لدى
بروخوروف شاعرة .

تسفيتايفنا : من جديد ؟ أنت سيي " الحظ. حقاً !

تاتيانا : هل تشاجرتما ؟

شيشكين : في الحقيقة . . . ليس تماماً ! حاولت أن أكون
مهذباً . . .

تسفيتايفنا : ما هو السبب ؟ أما كنت نفسك مسروراً من
بروخوروف ؟

شيشكين : نعم ! كنت كذلك ، اللعنة على كل شيء ! وفي
الحقيقة أنه افضل من كثيرين . هو ليس غيبياً ، لكنه
متبجح بعض الشيء ، وثرثار ، وعموماً . . . (ينفجر
فجأةً .) هو حيوان !

تاتيانا : أشك في أن يؤمن بيوتر لك تلميذاً آخر بعد
هذا . . .

شيشكين : اجل . . ل . قد يستبدّ به الغضب مني .

تسفيتايفنا : ماذا حدث بينك وبين بروخوروف ؟

شيشكين : أتصورين ذلك ؟ لقد تبين أنه معادٍ للسامية !

تاتيانا : وما شأنك في ذلك ؟

شيشكين : ولكن هذا لا يليق ! لا يمكن ان ينطوي رجل مثقف

على مثل هذه المشاعر ! وعموماً فهو برجوازي ، هذه

حقيقته ! اليك هذه القصة على سبيل المثال : شرعت

خادمتها تداوم على مدرسة الأحد . رائع ! هو نفسه

ألقي عليّ خطبةً طويلة مملّة عن فائدة هذه

المدارس - رغم أنني لم أطلب منه ذلك ! بل لقد تباهى
بأنه واحد من مؤسسي هذه المدرسة . حسناً ، لقد
رجع ذاتَ يومٍ أحدٍ الى البيت ، و - يا للهول ! -
فتحت له الباب المربية بدلاً من الخادمة . سأل أين
هي الخادمة ؟ فأجابته : في المدرسة . هكذا اذن ! وإذا
به منع الخادمة من الذهاب الى المدرسة ! ما رأيك في
هذا ؟

(تهزّ تاتيانا كتفيها ولا تقول شيئاً)

تسفيينايفا : وجميع تلك الخطب التي كان يلقيها !
شيشكين : ان بيوتر يؤمن لي عموماً طلاباً من الجهلة ، كأنه
يسخر مني .

تاتيانا (في جفوة) : ان لم يُخطئني الظن فقد كنتَ مسروراً
من الصراف . . .

شيشكين : فعلاً . كان عجوزاً طيباً ، ولكنه من هواة جمع
النقود ! كان على الدوام يدسّ قطعاً نحاسية تحت
أنفي ويهذي عن القياصرة والأباطرة والفرعنة في
عرباتهم الحربية . ملّكتُ منه حد انني لم استطع بعد
تحمل ذلك ، وعالنته ذات يوم قائلاً : «اسمع ، يا
فيكينتي فاسيليفيتش ، ان كل هذا الاشياء محض
تفاهات في نظري ، وان أي حجر في الطريق اكثر قدماً
من قطعك النقدية» . فأثار ذلك غضبه . قال : «أترمي
الى أنني أضعت خمس عشرة سنة من حياتي على أشياء

تافهة؟» فأجبتة بالايجاب ، وحين دفع حسابي استنزل نصف روبل . إحتفظَ به لمجموعته على ما أظن . ولكن ذلك قليل الشأن . أما هذه القضية مع بروخوروف فأنا . . . هم . . . (في كآبة .) ان لي خلقاً سيئاً ! (في عجلة) ماريا نيكيثينا ، لقد أذف أو ان ذهابنا ! هيا بنا !

تسفيتاييفا : أنا على استعداد . وداعاً ، يا تانيا ! غداً هو يوم الأحد ، وسآتي لرؤيتك صباحاً .

تاتيانا : أشكرك . أشعر فعلاً أنني نوع من العشب الزاحف تحت اقدامكم - فما فيَّ شيء جميل أو نافع - بل إنني أحول دون الناس الذين يسرون ، اذ أتشبث

. . . بهم

شيشكين : هه° ! يا للفكرة المربعة !

تسفيتاييفا : من المؤلم أن يسمعك المرء تقولين مثل هذا الكلام ، يا تانيا .

تاتيانا : رويدك . اسمعي لقد عرفت . . . عرفت منطق الحياة القاسي : ليس بمقدور ذلك الذي لا يستطيع الايمان بشيء ، ان يعيش ، بل . . . وليس عليه الا ان يموت !

تسفيتاييفا (باسمة) : حقاً ؟ ولكنه قد لا يموت !

تاتيانا : أنت تسخرين مني . أليس لديك شيء أفضل تفعلينه ؟ أهنك حاجة الى الضحك مني ؟

تسفيتاييفا : هذا غير صحيح ، يا عزيزتي ، فأنا في الحقيقة لا أسخر منك ! مرضك هو الذي يجعلك تقولين مثل

هذا الكلام - مرضك وتعبك ولست انت . . . حسناً ،
وداعاً ! ولا تحسبي أننا أشرار وغلاظ قلوب . . .

تاتيانا : اذهبوا ! وداعاً !

شيشكين (الى بوليا) : حسناً ، متى تشرعين في قراءة هايني ؟
أوه ، لقد نسيت ، فأنت ستتزوجين . هم ! كان في
مقدوري أن أقول شيئاً أو شيئين ضد هذا ، لكن . . .
وداعاً ! (ينصرف في اثر تسفيتايفا . صمت .)

بوليا : يخال لي أن صلاة الغروب ستنتهي قريباً . هل أطلب
جلب السماور ؟

تاتيانا : لا أحسب أن والدي سيشر بان الشاي . لكن
افعلي ما تشائين . (صمت) في الماضي كان الصمست
يثقل على أعصابي ، أما الآن فأنا مسرورة مسن ان
السكون يسود بيتنا .

بوليا : أما حان وقت تناولك الدواء ؟

تاتيانا : كلا . كان الجو في بيتنا الايام الاخيرة صخباً وضجيجاً
كثيراً . ما أصخب شيشكين هذا . . .

بوليا (تقترب منها) : انه انسان لطيف حقاً .

تاتيانا : طيب القلب ، لكنه ليس ذكياً .

بوليا : انه طيب ، ولديه جرأة . ما ان يرى شيئاً غير عادل
حتى يقف ضده . أرايت كيف اهتم بحادثة الخادمة ،
فمن يهتم بحياة الخادمت وغيرهن من الناس الذين
يعملون لدى الأثرياء ؟ اما أبدى أحدهم اهتماماً فهل
يجرؤ هذا ان يقف الى جانبهم ؟

تاتيانا (دون أن تنظر الى بوليا) : قولي لي ، يا بوليا . . .

الست خائفة من الزواج من نيل ؟
بوليا (مشدوهة وفي هدوء) : لماذا أخاف ؟ لست خائفة
طبعاً .

تاتيانا : لماذا ؟ لو كنت مكانك لانتابني الخوف - أقول لك
هذا لأنني أحبك ! فأنت لست مثله . أنت فتاة بسيطة ،
أما هو فما أكثر ما قرأ من كتب ! هو مثقف . وقد
يضجر منك . هل فكرت في هذا ، يا بوليا ؟
بوليا : كلا ، أنا أعرف أنه يحبني .

تاتيانا (في مضض) : لا يمكن للمرء أن يعرف ذلك . . .

(يدخل تيتيريف حاملاً السماور)

بوليا : شكراً لك ! سأحضر الحليب . (تخرج .)
تيتيريف (وجهه منتفخ بتأثير الشراب) : في طريقي عبر
المطبخ أوقفتني ستيبانيدا وطلبت اليّ قائلة : «يا
سيدي المحترم ! احمل السماور ! وسأعطيك لقاء ذلك
شيئاً من الخيار المخلل ومرق المخلل حين تحتاج
اليه . . . » . فاستجبت للاغراء ، أنا الشره .

تاتيانا : هل حضرت صلاة الغروب ؟
تيتيريف : كلا ، لم أذهب هذا اليوم . كنت أعاني صداعاً .
كيف حالك ، أتشعرين بتحسّن ؟

تاتيانا : لا بأس ، لك شكري . يطرحون عليّ هذا السؤال
عشرين مرة يومياً . سأشعر بمزيد من التحسن لو كان
هذا البيت أقل ضجيجاً . فهذا الهرج والمرج يثيرانني

قليلاً - فالجميع يصرخون ويتراکضون . ووالدي
يعنف نيل على الدوام ، وأمي تطلق زفرتها دون
توقف ، وأنا أستلقي هنا أراقبهم جميعاً ، عاجزة عن
رؤية أي معنى لما يسمونه - جميعهم - الحياة .
تيتيريف : كلا ، هذا شأن يثير الفضول ! أنا شخص غريب ،
ولا أشارك في شؤون هذه الأرض - بل أعيش بدافع
من الفضول - ومع هذا أجد أن الحياة طريفة جداً .
تاتيانا : أنت فيما أعرف لا تطالبها بشيء . فما هي الطرافة
التي تجدها هنا ؟

تيتيريف : الناس يضبطون أنفسهم لغرض ان يحيوا . وأنا
أحب أن أسمع الموسيقيين في المسرح وهم يضبطون
أبواقهم وكماناتهم . عندها تلتقطين نغمات صائبة
كثيرة - وأحياناً جملة موسيقية لطيفة . وتستبد بك
رغبة متسارعة في معرفة - أية معزوفة سيلعبون ، ومن
هو العازف المنفرد ، وما هي المقطوعة الموسيقية .
والشيء ذاته يحدث هنا - فالناس يضبطون أنفسهم .
تاتيانا : قد يكون هذا صحيحاً على المسرح . يدخل قائد
الفرقة ، يلوح بعصاه ، فيبدأ الموسيقيون يعزفون
شيئاً قديماً مبتدلاً خالياً من كل شعور ، وبصورة
سيئة . أما هنا ؟ . . . أما هؤلاء . . . فما الذي
يستطيعون أن يقدموا ؟ لا أعرف .

تيتيريف : سيقدمون نغماً صارخاً كما أظن . . .
تاتيانا : سنرى . (صمت . يشعل تيتيريف غليونه .) لماذا
تدخن الغليون بدلاً من الدخينة ؟

تيتيريف : هذا أنسب لي . أني جوّاب أفاق . أفضي معظم أيام السنة في الترحال . وعما قريب سأرحل - حالما يحلّ الشتاء .

تاتيانا : الى أين ؟

تيتيريف : لست أدري . فالأمر سيان .

تاتيانا : ستتجمد حتى الموت في مكان ما حين تكون سكران .

تيتيريف : أنا لا أشرب مطلقاً حين أنطلق على الطريق . وماذا

لو تجمدت حتى الموت ؟ من الأفضل أن يتجمد المرء وهو

يسير من أن يتعفن وهو قابع لا يأتي حركة .

تاتيانا : أنت تلمّح اليّ ، أليس كذلك ؟

تيتيريف (يشب مهلوعاً) يا الهي الطيب ، أبدأ ! كيف يخطر

لك هذا في بال ! فلست وحشاً !

تاتيانا (باسمة) : لا يقلقنك الأمر . فلست أبالي . لقد

فقدت الاحساس بالألم . (في مرارة .) الجميع يعرفون

ذلك . نيل ، وبوليا ، ويلينا ، وماشا - يتصرفون

جميعاً كالأغنياء الذين يلتهمون النقل دون أن يلقوا

بالألم الى أحاسيس المستعطي الذي يراقبهم .

تيتيريف (يقطب وجهه ويتحدث من خلال أسنانه المطبقة) :

لماذا تهينين نفسك على هذا المنوال ؟ يجب ان تحترمي

نفسك . . .

تاتيانا : حسناً . . . فلنتحدث في موضوع آخر ! (صمت)

حدثني عن نفسك قليلاً . فأنت لا تتحدث أبداً عن

نفسك . لماذا ؟

تيتيريف : الموضوع كبير جداً ، ولكنه لا يثير اهتماماً .

ناتيانا : بالعكس ! أخبرني ما يلي : لماذا اخترت هذا الأسلوب الغريب في الحياة ؟ أنت تبدو لي ذكياً موهوباً . فما الذي أصابك في الحياة وجعلك على هذا الشكل ؟

تيتيريف (مكشراً عن أسنانه) : ما الذي أصابني ؟ انها قصة طويلة مملة لو شئت أن أسردها عليك بكلماتي الخاصة .

خرجت أفتش عن فرحتي
فعدت بلا فرحة أو حذاء
تعريت ، والله ، من بدلتي
ومن كل أمنية أو رجاء

هذا التوضيح جميل جداً بالنسبة الى حالتي رغم قصره . ويجب أن أضيف ان الانسب في روسيا ، والاهدأ ، بالنسبة للمرء ان يكون سكيراً جواباً آفاق ، عن ان يكون صاحباً شريفاً مجتهداً . (يدخل بيوتر ونيل .) وحدهم القساة الأصلاب كالسيف يستطيعون أن يشقوا لأنفسهم درباً في هذه الحياة . آه ، يا نيل ! أين كنت ؟

نيل : في المحطة . لقد ربحت لتوِّي معركة وحقت انتصاراً باهراً . ان رئيسنا الأحمق . . .

بيوتر : أعتقد انهم سوف يطردونك من العمل عما قريب . . .
نيل : فأجد لنفسي عملاً آخر .

ناتيانا : إسمع ، يا بيوتر . لقد تشاجر شيشكين مع

بروخوروف ، ولم يجرؤ أن يخبرك بذلك بنفسه
و . . .

بيوتر (مغتاضاً) : اللعنة ! شيء فظيح ! ذلك يضعني في موقف
صعب امام بروخوروف الآن . ويحرمني أخيراً امكانية
مساعدة زميل آخر .

فيل : لا تغضب قبل الاوان ! فأنت تجهل من هو على حق
ومن هو على خطأ ؟

بيوتر : أنا عارف !

تاتيانا : شيشكين لا يعجبه ان يكون بروخوروف معادياً
للسامية .

فيل (ضاحكاً) : آه ياله من ديك عزيز مشاكس !

بيوتر : هذا يلائمك بالطبع . فأنت ، أيضاً ، لا تحترم
وجهات نظر الاشخاص الآخرين . يا لكم من متوحشين !
فيل : مهلاً ! هل تستطيع أنت نفسك احترام المتعصبين ضد
اليهود ؟

بيوتر : أنا ليس لي أي حق لأخذ بتلابيب أي انسان بسبب
من أفكاره ، مهما يكن شكل هذه الأفكار !

فيل : أما أنا فأخذ بها . . .

تيتيريف (يجيل بصره بهدوء في الطرفين المتنازعين) : هيا ،
وافعل ذلك !

بيوتر : من . . . من أعطاك هذا الحق ؟

فيل : الحقوق لا تعطى ، بل تؤخذ . على الانسان أن ينتزع
حقوقه بنفسه اذا لم يكن يريد أن ينسحق تحت عبء
الالتزامات . . .

بيوتر : ولكن اسمع ! . . .
تاتيانا (في سأم) : يبدأ الشجار اذن ! يا لهذا الشجار الذي
لا نهاية له ! أفلا تمجّانه ؟
بيوتر (يكبح جماح نفسه) : آسف ، فلن أفعل ذلك ثانية !
حقاً فلقد وضعني شيشكين في . . .
تاتيانا : أعرف . فهو أحمق !
نيل : انه فتى رائع ! لن يسمح لأحد أن يدوس على أصابع
رجليه ، ولكنه أول من يفعل ذلك بالآخرين ايّاً
كانوا ! ما أروع ان يملك المرء هذا القدر من الكرامة
الانسانية . . .

تاتيانا : تقصد هذا القدر من التصرف الصبياني ؟
نيل : كلا . أقصد ما قلت . ولكن ذلك شيء رائع ، حتى ان
كان تصرفاً صبيانياً !
بيوتر : سخف .

نيل : لا . عندما يلقي امرؤ لآخر لقمة خبز لديه لمجرد أن
اليد التي نفتحته بها لم تكن على مزاجه . . .
بيوتر : من يفعل ذلك لا يعضه الجوع بنابه . أعرف
أنك ستنكر ذلك . فأنت نفسك مثله - صبياني ايضاً
همك الدائم ان تظهر لوالدنا انك لا تشعر نحوه باية
ذرة من الاحترام . ففيم تفعل ذلك ؟
نيل : وفيم لا أفعل ذلك ؟

تيتيريف : يا ولدي ! الأصول تقضي أن يكذب الناس . . .
بيوتر : وما فائدة ذلك ؟ أخبرني .
نيل : لن يفهم أحدنا الآخر ، أنت وأنا . ففيم أخبرك ؟ كل ما

يقوله أبوك أو يفعله يقرفني .
بيوتر : قد يكون كذلك بالنسبة اليّ أيضاً ، غير أنني
أكبح جماحي فلا أظهره ، أما أنت فتثير أعصابه
دائماً . ونحن ندفع ثمن ذلك - أنا وشقيقتي . . .
تاتيانا : كفاكما ! هذا امر ممل !

(ينظر نيل اليها ، ويتجه الى المنضدة)

بيوتر : أيقلقك حديثنا ؟
تاتيانا : انه يضر جرتي ! فالشيء ذاته يتكرر ويتكرر !

(تدخل بوليا حاملة جرة فيها حليب ، ترى الابتسامة الحاملة
على وجه نيل . تنظر الى المتفرجين وتقول)

بوليا : انظروا اليه . يا له من سعيد !
تيتيريف : لماذا تضحك ؟
نيل : كنت أتذكر لسعات اللسان التي جلدت الرئيس بها .
ان حياتنا لمتعة !

تيتيريف : (في صوت خشن عميق) : آمين !
بيوتر (يهز كتفيه) : دهشة ! هل يولد المتفائلون عميانا أم
ماذا ؟

نيل : ليس مهماً ان اكون متفائلاً او غير هذا ولكن العيش
يعجبني ! (ينهض ويجوس أرض الغرفة .) متعة كبيرة
أن تعيش على هذه الأرض !

تيتيريف : صحيح . هذا مثير للفضول !

بيوتر : ممثلان هزليان - اذا كنتما مخلصين في هذا !

نيل : اما أنت ف . . . لا أعرف كيف أصفك ؟ أعرف - وهذا

ليس سرّاً على أحد - أنك عاشق ، وأن مَنْ تهواها

تهواك أيضاً . أفلا يكفي هذا ليعطيك الرغبة في الرقص

والغناء ؟ أفلا يكفي هذا ليعث فيك الشعور بالفرحة ؟

(تنظر بوليا في فخار الى الجيـع من وراء السماور .

تنقلب تاتيانا على الأريكة محاولة رؤية وجه نيل .

يبتسم تيتيريف وهو ينفذ الرماد عن غليونه .)

بيوتر : أنت تنسى شيئاً ما . اولاً : أن الطلاب غير مسموح

لهم بالزواج ؛ ثانياً أنني مضطر أن أخوض معركة

ضارية مع والدي ؛ وثالثاً . . .

نيل : يا الهي الطيب ! ما هذه الاقوال ؟ لم يبق أمامك غير

شيء واحد ، أن تهرب ! أهرب الى الصحراء .

(تبتسم بوليا)

تاتيانا : انت تتسأخف ، يا نيل !

نيل : أنت مخطئ ، يا بيوتر ! فالحياة شيء عظيم حتى اذا

لم تكن عاشقاً ! حتى اذا كنت تسوق قاطرة خردة في

ليلة خريفية تحت عاصف الريح والمطر - أو في الشتاء

في عاصفة ثلجية مزمجرة ، والدنيا كلها عتمة ، والثلج

يتكدس ويحجزك عن العالم . من المرهق ان تعمل في

مثل هذه الليلة - هذا صعب وحتى خطر ! ومع هذا فان

لذلك سحره الخاص ! رغم كل شيء ! والشيء الوحيد الذي لا يحمل فتنة في نظري هو أن الخنازير من الحمقى واللصوص هم من يهيمن علي وعلى الناس الشرفاء الآخرين . لكن الحياة ليست في صالحهم بكاملها ! لسوف يندثرون . لسوف يختفون مثلما تختفي القروح من الجسد المعافى . ليس هنالك جدول حركة لا يقبل التغيير !

بيوتر : سمعت هذه الخطابات منك بما فيه الكفاية ! رويدك فترى ما تخبىء الحياة لك من جواب !

فيل : سأجعلها تعيبيني الاجابة التي اطلبها . لا تحاول اخافتي ! أنا أقرب الى الحياة وأعرف أفضل منك أن الحياة صعبة ، وأنها أحياناً قاسية الى درجة رهيبة ، وأن قوة غاشمة فظة تسحق الناس سحقاً . أعرف هذا كله ، وهو لا يروق لي . انه يستثيرني ! لا أريد ذلك التنظيم للحياة ! أعرف ان الحياة أمر جاد ، ولكنها غير منسقة . أعرف ان تنسيقها سيتطلب كل قواي وقدراتي . وأعرف أيضاً أنني لست بطلاً - أنا لست أكثر من مجرد انسان شريف قوي . ومع هذا أقول : رويدك فحسب ! لسوف ننتصر في النهاية ! وستنصرف قوة روحي كلها الى اشباع رغبتني في القاء نفسي في اعماق خضم الحياة - أدفعها هنا وهناك ، أقولها ، أساعد على شيء وأعرقل شيئاً آخر . . . هذه هي فرحة الحياة !

تيتيريف (يضحك ضحكة قصيرة) : هنا المعنى الاعمق

للعلم ! هنا مغزى الفلسفة كلها ! وأية فلسفة أخرى
عليها اللعنة . . . نة !

يلينا (عند الباب) : فيم هذا الصراخ والتلويح بالأيدي ؟
نيل (يندفع صوبها) : ستفهميني يا سيدتي ! كنت اغني الآن
ترنيمة للحياة ! أخبرهم كم هي الحياة ممتعة !
بوليا (في عدوثة) : انها ممتعة !

يلينا : أهناك من لديه ريبة في ذلك ؟
نيل (الى بوليا) : اواه ، يا صغيرتي الوديدة !
يلينا : هيا ، ممنوع الغزل في حضرتي !
بيوتر : وحده الشيطان يعرف ما أصابه ! لكأنه
سكران . . .

(تلقي تاتيانا رأسها على مسند الكنبه وترفع يديها في بظء
وتغطي وجهها بهما)

يلينا : لحظة ! كنتم تزعمون تناول الشاي ؟ وأنا جئت
أسألكم أن تشربوه عندي . حسناً ، اذن ، سأشربه
لديكم . فالجود لديكم لطيف هنا . (الى تيتيريف) أنت
وحده ، ايها الغراب العجوز الحكيم ، تبدو لي
منقبضاً . فما الأمر ؟

تيتيريف : أنا مرح مثل الآخرين ، ولكنني أحب أن أكون
هادئاً حين أمرح وأكون صاخباً حين أحزن .
نيل : مثل جميع الكلاب الكبيرة الذكية الكثيرة .
يلينا : لم أرك مطلقاً مرحاً أو كئيباً - ولكن متفلسفاً

فقط . اسمعوا أيها السادة ، إسمعي يا تانيا - انه يعلمني الفلسفة ! البارحة قرأ عليّ محاضرة طويلة عما يسمى قانون الأساس الكافي . خسارة ! لقد نسيت الكلمات التي تعبر عن هذا القانون المدهش ! ما هي هذه الكلمات ؟

تيتيريف : (مبتسماً) لا يوجد شيء دون اساس لان الاساس يوجد . . .

يلينا : أستمعون ؟ أنظروا الأشياء الحكيمة التي أتعلمها ! لا أظن أحداً منكم سمع أن هذا القانون يمثل - يمثل هي كلمة فلسفية حقيقية بالضبط ! يمثل شيئاً مثل . . . مثل السن لأن له جذورا أربعة . أأست على صواب ؟

تيتيريف : لا أجرؤ أن أجادلك . . .

يلينا : تماماً ! حاول ذلك فحسب ! ان الجذر الأول ، أو لعله ليس الأول - هو الأساس الكافي لحضور - يعني المادة في الشكل . أنا مثلاً : أنا مادة إتخذت - ليس من دون أساس - شكل امرأة ، ولكن - وهذه المرة من دون اي أساس - محرومة من الوجود . الوجود خالد ، لكن المادة في الشكل تظهر على الأرض ، ثم - تتلاشى ! أأست على حق ؟

تيتيريف : لا بأس ، ماشي . . .

يلينا : وخلاف ذلك أعرف أن هنالك أشياء مثل العلاقات السببية ، والمسلمات والاستدلالات ، لكن ما هي هذه الأشياء هو أمر نسيته ! واذا لم أصبح صلعاء من

هذه الحكمة كلها فأنني سأصبح ذكية ! أما المشكلة
 الاكثر أهمية وحكمة في كل هذه الفلسفة فهي : لماذا
 تعلمني الفلسفة ، يا تيرينتي خريسانوفيتش ؟
 تيتيريف : أولاً ، لأنني أمتلئ سروراً حين أنظر إليك . . .
 يلينا : أشكرك على ذلك ! ثانياً ربما من غير الممتع . . .
 تيتيريف : ثانياً ، لأن المرء لا يكذب حينما يتفلسف ،
 فالفلسفة هي مجرد اختراع للمخيلة . . .
 يلينا : لم أفهم شيئاً ! بالمناسبة ياتانيا ! كيف حالك ؟
 (دون أن تنتظر جواباً) بيوتر . . . فاسيليفيتش ،
 ماذا يضايقك ؟

بيوتر : نفسي .

نيل : وكل ما حولك ؟

يلينا : اسمعوا ، أشعر برغبة عارمة في الغناء ! لكم هو
 مؤسف أن اليوم هو السبت ، وأن صلاة الغروب لم
 تنته بعد ! (يدخل بيسيمينوف وأكولينا إيفانوفنا .)
 آه ، ها قد جاء التقيان ! انعمتا مساء !

بيسيمينوف (في جفوة) : مساء سعيداً . . .

أكولينا إيفانوفنا (بالنبرة ذاتها) : مساء سعيداً ، يا
 سيدتي ! لكنه سبق أن تبادلنا التحية هذا النهار .
 يلينا : آه ، صحيح ! غاب ذلك عن بالي . . . وكيف . . .
 كيف كانت الكنيسة ؟ هل كانت حارة ؟

بيسيمينوف : نحن لا نذهب الى الكنيسة لنقيس درجة
 الحرارة .

يلينا (مرتبكة) : آه ، طبعاً . لكنني . . . ليس هذا ما
قصدت . أردت أن أسأل إن كانت مزدحمة بالمصلدين ؟
أكولينا إيفانوفنا : لم نحص عدد الناس ، يا سيدتي .
بوليا (إلى بيسيمينوف) : هل تريدان شايًا ؟
بيسيمينوف : سننعثى أولاً . إذهبي وهيثي لنا شيئاً ،
أيتها الأم . (تخرج أكولينا إيفانوفنا وهي تنخر من
انفها . الجميع صامتون . تنهض تاتيانا وتساعدهما
يلينا في الوصول إلى المنضدة . يأخذ نيل مكان تاتيانا
على الأريكة . بيوتر يراوح في الغرفة ويغادي . تيتيريف
وقد جلس إلى البيان يراقب الجميع مبتسماً . بوليا
أمام السماور . بيسيمينوف يجلس على الصندوق في
الركن .) يدهشني كيف غدا الناس لصوصاً ! قبل
فترة ، حين كنت والأم في طريقنا الى الكنيسة ، وضعت
لوحاً من الخشب عند البوابة - فوق الوحل . وحينما
رجعنا كان اللوح قد إختفى . سرقه أحد اللصوص .
لقد تفشى الفساد في الناس . (صمت .) في الماضي كان
عدد اللصوص أقل - وكانت السرقات تقع على الطرق
العامة حيث الناس كانوا اكبر نفوساً . فكانوا يدخلون
أن يثقلوا ضمائرهم بأشياء تافهة . (صوت غناء وعزف
على الاكورديون يدفان من الشارع .) أسمعون ؟
غناء . عشية السبت ، وهم يغنون . (يقترب الغناء
ويتميز فيه صوتان .) لا ريبة أنهم العمال . أسرعوا
إلى الحانة فور الانتهاء من عملهم ، لينفقوا اموالهم على
الخمير ، وهؤلاء هم يمزقون حناجرهم . (يُسمع الغناء

قرب النافذة ، يقرب نيل وجهه من زجاجها ويتطّح
إلى الشارع .) سيعيشون على هذا الغرار عاماً آخر -
او عامين في أبعد الحدود ، وينتهي كل شيء ! ويغدون
متشردين ، او لصوصاً . . .

نيل : يبدو أنه بيرتشيخين . . .
أكولينا ايقاتوفنا (عند الباب) : العشاء جاهز ، أيها الأب .
بيسيمينوف (ناهماً) : بيرتشيخين واحد آخر من أولئك
الذين لا فائدة تُرجى منهم . (يخرج)
يلينا (تشيحه بنظراتها) : تناول الشاي في غرفتي اكثر
راحة . . .

نيل : شيء ممتع حديثك مع الشيوخ .
يلينا : أنا . . . هو يربكني . فهو لا يجبني ، وهذا شيء
مزعج . . . بل مؤلم ! وفيم تراه لا يجبني ؟
بيوتر : حقاً هو طيب القلب ، ولكنه عزيز النفس جداً .
نيل : وجشع نوعاً ما وخبيث نوعاً ما . . .
بوليا : صه . لا ينبغي أن تقولوا مثل هذا الكلام بحق انسان
خلف ظهره . هذا لا يليق !
نيل : كلا . لا يليق أن يكون المرء جشعاً .

تاتيانا (في جفوة) : أقترح أن نترك بحث هذا الموضوع .
قد يأتي والدي في أية لحظة . وهو لم يعنّف أحداً
طوال الأيام الثلاثة الأخيرة . . . كان يحاول أن يكون
لطيفاً مع الجميع . . .
بيوتر : وذلك ليس سهلاً عليه . . .
تاتيانا : يجب أن نقدّر ذلك : فهو شيخ . وليست غلطته

إن كان وُلد قبلنا بسنوات وهو لا يرى الأمور مثلما
نراها نحن . (في غضب) يا للناس من قساة ! لكم
نحن قساة أجلياء يعلموننا أن يجب أحدنا الآخر ،
ويقولون لنا : كونوا ودعاء وطفاء . . .
نيل (يحاكي نبرة صوتها) : كيما يركبوا ظهورنا
ويسوقونا . . .

(تنفجر يلينا ضحكاً . بوليا وتيتيريف يبتسمان . بيوتر
يتجه إلى نيل كمن يريد أن يقول شيئاً . تهز تاتيانا رأسها
مؤنبة)

بيسيمينوف (يدخل ويلقي نظرة عدوانية إلى يلينا) :
بيلاغيا ! والدك في المطبخ . إذهبي واخبريه أن . . .
أن . . . يعود في وقت آخر ، حينما يكون . . .
يكون . . . صاحباً . هكذا ! قللي له أن يمضي إلى
البيت . . . او ما شابه !

(تخرج بوليا - وتتبعها نيل)

بيسيمينوف (في اثر نيل) : حم . . حم . . وأنت اذهب
بدورك . والحق نظرة على . . . حميك المقبل . . .
و . . . (يصمت فجأة ، ويجلس إلى المنضدة .) فيم
هذا الصمت ؟ أرى الجميع يغلقون افواههم بمجرد
ظهوري في الغرفة .

تاتيانا : نحن لا نتحدث كثيراً في غيابك أيضاً .

بيسيميئوف (يشزر يلينا بنظرة) : فيمَ كنتم تضحكون ؟

بيوتر : لا شيء . . . على وجه الخصوص . إن نيل . . .

بيسيميئوف : نيل ! إنه سبب كل شيء . كنت أعرف هذا .

تاتيانا : هل أصبّ لك قدحاً من الشاي ؟

بيسيميئوف : أجل .

يلينا : دعيني ، يا تانيا ، أفل ذلك . . .

بيسيميئوف : لا تزعجي نفسك . ستفعل ذلك ابنتي .

بيوتر : لا أرى فارقاً فيمن يصب لك الشاي . فتانيا معتلة

الصحة .

بيسيميئوف : أنا لا أسألك رأيك في هذا الموضوع . إذا كان

الغرباء أقرب إليك من أهلك . . .

بيوتر : أبتاه ! ألا تخجل من نفسك ؟

تاتيانا : ها قد بدأنا ! بيوتر ، يفضل أن تمسك لسانك .

يلينا (تغضب ابتسامة) : أهنالك مبرر لكل هذا . . .

(يفتح الباب على مصراعيه ويدخل بيرتشيخين ثملاً قليلاً)

بيرتشيخين : فاسيلي فاسيليفيتش ! لقد جئت أنا إلى

هنا . . . انت خرجت من هناك . . . وها أنا أتبعك

إلى هنا . . .

بيسيميئوف (دون أن ينظر إليه) : حسناً ، إجلس ، طالما

أنتك هنا . واشرب الشاي .

بيير تشيخين : أنا لا أريد شايًا ! إشربه لصحتك . جئت
للحديث معك .

بيسيمينوف : حديث ؟ هراء !

بيير تشيخين : هراء ، اليس كذلك ؟ (يضحك) أنت رجل
غريب ! (يدخل نيل ويقف مستنداً الى الخوان محققاً في
بيسيمينوف في قسوة) منذ أربعة أيام وأنا أفكر في
المجيء اليك . . . و . . . حسناً ، هأنذا هنا !
بيسيمينوف : طيب اذن . . .

بيير تشيخين : لا ، ليس طيباً ! يا فاسيلي فاسيليفيتش !
انت رجل ذكي ، وكذا أنت ثري ، ولكن . . . ولكنني
جئت قاصداً ضميرك !

بيوتر (يقترّب من نيل ويتحدث في صوت خفيض) لماذا تركته
يدخل إلى هنا ؟

نيل : دعه وشأنه ! فهذا ليس من شأنك .

بيوتر : أنت دائماً تثير المشاكل .

بيير تشيخين (يطغى صوته على صوت بيوتر) : أنت رجل
شيخ أيضاً ، أعرفك منذ ز . . . زمان طويل !
بيسيمينوف (غاضباً) : ماذا تبغي مني ؟

بيير تشيخين : أخبرني ، لماذا طردتني من بيتك منذ أيام ؟
لقد فكرت وفكرت ولكنني لم أفهم لماذا . فأخبرني
لماذا ، يا أخي . لقد جئت إليك من دون حقد - بل
بحب يعمر قلبي .

بيسيمينوف : وضباب في رأسك !

تاتيانا : بيوتر ، ساعدني على النهوض - كلا ، ادع بوليا .
(يخرج بيوتر)

بيرتشيخين : خذ بوليا مثلاً . ابنتي العزيزة ، ذلك الطير الطاهر . أبسببها طردتني ؟ أليس كذلك ؟ لأنها أخذت من تاتيانا فتاها ؟

تاتيانا : يا للحماقة ! يا للوضاعة !

بيسيمينوف (ينهض على مهلة) : حذار ، يا بيرتشيخين ! لو قلت ذلك ثانية فلسوف . . .

يلينا (الى نيل في صوت خافت) : أخرجه ! سيتشاجران .
نيل : لا أريد اخراجه .

بيرتشيخين : أنت لن تطردني مرة أخرى ، يا فاسيلي فاسيليفيتش ! لن يكون لذلك سبب . بوليا فتاة طيبة وأنا أحبها ، غير انني لا أستحسن ما فعلت - لا ، يا أخي ، لا أستحسن لماذا أخذت شيئاً يخص سواها ؟ هذا أمر رديء . . .

تاتيانا : لينا ، انني عائدة الى غرفتي . (تساعدنا يلينا وتمسك بذراعها . يمران بجوار نيل فتقول تاتيانا له في صوت خافت) اخجل من نفسك ! أخرجه !

بيسيمينوف (يتمالك نفسه جاهداً) : اخرس ، يا بيرتشيخين ! اجلس واخرس ، وان لم تستطع ذلك فإذهب الى بيتك . . .

(تدخل بوليا يتبعها بيوتر .)

بيوتر (الى بوليا) : انتظري ، تمالكي نفسك . . . ارجوك !
بوليا : فاسيلي فاسيليفيتش ! لماذا طردت والدي آخر مرة
كان هنا ؟

(يشخص بيسيمينوف صامتاً اليها في صرامة ثم يجول بأنظاره
بين الحاضرين)

بيرتشيخين (يهز أصبعه) : صمتاً ، يا ابنتي ! ولا كلمة !
كان يجب أن تفهمي . لقد تناولت تاتيانا السم ، لماذا
فعلت هذا ؟ . . . أترين ؟ أترى يا فاسيلي
فاسيليفيتش ؟ - اني أدين الجميع ها هنا كما ينبغي
ويجب ! كما يقتضي الضمير والحقيقة وبكل
بساطة . . .

بوليا : رويدك ، يا أبي .

بيوتر : لحظة يا بوليا . . .

نيل : لا تتدخل أنت .

بيسيمينوف : أما أنت ، يا بوليا ، فأنت وقحة . . .

بيرتشيخين : هي ؟ أوه ، لا ، هي . . .

بيسيمينوف : اخرس انت ! يبدو أنني أضعت النهي . منزل

مَنْ هذا المنزل على أية حال ؟ من هو السيد هنا ؟

من يقول هذا خطأ وهذا صواب ؟

بيرتشيخين : أنا ! سأدين كل شيء . . . الجميع ، كلاً

حسب دوره ، لا تأخذي ما هو ليس لك . هذا اولاً !

واذا أخذته يجب أن ترديه . هذا ثانياً !

بيوتر (الى بيرتشيخين) : اسمع ! كفّ عن الشرثرة وتعال الى
غرفتي . . .

بيرتشيخين : انا لا احبك ، يا بيوتر ! انت فتى فارغ . ومتكبر
جداً . ولا تعرف شيئاً ايضاً . ما هي شبكة المجاري ؟
آها ! كانوا يستوضحونني يا اخ . . . (يشده بيوتر
من ردفه) ارفع يديك عني ! لا تلمسني !

نيل (الى بيوتر) : لا تلمسه . دعه وشأنه !
يسيمينوف (الى نيل) : ماذا تفعل هنا ؟ توجع البغضاء ؟
ها ؟

نيل : اريد ان اعرف القصد من هذا كله . ما هو ذنب
بيرتشيخين ؟ لماذا طردته ؟ وما علاقة بوليا بالامر ؟
يسيمينوف : هل تستجوبني ؟

نيل : وماذا اذا فعلت ذلك ؟ انت كائن بشري مثلي .
يسيمينوف (غاضباً) : لا ، انت لست كائناً بشرياً ،
انت . . . انت سم ! انت وحش !

بيرتشيخين : هس ! فلنتكلم في هدوء ، وفي عدالة . . .
يسيمينوف (الى بوليا) : وانت ، انت ، ايتها الحقودة . . .
المتسولة !

نيل (من خلال أسنانه) : كفّ عن الصراخ ، انت !
يسيمينوف : ما هذا ؟ اخرج ايها الثعبان ! تنقلب عليّ انا
الذي اطعمك من عرق جبينني . . .

تاتيانا (من غرفتها) : ابتاه ! يا بابا !
بيوتر (الى نيل) : رأيت ؟ هل حصلت على ما كنت تريد ؟
تبّاً لك ! اخجل من نفسك !

بوليا (بصوت خافت) : حذار ان تصرخ في وجهي ! فانا لست
أمة عندك . ليس بوسعك ان تهين الجميع . أخبرني
لماذا طردت أبي من البيت ؟
نيل (في هدوء) : أخبرني أنا الآخر . فهذا ليس بيت مجانين .
وعلى المرء مهنا ان يجيب عن أفعاله .
يسيمينوف (في مزيد من الهدوء ، متمالكا نفسه) : أخرج ،
يا نيل ! أخرج قبل أن يقع خطب ما . لا تنس . . .
أنا مَنْ أطعمك . أنا من رببتك .
نيل : لا تؤنبنني بلقمة خبزك ! لقد دفعت لك من عملي ثمن
كل ما اكلت .

يسيمينوف : لقد اكلت روحي ، أيها الجاحد !
بوليا (تمسك يد نيل) فلنخرج من هنا !
يسيمينوف : اذهبي . . . ازحفي أيتها الأنعي . أنت
الملومة . كل ما حدث أنت مسؤولة عنه . لقد لدغت
ابنتي . والآن تأخذينه يا ملعونة . بسببك أنت
صارت ابنتي . . .

بيرتشيخين : فاسيلي فاسيليفيتش ! على رسلك ! بعدالة !
ناتيانا (تصرخ) : هذا ليس صحيحاً ، يا أبتاه ! بيوتر ، لماذا
تصمت ؟ (تظهر عند باب غرفتها وتترنح إلى داخل
الغرفة باسطة ذراعيها في وهن) لا تسمح بهذا يا
بيوتر ! يا إلهي الطيب ! تيرينتي خريسانوفيتش !
أخبرهم . . . قل لهم . . . نيل ! بوليا ! بحق الله ،
اخرجا ! اذهبا ! لماذا يحدث كل هذا . . . (تمتلئ
الغرفة بحركات مضطربة . ينهض تيتيريف في بطء

مكشراً عن أسنانه . يتراجع بيسيمينوف أمام ابنته .
يمسك بها بيوتر من ذراعها يساعدها ويتطلع حواليه
مذهولاً)

بوليا : تعال !

نيل : حسناً ! (إلى بيسيمينوف) نحن ذاهبان . إذن !
يؤسفني أن ينتهي الأمر بكل هذا الضجيج .

بيسيمينوف : أخرج ! أخرج ! وخذها معك !

نيل : سأذهب ، ولن أعود .

بوليا (في صوت عال مرتجف) : هل يعقل ان تتّهمني بمثل
هذا الأمر وتلومني بسبب تانيا ؟ هل أنا مسؤولة !
أنت عديم الحياء . . .

بيسيمينوف (نائراً) : أنت ذاهبة ؟ !

نيل : لا تصرخ !

بيرتشيخين : لا تغضبنا ، يا ولديّ . يجب أن نكون
حليين . . .

بوليا : وداعاً ، تعال ، يا ابتاه !

نيل (الى بيرتشيخين) : هيا بنا !

بيرتشيخين : لا ، لا أريد أن أذهب معكم ! أنا لي
طريقي . . . أنا أسير لحالي . وحيداً . تيرينتي ، اني
أقف وحيداً ! ليس لي ضلع في هذا الأمر .

تيتيريف : هيا إلى غرفتي .

بوليا : تعال ، تعال قبل أن تُطرد من جديد .

بيرتشيخين : لا ، لن أذهب . تيرينتي ، لا مكان لي بينهم .
أنا أفهم . . .

بيوتر (الى نيل) : إذهبأ إذن . . . اللعنة عليكما !
نيل : أنا ذاهب . . . وداعاً . . . ولكنك . . . يا لك
من . . .
بوليا : نحن ذاهبان . . .

(يخرجان)

بيسيمينوف (يصيح في إثرهما) : ستعودان . . . ستعودان
زاحفين !
بيوتر : كفى ، يا ابتاه . كفى . . .
تاتيانا : يا ابتاه ! لا تصرخ ، يا عزيزي . . .
بيسيمينوف : إنتظرا . . . مهلاً . . .
بيرتشيخين : حسناً ، لقد ذهبنا الآن ، عظيم ! فليذهبنا !
بيسيمينوف : كان بودي أن أقول لهما قبل الوداع رأبي
فيهما ، ذينك الشقيين ! أطعتهما ، أسقيتهما . . .
(إلى بيرتشيخين) وأنت ، أنت أيها الشيطان العجوز !
أنت أيها الأحمق ! لقد جئت إلى هنا وبدأت
ثرثرتك . . . وراء ماذا تسعى ؟ وراء ماذا ، أنا
أسالك ؟

بيوتر : كفى ، يا أبي !
بيرتشيخين : فاسيلي فاسيليفيتش ! لا تصرخ في وجهي .
أنا أحترمك ، أيها الرجل الغريب ! أنا أحمق ، هذا
صحيح ، ولكني أفهم من يمشي إلى أين . . .
بيسيمينوف : (يتهاك على الأريكة) : لقد تاهت أفكاري .

أنا لا أفهم أمراً . ماذا حدث ؟ هذا يشبه حريق مفاجئ
في صيف قانظ . . . لقد ذهب أحدهم . . . قائلاً إنه
لن يعود . يقولها بكل بساطة ! هكذا . . . لا ، لا ، لا
أستطيع أن أصدقك . . .

تيتيريف (الى بيرتشيخين) : فيم وقوفك هنا ؟ وفيم تتكلم ؟
بيرتشيخين : كيما أوضح الامور . طريقتي بسيطة في النظر
الى الامور يا أخ . . . واحد إثنان ! وهذا كل شيء .
إنها إبنتي ، أليست كذلك ؟ حسناً جداً . هذا يعني
أنها ملزمة . . . (يصمت فجأة) كنت أباً سيئاً
بالنسبة إليها ، فهي ليست ملزمة إذن . فلتحيا عمرها
كما يحلو لها ! أما تانيا فأشعر بالأسف من أجلها .
أشعر بالأسف من أجلك ياتانيا ! أشعر بالأسف من
أجلكم جميعاً يا إخوان ! يا للأسف ! اذا أردتم الحقيقة
فأنتم جميعاً حمقى !

بيسيمينوف : إخرس أنت . . .

بيوتر : هل ذهبت يلينا نيقولايفنا ، يا تانيا ؟
يلينا (من غرفة تاتيانا) : أنا هنا ! إني أهيبى* الدواء .
بيسيمينوف : رأسي في دوامة . لا أفهم شيئاً من شيء .
أذهب نيل حقاً على هذا الغرار ؟

أكولينا ايفانوفنا (تدخل مضطربة) : ماذا حدث ؟ نيل وبيلاغيا
في المطبخ . . . كنت في المخزن . . .

بيسيمينوف : هل ذهبا ؟

أكولينا ايفانوفنا : كلا ، فهما يدعوان بيرتشيخين . تقول

بيلاغيا : أخيري أبي . . . وترتجف شفتاها . . . ونيل
 يزجر مثل كلب غاضب . ماذا حدث ؟
 بيسيمينوف (ناهضاً) : سأذهب الآن إليهما . . .
 بيوتر : لا تذهب ، يا أبتاه ! لا تفعل ذلك .
 تاتيانا : أبتاه ، أرجوك لا تفعل !
 بيسيمينوف : لا أفعل ماذا ؟
 أكولينا ايفانوفنا : ما الأمر ؟
 بيسيمينوف : أتفهمين . . . نيل راحل . دون رجعة .
 بيوتر : وماذا في هذا ؟ إنه يرحل . جيد جداً ! فيم تحتاجه ؟
 لسوف يتزوج . يريد أن يعيش في أسرة خاصة به .
 بيسيمينوف : خاصة به ! من أنا إذن ، هل أنا غريب
 بالنسبة إليه ؟
 أكولينا ايفانوفنا : لماذا تنفعل ، أيها الأب ! الله معه !
 ليذهب . . . ان لدينا ولدينا ولدينا نرعاهما . (الى
 بيرتشيخين) ماذا تنتظر ؟ اذهب إليهما !
 بيرتشيخين : طريقهما ليست طريقي .
 بيسيمينوف : كلاً . . . ليس الأمر في هذا . فليرحل إن كان
 ينبغي الرحيل ولكن أرأيتموه كيف يرحل ؟ كيف ينظر
 اليّ ؟

(تخرج يلينا من غرفة تاتيانا)

تيتيريف (يمسك بيرتشيخين من ذراعه ويقوده ناحية الباب) :
 هيا بنا نشرب كأساً ، أنت وأنا .

بيرتشيخين : هيا بنا يا مزار الله ! انت جاد حقاً . . .

(يخرجان)

بيسيمينوف : كنت أعرف أنه سيرحل عنا ذات يوم ، لكن
أيرحل المرء بهذه الطريقة ؟ أما هي . . . هذه . . .
فكم صرخت ! تلك الفتاة الخادمة الحقيرة ! سأذهب
الآن لألقنهما . . .

أكولينا ايغانوفنا : كفى ! دعهما ، أيها ، الأب ! فهما غريبان
عنا ! فيم تشغل نفسك بهما ؟ لقد ذهبا - وانتهى
الأمر !

يلينا (تخاطب بيوتر في رقة) : تعال معي .
تاتيانا (الى يلينا) : وأنا أيضاً . خذيني معك !
يلينا : تعالي . . . هيا بنا .

بيسيمينوف (وقد سمع دعوتها) : إلى أين ؟
يلينا : إلى غرفتي . . .

بيسيمينوف : من دعوت ؟ بيوتر ؟
يلينا : نعم . . . وتانيا أيضاً . . .

بيسيمينوف : تانيا لا دخل لها ! أما بيوتر فلا حاجة له
للذهاب اليك !

بيوتر : لكن ، يا والدي ، أنا لست طفلاً . سأذهب أو لا
أذهب ، حسبما أنا . . .
بيسيمينوف : أنت لن تذهب !

أكولينا إيفانوفنا : يا بيتيا ! لا تعاند والدك . إسمع ! لا تعانده . . .

يلينا (ناثرة) : عن إذنك ، يا فاسيلي فاسيليفيتش ! . . .
بيسيمينوف : لا ، بل أنا أطلب عفوك . . . حتى ولو كنتم من المثقفين ، ولو كنتم فقدتم كل وازع من ضمير ، وكل إحترام لأحد . . .

تاتيانا (في صوت هستيري) : أبتاه ! كفى !
بيسيمينوف : إمسكي لسانك ! إذا رسنك ليس في يدك فاسكتي . . . مهلاً ، إلى أين تذهبين ؟

(تتجه يلينا ناحية الباب)

بيوتر (يسرع وراءها ويمسك يدها) : إنتظري ! لحظة !
ينبغي أن نوضح الأمر . . . الآن . . . وفي الحال !
بيسيمينوف : ينبغي أن تسمعوني . . . إعملوا معروفاً واسمعوني مرة . أعطوني فرصة لأفهم ما يجري ؟ (يدخل بيرتشيخين مرحاً مبتسماً يتبعه تيتيريف وهو مبتسم أيضاً . يقفان عند الباب ويتبادلان النظرات . يغمز بيرتشيخين ناحية بيسيمينوف ويلوح بيده في إستخفاف) الكل ينصرفون على مزاجهم ! ولا احد منهم يشرح سبب ما يفعل . . . ينصرفون عبثاً بصورة مؤلمة ومشوهة ! إلى أين بوسعك ان تذهب يا بيوتر ! أنت . . . من أنت ؟ كيف تريد أن تعيش ؟ وماذا تريد أن تفعل ؟ (أكولينا إيفانوفنا تشهق في هدوء .

يقف بيوتر ويلينا وتاتيانا جنباً إلى جنب مشكلين
جماعة متكاتفه ازاء بيسيمينوف ، وحين يقول : «إلى
أين بوسعك أن تذهب» تبتعد تاتيانا ذاهبة إلى
المنضدة حيث وقفت أمها . يومئ بيرتشيخين إلى
تيتيريف - يهز رأسه ويلوح بيديه كما لو كان يطرد
سرباً من العصافير .) إن لي الحق أن أستوضح . فما
برحت أنت صغيراً أحق ! طوال ثمانية وخمسين عاماً
ظللت أنك قواي في سبيل ولدي . . .

بيوتر : سمعت هذا من قبل ، يا أبي . مائة مرة . . .
بيسيمينوف : كفى ، إخرس !

أكولينا إيفانوفنا : آه ، بيتيا ! بيتيا !
تاتيانا : أواه يا أماه . . . أنت لا تفهمين شيئاً !

(تهز أكولينا إيفانوفنا رأسها)

بيسيمينوف : ولا كلمة ! ماذا بوسعك أن تقول؟ ماذا
بوسعك أن تستند إليه ؟ لا شيء !

بيوتر : أنت تعدّ بني ، يا أبي . ماذا تبغني مني ؟ ماذا
تريد ؟

أكولينا إيفانوفنا (تصرخ فجأة) : مهلاً ! أنا أيضاً لي قلب
يشعر . أنا أيضاً لي الحق الكلام ! يا ولدي الحبيب !
ماذا تفعل ؟ ماذا تريد أن تفعل ؟ إنني أكلّمك أنت !
تاتيانا : هذا فظيع ! مثل منشار مثلوم . (إلى أمها .) أنت
تمزقيني إرباً - جسداً وروحاً .

أكولينا إيفانوفنا : أمك . . . منشار مثلوم ؟ أمك ؟
بيسيمينوف : رويدك ، أيتها العجوز ! ها هو . . . دعيه
يتكلم .
يلينا (الى بيوتر) : كفى اذن ! لم اعد احتمل المزيد بعد .
سأرحل .
بيوتر : لحظة واحدة ، بربك ! سيتّضح كل شيء حالاً .
يلينا : هذا مستشفى للمجانين ، و . . .
تيتيريف : إرحلي ، يايلينا نيقولايففنا ! فليذهبوا إلى
الجحيم . . . جميعهم !
بيسيمينوف : أنت أيها السيد - أنت . . .
تاتيانا : ألن ينتهي هذا ؟ اذهب ، يا بيوتر !
بيوتر (في صوت يشبه صرخة) : أبتاه ! أنظر ! أماه ! هذه
هي عروستي !

(صمت . تنصب العيون على بيوتر . ثم تهز أكولينا إيفانوفنا
يديها وتنظر في رعب إلى زوجها . يميل بيسيمينوف إلى
الوراء بكل جسده فكان أحداً دفعه ، ويترك برأسه على
صدره . تطلق تاتيانا زفرة عميقة وتخطو في تودة ناحية
البيان ، وقد تهافت ذراعاها إلى جانبيها)

تيتيريف (بصوت خافت) : اختار اللحظة المناسبة .
بيرتشيغين (يخطو متقدماً) : هذا كل شيء ! إذن ! هذا هو
الأمر . الطيور كلها تطير ! هيا ، أيها الفتیان ! طيروا
من أقفاصكم كالطيور في عيد العذراء !

يلينا (تخلّص يدها من قبضة بيوتر) : دعني ! فأنا لا أطيع . . .

بيوتر (مهمباً) : وضع كل شيء الآن . وفوراً بشكل نهائي .
يسيمينوف (ينحني أمام ولده) : شكراً لك ، يا بني ، على هذا النبأ الطيب !

اكولينا إيفانوفنا (دامعة العينين) : أهلكت نفسك ، يا بيتينكا ! فهي ليست لك نداءً .

بيرتشيخين : هي ؟ ليست نداءً لبيوتر ؟ ماذا تقولين ، أيتها العجوز ؟ ماذا يساوي هو ؟

يسيمينوف (يخاطب يلينا في ببطء) : شكراً لك أيضاً ، أيتها السيدة ! لقد انتهى الآن ! عليه ان يكمل دراسته ، . . . أما الآن . . . إنها براعة منك ! ولكنني توقعت هذا الأمر . (في حقد .) تهاني على هذا الصيد ! يا بيتكا ! لن تنال بركتي ! وهكذا اقتنصته ، أليس كذلك ؟ تسللت واقتنصته ، أيتها القطة الملعونة !

يلينا : كيف تجرؤ !

بيوتر : أبتاه ! هل فقدت صوابك !

يلينا : كلا ! لحظة ! أجل ، هذا صحيح ! أجل ، أنا أخذته منك بنفسني ! أنا بنفسني . . . وأنا بنفسني قلت له . . . أجل ، فعلت ذلك ! أنا التي عرضت عليه الزواج ! أسمع هذا ، أيها اليوم العجوز ؟ أسمع ؟ أنا التي إنترعته منكم ! شفقة عليه ! لقد عذبتموه ! أنتم لستم من البشر ، أنتم نوع من صدا يأكل الناس ! كان حبكم هلاكاً بالنسبة إليه ! أنتم تظنون -

أواه ، وأنا أعلم ما تظنون ! - تظنون أنني فعلت ذلك
من أجلي؟ حسناً ، ظنوا ما طابت لكم الظنون ! آه !
لكم أكرهكم !

ناتيانا : لينا ! لينا ! ماذا تقولين ؟

يلينا : إسمعوا ، قد لا يجمعننا عقد زواج . . . لسوف
يسعدك ذلك ، ها ؟ بلى ، هذا جائز جداً ! لا تذعر قبل
الأوان ! لسوف أعيش معه وحسب - من دون عقد
زواج . لكنني لن أعيده إليكم ، لن أعيده ! لن يكونوا
بوسعكم أن تعذبوه من الآن فصاعداً ! لن يكون ذلك !
ابداً لن يعود إليكم ! أبداً ! أبداً !

تيتيريف : مرحى ، أيتها المرأة ، مرحى !
أكولينا ايفانوفنا : أيتها السموات الرحومة ! أيها الأب ،
ماذا يحدث ؟ أيها الأب . . .

بيوتر (يدفع يلينا ناحية الباب) : إذهبي . هيا أذهبي .

(تخرج يلينا وتشدد بيوتر وراءها .)

بيسيمينوف (يتطلع حواليه حائراً) : هكذا ؟ (بصوت مرتفع
سريع .) نادوا الشرطة ! (يضرب الأرض بقدميه .)
لتخرج هي من بيتي ! غداً بالذات ! تباً لها !

ناتيانا (تقترب من والدها) : أبتاه ! ما لك ؟

برتشيخين (مذهولاً عاجزاً عن الفهم) : فاسيلي
فاسيليفيتش ! عزيزي ! ما الأمر ؟ فيم صراخك ؟
يجب أن تفرح . . .

تاتيانا (تقترب من والدها) : أصغ . . .

بيسيمينوف : أنت ! أنت ! لاتزالين هنا ! لم لا تذهبين أيضاً ؟
هيا اذهبي أيضاً ! ليس هنالك مكان تذهبين اليه ؟
ليس هنالك من تذهبين معه ؟ أضعت فرصتك ، أليس
كذلك !

(إرتدت تاتيانا عنه ، وأسرعت خطواتها إلى البيان . أكلينا
ايغانوفنا - مرتبكة تدعو الى الرثاء - تندفع إليها)

بيرتشيخين : كفى يا فاسيلي فاسيليفيتش ، فكر في الأمر !
لن يتابع بيوتر دراسته بعد الآن - فيم يفعل ذلك ؟
(يحدق ببسيمينوف في وجهه بيرتشيخين ببلادة ويهز
رأسه .) لديه ما يكفي من المال يعيش به - لقد
إدخرته أنت . وزوجته ممتازة ، وهذا انت تصيح
وتزمر ! ثب الى رشدك أيها العجوز الغريب !

(ينفجر تيتيريف ضاحكاً)

أكلينا ايغانوفنا (باكية) : تركونا جميعاً ! رحلوا جميعاً !
بيسيمينوف (يتطلع حواليه) : صمتاً ، يا أم ! لسوف
يعودان . لن يجرؤا على الذهاب ! وأين يذهبان ؟ (إلى
تيتيريف .) فيم تكشيرتك هذه ، أيها الطاعون

الملعون ؟ أخرج من بيتي أنت أيضاً ! غداً بالذات
أخرج ! هنا عصا بة كاملة منكم . . .
بيرتشيغين : فاسيلي فاسيليفيتش !

يسيميثوف : أغرب عن وجهي ، أيها المتشرد البائس !
أكولينا ايغانوفنا : تانيا ! يا ابنتي المباركة ! يا ابنتي
البائسة ! ماذا سيحدث ؟

يسيميثوف : كنت تعرفين كل شيء ، يا إبنتي ! تعرفين
ذلك من زمن طويل ولم تقولي عنه كلمة واحدة !
مؤامرة ضد أبيك ، أليس كذلك ؟ (تلوح على وجهه
فجأة نظرة من الرعب) . اتعتقدين بأنه لن يهجرها -
تلك المرأة ؟ يتزوج من مومس ! إبنني أنا ! أوه ، اللعنة
عليكم جميعاً ! يا لكم من بائسين ومفسدين !
تاتيانا : أتركوني ! لا تحملوني على ان أكره . . .

أكولينا ايغانوفنا : إبنتي الحبيبة ! يا إبنتي التعيسة ألحظ !
لقد عذوبك ! عذبونا جميعاً ، لماذا فعلوا ذلك ؟

يسيميثوف : من فعل ذلك ؟ إنه ذلك الشقي السافل نيل !
هو الذي أفسد ولدنا ! وهو الذي أساء الى إبنتنا !
(يلمح تيتيريف واقفاً الى جانب الخوان .) ماذا تفعل
هنا ، أيها الصعلوك ؟ لماذا أنت باق هنا ؟ أخرج من
بيتي !

بيرتشيغين : فاسيلي فاسيليفيتش ! ما ذنبه هو ؟ لقد
فقدت صوابك أيها العجوز !

تيتيريف (في وقار) : لا تصرخ ، أيها العجوز ! ليس لديك

القدرة على إيقاف ما ينقضُ عليك . لكن ، لا تخف ،
فلسوف يعود ولدك .

بيسيمينوف (في عجلة) : وكيف . . . كيف تعرف هذا ؟
تيتيريف : لن يترك طويلاً . لقد ارتفع الى فوق بعض
الوقت لأنهم جروه إلى هناك ولكنه سيهبط من جديد .
وما أن تطويك المنية حتى يبدل حظيرتك هذه قليلاً ،
وينقل الأثاث فيها ويعيش مثلما كنت أنت تعيش -
هادئاً ، مرتاحاً ، عاقلاً .

بيرتشيخين (الى بسيمينوف) : أرايت ؟ يالك من رجل غريب
سريع الغضب ! هو يرجو لك الخير ، ويقول كلمات
لطيفة ليهدئك ، وأنت تصيح في وجهه ! انه رجل
حكيم ، تيرينتي هذا ، يا أخ . . .

تيتيريف : لسوف يعيد ترتيب الأثاث ويعيش واثقاً أنه قام
بواجبه جيداً تجاه الحياة والانسان . فلقد جبل على
صورتك ومثالك .

بيرتشيخين : كقطرتين من الماء !

تيتيريف : يشبهك تماماً - فهو أحمق بقدر ما هو جبان .

بيرتشيخين (الى تيتيريف) : مهلاً ، ما هذا الذي تقول ؟
بيسيمينوف : واصل كلامك ولا تشتت . كيف تجرؤ على
ذلك !

تيتيريف : سيغدو في وقته جشعاً ، قاسي القلب ، متفطرساً
مثلك . (يحدق بيرتشيخين في وجه تيتيريف متسائلاً ،
محاولاً أن يستوعب ما إذا كان يؤاسي العجوز أم
يشتمه . يبدو على وجه بسيمينوف أيضاً عدم الفهم ،

ولكن حديث تيتيريف يثير إهتمامه) . ولسوف يكون
بائساً في آخر الأمر مثلما أنت بائس الآن . الحياة
تسير قدماً ، أيها العجوز ، ومن لا يستطيع مواكبتها
سيجد نفسه وحيداً .

بيرتشيخين : هكذا إذن ! أسمع ؟ ذلك يعني ان كل شيء
هو كما ينبغي أن يكون ، وهذا أنت تشخر وتخور !

بيسيمينوف : اياك عني !

تيتيريف : وكذلك لن يرحموه ، ولدك المسكين البائس .
لسوف يسألونه بكل صراحة في وجهه ، مثلما أنا
أسألك الآن : من أجل اي شيء عشت ؟ وأي خير
فعلت ؟ ولسوف يكون ، مثلك الآن ، عاجزاً عن
الجواب .

بيسيمينوف : هكذا . . . ذلك ما قلت له الآن إذن . . .
أنت دائماً تتحدث بطلاوة ! لكن ، فتش في روحك ،
فماذا أنت واجد فيها ؟ كلاً ! لا أصدق كلمة مما تقول
أنت . . . و . . . هيا ، إرحل من المسكن ! فقد اكتفيت
منكم . أنت أيضاً فعلت هنا الكثير مما أساء إلي . . .
تيتيريف : آه لو كنت أنا الفاعل حقاً ! لكنه للأسف لست
أنا (يخرج) .

بيسيمينوف (يهز رأسه) : حسناً . . . سنحتمل إذن !
سننتظر . . . إحتملنا فترة طويلة ولسوف نحتمل
فترة أخرى ! (يدلف الى غرفته) .

أكولينا ايغانوفنا (تركض وراء زوجها) : أيها الأب ! يا
رجلي العزيز ! يا لنا من تعساء ! لماذا فعل أولادنا

بنا هذا ؟ ماذا فعلنا لننال ذلك ؟ (تدلف الى غرفتها . يقف بيرتشيخين وسط الغرفة ، يطرف بعينيه في تساؤل وعدم فهم . وتاتيانا ، وقد جلست على مقعد البيان ، تنظر حواليتها بوحشية . يتسرب من غرفة بيسيمينوف حديث خافت .)

بيرتشيخين : تانيا ! تانيا ! (لا تعيره تاتيانا التفاتاً) . تانيا ! ما سبب هذا . . . هذا الهروب ، وهذا البكاء - ما السبب ، ايه ؟ (ينظر الى تاتيانا ويتنهد .) طيور غريبة ! (ينظر الى باب غرفة بيسيمينوف ، ثم يتجه الى باب المدخل هازأً رأسه .) حسناً . سأذهب الى تيرينتي . . . طيور غريبة !

(تنهار تاتيانا في بطن ، مسقطه ذراعيها على مفاتيح البيان ، معتمدة رأسها بين يديها . ينطلق في الغرفة نغم عالٍ متنوع اللحن من عدة مفاتيح معاً . ويخمد الصوت تدريجياً .)

ستار

الى قسطنطين بتروفيتش بيانينيسكي
م . غوركي

الحضيض

مشاهد في اربعة فصول

بدأ غوركي بكتابة هذه المسرحية في ديسمبر ١٩٠٠ .
وجرى اول عرض لها في ١٨ ديسمبر ١٩٠٢ ، في مسرح
موسكو الفني .

الشخصيات

ميخائيل ايفانوفيتش كوستيليوڤ ، ٤٥ عاماً ، صاحب دار للسكنى .

فاسيليزا كاربوفنا ، ٢٦ عاماً ، زوج ميخائيل .
ناتاشا ، ٢٠ عاماً ، شقيقتها .

ميدفيديف ، ٥٠ عاماً ، عمها ، شرطي .

فاسكا (فاسيا) بييل ، ٢٨ عاماً .

أندري ميتريتش كليش ، ٤٠ عاماً ، صانع أقال .

آنا ، ٣٠ عاماً ، زوج أندري .

ناستيا ، ٢٤ عاماً ، عاهرة .

كفاشنيا ، امرأة في حوالي الأربعين تباع الـ«بلميني» .

بوفوف ، ٤٥ عاماً ، صانع قبعات .

البارون ، ٣٣ عاماً .

ساتين | في حوالي

الممثل | الاربعين

من العمر

لوكا ، ٦٠ عاماً ، أفتاق .

أليوشكا ، ٢٠ عاماً ، اسكافي .

كريفوي زوب | حاملان

الستري

عدة أفتاقين صامتين لا أسماء لهم .

الفصل الأول

قبو اشبه ما يكون بالكهف ، سوّد الدخان سقفه المقبّب وتساقت الجص في بعض نواحيه . النور ينبثق من المتفرجين وينحدر من اعلى الى اسفل من نافذة مربعة الشكل تقوم الى اليمين . وثمة فاصل رقيق يفصل الزاوية اليمنى من المسرح الى غرفة تخصّ ببيل ، وبالقرب من بابها تنتصب دكة خشبية لبونوف . مدفأة روسية ضخمة تشغل الزاوية اليسرى . والى اليسار باب في حائط حجري يؤدي الى المطهى حيث تعيش كفاشنيا ، والبارون ، وناستيا . . . سرير عريض قائم خلف ستار من خرقة قطنية وسخة ، ملتصقاً بالحائط بين المدفأة وذلك الباب . ودكك من الأخشاب تصطف على طول الجدران . وفي مقدمة المسرح كتلة خشبية كبيرة عليها ملزمة حديدية وسندان صغير . وخلف هذا السندان ، على كتلة مماثلة لكن أوطأ ، يقبع كليش وهو يجرب ادخال بعض المفاتيح في قفل عتيق بين يديه . وقد تبعثرت على الأرض حواليه حلقتان معدنيتان تضمان مفاتيح شتى من مختلف القياسات ، وسماور محطم من الصفيح ، ومطرقة ومبارد . أما وسط المسكن فتشغله طاولة كبيرة ، ومقعدان خشبيان ، وكرسی لا مسند له ، وجميعها قدرة غير مدهونة . كفاشنيا تجلس الى الطاولة منهيكة في شؤون السماور ، والبارون يمضغ قطعة من الخبز الاسود ، وناستيا تجلس على كرسى لا مسند له مرتففة المائدة تقرا كتاباً

ممزقاً . صوت آنا يدندن من خلف ستار السرير وهي تسعل . بوبنوف متربع على دكته وبين ركبتيه قالب خشبي لقعبة ، يحاول أن يضع عليه عدة شرائط من بنطال مفتق عتيق ويفكر في اسلوب تفصيل القبة ، والى الأمام منه علبة كارتون ممزقة لحفظ القبة فيها حافات القبعات وقطع من المشمع وقصاصات قماش . ساتين الذي أفاق لتوه يضطجع على دكته يدمدم . الممثل يسعل ويتململ على ظهر المدفأة * ، لا يراه النظارة .

الوقت صباح يوم من ايام
الربيع الاولى .

البارون : ثم ماذا ؟

كفاشنيا : وقلت له : لا ، يا عزيزي ، إبعد عني وانت تريد ان تفعل ذلك . وقلت' : سبق لي فجرت هذا الشيء ، فلن أعقد الزواج مرة ثانية حتى ولا لقاء مائة سرطان نهري مشوى !

بوبنوف (الى ساتين) : فيم تزمجر هكذا ؟

(ساتين يدمدم من جديد)

* المدفأة الروسية مبنية بشكل متسع بحيث يكفي سطحها لاستخدامه كسرير . (المترجم) .

كفاشنيا : وقلت أيضاً : أنا ، المرأة الحرة الطليقة ، صاحبة نفسي ، أذهب وأسجل نفسي في جواز شخص آخر
كيما أصبح أمة رجل ما - لا وحياتك ! لا !
أبدأ ! وان يكن أميراً أميرياً نفسه لن أتزوجه أبداً !
كليش : هذا كذب صراح !

كفاشنيا : ما . . . ا . . . ذا ؟

كليش : هذا كذب فاضح . لسوف تتزوجين أبرام !
البارون (يختطف كتاب ناستيا ويقرأ العنوان) : «الحب
القاتل» (يضحك)

ناستيا (تمد يدها لتأخذ الكتاب) : هات ، 'ردّه اليّ' !
تعال ! كفى هذراً !

(البارون ينظر اليها ويغیظها بتلويح الكتاب في الفضاء)

كفاشنيا (الى كليش) : أنت تيس عجوز أحمر الشعر ،
وتقول : كذب صراح ! كيف تجرؤ على اهانتني هكذا ؟ !
البارون (يضرب ناستيا بالكتاب على رأسها) : أنت حمقاء ،
يا ناستيا !

ناستيا (تختطف منه الكتاب) : أعطنيه !
كليش : يا للسيدة الرائعة ! لكنك ستتزوجين أبرام في
الحال ! هذا كل ما تنتظرين !

كفاشنيا : نعم ، بالطبع ! وكيف لا ! تلك الطريقة التي
'سقتَ بها زوجتك الى شبه الموت . . .
كليش : اخوسي يا كلبة عجوزة ! ليس هذا من شأنك !

كفاشنيا : أو - هو ! لستَ تحبُّ سماع الحقيقة !
البارون : لقد شرعا في القتال ! ناستيا ، أين أنت ؟
ناستيا (دون أن ترفع رأسها) : ماذا ؟ اتركني !
آنا (تطل برأسها من خلف الستار) : بدأ النهار ! فبحق
الله . . . لا تصيحوا . لا تتشاجروا !

كليش : ها هي بدأت عويلها !
آنا : يتكرر هذا في كلِّ نهار . دعوني أمت في طمأنينة
وراحة على الأقل !

بونوف : الضجيج لا يعرقل الموت . . .

كفاشنيا (تذهب صوب آنا) : كيف تقوين على الحياة مع هذا
العفريت ، يا حبيبتي المسكينة ؟

آنا : اتركني وشأني . اذهبي عني .

كفاشنيا : وى ! يا للصابرة ! أصدرك أكثر راحة اليوم ؟

البارون : كفاشنيا ! حان وقت الذهاب الى السوق !

كفاشنيا : دقيقة واحدة فقط ! (الى آنا) أفلا تريدين بعض
«البلميني» * الحارة الطيبة ؟

آنا : لا أريدها . . . شكراً . أيفيدني اكلها ؟

كفاشنيا : جرّبها فقط . طيبة حارة ، وستخفف من حدة
سعالك . سأترك لك منها في هذا الطاس فتأكلينها
وقتما تشعرين برغبة في ذلك . هيا يا سيدي ! (الى

* بلميني - نوع من فطائر صغيرة جداً باللحم . ياكلونها
مسلوقة . **الناشر** .

كليش) بر --ر--ر ! يالك من غول ! (تخرج الى المطهي) .

آنا (وهي تسعل) : آواه ، يارب !
البارون (يدفع رأس ناستيا بلطف) : دعيك من هذا ، أيتها الحمقاء !

ناستيا (مجمجة) : اتركني . . . انا لا أزعجك .

(البارون يصفر لحنًا ، وهو يخرج في أعقاب كفاشنيا) .

ساتين (ينهض نفسه في دكته) : من ضربني ليلة البارحة ؟

بوبنوف : وأي فارق في ذلك عندك ؟

ساتين : لا فارق . لكن ، لماذا ضربوني ؟

بوبنوف : أكنت تلعب الورق ؟

ساتين : نعم .

بوبنوف : اذن ، لهذا السبب ضربوك . . .

ساتين : يا للأوغاد !

الممثل (يطل برأسه من سطح المدفأة) : سيضربونك حتى

الموت في يوم من الأيام .

ساتين : أنت حمار .

الممثل : لماذا ؟

ساتين : لأنه لا يمكن قتل المرء مرتين .

الممثل (بعد فترة صمت) : لا أفهم . . . لماذا لا يمكن هذا ؟

كليش (الى الممثل) : اهبط عن هذه المدفأة ورتب المكان .

لماذا انت مرتخ حتى هذا الوقت ؟

الممثل : ليس هذا من شأنك .
كليش : مهلاً حتى تجيء فاسيليزا . وسترينك من شأن
مَنْ هذا !
الممثل : الى قاع الجحيم ، فاسيليزا هذه ! هو دور البارون
في التنظيف اليوم . يا بارون !
البارون (داخلاً من المطهى) : لا وقت عندي للتنظيف . فأنا
ذاهب الى السوق صحبة كفاشنيا .
الممثل : ليس هذا من شأنى . في استطاعتك المضي ولو الى
الاشغال الشاقة ، لكنه دورك في مسح الأرض . فلن
أعمل بدلاً عن الآخرين .
البارون : فلتذهب أنت الى الجحيم ! لسوف تمسح ناستيا
الأرض . هاي ، أنت ، أيها «الحب القاتل» ! استيقظي !
(يختطف الكتاب منها)
ناستيا (وهي تنهض) : ماذا تريد ؟ أعطنيه ! يا لك من
مشاكس ! وتسمي نفسك سيداً . . .
البارون (يناولها الكتاب) : امسحي الأرض عني ، يا ناستيا .
اتفقنا ؟
ناستيا (تمضي الى المطهى) : آه ، طبعاً ! . . هذا هو
المطلوب !
كفاشنيا (على باب المطهى ، موجهة الحديث الى البارون) :
تعال ! سينظفون المكان من دونك . هاي ، أنت ، أيها
الممثل ! انهم يرجون ذلك منك ، فكن لطيفاً . ذلك لن
يقصف ظهرك !
الممثل : هه . . . دائماً أنا . لست أفهم لماذا . . .

البارون (يدخل من باب المطهى وعلى كفيه نير خشبي تتدلى منه سلّتان تحويان جرّتين مستورتين بخروق) :
الحِملُ أثقل من المعتاد اليوم .

ساتين : ذلك يستحق أن تولد باروناً . . .
كفاشنيا (الى الممثل) : هيا أنت ، لا تنس ان تمسح الأرض !
(تخرج عيبرَ الممرّ ، وتفسح مجالاً للبارون للانطلاق قبله)

الممثل (يهبط عن المدفأة) : استنشاق الغبار يؤذيني .
(بفخر واعتزاز) لقد تسمّم جسمي بالكحول .
(يستغرق في التأمل وهو جالس على دكته .)
ساتين : جسمك . . . العطونة . . .

آنا : أندري ميتريتش . . .

كليش : ماذا تبغين الآن ؟

آنا : لقد تركت لي كفاشنيا بعض البلميني . خذها وكلها . .
كليش (يتجه نحوها) : وأنت ؟ أفلا تريدينها ؟

آنا : كلا . فيم آكل ؟ بيد أنك رجل عامل . أنت تحتاج الى طعام .

كليش : أخائفة أنت ؟ لا تخافي . فمن يعلم . . . لربما . . .
آنا : هيا كلها ! فانا سيئة الحال . . . أحسب أن ذلك لن يتأخر بعد الآن .

كليش (مبتعداً عنها) : لا تبالي . قد تتحسنّ صحتك . . .
ذلك يحدث أحياناً . (يذهب الى المطهى)

الممثل (بصوت عال ، وكأنما استفاق بغتة) : البارحة قال لي

الطبيب في العيادة : تسمّم جسمك بالكحول تماماً .
هذا ما قال لي .
ساتين (مبتسماً) : العطونة .
الممثل (باصرار) : ليس عطونة ، بل الجسم . . .
ساتين : سيقمير * . . .
الممثل (ملوّحاً بيده في اتجاهه) : بلاهة ! لكنني أتحدث
جاداً . بلي ، اني جاد ! اذا تسمّم جسمي ، من
المؤذي اذن أن أمسح الأرض ، أن أستنشق ذلك
الغبار . . .
ساتين : ماكروبيوتيك * . . . هه !
بوبنوف : ما هذا الذي تدمدم به ؟
ساتين : كلمات . ثم هنالك تلك . . . الصورية .
بوبنوف : وما معنى هذا ؟
ساتين : لا أدري . لقد نسيت .
بوبنوف : اذن فيمَ قلتَ ذلك ؟
ساتين : لمجرد القول ، ليس غير . لقد سئمتُ من سائر
تلك الكلمات التي يستعملها البشر ، يا أخي . سئمت
من سائر كلماتنا ! سمعتها جميعاً أكثر من ألف مرة !

* قبيلة ألمانية قديمة كانت تعيش على ضفاف نهر الراين .
الناشر .
* * علم عن اطالة الحياة . من مؤسسيه الطبيب الألماني
هوفيلاند (١٧٦٨-١٨٣٦) وكان عنوان كتابه المترجم الى الروسية
والمكرس لاطالة الحياة هو «ماكروبيوتيك» . الناشر .

الممثل : يقولون في «هملت» : «كلمات ، كلمات ، كلمات ، كلمات !» . تلك مسرحية رائعة ! مثلت فيها دور حفّار القبور .

كليش (يدخل من باب المطهى) : ومتى ستبدأ بتمثيل دور ماسح الأرض ؟

الممثل : وما شأنك بهذا ! (يضرب صدره) «أوفيليا ! اذكريني في ابتهالاتك !»

(من مكان بعيد تدفّ جلبه أصوات ، وصراخ ، وصفير أنفاز من الشرطة . يجلس كليش للعمل ، مثيراً ضجيجاً خشناً بمبرده)

ساتين : أحب الكلمات الشاذة الغريبة ، المستعصية على الفهم . عندما كنت صبياً ، أعمل في مكتب للبرق ، طالعتُ كثيراً .

بوينوف : أكنت عامل برق أيضاً ؟

ساتين : نعم . (يطلق ضحكة صغيرة .) هناك بعض الكتب الرائعة . وكمية عظيمة من الكلمات الغريبة المثيرة للفضول . كنت ذات يوم شخصاً رفيع الثقافة . هل تعرف ذلك ؟

بوينوف : سمعته مئات المرات . وماذا إذا كنت كما تقول ؟ لا أهمية لهذا ! خذني ، أنا ، مثلاً . لقد كنت فراءً مرة ، أملك دكاناً خاصة بي . وكانت يداي مغرقتين في الصفرة دائماً من جراء صبغ الفراء - يداي وذراعاي جميعاً ، حتى المرفقين تماماً . وكنت أعتقد أنهما

سيبقيان صفراوين على ذلك الغرار حتى يوم وفاتي .
وحسبت أنني سأموت بتينك الذراعين الصفراوين .
انظر اليهما الآن . وسختان تماماً ، ليس غير . هه° !

ساتين : حسنا ، وماذا في ذلك ؟

بوبنوف : لا شيء . هذا كل شيء .

ساتين : ما كان مغزى حديثك بالضبط ؟

بوبنوف : لا شيء على وجه التعيين . تلك كانت مجرد فكرة .
ينضح أنك مهما دهنتَ الخارجِ وصبغته بعناية ،
فسرعان ما يمحّي كلّه . يمحّي بأجمعه . هه° !

ساتين : آه ، لكم تؤلمني عظامي !

الممثل (يجلس محتضناً ركبتيه) : الثقافة لا تعني شيئاً ،
الاهم هو الموهبة . تعرفت مرة الى ممثل لا يتمكن من
قراءة دوره الا بتهجّي المقاطع ، وعندما يمثل كان
المسرح يهتز ويموج من فرط اعجاب النظارة .

ساتين : بوبنوف ، أقرضني خمسة كوبيكات !

بوبنوف : لا أملك سوى كوبيكين .

الممثل : أقول لك أن الموهبة هي ما تحتاج اليه لتصير
ممثلاً . والموهبة تعني الأيمان بنفسك ، بكفاءتك .

ساتين : أعطني خمسة كوبيكات وسأؤمن بأنك نابغة عبقرى ،
بطل ، تمساح . أنك ضابط شرطة . كليش ، أعطني
خمسة كوبيكات !

كليش : اذهب الى الشيطان ! في الجوار كثيرون من أمثالك .
ساتين : فيمَ الشتم والتجديف ؟ أدري أنك لا تحمل كوبيكاً
واحداً ملكاً حلالاً لك .

آنا : أندري ميتريتش . . . من الصعب أن أتنفّس . . .
الجو خانق .

كليش : وماذا تتوقعين مني أن أفعل اذن ؟
يوبنوف : افتح باب الممرّ .

كليش : عظيم ! أنت تتربّع هنالك في العالي على دكتك ،
وأنا أتجوّر على الأرض مهنا . هيا نتبادل مكانينا ،
وافتح الباب على هواك . اني أحسّ البرد والباب
مغلق .

يوبنوف (بهدهوء) : لست أنا من يريد الباب أن يفتح . تلك
زوجتك تطلب ذلك .

كليش (باكتئاب) : هناك أشياء لا حصر لها في استطاعة المرء
أن يطلبها .

ساتين : يا لرأسي كيف يظن ويدوي ! لمّ ينبغي للناس
أن يؤذوا بعضهم بعضاً على الرأس ؟

يوبنوف : ليس على الرأس فحسب ، بل على كل المساحة
الباقية من البدن . (ينهض) أنا ذاهب لابتياح قليل من
الخيطان . 'تري ، ما الذي يعوق صاحب الدار وزوجته
عن المعجىء حتى الآن هذا اليوم ؟ لعلهما ماتا . (يخرج)

(آنا تسعل . ساتين يضطجع بدون حراك ويدها تحت
رأسه)

الممثل (يتطلع حوله بصورة بانسة ثم يتقدم من آنا) :
أحالتك سيئة ؟

آنا : الجو خانق جداً .

الممثل : سأصحبك الى الممرّ خارجاً ، اذا شئت . هيا انهضي . (يساعدها على النهوض ، ثم يلقي بعض الأسمال على كتفها ، ويقودها الى الخارج .) تعالي ، تعالي . . . نابري ! أنا الآخر مريض . . . متسمّم بالكحول .

كوستيليوف (على عتبة الباب) : أخرجان في نزهة ؟ ما أجمل الاثنين ، الحمل والنعجة !

الممثل : تنحّ عن الطريق ! أفلا ترى ان مريضين يسيران !
كوستيليوف : تفضل سر . . . (يهمهم بلحن كنسي من خلال أنفه ، ويرنو بريبة في أرجاء المسكن ، وينحني رأسه الى اليسار وكأنما يهدف السمع الى شيء ما في غرفة بيبييل . كليش يخشخش بمفاتيحه في خبث ، ويشغل بمبرده في صرير ، وهو يراقب حركات سيد الدار من تحت حاجبيه المنخفضين) أصرّ حديدك ؟

كليش : ماذا ؟

كوستيليوف : أقول : أصرّ حديدك ؟ (صمت .) هم - م . . . والآن ، ماذا كنت أريد أن أسأل ؟ (يتحدث بسرعة بصوت مخفوض) هل جاءت زوجي الى هنا ؟
كليش : لم أرها .

كوستيليوف (يسترق الخطأ في اتجاه الباب المؤدي الى غرفة بيبييل) : أنت تشغل مساحة واسعة عندي لقاء روبلين اثنين في الشهر ! سرير وبقعة تجلس فيها أيضاً . هم - م . . . هذه البقعة تستحق خمسة روبلات على

الأقل ، وشرفي ! يجب أن نضيف عليها نصف روبل آخر .

كليش : أضف اليها أنشوطة واخنقني حتى أموت ! تَقِفْ على عتبة الموت ، وما تبرح تتصور كيف تبتز نصف روبل آخر !

كوستيليواف : وفيمَ اخنقك ؟ مَنْ يستفيد من هذا ؟ استمر على العيش حسب هواك ، وليكن الله في عونك . لكنني سأضيف هذا النصف روبل الزائد على كل حال . سوف أشتري قليلاً من الزيت لقنديل أيقونتي ، وأحرقه أمام الصورة المقدسة ، ذبيحة تكفير عن خطاياي ، وخطاياك أيضاً . فأنت لا تفكر في خطاياك أبداً ، آه ، انك انسان خبيث ، يا اندريوشكا ! ولقد يبست زوجتك بسبب من دناءتك وحقارتك . ليس من يستلطفك ، وليس مَنْ يحترمك . أبداً يصرّ حديدك هذا ، ضارباً على أعصاب الجميع دون تفريق

كليش (يصيح) : هل جئست الي لتسمم حياتي ليس غير ؟

(ساتين يزمر بصوت عال)

كوستيليواف (ينتفض) : الرحمة ، أيها الرجل الطيب . . . الممثل (يدخل) : لقد أقعدتها خارجاً في الممر ، ولفقتها جيداً .

كوستيليواف : ان بين جوانحك قلباً حنوناً ، يا أخي . ذلك شيء حسن . ولسوف يضاف الى حسابك .

الممثل : متى ؟

كوستيليواف : في العالم الآخر ، يا اخي . هنالك كل شيء بحساب ، وكل عمل مهما يكن صغيراً .

الممثل : لعلك تكافئني على لظفي ههنا بالضبط ، وفي الحال .
كوستيليواف : كيف أفعل ذلك ؟

الممثل : بأن تشطب نصف ما لكّ عليّ من دين .

كوستيليواف : وِيّ ! وِيّ ! انك لا تزال تمزح يا عزيزي كأنما القلب الطيب يكافأ بالمال ! الطيبة أرفع النعم والبركات ! لكن الدَيْنُ دين ، وهذا يعني أن وفاء واجب . أما ذلك اللطف الذي أظهرته تجاه رجل عجوز مثلي ، فيجب ألا تبحث عن مكافأة عليه !

الممثل : انك محتال ، ايها العجوز ! . . (يدلف الى المطهى)

(ينهض كليش ويخرج الى الممر)

كوستيليواف (الى ساتين) : المصصر هذا . . . لقد هرب .
وِيّ ، وِيّ ! انه لا يجبنى .

ساتين : ومن يستطيع سوى الشيطان أن يجبك ؟

كوستيليواف (هازلاً) : يا لك من مولع بالشتائم ! أما أنا ، فأحبكم جميعاً حباً جماً . أنا اعرف يا اخوتي الساقطين

المساكين التعساء . . . (فجأة ، وبسرعة) . . .

فاسكا - أهو في البيت ؟

ساتين : اذهب وانظر .

كوستيليواف (يتجه الى الباب ويقرعه) : فاسيا !

(يظهر الممثل على باب المطهى يمضغ شيئاً)

بيبيل : من هناك ؟
كوستيليواف : انا . انا يا فاسيا .
بيبيل : ماذا تريد ؟
كوستيليواف (يتحرك مبتعداً) : إفتح الباب .
ساتين (دون أن يتطلع الى كوستيليواف) : سيفتح الباب ،
فاذا هي هنالك .

(الممثل ينفخ بمنخره)

كوستيليواف (في صوت مخفوض ، قلقاً) : ماذا ؟ من هناك ؟
ماذا قلت ؟
ساتين : اتخاطبني ؟
كوستيليواف : ماذا قلت ؟
ساتين : لا شيء على التعيين . كنت أحدث نفسي .
كوستيليواف : حذار ، يا أخي ! ولكن للنكته حدودها . . .
اجل ! (يقرع الباب بشدة .) فاسيا !
بيبيل (يفتح الباب) : حسناً ؟ فيم جئت تزعجني ؟
كوستيليواف (يلقي نظرة الى داخل الغرفة) : انا . . . أنت
ترى . . . أنت . . .
بيبيل : هل أتيت بالمال ؟
كوستيليواف : لي عمل معك .
بيبيل : هل أتيت بالمال ؟

كوستيليواف : أي مال ؟ لحظة .

بييل : الروبلات السبعة ثمن الساعة . أين هي ؟
كوستيليواف : أية ساعة ، يا فاسيا ؟ . . . يا الهي ،
أنت . . .

بييل : عظيم ما تقول ! شاهدنا بعض الناس ، وأنا أبيعك
الساعة نهار البارحة لقاء عشرة روبلات - دفعتَ من
أصل ثمنها ثلاثة ، وتبقى عليك سبعة . هاتها ! فيم
وقوفك ههنا تطرف بعينيك ؟ انك تدب في الجوار وتخب
مزعجاً الجميع ومقلقاً راحتهم عوضاً عن السعي وراء
عملك !

كوستيليواف هُسْ - س - س : لا تغضب ، يا فاسيا !
فالساعة . . . انها . . .

ساتين : ساعة مسروقة !

كوستيليواف (في صرامة) : انا لا آخذ أشياء مسروقة ! كيف
تجرؤ . . .

بييل (يمسك به من كتفيه) : فيمَ جئت تزعجني ؟ ماذا
تريد ؟

كوستيليواف : لا أريد شيئاً . سأذهب . . . اذا كنتَ على
هذا الغرار .

بييل : أخرج من هنا ، وجئني بالمال !

كوستيليواف (مغادراً) : يا لهؤلاء البشر الأفظاظ ! وي ،
وي !

الممثل : انها مهزلة حقيقية !

ساتين : حسناً ، فهذا ما أحب .

بييل : ماذا كان يفعل هنا ؟
ساتين (ضاحكاً) : أفلا يمكنك تخمين ذلك ؟ يفتش عن زوجته . لمّ لمّ تضربه حتى الموت ، يا فاسيا ؟ !
بييل : لا أريد ان أدمر حياتي من أجل مثل هذا الخنزير !
ساتين : إفعل هذا بدهاء ، وعندها تستطيع الزواج من فاسيليزا . . . ستصبح سيدنا .

بييل : لا نعمة في هذا ! لانكم ستبددون ملكيتي كلها على الخمرة في الحانة وستبيعوني أنا أيضاً هناك بسبب من طيبة قلبي . (يجلس على إحدى الدكات) ذلك الشيطان العجوز ! لقد بعثني من رقادي . وكنت غارقاً في أمواج حلم بديع ! كنت أصطاد ، فأمسكت بسمكة كبيرة من سمك الكركي ! أنت لا تجد سمكة بمثل حجمها الا في الحلم ! كانت هنالك في آخر الخيط ، وأنا أشد الصنارة ، وأخاف ان تنكسر العصا ، فهياأت الشبكة . . . وفكرت ان الوقت قد أزف الآن للامساك بها .

ساتين : تلك لم تكن سمكة كركي . تلك كانت فاسيليزا .
الممثل : لقد اصطاد فاسيليزا منذ أمد بعيد .
بييل (غاضباً) : اذهب الى الجحيم ، وخذها معكما !
كليش (يدخل من الممر) : يا للصقيع الشيطاني !
الممثل : لماذا لم تدخل آنا ؟ لسوف تتجمد من البرد خارجاً .
كليش : أخذتها ناتاشكا الى المطبخ .
الممثل : لسوف يطردها ذلك العجوز .
كليش (يجلس وراء عمله) : فتعيدها ناتاشا الى هنا .

ساتين : فاسيلي ! اقرضني خمسة كوبيكات !
الممثل (الى ساتين) : خمسة كوبيكات ! فاسيا ! اعطنا عشرين
كوبيكا ! . .

بيبيل : الأفضل أن أسرع وأعطيها ذلك ، والا طلبوا روبلا
كاملاً ! خذا !

ساتين : جبل طارق ! إن اللصوص أروع الناس على وجه
البيسطة !

كليش (مكتئباً) : المال يأتيهم في سهولة ويسر ! وهم لا
يعملون .

ساتين : كثيرون يحصلون على المال في سهولة ، لكن
القليلين يعطونه بسهولة . العمل ؟ جِدْ لي عملاً يكون
انجازه باعثاً على السرور ، ولعلني أقوم به اذن .
ويّ ! ربما ! عندما يبعث العمل على السرور ، تكون
الحياة اذن فرحة حقيقية ! وعندما يكون العمل واجباً ،
تكون الحياة عبودية اذن ! (الى الممثل) تعال ، أنت يا
ساردنابالوس ! فلنذهب !

الممثل : فلنذهب ، يا نبوخذنصر ! لسوف أشرب كاربعين
ألف سكير !

(يخرجان)

بيبيل (يتشاءب) : كيف حال زوجك ؟
كليش : لن يطول الأمر كما يبدو .

(فترة صمت)

بيبيل : اني اراقب حياتك - عبثاً تعمل .
كليش : وما العمل ؟
بيبيل : لا شيء .

كليش : وكيف اطعم نفسي ؟
بيبيل : الناس الآخرون يتدبرون أمرهم .
كليش : من ؟ هؤلاء الذين هنا ؟ هل هم أناس ؟ صعايك !
انذار ! انني عامل ، ويخجلني مجرد النظر اليهم .
انني اعمل منذ نعومة اظفاري . افتظنني لن اخرج من
هنا ؟ لسوف أفعل ذلك حتماً . قد أسلخ الجلد عن
بدني بأكمله ، ولكنني سأتسلل خارج هذا المكان .
انتظر فقط . سوف تموت زوجتي قريباً . انني لم أظن
هذا المكان الا منذ ستة شهور ، ولكنها تبدو في عيني
ست سنوات .

بيبيل : لست أفضل الآخرين فلا حاجة للتفوه بمثل هذا
الكلام .

كليش : لست أفضل ! هم عديمو الشرف ، عديمو
الوجدان !

بيبيل (بلا مبالاة) : وما جدواهما - الشرف والوجدان ؟
لست تستطيع أن تلبس الشرف والوجدان في قدميك
عوضاً عن حذائك . أولئك الذين يملكون القوة
والسلطة يحتاجون ، وحدهم ، الى الشرف والوجدان .

بوبنوف (داخلاً) : بر - ر - ر - ر ! . لقد تجلّدت !

بيبيل : بوبنوف ! هل فيك وجدان ؟

بوبنوف : ما هذا ؟ وجدان ؟

بيبييل : أجل .

بوبنوف : وما حاجتي اليه ؟ لست ثرياً .

بيبييل : هذا رأيي ايضاً . الأغنياء وحدهم يحتاجون الى

الشرف والوجدان . لكن كليش ههنا يزعم ويصيح .

انه يقول أننا عديمو الوجدان . . .

بوبنوف : ماذا ينوي ؟ أن يستعير وجداناً ؟

بيبييل : كلا ، فهو يملك الكثير منه .

بوبنوف : وهكذا فهو يعرضه للبيع ؟ اذن ، لن يجد زبوناً

في هذا المكان . لو أنه كارتون متحطم لأشتريته . . .

وذلك اذا باعني اياه بالدين فقط .

بيبييل (بلهجة واعظية) : أنت أحمق غبي ، يا اندري !

يستحسن أن تصغي الى ساتين فيما يتعلق بالوجدان .

أو حتى الى البارون .

كليش : ليس لدي ما اتحدث عنه معهما .

بيبييل : انهما يفوقانك ذكاء . . . حتى اذا كانا سكرانين .

بوبنوف : الانسان السكران والحكيم في وقت واحد تتضاعف

قيمته .

بيبييل : يقول ساتين : كل انسان يريد أن يكون للغير

وجدان ، لكن ليس من يريد وجداناً خاصاً به . هذا

صحيح .

(تدخل ناتاشا ، يتبعها لوكا وفي احدى يديه عصا ، يتدلى

كيس على ظهره ، وقد ربط الى حزامه قصعة من الصفيح

وغلاية للشاي)

لوكا : السلام عليكم ، أيها الناس الشرفاء !

بيبيل (يمسّد شاربيه) : آه ، ناتاشا !

بوبنوف (الى لوكا) : كنا شرفاء فيما غير من الزمان .

ناتاشا : هذا نزيل جديد .

لوكا : سواء عندي ، فأنا أحترم اللصوص النشّالين أيضاً .

ان للبرغوث مزاياه في اعتقادي . فالبراغيث جميعاً

سوداء ، وهي جميعاً تقفز قفزاً . هذه هي الامور . أين

سيكون مكاني ، يا عزيزتي ؟

ناتاشا (تشير الى باب المطهى) : هنالك ، يا جدّاه .

لوكا : شكراً لك ، يا بنيّتي . اذا قلتِ هنالك ، فالى هنالك

أذهب اذن . كل بقعة دافئة تصلح مأوى للرجل

العجوز .

بيبيل : لقد جئنا بعجوز يثير الاهتمام يا ناتاشا .

ناتاشا : انه أكثر مثارا للاهتمام منكم ! أندري ! زوجك

قابعة في مطبخنا . فتعال خذها بُعَيْدَ هُنَيْهَات .

كليش : حسناً . سآتي .

ناتاشا : يجب أن تعاملها بمزيد من اللطف الآن . . . ترى

أن الأمر لن يطول .

كليش : أعرف ذلك .

ناتاشا : لا يكفي أن تعرف . يجب أن تفهم ! فالمرء خائف

من الموت على كل حال .

بيبيل : أنا لست بخائف .

ناتاشا : حقاً ! يا لها من شجاعة !

بوينوف (صافراً) : الخيوط رميم !
بييل : بشرفي أنا لست بخائف . أنا مستعد للموت هذه اللحظة بالذات ! هيا تناولي تلك السكين واغززيها في قلبي . وسوف أموت من غير أن أئن . لسوف أكون مسروراً اذن ، لان يدأ نقيه أصابتنني .
فاتاشا (وهي خارجة) : الاحرى لك ان تكذب امام غيري .
بوينوف (وهو يطم كلماته) : الخيوط رميم .
فاتاشا (على باب الممر) : لا تنس زوجتك ، يا أندري .
كليش : لن أنسى .
بييل : اليك هذه الفتاة !
بوينوف : انها رائعة .
بييل : لماذا هي . . . هكذا معي ؟ تطردني على الدوام .
لسوف تضيع نفسها اذا بقيت ههنا .
بوينوف : ستضيع بسبيك .
بييل : لماذا بسببي ؟ فأنا . . . أرثي لها .
بوينوف : مثلما يرثي الذئب للحمل .
بييل : هذا كذب ! أنا أرثي لها رثاء شديداً . فمن العسير عليها أن تعيش هنا . أرى ذلك بنفسي .
كليش : ويلك حين تقبض عليك فاسيليزا وأنت تثرثر معها .
بوينوف : فاسيليزا ؟ ليست ممن يُعطون مقابل لا شيء . . .
تلك امرأة كاسرة !
بييل (يضطجع على الدكة) : اذهبا الى الشيطان معاً ! زوجان من الأنبياء !

كليش : لسوف ترى . انتظر فقط .
لوكا (يعني في المطبخ) : يا ظلام الليل . . . ضاعت الدرب
في العتمة . . .
كليش (يخطو الى الممر) : فيم تنبح وتعول ؟ هذا واحد
آخر !

بيبيل : أشعر بالضجر . عجيب كيف يشتدّ بي السأم من حين
لآخر ؟ أنا احيا ، يوماً بعد يوم ، كل شيء على ما
يرام . وفجأة ، تبدو وكأنما القشعريرة دبّت في
أوصالي . فأشعر بضجر شديد .

بوينوف : الضجر ؟ هه !

بيبيل : الضجر وشرفي !

لوكا (يعني) : آه - آه ! ولا ممرّ على مرمى البصر !

بيبيل : هاي ! أيها العجوز !

لوكا (يطل من الباب) : أتناديني أنا ؟

بيبيل : أنت بالذات ! كفّ عن الغناء .

لوكا (يدخل) : أفلا يروك ؟

بيبيل : قد يروني لو كان جيداً .

لوكا : تقصد أنه غناء غير جيد ؟

بيبيل : بلى أقصد ذلك .

لوكا : أمر عجيب ! ولقد كنت أحسب أن لي صوتاً جيداً .

هذا ما يقع دائماً : يحدث المرء نفسه - أفلست

أفعل ذلك حسناً الآن ؟ ثم يأتي بعضهم ويقول انه

ردىء .

بيبيل (ضاحكاً) : بالضبط ! هذا صحيح !

بوبيونوف : قلت لتوئك انك ضجران حتى الموت ، وهذا أنت
تضحك الآن .

بيبيل : وما شأنك انت بهذا ايها الغراب الاسود !

لوكا : من يستشعر الضجر ؟

بيبيل : أنا . أنا الذي أستشعر ذلك .

(يدخل البارون)

لوكا : أمر عجيب ! هنالك فتاة قابعة في المطبخ تقرأ في كتاب
وتبكي . صدقوني ! فالدموع تتدحرج على وجنتيها .
قلت لها : «ما هذا ، يا عزيزتي ؟» فقالت : «أرثسي
له !» . فقلت : «من هو ؟» . فقالت : «هنا في هذا
الكتاب» . والآن ، ما الذي يحمل المرء على تزجية وقته
بمثل هذه الأشياء ؟ أحسب أنه الضجر ، كما هي
حالك .

البارون : انها حمقاء .

بيبيل : ايها البارون ! هل شربت شايك ؟

البارون : نعم . ثم ماذا ؟

بيبيل : أتود مني أن أقدم لك نصف زجاجة ؟

البارون : بالطبع . ثم ماذا ؟

بيبيل : إركع على اربعتك وانبع ككلب .

البارون : أبله ! اتحسب أنك تاجر غني ؟ أم أنك سكران
ليس غير ؟

بيبيل : هيا وانبع ! هذا سيسليني . أنت من الاسياد ،

ويوماً ما لم تكن تعتبر البشر من أمثالنا مخلوقات
بشرية او ما شابه .

البارون : حسناً ، ثم ماذا ؟

بيبيل : وبعد ؟ وها أنا الآن أطلب اليك النباح ككلب ،
ولسوف تفعل ذلك . هل تفعل ؟

البارون : طبعاً ! أنت أبله ! لا أدري على أية غبطة ستحصل
من ذلك . وأنا نفسي أدرك أنني أصبحت أسوأ منك
تقريباً . فقد كان احري بك أن تحملني على الركوع
على أربع عندما كنت أتفوق عليك .

بوينوف : هذا صحيح !

لوكا : وأنا أقول أيضاً : جيد !

بوينوف : ما فات قد فات ، ولم يبق سوى ريش الدجاج .
ليس بينكم أسياد ههنا . . . لقد غُسلت الأصباغ
جميعاً ، ولم يتبق غير العراة .

لوكا : وبكلمة أخرى ، الجميع متساوون . لكن ، هل كنت
باروناً حقيقة ، يا رجلي الطيب ؟

البارون : ما هذا ؟ مَنْ أنت ، أيها العفريت ؟

لوكا (ضاحكاً) : لقد رأيت كونتاً . وشاهدت اميراً . لكنني
لم أشاهد باروناً من قبل قط ، وباروناً جربان
أيضاً .

بيبيل (ضاحكاً) : بارون ! أنت تخجلني !

البارون : حان الوقت لتعقل ، يا فاسيا !

لوكا : يا الله ! عندما أنظر اليكم ، يا اخوتي ، والحياة التي
تعيشون - هم-م-م . . .

بوبنوف : نحن نصحو على الآهات ، وننام على الأثات - هذه هي الحياة التي نحبها .

البارون : كنا نعيش بصورة أفضل ذات مرة . وي ، أذكر أنني كنت أستيقظ صباحاً ، فتقدم اليّ القهوة في فراشي . القهوة بالحليب ! هذا ما كان !

لوكا : اننا كائنات بشرية ، جميعنا ، ولا فرق كيف نتظاهر ، ولا فرق كيف نوحى للآخرين : لقد ولدنا كائنات بشرية ، وكائنات بشرية سنموت . والناس يزدادون حكمة ، في رأيي ، ويصيرون أبعث على الاهتمام . وكلما ساء عيشتهم ، كلما ازدادت رغبتهم في عيش أفضل . ان الكائنات البشرية جماعة عنيدة المراس !

البارون : من أنت ، أيها العجوز ؟ ومن أين جئت ؟
لوكا : أنا ؟

البارون : هل أنت حاج ؟

لوكا : جميعنا حجاج على هذه الأرض . وقد سمعت بعضهم يقول ان أرضنا هذه ما هي الا حاجة في السماوات .

البارون (بحدّة) : فليكن ما يكون ، انما أنت - هل تحمل جواز سفر ؟

لوكا (بعد صمت) : ومن أنت ، أجاوس أنت ؟

بيييل (فرحاً) : حسناً قلت ، أيها العجوز ! لقد أفحك هذه المرة ، أنت أيها البارون !

بوبنوف : أجل . لقد أوقف سيدنا العظيم عند حدّه !

البارون (مرتبكاً) : وما أهمية ذلك ؟ كنت أمزح ، أيها

العجوز ! فأنا الآخر لا أملك واحدة من تلك الوثائق
أبدأ .

بوينوف : كذاب !

البارون : هذا يعني أن لديّ بعض الأوراق . . . الا أنها
غير صالحة .

لوكا : جميع هذه الأوراق سواء . ليس فيها ورقة صالحة .
بييل : بارون ! لنذهب الى الحانة .

البارون : انني مستعد دائماً ! حسناً ، الوداع ، ايها
الشيخ ! يا لك من محتال !

لوكا : كل شيء ممكن الحدوث يا عزيزي . . .

بييل (على الباب المؤدي الى الممر) : حسناً ، هيا بنا اذا
أردت الذهاب ! (يخرج ، فيهرول البارون خلفه .)

لوكا : هل كان باروناً حقيقياً ذات مرة ؟

بوينوف : من يدري ؟ انه من الذوات حقيقة . وحتى الآن قد
يفعل شيئاً على حين غرة يدلك على أنه من الذوات .

يبدو أنه لم ينس عاداتهم بعد .

لوكا : الانتماء الى الذوات أشبه بمرض الجدري - قد يبرأ
المرء منه ، لكن آثاره تبقى .

بوينوف : انه حسن على وجه الاجمال - قد يلبط في بعض
الاحيان . . . كما بشأن جواز سفرك .

اليوشكا (يدخل سكران ، يصفر ويعزف على الأكورديون بين
يديه) : هاي ، يا سكّان الدار !

بوينوف : ما بالك تصرخ ؟

اليوشكا : اعذرني . اغفر لي . فأنا مهذب .

بوبنوف : أبدأت تشرب من جديد ؟

أليوشكا : أفعل ما أشاء ! لقد طردني الشرطي ميدياكين من نقطة الشرطة قبل برهة قائلًا : «ياك أن أمسك برائحة منك في الشارع مرة ثانية . . . ولا أضال رائحة !» هذا ما قال لي . لكنني انسان له شخصيته ! ورئيسي يزمجري في وجهي . لكن ، ما هو الرئيس ؟ تفو ، تفو ! مجرد لا شيء ! انه سكير ، رئيسي ذلك . وأنا انسان لا يهتم بأي شيء كان . أنا لا أريد شيئًا ! حاول ان تجبرني على أن أفعل شيئًا ! (تدخل ناستيا من المطبخ .) أعرض عليّ مليوناً - فأرفضه ! هل تظن أنني أسمح لزميلي وهو سكير أن يأمرني أنا الرجل الطيب ؟ أبدأ وحياتك ! (ناستيا تراقب أليوشكا ، وهي تقف قرب الباب ، وتهز رأسها .)

لوكا (بلطف) : يا للورطة التي وقعت فيها ، يا فتى !
بوبنوف : هذه حماقة البشر .

أليوشكا (يرتمي على الأرض) : هأنذا ، كلوني ! لست أريد شيئًا ! انني فتى يائس ! برهنوا لي من هم أفضل مني ! ولم أنا أسوأ من الآخرين ؟ برهنوا لي ! قال لي ميدياكين : «سأحطم حنكك ان مسكت بك في الشارع» ! لكنني سأخرج اليه ! سأخرج وأتمدد في وسط الشارع - هيا ، مروا من فوقني ! لست أريد شيئًا !

ناستيا : يا للفتى التعس ! في طراوة عمره ، وقد تلوّى وتعدّد على هذا الشكل . . .

اليوشكا : (يلمحها ، فينهض على ركبتيه) . يا آنسة !
ما دماوزيل ! بارليه فو فرانسيه ... بريسكورانت ...
لقد شربت !

ناستيا : (في همسة عالية) : فاسيليزا !
فاسيليزا (تفتح الباب بسرعة ، وتخاطب اليوشكا) : انت
هنا ثانية !

اليوشكا : مرحباً تفضلي . . .
فاسيليزا : لقد أنذرتك الا تظهر في هذه الأرجاء ، ايها
الجرور . . . وها أنت هنا ثانية !

اليوشكا : فاسيليزا كاربوفنسا ! . . سأعزف لك لحناً
جنازياً . . . أتودين ذلك مني ؟

فاسيليزا (تدفعه من كتفه) : أخرج من هنا !
اليوشكا (يتحرك في اتجاه الباب) : تمهلي قليلاً ! اللحن
الجنازي ! لقد تعلمته حديثاً ! انه لحن جديد ! تمهلي
قليلاً ! لا يمكن أن تفعلي ذلك !

فاسيليزا : سأريك ان كنت أفعله أم لا ! لسوف أثير
الشارع بأسره ضدك ، ايها الكافر ! ما زلت صغيراً
بعد حتى توشى بي !

اليوشكا (يركض خارجاً) : انني ذاهب !
فاسيليزا (الى بوبنوف) : لا تدعني المحه هنا مرة ثانية ،
أتسمع ؟

بوبنوف : أنا لست كلب حراسة .
فاسيليزا : لا يعني من انت ! انما لا تنس أنك تعيش
هنا بفضل رحمتي . بكم أنت مدين لي ؟

بوينوف (ساكن الجأش) : لم أحسب ذلك .
فاسيليزا : حسناً ، سأحسب أنا لك !
اليوشكا (يفتح الباب ويصيح) : فاسيليزا كاربوفنا ! أنا
لست خائفاً منك . لست خا - ثفاً ! (يختفي .)

(لوكا يضحك)

فاسيليزا : وانت ، من عساك تكون ؟
لوكا : عابر طريق حاج .
فاسيليزا : اتطلب مأوى ليلة ، ام اقامة طويلة ؟
لوكا : سألقي نظرة فيما حولي أولاً .
فاسيليزا : جواز سفرك !
لوكا : اذا شئت . . .
فاسيليزا : أعطني !
لوكا : لسوف أسلمه . . . في جناحك الخاص بالذات .
فاسيليزا : عابر طريق . . آخر ! احرى بك ان تقول انك
صعلوك . هذا أقرب الى الحقيقة . . .
لوكا (يصعد زفرة حرى) : آه ، كم انت متدمرة يا
ستي . . .

(فاسيليزا تتجه الى باب غرفة بييل)

اليوشكا (يطل برأسه من باب المطهى ويهمس) : هل
ذهبت ؟ ها ؟

فاسيليزا : (تلفتت اليه) لا تزال انت هنا ؟

(اليوشكا يختفي وهو يصفر . ناستيا ولوكا يضحكان)

بوبنوف (الى فاسيليزا) : ليس هو هنا .

فاسيليزا : من ؟

بوبنوف : فاسيا .

فاسيليزا : اسألتك أين هو ؟

بوبنوف : هذا واضح لي . انك تسمين جميع الزوايا .

فاسيليزا : انا التي نظرة لأرى هل كل شيء على ما يرام ،

أفهمت ؟ لِمَ لم تمسح الأرض حتى الآن ؟ كم مرة

أمرتكم أن تحافظوا على نظافة هذا المكان ؟

بوبنوف : اليوم دور الممثل في المسح .

فاسيليزا : لا يهمني دور مَنْ ! اذا قدم مفتش الصحة وأوقع

غرامة بي ، فسوف أرمينّ بكم الى الطريق جميعاً !

بوبنوف (في هدوء) : ومن أين ستعيشين وقتذاك ؟

فاسيليزا : نظفوا المكان حتى لا تبقى ذرة غبار على الأرض !

(تتجه صوب المطبخ ، وتخاطب ناستيا .) فيم واقفة

ههنا وبوزك منتفخ متورّم ؟ لماذا جمدت كالتمثال -

هيا امسحي الأرض ! أرايت ناتاشا ؟ هل كانت هنا ؟

ناستيا : لا أدري . لم أرها .

فاسيليزا : بوبنوف ! أكانت أختي هنا ؟

بوبنوف (يشير الى لوكا) : لقد جاءت به .

فاسيليزا : وذلك الآخر - أكان في الدار ؟

بوينوف : فاسيا ؟ نعم . لكن ناتاشا تحدثت الى كليش
وحده .

فاسيليزا : لم أستوضحك مع من تحدثت ! القذارة في كل
مكان ! فظاعة ! أخ انتم عصابة خنازير ! نظفوا هذا
المكان . هل تسمعونني ؟ (تخرج بسرعة .)
بوينوف : هذه المرأة ملأى بالوحشية !
لوكا : انها امرأة صارمة .

ناستيا : كل انسان ينتهي الى الوحشية اذا عاش مثل هذه
الحياة . الا فاربط أي انسان حي الى زوج
كزوجها
بوينوف : ليست محكمة الوثاق .

لوكا : وهل تظلّ دائماً متفجرة نائرة هكذا ؟
بوينوف : دائماً . لقد جاءت لرؤية عشيقها ، ولم يكن هنا .
لوكا : فتملكها الغيظ اذن . (يتنهد .) يا الله ، يا الله ،
يا الله ! ما أكثر الناس الذين يحاولون أن يسوسوا
أرضنا هذه . ويهدّد بعضهم البعض بأشياء مخوفة ،
ورغم ذلك لا وجود للنظام في الحياة ولا للتنظافة فيها .
بوينوف : انهم جميعاً يريدون النظام ، لكن يعوزهم العقل
لذلك . ورغم كل هذا ، فلا بدّ أن تمسح الأرض .
ناستيا ! لمَ لا تمسحونها ؟
ناستيا : آه بلي ، طبعاً . ماذا تظنني ، خادمة بيتك ؟ . . .
(بعد برهة صمت .) لسوف أسكر هذا النهار . . .
سكرة مجنونة !

بوبنوف : هذا يعني شيئاً على الأقل .
لوكا : لماذا تريدان أن تسكري ، يا فتاتي ؟ لقد كنت ،
للحظة خلتي ، تبكين وتنوحين ؛ وما أنت الآن تقولين
انك تريدان أن تسكري !
ناستيا (متحدية) : سأسكرا وأعاود البكاء والنواح من جديد .
هذا كل شيء !
بوبنوف : ليس هو بالشيء الكثير .
لوكا ؛ ولكن ما هو السبب ؟ حتى البثرة لها سببها
الخاص . . .

(ناستيا تهز رأسها في سكون)

لوكا : هكذا . . . يا الله ، يا الله ، يا الله ! ماذا
سيحل بكم أيها السادة البشر ؟ سأمسح الأرض لكم .
أين المكنسة ؟
بوبنوف : خلف الباب في الممر .

(لوكا يخرج الى الممر)

بوبنوف : ناستيا !
ناستيا : ماذا ؟
بوبنوف : فيم تنقضّ فاسيليزا على أليوشكا هكذا ؟
ناستيا : هو يخبر الجميع بأن فاسيا قد زهق منها ، وأنه

يريد ان ينيبها من اجل ناتاشا . سوف اذهب من
هذا المكان - انتقل الى مكان آخر .
بوينوف : ما هذا ؟ الى أين ؟
ناستيا : سئمت من كل هذا . انا زائدة ههنا .
بوينوف (في هدوء) : انت زائدة في كل مكان . وكل الناس
على وجه الارض هم زائدون ايضاً . . .

(ناستيا تهز رأسها ، تنهض ، وتخرج الى الممر على مهلها .
يدخل ميدفيديف ، يتبعه لوكا حاملاً المكينة)

ميدفيديف : لا أظن اني اعرفك .
لوكا : وهل تعرف البقية كلهم ؟
ميدفيديف : من المفروض فيّ أن أعرف جميع الناس
القاطنين في منطقتي . لكنني لا أعرفك .
لوكا : ذلك لأن الأرض بأسرها لا تقع ضمن منطقتك ، أيها
العم . فما تزال بقية صغيرة منها في غير هذه البقعة .
(يخرج الى المطبخ .)

ميدفيديف (يتجه الى بوينوف) : صحيح ان منطقتي ليست
كبيرة جداً . لكنها أسوأ من أية منطقة كبيرة . في هذه
اللحظة ، وقبل أن أختتم نوبتي ، نقلت الاسكافي
اليوشكا الى مركز الشرطة . أتتصور ذلك ؟ يضطجع
على الأرض وسط الشارع ، ويعزف على الأكورديون ،
ويعوي : لست أريد شيئاً ! لا أتوق الى شيء ! وتمرّ

الخيول الى جانبه ، وكل وسائل المرور . . . وقد
يصدمه شيء أو يدهسه . يا له فتي مشاكساً !
لكنني نقلته للتو الى هناك تماماً . أنه يحب الشغب
والعراك .

بوينوف : هل ستأتي لشوط داما ، هذه الليلة ؟
ميدفيديف : أجل . هم - م . . . وماذا عن فاسيا ذاك ؟
بوينوف : لا شيء على التعيين . فهو كعادته أبداً .
ميدفيديف : وبمعنى آخر . . . حيّ ويعيش ؟
بوينوف : لم لا ؟ ليس ثمة سبب يدعو لثلا يعيش .
ميدفيديف (بارتياب) : أتظن ذلك ؟ (يخرج لوكا الى الممر
حاملاً سطلاً .) هم - م . . . ثمة شيء من القيل والقال
يدور حول فاسيا ! . . ألم تسمعه ؟
بوينوف : أسمع الشيء الكثير من القيل والقال .
ميدفيديف : عنه وعن فاسيليزا . يبدو . . . هل لاحظت
شيئاً ؟

بوينوف : أي شيء مثلاً ؟
ميدفيديف : . . . أي شيء . على العموم . . . لعلك تعرف
وتكذب عليّ . فالجميع يعرفون . (بحدة) اياك والكذب
الآن !

بوينوف : وما يدعوني الى الكذب ؟
ميدفيديف : صحيح ما تفعل ! آخ منهم هؤلاء الكلاب !
يقولون ان فاسيا وفاسيليزا . . . أنت تعرف . لكن
ماذا يهمني من ذلك ؟ لست والدها - أنا عمها
فقط . لماذا يهزأون مني ؟ (تدخل كفاشنيا .) ماذا

جری للبشر مؤخرآ - يضحكون من كل شيء . آه ،
هذه أنت ! عدت أخيراً !

كفاشنيا : آه ، يا عزيزي العسكري ! عاد يضايقنسي في
السوق ، يا بوبنوف ! يريدني ان أتزوجه .

بوبنوف : هيا . فيمَ التردد ؟ فليده المال ، وهو من
فوارس الفرسان !

ميدفيديف : أنا ؟ هو - هو .

كفاشنيا : آه يا أشيبي ! داو جراحي ! لقد جربت ذلك
مرة ، يا عزيزي ! الزواج ، بالنسبة الى المرأة ،
أشبه بالقفز الى حفرة في الجليد . فاذا هي فعلت ذلك
مرة ، لن تنساه أبداً . . .

ميدفيديف : صه ، أمسكي لسانك - فالأزواج مختلفون .
كفاشنيا : لكنني ، أنا نفسي ، لم أغير . حينما نفق نصفي
العزيز - ولتلتهمه نيران الجحيم ! - جلست مقتبطة
هناك طيلة نهار كامل منطوية على ذاتي : جلست هناك
أحاول أن أصدق حظي الطيب . . .

ميدفيديف : اذا كان زوجك يضربك من دون سبب معقول ،
فيجب أن تسرعى الى الشرطة وتشكي أمرك اليها .
كفاشنيا : شكوت الأمر الى اللّه ثمانية أعوام . بيد أنه لم
يساعدني !

ميدفيديف : ممنوع ضرب الزوجات في هذه الأيام . فالقانون
صارم في هذه الأوقات . القانون والنظام ! لا يجوز
ضرب كائن من كان دون سبب معقول - فقط من أجل
حفظ النظام .

لوكا (يقود آنا الى الغرفة) : وصلنا والحمد لله ! لمَ
تفعلين هذا ؟ كيف تسيرين لوحديك ، وأنت على مثل
هذا الضعف الشديد ؟ أين مكانك هنا ؟

آنا (تدله عليه) : شكراً لك ، يا جدّي .

كفاشنيا : اليكم امرأة متزوجة . أنظروا اليها !

لوكا : انها لامرأة مسكينة ضعيفة جداً . كانت تدبّ عبر
الممر ، تتشبث بالحائط وتئن . لا يجوز أن تسمحوا
لها بالخروج هكذا لوحدها أبداً .

كفاشنيا : أغفر لنا ذلك الاهمال ، يا سيدي الطيب . يبدو
أن وصيبتها غائبة ، تنتزه الاونة .

لوكا : ما هذا ؟ تحولين الأمر الى نكتة ! لكن كيف يمكن أن
تهملوا انساناً هذا الاهمال ؟ ان لكل امرئ قيمة ،
مهما يكن حاله .

ميدفيديف : يجب مراقبتها دائماً . ماذا لو ماتت على حين
بغطة ؟ سيكون ذلك مزعجاً جداً . راقبوها اذن !

لوكا : أنت على حق ، يا سيد شاويش .

ميدفيديف : حسناً ، رغم انني . . . لم أصبح شاويشاً
بعد . . .

لوكا : حقاً ؟ لكن هيئتك هيئة الابطال .

(ضجة وصخب في الممر . يُسمع صدى صيحات مخنوقة .)

ميدفيديف : مشاجرة ؟

بوينوف : ليبدو أن الأمر كذلك .

كفاشنيا : سأذهب وأرى .

ميدفيديف : لا بدّ أن أذهب أيضاً . . . آه ، يا لهذه
الواجبات ! لا أستطيع أن أفهم لماذا يجب أن نفرّق
بين الناس الذين يتقاتلون ! لسوف يقلعون عن القتال
من تلقاء أنفسهم حينما يتعبون . من الأفضل أن نتركهم
يمزقون بعضهم بعضاً على هواهم . لسوف يتذكرون
ذلك ، فلا يسرعون الى القتال في المرة التالية .
بوبنوف (ينهض عن دكته) : تحدّث عن مثل هذه الأمور الى
رئيسك .

كوستيليواف (يفتح الباب ، ويصيح) : أبرام ! تعال بسرعة !
فاسيليزا تريد قتل ناتاشا . أسرع !

(يهرع كفاشنيا وميدفيديف وبوبنوف الى الممر . يهز لوكا
رأسه ويتأثرهم بأنظاره)

آنا : آه ، يا الهي ! يا لناتاشا المسكينة !

لوكا : من يتقاتل ؟

آنا : صاحبتا الدار . وهما شقيقتان !

لوكا (يدنو من آنا) : وفيم تتقاتلان ؟

آنا : لا شيء على وجه الخصوص . كثرة من القوة والطاقة .

لوكا : ما اسمك ؟

آنا : آنا . اني أرنو اليك طوال الوقت - انت تذكرني

. بالذي لشدة رقتك ولطفك .

لوكا : لقد عجنوني كثيراً . هذا ما يجعلني على هذا القدر من

الرقّة . (يطلق ضحكة ملعلعة)

ستار

الفصل الثاني

(المشهد ذاته)

الوقت مساءً . ساتين وكريفوي زوب والبارون والتتري يلعبون الورق وهم جالسون على الدكة بالقرب من المدفأة ، وكليش والممثل يتفرجان . بوبنوف وميدفيديف يلعبان الداما على دكة الأول . لوكا جالس جنب آنا . الدار مضاءة بقنديلين ، أحدهما مثبت في الحائط قريبا من لاعبي الورق ، والآخر موضوع على دكة بوبنوف .

التتري : ألعب مرة أخرى . هذا كل ما ألعب . . .
بوبنوف : زوب ! غنّ لنا ! (يعني)

في كل صباح تشرق الشمس وتغرب . . .

كريفوي زوب (يشترك في الغناء) :

والعتمة ما برحت تخيّم في زنزانتي . . .

التتري (الى ساتين) : خلّط الورق ، خلّطه جيداً . فنحن نعرف كيف تلعب .
بوبنوف وكريفوي زوب (معاً) :

وحراس السجن ، في الليل والنهار ،
آه - ه !

يراقبون نافذة زناناتي . . .

آنا : ضرب . . . اهانات . . . لا شيء آخر . . . هذا كل
ما رأيته . . . كل ما عرفت .

لوكا : آه ، يا عزيزتي المسكينة ، لا تكن ثوبي !

ميدفيديف : هاي ، الى أين تتحرك ؟ انتبه !

بوبنوف : همم - م . حسناً . . .

التتري (يهز قبضته في وجه ساتين) : لماذا تخبي الورق ؟

اني أراك ! أنت ، يا ملعون !

كريفوي زوب : كفي ، يا حسن ! لسوف يخدعوننا على أية

حال . بوبنوف ، واصل الأغنية !

آنا : لم أحصل قط على كفايتي من الطعام . أحصيت دائماً

كل كسرة من خبز . . . وارتعشت دائماً من

الخوف . . . وكنت أخشى أن آكل أكثر من الشخص

الأخر . . . ولم يتوفر لي أبداً من الثياب سوى

الأسمال المهترئة . هذه هي حياتي التعيسة . لماذا ؟

لوكا : أيتها الصبية الصغيرة المسكينة ! هل أنت تعبئة ؟

سيكون كل شيء على ما يرام .

الممثل (الى كريفوي زوب) : ارم الشب - الشب الذي معك ،

لعنة الله عليك !

البارون : ونحن معنا الملك !

كليش : هما يربحان دائماً .

ساتين : هذه عادتنا .

ميدفيديف : ملكة !

بوينوف : وعندي أيضاً . فما قولك ؟

آنا : وهذي أنا أموت . . .

كليش : هل ترى ؟ أترك اللعب ، يا أمير ، أترك اللعب ،
أقول لك !

الممثل : ألا يدرك ذلك من غير نصيحتك ؟

البارون : حذار ، يا أندري ، والا أرسلتـك طائراً الى
الجحيم !

التتري : هيا . وزّع من جديد . امتلات الجرة ماء وتحطمت .
وهذه هي حالي .

(كليش يهز رأسه ويمضي الى بوينوف)

آنا : أفكر طوال الوقت : يا الله العزيز ، هل سيستمر مثل

هذا العذاب في العالم الآخر أيضاً ؟ هنالك أيضاً ؟

لوكا : لن تعذبني هنالك ، يا حلوتي . اضطجعي في هدوء .

ولن تعذبني ابداً . لسوف تنالين راحة عظيمة هنالك .

اصبري فترة أخرى فقط . ينبغي لكل امرئ أن

يصبر . . . ويتحمل الحياة على طريقته الخاصة .

ينهض ويدلف الى المطهى بخطوات قصيرة سريعة .

بوينوف (يفغني) :

احرسوا نافذتي كما تشاؤون . . .

كريفوي زوب :

فلن أهرب ابداً !

(في نغم واحد مؤتلف)

ورغم حنيني القاتل الى حريتي

آه - آه !

فالاعلال تجبرني على البقاء !

التتري (يصيح) : آها ! يضع ورقة في كم سترته !
البارون (في شيء من الارتباك) : أين تريدني أن أضعها -
فوق أنفك ؟

الممثل (باقتناع) : أنت مخطئ ، أيها الأمير . أبداً لم يقدم
امرؤ . . .

التتري : اني أراك ! انت تغش ! لن ألعب !
ساتين (يجمع الورق) : كفى ، يا حسن . كنت تعرف أننا
نغش . لماذا لعبت معنا ؟

البارون : خسر اربعين كوبيكاً وأثار ضجة كما لو كانت ثلاثة
روبلات ! ويسمي نفسه أميراً تترياً !

التتري (في لهفة) : لا بدّ أن يكون اللعب شريفاً .
ساتين : لماذا ؟

التتري : ماذا تعني بـ«لماذا» ؟

ساتين : هذا ما قلت - لماذا ؟

التتري : الا تعرف ؟

ساتين : لا أعرف . هل تعرف أنت ؟

(التتري يبصق في غضب ، بينما يسخر الآخرون منه)

كريفوي زوب (في لطف) : أنت عجيب ، يا حَسَنٌ ! أفلا

تفهم أنهم اذا حاولوا ان يعيشوا بصورة شريفة ،

فسوف يموتون جوعاً في ثلاثة أيام ؟

التتري : وماذا يهمني هذا ؟ يجب أن تعيش بصورة شريفة .

كريفوي زوب : انه يضرب على الوتر القديم ذاته ! هيا ،

قوموا بنا نشرب الشاي . بوبنوف !

آه ، أغلالي . . .

بوبنوف :

يا حارستي الحديد . . .

كريفوي زوب : هيا يا حسن ! (يخرج ، وهو يغني)

ولا أقوى على تحطيمها او فكها . . .

(التتري يهز قبضته في وجه البارون ، ثم يتبع رفيقه الى

الخارج)

ساتين (ضاحكاً ، يخاطب البارون : مرة ثانية ، يا صاحب

السعادة ، يبدو أنك غرقت في حفرة عميقة المهوى .
ويّ ، رجل مثقف ، ولا تعرف كيف تدسّ ورقة في كم
سترتك !

البارون (موسّعاً ما بين يديه) : كيف يمكن ان يراها ، بحق
الشیطان !

الممثل : لا موهبة . ولا ايمان بنفسك . بدون هذا - لا شيء
اطلاقاً . فشل واخفاق .

ميدفيديف : عندي ملكة وعندك ملكتان . . .

بوبنوف : وملكة واحدة تكفي اذا كانت ذكية . . . دورك !
كليش : أنت خسرت ، يا أبرام ايفانيتش !

ميدفيديف : دع عنك هذا . . . هل تسمع ؟ اخرس !

ساتين : الأرباح - ثلاثة وخمسون كوبيكاً !

الممثل : ثلاثة كوبيكات منها تعود اليّ . لكن ما حاجتي الى
ثلاثة كوبيكات ؟

لوكا (يدخل من باب المطهى) : حسناً ، لقد سلبتم التتري ،
وستسعون وراء الفودكا الآن ؟

البارون : تعال معنا !

ساتين : أحب أن أعرف ما تكون عليه حالك وأنت سكران .
لوكا : لن أكون أفضل مني في حال صحوي .

الممثل : هيا بنا ، أيها الشيخ ! سأتلو عليك بعض
القصائد .

لوكا : ما هذا ؟

الممثل : شعر . ألا تعرف ؟

لوكا : شعر ! وماذا أفعل بالشعر ؟

الممثل : قد يكون مسلماً . لكن قد يكون أيضاً محزناً .
ساتين : حسناً ، أيها الشاعر ، أقدم أنت ؟ (يخرج بصحبة البارون .)

الممثل : اني قادم . لسوف الحق بكما ! اصغ الى هذا ،
أيها العجوز . انه من قصيدة . اوه . . . لا أذكر
مطلعها . لا أستطيع ان أتذكر ! (يحكّ جبهته)
بوينوف : عظيم ! ههنا ربحت ملكتك . إلب !
ميدفيديف : كان يجب الا العب هكذا . . . اللعنة !

الممثل : من قبل ، حين لم يكن جسمي قد تسمّم بالكحول
بعد ، كانت ذاكرتي قوية جيدة ، أيها العجوز . اما
الآن . . . خلاص يا أخي ! انتهى كل شيء بالنسبة
اليّ الآن . كنت دائماً أهزّ المسرح بهذه الأبيات -
تصفيق هائل . وانت لا تدري ماذا يعني التصفيق ، يا
صديقي . . . التصفيق كالفودكا ! وقد اعتدت الخروج
الى المسرح والوقوف هكذا (يتخذ وقفة خاصة .) كنت
أقف هكذا . . . و . . . (يصمت .) لا أستطيع ان
أتذكر كلمة . ولا كلمة واحدة . وتلك كانت قصيدتي
الأثيرة . . . هذا سييّ جداً ، أليس كذلك ، أيها
الشيخ ؟

لوكا : انه سييّ طالما انها القصيدة الأثيرة لديك . ان روح
المراء كلها في الشيء الاثير لديه .

الممثل : شربت روحي ، أيها الشيخ . وهلكت . ولم
هلكت ؟ لاني لا أوّمن بنفسي . أنا انتهيت .
لوكا : ماذا تقول ؟ كل ما يجب ان تفعل هو ان تتناول دواء .

فهم يشفون الناس من الادمان هذه الأيام . اسمع ما أقول ! يشفونهم من دون أجر . . . لقد فتحوا مستشفى خاصة ، حيث يداوونهم بغير مقابل . ذلك لأنهم يدركون أن السكرّ مخلوق بشري هو الآخر ، ولشدّ ما يسرون مع ذلك عندما ، هو ، يريد أن يتداوى ! إذهب الى هناك اذن . اذهب وجرّب ذلك ، إذهب .

الممثل (مفكراً) : الى أين ؟ أين تقع هذه المستشفى ؟
لوكا : انها - في مدينة . . . ماذا يسمونها ؟ اسمها غريب .
انتظر . . . لسوف أخبرك باسمها على كل حال . وفي هذه الأثناء هيّ نفسك . أترك الفودكا . واحزم أمرك وإصمد . ومن بعد تذهب للمعالجة ، وتبدأ الحياة مرة ثانية من جديد . ألن يكون ذلك رائعاً ؟ مرة ثانية من جديد . هيا اتخذ قراراً فقط . الصبر اولاً ، ثم العلاج في المستشفى .

الممثل (مبتسماً) : مرة ثانية من جديد . كل شيء من البداية . ذلك رائع . وبي . . . مرة ثانية من جديد . (يضحك) . بالطبع ! أستطيع ذلك ؟ ! أستطيع ذلك ؟ ما رأيك ؟

لوكا : طبعاً تستطيع ! الانسان يقوى على كل شيء ، اذا اراده بصورة كافية .

الممثل (وكأنه استفاق فجأة) : أنت انسان غريب ! حسناً ، وداعاً في الوقت الحاضر ! (صافراً) وداعاً ، أيها الشيخ العزيز ! (يخرج)

آنا : جدّاه !

لوكا : ما الأمر ، يا عزيزة ؟

آنا : حدثني .

لوكا (يقترّب منها) : حسناً ، فلنثرث قليلاً .

(كلّيش يلتفّ حوله ، ثم يدبّ صوب زوجته في سكون ،
يرنو إليها ويقوم بعدة حركات بيديه ، وكأنّ ثمة شيئاً يريد
التصريح به)

لوكا : ما بالك ، يا أخي ؟

كلّيش (بصوت مخفوض) : لا شيء . (يتجه نحو باب الممر
على مهله ، يقف في جواره لحظات ، ثم يخرج على غير
انتظار)

لوكا (يتبعه بعينيه) : موقف صعب على رجلك .

آنا : ليس في مقدوري أن أفكر فيه الآن .

لوكا : هل كان يضربك كثيراً ؟

آنا : ضرباً رهيباً . وبسببه انتهيت الى هذه الحال .

بوبنوف : كان لزوجتي عشيق مرة . وكان ذلك النذل يلعب
الداما بصورة رائعة .

ميدفيديف : هم - م . . .

آنا : حدثني ، يا جدّ . . . اني في حال سيئة جداً .

لوكا : ليس هذا بذّي بال . فهو أمر طبيعي قبل الموت ، يا

حمامتسي . ستسير الأمور على أحسن ما يرام ، يا

محبوتي . تعلقني بأهداب الأمل فقط . لسوف

تموتين ، وسيخيم السكون والسلام عليك . ولن تخافي شيئاً بعد ذلك البتة ، ولن تريدي شيئاً ، بل تضطجعين فقط هناك في سلام ودعة . الموت رحيم بنا نحن الفانين المساكين . وهو يزيل جميع الغضون . ولهذا يقولون : انه راحة أبدية . وتلك هي الحقيقة ، يا حبوبتي ، اذ أين يترجى المرء الحصول على السلام في هذا العالم ؟

(يدخل بيبيل ، سكران ، يلوح أشعث المظهر ، مكتئب المزاج . يقعد دكة قرب الباب ، ويقبّع ساكتاً لا يأتي حركة)

آنا : لكن هنالك ، في ذلك العالم الآخر ، هل سنقاسي العذاب والآلام ، هناك أيضاً ؟

لوكا : لن يكون هناك شيء . لا شيء البتة . صدقيني . السلام والطمانينة ، ولا شيء آخر . ولسوف يستدعونك أمام الرب ويقولون : أنظر ، يا سيد ، انها خادمك المخلصة آنا قد جاءت اليك .

ميدفيديف (بقسوة) : كيف تعرف ماذا سيقولون هناك ؟ أنت ذكي حقاً .

(يرفع بيبيل رأسه ويصغي حينما يسمع صوت ميدفيديف .)

لوكا : حين أقول شيئاً ، فلا بدّ أني أعرفه ، ايها السيد الشاويش . . .

ميدفيديف (وقد هدا) : هم - م . . . ربما . ذلك من

شأنك . ولكني لست شاويشاً . لم أصبح شاويشاً
بعد .

بوثوف : وثبة مضاعفة .

ميدفيديف : اللعنة عليك !

لوكا : ويرنو اليك الرب بلطف وحنو ، ويقول : اني اعرف
آنا طبعاً ! وسيقول : هيا ، قودوا عزيزتنا آنا الى
الفردوس رأساً - هذا ما سيقول . فلتسترح قليلاً .
فانا اعرف ما لقيت في حياتها من عناء . واعرف كم هي
متعبة . . . فلتُصَبِّبْ آنا السلام والطمأنينة الآن .
آنا (لاهثة) : أواه ، جدّاه . جدي العزيز . . . لو يكون
الأمر كما تقول فقط ! لو أن . . . السلام والطمأنينة . . .
ولا أحسّ شيئاً . . .

لوكا : لن تشعري بشيء ، يا حلوتي . لا شيء على الاطلاق .
صدقيني . يجب أن تموتي الآن مسرورة فرحة ، لا
يراودك الخوف أبداً . الموت ، صدقيني ، أب حنون
علينا ، نحن أولاده .

آنا : لكن . . . ربما . . . ربما تتحسن صحتي ؟

لوكا (بابتسامة قصيرة) : ولماذا ، يا عزيزتي ؟ كي تعذبي
من جديد ؟

آنا : كي أعيش . . . ولو قليلاً فقط . . . فترة أخرى
فقط . فترة أخرى فقط . ما دمت قلت انه لن يكون
شقاء هناك أبداً . . . فاستطيع تحمّل ذلك ههنا . . .
أستطيع ذلك !

لوكا : لن يكون هنالك شيء على الاطلاق . كل ما . . .

بيبيل (ينهض) : أنت على حق . . . لكن ربما - كنت على ضلال وخطأ !

آنا (تنتفض) : يا الهي !

لوكا : ما هذا ، يا فتاي الجميل ؟

ميدفيديف : من يزعم ؟

بيبيل (يتجه صوبه) : آنا ! ماذا اذا زعقت ؟

ميدفيديف : لا مبرر لزعيقتك ، هذا كل ما في الأمر ! على المرء أن يتصرف في هدوء .

بيبيل : أحق ! وأنت عمهما ! هو - هو !

لوكا (الى بيبيل ، بصوت مخفوض) : كفاك زعيقاً ، أسمعت ؟

المرأة تموت . وفي وسعك أن ترى لون الأرض على

شفقتها منذ الآن . إهدأ !

بيبيل : احتراماً لك ، يا جدي . أنت انسان حفيف ، يا

جدي . أنت تكذب بصورة جميلة . . ومن الغبطة أن

يصغي المرء الى خرافاتك . هيا ، تابع أكاذيبك . ذلك

حسن . فليس في هذا العالم أشياء كثيرة تبعث على

السرور .

بوبنوف : أصبح انها تموت ؟

لوكا : من الواضح انها لا تمزح .

بوبنوف : وذلك يعني انتهاء سعالها . انها تسعل سعالاً

مزعجاً . وثبة مضاعفة .

ميدفيديف : تفو ! أخذك الشيطان !

بيبيل : أبرام !

ميدفيديف : من قال انك تستطيع مناداتي باسمي الاول .

بيبييل : أبرام ! هل ناتاشا مريضة ؟

ميدفيديف : وما شأنك في هذا ؟

بيبييل : قل لي : هل ضربتها فاسيليزا بقسوة ؟

ميدفيديف : ليس هذا من شأنك . تلك مسألة عائلية . من

أنت حتى تدس أنفك ؟

بيبييل : فلاكن من أكون . ولكنني اذا أردت فانتهم لن ترون

ناتاشا ثانية !

ميدفيديف (يترك الداما) : ماذا تمخرق ؟ عمّن تثرثر ؟ تريد

ان تكون ابنة أخي . . . آخ منك ايها اللص !

بيبييل : قد أكون لصاً ، ولكنك لم تضبطني !

ميدفيديف : انتظر فقط ! سأضبطك تماماً ، وعاجلاً !

بيبييل : اذا ضبطتني فسيكون ذلك نهاية عشكم هذا .

أفتظنني أحتفظ بفي مغلقةً أبكم أمام المحقق ؟ سوف

يكشف الذئب عن مخالفه . سوف يسألني : من علمك

أن تسرق ودلّك أين تسرق ؟ ميشكا كوستيليوف

وزوجته ! من يشتري حاجياتك المسروقة ؟ ميشكا

كوستيليوف وزوجته !

ميدفيديف : أنت كذاب . ولن يصدقك أحد !

بيبييل : لسوف يصدقونني لأن تلك هي الحقيقة ! ولسوف

أزجّ بك في القضية ، أنت الآخر . . ههه ! لسوف

أدمركم جميعاً ، يا أولاد الزنا ! لسوف ترون !

ميدفيديف (خائفاً) : كذاب ! أنت كذاب ! ماذا ألحقت بك

من سوء حتى الآن ؟ وأنت ترمي بنفسك عليّ مثل كلب

مجنون !

بييل : ماذا صنعت معي من «حسنيات» حتى الآن ؟

لوكا : هكذا !

ميدفيديف (الى لوكا) : لماذا تننق ؟ وما شأنك في ذلك ؟
تلك مسألة عائلية !

بوينوف (الى لوكا) : لا تدسّ أنفك ! فالأنشودة لا تُجدل
لي ولك .

لوكا (في لطف) : اني لا أفعل شيئاً . أقول فقط اذا لم يحسن
المرء لجاره فهو يسيىء اليه اذن .

ميدفيديف (دون أن يدرك قصده) : حذار ! نحن هنا ، نحن
جميعاً نعرف بعضنا جميعاً ، انما أنت - من أنت ؟
(يسرع الى الخارج ، وقد أرسل شخيراً غاضباً)

لوكا : فارس الفرسان غاضب فيما يلوح . يا سلام ! ان
مشاكلكم هنا ، أيها الأخوة ، معقدة جداً ، كما أرى !
بييل : لقد هرول ليتشكي لفاسيليزا .

بوينوف : انها حماقات ، يا فاسيلي . لقد أصبحت شجاعاً
أكثر من اللازم ! احذر جيداً ! حسن أن تكون شجاعاً
عندما تذهب الى الغابات سعياً وراء الفطر ، انما لا
معنى لشجاعتك هنا . سيقتلون رأسك في برهة
وجيزة .

بييل : لا ، لن يجسر أحد على منازل شباب منحدر من
ياروسلافل بيديه العاريتين ! ان كانوا يريدون قتالاً ،
فليكن لهم ما يريدون !

لوكا : أفلا تظن من الأفضل أن تغادر هذا المكان ، أيها
الفتى ؟

بيبييل : الى أين ؟ تعال ، قل لي الى أين .

لوكا : حسناً ، الى سيبيريا مثلاً .

بيبييل : أنت تمزح ! لا ، شكراً . لسوف أنتظر حتى يرسلوني هم الى سيبيريا من غير تكاليف .

لوكا : أصغ الى نصيحتي ، وإذهب الى هناك ، وهناك تجد الدرب القديمة التي يجب أن تسلكها . هم في حاجة الى أمثالك هناك .

بيبييل : لقد استبانت لي دربي منذ زمن بعيد . لقد عاش والدي معظم حياته في السجن ، وأمرني أن أقتدي به . وقد أطلقوا عليّ منذ طفولتي الباكورة لقب اللص ، أو ابن اللص . . .

لوكا : سيبيريا مكان رائع ، أرض ذهبية . اذا كان المرء قوياً ، وكان يحمل رأساً جيداً فوق كتفيه ، فسوف يعيش هانئاً البال كما في بيته ، مثله مثل الخيار في بيت زجاجي .

بيبييل : لماذا تروى دائماً مثل هذه الأكاذيب ، أيها الشيخ ؟
لوكا : ايه ؟

بيبييل : هل أصبت بالصرم ! قلت لماذا تروى دائماً الأكاذيب !

لوكا : وما هي الأكاذيب التي رويتها ؟

بيبييل : كل ما تقوله كذب . كل شيء خير بالنسبة اليك : هذا المكان وذلك المكان . . . حزمة أكاذيب . لماذا تسردها ؟

لوكا : صدقني الآن ، وانطلق الى هناك ، وانظر بنفسك .

وعندئذ ستشكرني على ذلك . ما معنى أن تبقى ههنا ؟
ولم تقلق هكذا وتضطرب طلباً للحقيقة ؟ فكر فقط -
قد تكون الحقيقة فأساً يهوي على عنقك .
بيبيل : ذلك سواء بالنسبة اليّ . اذا كانت فأساً ، فلتكن
فأساً .

لوكا : فتى أبله ! ما جدوى ان تقتل نفسك بيدك انت ؟
بوبنوف : عمّا تتجادلان هكذا ؟ لا أدري . . . وخلف أية
حقيقة تسعى ، يا فاسكا ؟ ولماذا ؟ أنت تعرف الحقيقة
جيداً من تلقاء نفسك . الجميع يعرفونها ويفعلون
ذلك .

بيبيل : اقلع عن نعيقك فليخبرني . أعرنى سمعك ، أيها
الشيخ - هل الله موجود ؟

(لوكا يبتسم ، لكنه لا يتفوه بحرف)

بوبنوف : الناس مثل شظايا من الخشب طافية على وجه
النهر . . . يشيدون دارا . . . ويرمون الشظايا
جانباً .

بيبيل : حسناً ، أئمة إله ؟ تكلم .
لوكا (في هدوء) : هو موجود ان كنت تؤمن به ، وهو غير
موجود اذا كنت لا تؤمن به . كل ما تؤمن به هو
وحده موجود .

(بيبيل يرمق العجوز في دهشة صامتة)

بوبنوف : سأذهب لتناول شايي . هيا بنا . لنذهب الى

الحانة ؟ هاي !

لوكا (الى بييل) : فيم تحملق ؟

بييل : لا شيء . اسمع . أنت تعني . . .

بوبنوف : اذن ، سأذهب وحدي . (يصل الى الباب فيلتقي

فاسيليزا .)

بييل : وبمعنى آخر ، فأنت . . .

فاسيليزا (الى بوبنوف) : هل ناستيا هنا ؟

بوبنوف : كلا . (يخرج .)

بييل : هه ! لقد أتت .

فاسيليزا (تقترب من آنا) : أما برحت على قيد الحياة ؟

لوكا : لا تزعجها .

فاسيليزا : وأنت ماذا تفعل هنا ؟

لوكا : أستطيع أن أذهب . . . اذا طلبت مني ذلك !

فاسيليزا (تدنو من باب غرفة بييل) : فاسيا ، ثمة أمور

أودّ أن أبحثها معك .

(لوكا يمضي الى الباب المؤدي الى الممر ، يفتحه ثم يقفله

بعنف . ومن ثم يتسلق بحذر احدى الدكك ومن بعد الى ظهر

المدفأة)

فاسيليزا (من غرفة بييل) : فاسيا . . . تعال الى هنا .

بييل : لا رغبة لي في هذا .

فاسيليزا : ما الأمر ؟ علام أنت ناغم ؟

بييل : أشعر بالسامة . مللت من هذه الأمور كلها .

فاسيليزا : مللت مني أيضاً ؟

بيبيل : أجل ، أنت أيضاً . . .

(فاسيليزا تشددّ وشاحها على صدرها وتذهب الى ناحية سرير
آنا ، تنظر بانتباه من وراء الستائر ، ثم تعود نحو بيبيل)

بيبيل : حسناً . . هاتي ما يدور في ذهنك .

فاسيليزا : وماذا عساني أقول ؟ لا أستطيع أن أجبرك على

حبي ، أضف الى ذلك أن الاستجداء ليس من طبيعتي .

أشكرك لاجباري بالحقيقة .

بيبيل : أية حقيقة ؟

فاسيليزا : أنك مللت مني . أو لعل ذلك ليس صحيحاً ؟

(يحملق بيبيل فيها صامتاً)

فاسيليزا : (متقدمة نحوه) : الى ماذا تنظر ؟ أفلا تعرفني ؟

بيبيل (متهدأ) : انت جميلة جداً ، يا فاسيليزا . (تضع

يدها على كتفه ولكنه يدفعها عنه .) بيد أنك لم

تكسبي قلبي قط . لقد عشت معك وكل ما عدا ذلك .

ولكني لم أحبك قط .

فاسيليزا (بصوت منخفض) : هكذا اذن ! حسناً . . .

بيبيل : حسناً ! وليس بيني وبينك ما نتكلم عنه ! لا شيء

على الاطلاق . اذهبي عني !

فاسيليزا : أوقعت في حب غيري ؟

بيبيل : وما شأنك أنت ؟ اذا وقعت فعلاً فلن أطلب معونتك

للحصول عليها .

فاسيليزا (بلهجة ذات مغزى) : مؤسف جداً . ربما «تمكنت»
من مساعدتك في الحصول عليها .

بيبيل (متشككاً) : الحصول على من ؟

فاسيليزا : أنت تعلم . فما معنى التظاهر ؟ لقد تعودت أن
أتكلم بصراحة ، يا فاسيلي . . . (مخفضة صوتها) لن
أنكر ذلك - فأنت جرحت شعوري . لكأنك ضربتني
بسوط من دون سبب أو مبرر . قلت انك تحبني ، ثم
بغته . . .

بيبيل : ليس بغته . مضى على ذلك وقت طويل . أنت بلا
قلب ، يا امرأة . يجب أن يكون للمرأة قلب . نحن
الرجال وحوش ، وينبغي لكن . . . ينبغي لكن أن
تروضننا وتعلمننا . فهل علمتني شيئاً في يوم من
الأيام ؟

فاسيليزا : عفا الله عما سلف . أعلن أن الانسان لا يملك
من أمر نفسه شيئاً . اذا لم تعد تحبني فسأقبل
ذلك . هذا ما سيكون . . .

بيبيل : اذن انتهى ما بيننا الآن ! واننا نفترق بسلام دون
أية فضائح . هذا حسن !

فاسيليزا : لا ! انتظر لحظة ! لا تنس أنني ترجيت دائماً ،
عندما كنت أعيش معك ، أن تساعدني على طرح هذا
النير عن عنقي . حسبت أنك ستساعدني على التخلص
من زوجي ، من عمي ، من كل هذه الحياة ، ولربما لم
أحبك أنت كما أحببت هذا الرجاء ، هذه الفكرة التي

راودتني . أفهمت ؟ كنت أنتظرك كي تنتزعني بعيداً
عن هذا كله .

بيبييل : لست مسماراً ، ولست كماشية . . . أنا أيضاً
حسبت أن امرأة بمثل حدقك - فأنت حاذقة . . .
أنت امرأة ثاقبة الفكر . . .

فاسيليزا (تميل اليه مقتربة منه) : فاسيا ، تعال -
وليساعد كل منا الآخر .

بيبييل : كيف ؟

فاسيليزا (خافضة الصوت ، ولكن بعزم) : شقيقتي . . .
أنا أعرف أنك تحبها .

بيبييل : وهذا ما يدفعك الى ضربها بوحشية ؟ حذار ، يا
فاسيليزا ! ارفعي يديك عنها !

فاسيليزا : مهلاً ! لا تغضب . في وسعنا تدبير الأمور في
هدوء وسكينة ، من غير جنون أو خبل . ما رأيك في
أن - تزوجها ؟ لسوف أعطيك مالاً بالاضافة -
ثلاثمائة روبل . واذا حصلت على غيرها ، فسأعطيك
اياها أيضاً .

بيبييل (يتحرك مبتعداً) : مهلاً ! كيف هذا ؟ وما وراء ذلك ؟
فاسيليزا : ساعدني على التخلص من زوجي . أبعده تلك
الأنشودة عن عنقي .

بيبييل (يصفر في لطف) : هذه هي القضية اذن ! أو - هو !
أنت حاذقة ! حقاً ! زوجك في القبر ، وعشيقك في
السجن ، وأنت . . .

فاسيليزا : فاسيا ! لماذا السجن ؟ لا تفعل ذلك بنفسك ،

استأجر انساناً آخر يقوم بهذا العمل ، ولنفرض أنك فعلت ذلك بنفسك ، فمن عساه يعرف ؟ ناتاشا . . . فكر في الأمر ملياً . . . ستحصل على المال . . . وتذهب الى جهة ما . . . وسأكون حرة الى الأبد . . . أما شقيقتي - فمن الأفضل بالنسبة اليها أن تفرّ من وجهي . يصعب عليّ أن أراها طوال الوقت ! هي آلمتني بسببك ، وأنا لا أقوى على كبح زمام نفسي . فأعذبها . وأضربها . أضربها حتى أبكي ، أنا نفسي ، شفقة عليها . . . ولكنني أضربها مع ذلك ، وسأظلّ أضربها .

بييل : أنت وحش ! وتبجّحين بوحشيتك !
فاسيليزا : لا اتبجّح ، بل أقول الحقيقة . فكّر في الأمر ، يا فاسيسا . . . طرحوك في السجن مرتين على حساب زوجي . . . على حساب نهمه وشرهه . انه يمتص دمي كالعلق - وهو يمتصه منذ أربع سنوات . أي صنف من الأزواج هذا الزوج ؟ ولا يني يعتصر ناتاشا ، ويعذبها ، ويدعوها مستعطية . انه السمّ بالنسبة الى الجميع .

بييل : يا لك مكارة داهية !
فاسيليزا : كل شيء واضح كضوء النهار . يجب أن تكون أحق حتى لا تفهم الهدف الذي أبغي .

(يدخل كوستيليوف بهدوء ، ويتقدم متسللاً .)

بييل (الى فاسيليزا) : أخرجي !

**فاسيليزا : فكّر في القضية . (تلمح زوجها) ماذا تبغي ؟
أجنت تطلبني ؟**

(ينهض بيبييل واثباً ويحملق في كوستيليواف بوحشية .)

كوستيليواف : هذا انا . . . انا بالذات ! انتما هنا . . .
وحيدان ! هم - م . . . أتحدثان ؟ (يشرح فجأة
بضرب الأرض بقدميه ، وهو يزعق) عليك اللعنة ، يا
فاسيليزا ! . . أنت ، يا مستجدية الأكف ! يا وغدة !
(يذعر لصياحه والصمت الجليدي الذي استقبل به
الصياح .) يا الهي ، أغفر لي ! انك تقوديني الى
الخطيئة من جديد ، يا فاسيليزا ! وهأنذا أفتش عنك
في كل عطفة ومنحنى . . . (يزعق ثانية) حان وقت
النوم ! وقد نسيت مرة أخرى أن تملئي قنديل
الأيقونة ، ألا لعنك الله ! أيتها الخنزيرة ! أيتها
المستعطفية ! (يرعص اصبعه في وجهها . تتجه
فاسيليزا ببطء صوب باب الممر ، وهي تراقب
بيبييل)

**بيبييل (الى كوستيليواف) : أخرج من هنا ! اقول لك أخرج !
كوستيليواف (صائحاً) : انني السيد هنا ! عليك أنت
بالخروج ، أيها اللص !**

**بيبييل (بصوت قاس) : قلتُ لك انقلع يا ميخائيل !
كوستيليواف : لا تجسر ! لسوف أرينك ! لسوف . . .**
(يقبض عليه بيبييل من ياقته ويهزه . وعلى حين بغتة ،
يُسمع رجل يتحرك فوق المدفأة ، ويتشاءب بصوت مرتفع

ممدود . يترك بيبييل خناق كوستيليوف الذي يركض الى
الممر وهو يصرخ)

بيبييل (يقفز على الدكة التي بجانب المدفأة) : من هناك ؟ من
يرقد على المدفأة ؟

لوكا (يمد رأسه) : ايه ؟

بيبييل : أنت ! ؟

لوكا : أنا . أنا نفسي . آه ، يا الهي يسوع المسيح !

بيبييل (يقفل باب الممر ، ويفتش عن متراسه حواليه فلا
يجده) : يا للشيطان ! اهبط اليّ ، أيها الشيخ !

لوكا : حالاً ! اني قادم اليك !

بيبييل (بخشونة) : فيمَ تكوّمَت على المدفأة ؟

لوكا : واين تريدني أن اتكوّم ؟

بيبييل : رأيتك تذهب الى الممر !

لوكا : ذلك مكان بارد بالنسبة الى عجوز مثلي .

بيبييل : هل سمعت . . . شيئاً ؟

لوكا : بالطبع سمعت . وكيف لا اسمع ؟ أو لعلك حسبتني

أطرش ؟ آه ، أيها الفتى ، الحظ يعترض طريقك .

أنت محظوظ .

بيبييل (بريبة) : أنا محظوظ ؟ لماذا ؟

لوكا : أنت محظوظ لأنني تكوّمَت على تلك المدفأة .

بيبييل : ما الذي جعلك تحدث تلك الضجة الصاخبة ؟

لوكا : بدأت أستشعر دبيب الحرارة في جسدي . ويمكن أن

تكون شاكرأ لي على ذلك . جال في فكري ان ذلك الفتى

قد ينسى نفسه الآن . ويستلّ آخر أنفاس ذلك العجوز .

بيبيل : كنت أستطيع ذلك بالطبع . لكم أكره . . .

لوكا : أنا أعرف . أهذا صعب ؟ ليس صعباً على الإطلاق .
ما أكثر ما يرتكب الناس مثل هذه الهفوات !

بيبيل (مبتسماً) : ماذا تقول ؟ لعلك ارتكبت مثل هذه الهفوة مرة في حياتك ؟

لوكا : إسمع ، أيها الفتى ، اسمعني . ابتعد عن تلك المرأة !
اهرب من طريقها . اهرب ! لسوف تتخلص من رجلها ذلك دون مساعدتك ، وبصورة أفضل مما تستطيع أنت . صمّ أذنيك عن صوت تلك الشيطانة ! أنظر اليّ ! ألا ترى أنني أصلح الرأس ؟ وما سبب هذا ، يا ترى ؟ النساء ! عرفت من النساء عدداً يفوق ما في فروة رأسي من شعر . لكن فاسيليزا هذه أشرّ من أية غولة !

بيبيل : لا أدري هل يجب أن أشكرك ، أم . . .

لوكا : لا تقل شيئاً . فأنت لن تجد أفضل من الكلمات التي نطقتُ بها . اصغ اليّ - تلك المرأة التي تحب هنا ، خذها من يدها ، أمام الجميع ، ثم الى الأمام سر ! اهرب من هنا ! وابتعد أقصى ما تستطيع !

بيبيل (مكتئباً) : لا سبيل الى معرفة الناس - أيهم طيب وأيهم شرير . لا سبيل الى المعرفة .

لوكا : ماذا تريد أن تعرف ؟ المرء لا يبقى على حاله دائماً .

كل شيء مرتبط بكيف يخفق قلبه . فهو اليوم صالح ،
وغداً شرير . لكن اذا كانت تلك الفتاة تؤثر فيك
حقاً ، فما عليك الا الرحيل معها ، وَضَعْ حِداً لكل
شيء . والا فارحل وحدك . فما تزال شاباً بعد .
وأمامك متسع من الوقت للحصول على امرأة .
بيبيل (يمسك به من كتفه) : لحظة ، قل لي لماذا تفعل
هذا . . .

لوكا : انتظر برهة . دعني وشأني . أريد القاء نظرة على
آنا ، هنالك . لقد كانت تتنفس بصعوبة كبيرة قبيل
دقيقة واحدة . (يذهب الى سرير آنا ، ويزيح الستائر ،
ويتطلع اليها ، ثم يمسكها بيده . بينما يراقبه بيبيل
باهتمام ، مبليبل اللال .) ارحمنا ، يا الهي يسوع
المسيح ! ألا تتقبَّل برحمة نفس عبدتك آنا .
بيبيل (مخفوض الصوت) : ماتت ؟ (ينتصب ، ويرنو الى
السرير دون أن يقترب منه .)

لوكا (بلطف) : انتهى الآن عذابها . أين هو رجلها ؟

بيبيل : أظنه في الخمارة .

لوكا : يجب اخباره .

بيبيل (مرتعداً) : انني أكره الجثث .

لوكا (يذهب الى الباب) : وماذا يُحبُّ فيها ؟ يجب أن نحب
الاحياء . . . نحب الاحياء . . .

بيبيل : سأتي معك .

لوكا : هل تغاف من جثمانها ؟

بييل : اكرهه .

(يهرعان خارجاً . المسرح فارغ صامت . أصوات صماء مجهولة
تجيء من خلف باب الممر . يدخل الممثل)

الممثل (دون أن يغلق الباب ، وانما يقف على العتبة ، مستنداً
بيديه الى درفتيه ، ويصيح) : هاي ، أيها العجوز !
أين أنت ؟ تذكرتُ الآن ! فأسمع ! (يتقدم خطوتين
مقلقتين ، ويتخذ وقفة مسرحية ، ويتلو) :
أيها السادة ! اذا لم يكن ثمة ممر
الى مملكة الحقيقة المقدسة .
فاحترموا اذن العقل المجنون
الذي يحمل للناس الأحلام المحلقة !
(تظهر ناتاشا على الباب خلف الممثل)

الممثل : أيها الشيخ !

اذا رفضت الشمس غداً
أن تضيء دروب أرضنا بأشعتها
فلسوف تضيء العالم غداً
فكرة تنبثق من ذهن مجنون .

ناتاشا (تضحك) : يا للأبله ! لقد شربت كثيراً .

الممثل (يستدير اليها) : آه ، هذه أنت ؟ أين هو ، ذلك الشيخ ؟ ذلك الشيخ الظريف ؟ لا انسان ههنا ، فيما يبدو . وداعاً ، يا ناتاشا ! الوداع !

ناتاشا (تدخل الغرفة) : اتقول وداعاً قبل أن تقول مرحباً ؟
الممثل (يسدّ عليها الدرب) : انني - راحل . سأسافر . حين يطل الربيع لن اكون . . .

ناتاشا : دعني أمرّ . الى أين راحل أنت ؟

الممثل : أفتش عن مدينة - وأتداوى . يجب أن ترحلي بدورك . أوفيليا ، هيا اسرعي الى الدير ! يبدو أن ثمة مستشفى لمداداة العضويات - للسكرارى . مكان رائع . مرمر . . . أرضه من مرمر أيضاً ! مضى ، جداً ، ونظيف وفيه وفرة من طعام . كل هذا دون ثمن . والأرض المرمرية ، تصوري ذلك . لسوف أعثر عليها ، وأشفى ، ومن جديد . . . أنا على وشك الولادة من جديد ، كما قال الملك . . . الملك لير ، يا ناتاشا . اسمي المسرحي سفيرشكوف زافواجسكي ، لكن أحداً لا يعرف هذا . لا أحد . ههنا ليس لي اسماً . تستطيعين ان تفهمي مبلغ ما في هذا من ألم - أن يفقد الانسان اسمه ؟ ان للكلاب ذاتها أسماء . .

(تدور ناتاشا حول الممثل بهدوء ، وتقترب من سرير آنا ، وترنو اليها من خلال الستار)

الممثل : لا اسم - فلا انسان اذن .

ناتاشا : انظر ! لقد ماتت ، يا عزيزتي !

الممثل (يهز رأسه) : لا يمكن هذا .
ناتاشا (تعود أدراجها) : أي والله ! أنظر .
بوينوف (على الباب) : أنظر الى ماذا ؟
ناتاشا : آنا ماتت .

بوينوف : لقد انقطعت عن السعال أخيراً . (يخطو الى سرير
آنا ، يتطلع عبر الستار ، ثم يتجه الى مكانه .) يجب
اخبار كليش . ذلك من شأنه .

الممثل : سأذهب . سأقول . . . لقد فقدت اسمها !
(يخرج)

ناتاشا (من وسط الغرفة) : وأنا أيضاً . . . في يوم من
الأيام . . . على هذا الغرار . . . مطرودة الى قبو . . .
مضعضة .

بوينوف (ينشر بعض الأسماك على أخشاب دكته) : ما هذا ؟
ماذا تغمغمين ؟

ناتاشا : كنت أفكر بصوت مرتفع .

بوينوف : تترقبين فاسيا ؟ حاذري ! سوف يبق عنقك فاسيا
ذاك .

ناتاشا : سواء عندي : من يبق عنقي ؟ فليكن هو الاخرى .
بوينوف (يضطجع) : ذلك شأنك .

ناتاشا : موتها شيء حسن ، انتهت آلامها . . . لكنه يثير
الشفقة . يا ربي ! فيم يعيش الانسان ؟

بوينوف : الجميـع على حدّ سواء : يولدون ، يعيشون ،
يموتون . . . لسوف أموت . وأنت أيضاً . فيم
الشفقة ؟

(يدخل لوكا ، والتتري ، وكريفوي زوب ، وكليش . كليش
آخر من يدخل ، يسير على مهله وقد انحنى ظهره .)
فاتاشا : هس - س - س ! أنا . . .

كريفوي زوب : عرفنا . فلتنعم بالسلام ، الآن وقد ماتت .
التتري (الى كليش) : ينبغي جرّها الى الخارج . ينبغي جرّها
الى الممر . لا يمكن أن نترك أمواتاً ههنا . الأحياء
ينامون هنا .

كليش (في صوت هادي) : سنجرّها خارجاً .

(يتقدمون جميعاً من السرير . كليش يرنو الى زوجته من
فوق اكتاف الآخرين)

كريفوي زوب (الى التتري) : أتظن رائحتها ستنتشر ؟ ليس
فيها ما تفوح رائحته . فلقد جفّت وهي على قيد
الحياة بعد .

فاتاشا : يا الهي الطيب ، كان يمكن ان يأسى احدكم لها على
الأفل ! كان يمكن أن يقول أحدكم على الأقل كلمة
طيبة ! آخ منكم !

لوكا : لا تبالي بهم ، يا فتاتي . . . لا بأس . كيف يُنتظر
منهم . . . يُنتظر منا الشفقة على الأموات اذا كنا لا
نرثي للأحياء ؟ آه يا عزيزتي ! اننا لا نرثي حتى
لأنفسنا ، فما بالك بالاموات !

بوينوف (يتشاءب) : وبالإضافة ، فأنت لا تخيفين الموت
بالكلمات . . . تستطيعين أن تخيفي المرض ، وليس
الموت !

التتري (مبتعداً) : ينبغي استدعاء الشرطة .
كريفوي زوب : الشرطة بكل تأكيد . كليش ! هل أخبرت
الشرطة ؟

كليش : كلا . يتوجب دفنها . ولست أملك غير أربعين
كوبيكا .

كريفوي زوب : ماتت زوجتك ، فإستدن شيئاً . نستطيع أن
نجمع تبرعاً - خمسة كوبيكات من كل فرد - أو أي
شيء يستطيع المرء ان يدفعه . انما أسرع وأخبر
الشرطة والا ظنوا أنك قتلتها أو . . . (يمضي الى
الدكة ويستعد للاضطجاع الى جانب التتري .)

ناتاشا (تذهب الى دكة يوبنوف) : سأحلم الآن بها . انني
أحلم دائماً بالأموال . انني أخشى الذهاب الى البيت
وحيدة . فالظلمة دامسة في الممر .

لوكا (يتبعها) : يجب أن تخافي من الأحياء فقط ، صدقيني .
ناتاشا : قدني الى الخارج ، يا جدّاه .
لوكا : تعالي ، تعالي . . . سأصحبك .

(يخرجان . فترة صمت)

كريفوي زوب : أو - هو - هو ! حسن ! لسوف يطلّ
الربيع عمّا قريب ، يا رفيقي ! وعندها نشعر بالدفء .
ان الفلاحين في القرى يصلحون منذ الآن محاربتهم
ومسلفاتهم . فهم يستعدون لحراثة التربة . وَيُ .
ونحن ؟ ايه ، حسن . انه ينام ، ذلك التتري
الملعون .

بوثوف : ان التتريين ينامون جيداً .
كليش (يقف وسط الدار ويتطلع الى شيء ما امامه
ببلاهة) : ماذا أفعل الآن ؟
كريفوي زوب : نم ، هذا كل ما في الأمر .
كليش (في هدوء) : وماذا عنها ؟

(لا أحد يجيب . يدخل ساتين والممثل)

الممثل (بصيح) : أيها الشيخ ! تعال ، يا خَلّي الوفي !
ساتين : أفسحوا الطريق لميكلوخو-ماكلاي * !
الممثل : لقد عزمتُ وقررتُ ! أيها الشيخ ! أين تلك
المدينة ؟ أين أنت ؟
ساتين : فاتا مورجانا ! العجوز كذب عليك . ليس هناك شيء
من هذا القبيل ، لا مدينة ، ولا ناس . لا شيء على
الاطلاق !

الممثل : كذّاب !

التتري (يقفز من مكانه) : أين المعلم ؟ سأذهب الى المعلم .
اذا لم تكن نستطيع النوم ، فلن ندفع مالا . . .
أموات . وسكاري . (يخرج بسرعة . ساتين يصفر
وراءه .)

بوثوف (ناعساً) : هيا الى الفراش ، يا فتيان . كفوا عن
الضجيج . من المفروض أن ينام المرء ليلاً .

* رحالة روسي شهير . الناشر .

الممثل : آه ! ههنا يضطجع جثمان ! «لقد اصطادت شبكتنا
جثة ! . . .» شعر . . . من بيرانجيه !
سائقين (يصيح) : الجنة لا تسمع شيئاً ! الجنة لا تحس
شيئاً ! فصيحوا وازعقوا ما طاب لكم ! فالجنة لا تسمع
شيئاً !

(يظهر لو كآ على عتبة الباب)

ستار

الفصل الثالث

زاوية من فناء مليئة بشتى النفايات ومفروشة بالاعشاب .
في اعماقها جدار مرتفع من الآجر يسد السبيل الى رؤية قطعة
من السماء . على طول الجدار تنمو ادغال بيلسان . الى
اليمن جدار اسود لبناء خشبي - لعله مخزن او اسطبل . الى
اليسار جدار منزل كوستيليوف بقبوه ، وهو رمادي اللون ،
تغطيه بقايا جص ، ينتصب في خط منحرف ، بحيث تبلغ
زاويته البعيدة مركز المسرح تقريباً ، فلا تترك سوى ممر
ضيق بين الحائط الآجري وجدار المنزل . ثمة نافذتان في
جدار المنزل ، احدهما للقبو تقع على مستوى المسرح ،
والاخرى تعلو عليها قرابة نصف متر ، وتقع اقرب الى
الحائط الآجري . على طول جدار المنزل تستلقي كتلة
خشبية يبلغ طولها مترين تقريباً ، والى جانبها مزلجة خشبية
قديمة مقلوبة رأساً على عقب . ألواح خشبية بالية واحطاب
تشكل كوماً قرب البناء الى اليمن . النهار على وشك الافول ،
وشعاعات الشمس الراحلة تضيء الجدار الآجري ببريق
احمر . انه مطلع الربيع ، والثلج قد ذاب منذ فترة قصيرة ،
فالاغصان السود لليلسان ما برحت عارية عن كل برعم او
ورقة خضراء . ناتاشا وناستيا تقتعدان الكتلة الخشبية .
لوكا والبارون يجلسان على المزلجة . كليش يضطجع على
كوم الاخشاب الى اليمن . يرى وجهه بوبنوف في نافذة
القبو .

ناستيا (تغمض عينيها ، تهز رأسها في ايقاع متناسب مع سردها لقصتها) : وهكذا جاء ، والليل في مؤتلفه ، الى الحديقة ، الى العريشة ، حسب الخطة التي رسمناها . وكنت أنتظره منذ زمن طويل ، حتى كنت أرتعش خوفاً وحزناً . وكان يرتعش بدوره ، ابيض اللون كرقعة الورق العذراء ، يحمل في احدى يديه مسدساً . . .

ناتاشا (وهي تقرش حبوب عباد الشمس) : وَايْ ! صحيح اذن ما يقال من ان الطلبة مفعمون شجاعة .

ناستيا : وقال لي بصوت مخيف : يا حبي الثمين . . .

بوبنوف : هُوَ - هُوَ ! تقولين ثمين ؟

البارون : إخرس ! اذا لم يعجبك الحديث فلا تسمع ، لكن لا تقاطع الكذب . تابعي !

ناستيا : وقال لي : يا ثمينتي ، يا محبوبتي ! وقال : لن يسمح لي اهلي ابدأ بالزواج منك . وقد هددوني ان يلعنوني الى الابد بسبب حبي لك . وقال ! ولذا يجب ان أنتزع حياتي بيدي . وكان يحمل ذلك المسدس الكبير المحشو بعشر رصاصات . وقال لي : الوداع ، يا هوى فؤادي . لا سبيل الى تغيير عزمي . لا أستطيع الاستمرار في الحياة من دونك ! فقلت له : اواه ، يا صديقي المعبود . . . يا راوول ! . . .

بوبنوف (في دهشة) : ماذا ؟ ما اسمه ؟ جراوول ؟

البارون (مقهقهاً) : تنسين ، يا ناستيا ! كان اسمه غاستون في المرة السابقة !

ناستيا (تقفز على قدميها) : اخرسوا ، ايها الجيف !

انتم . . . ايها الجراء الشريرة ! لكانكم تفهمون معنى
الحب - الحب الحقيقي . لكنني - عرفته - ، الحب
الحقيقي ! (الى البارون) وانت ، أيها اللاشيء التافه !
ايها الانسان المثقف . المدعى احتساء القهوة في
فراشك !

لوكا :انتظروا لحظة ! لا تقاطعوها الآن ! دعوها تكمل
قصتها . ليست الكلمات هي الشيء المهم ، بل ما
يجثم خلف هذه الكلمات - هذا هو الاساس . تابعي ،
يا فتاتي ، ولا تبالي بهم .

بوينوف : تابعي قصتك ، يا غراباً يريد ان يكون طاووساً .
البارون : ماذا حدث بعدئذ ؟

ناتاشا : لا تأبهي لهم . فمن هم هؤلاء ؟ انهم يغارون فقط
لانه ليس لهم شيئاً من اقاصيص يروونها عن
انفسهم .

فاستيا (تقعد ثانية) : لا أريد ان أكمل ! لن اخبركم بأي
شيء بعد الآن . ما داموا لا يصدقون ، بل يضحكون
مني . . . (تتوقف عن الحديث بفتة ، وتلوذ بالصمت
لحظة ، ومن ثم تغلق عينيها ، وتتابع الحديث بصوت
عال منفعل ، وهي تضرب بيدها وتلوّح وكأنها تصغي
الى ألعان موسيقية تتدحرج من البعيد .) وقلت له :
يا فرح حياتي ! يا شمس نفسي ! وانا لا استطيع
ايضاً الاستمرار في الحياة من دونك . . . لانني أحبك
بكل جوانحي ، وسأظل متيمة بهواك طالما هذا القلب
يخفق بضرباتة في جوف هذا الصدر . انما لا تضع حداً

لحياتك التي يريدها اهلك الأجزاء ، يحتاجون اليها
بشدة بما انك الفرح الوحيد الذي يملكون . اطرحتني
عنك ! يفضل ان تذوي حياتي شوقاً اليك وحينئذ ، يا
أعزّ محبوب ! انني وحيدة . انني لست ذات قيمة .
الافضل ان تتحطم حياتي . فذلك سواء عندي ! فأنا لا
أساوي شيئاً . . . ولم يتبق لي شيء . . . لا
شيء . . . (تغطي وجهها بيديها وتنتحب بصمت .)
فاتاشا (تستدير عنها ، وتتكلم بصوت خافت) : لا تبكي .
يجب الا تبكي .

(لوكا يبتسم ويمسح على رأس ناستيا)

بويثوف (ضاحكاً) : انها شيطانة ! ها ؟
البارون (ضاحكاً هو الآخر) : أتظن ذلك حقيقة ، يا جداه ؟
ذلك كله مستوحى من ذلك الكتاب «الحب القاتل» . .
هراء كثير ! دعها وشأنها !
فاتاشا : وما شأنك انت ؟ اخرس طالما الله خلقك هكذا !
ناستيا (مغتاظة) : ايتها النفس الضائعة ! ايها اللاشي،
التافه ! اين قلبك ؟

لوكا (يمسك ناستيا من يدها) : هيا بنا ، يا عزيزتي . لا
تلقي اليهم بالاً . لا تفضبي ! أنا أدري . أنا
أصدقك . انت على حق ، اما هم فعلى ضلال . اذا
أمنت انك احببت ذلك الحب الحقيقي ، فقد احببت
بالفعل . احببت حقاً ! انما لا تفضبي من صاحبك .

لعل الغيرة هي ما يحمله على الضحك . لعله لم يعرف
قط ذلك النوع الحقيقي من الحب ! ولعله لم يعرف
شيئاً على الاطلاق . تعالي !

ناستيا (تضغط يديها على صدرها) : صدقني ، يا جداه !
أقسم ان هذا ما حدث ! . . كل شيء تفوهت به . . .
كان طالباً . فرنسي الاصل . . يسمونه غاستون .
وكانت له لحية سوداء ، وكان يلبس حذاء من الجلد
اللميع . . فلأمت توأ ان لم تكن الحقيقة ما أقول .
ولشدة ما كان يحبني ! لشدة ما كان يحبني !
لوكا : أدري ، أدري ، أصدقك ، أقلت حذاء من الجلد
اللميع ؟ يا الله ، يا الله ! وقد أحببته ايضاً ؟

(يختفيان خلف الزاوية)

البارون : يا للفتاة البلهاء ! قلبها طيب ، لكنها بلهاء بصورة
لا تطاق .

بوبنوف : ما الذي يدفع المرء الى الكذب هكذا ؟ يكذب كانه
يقف امام المحقق . وشرفي !

ناتاشا : لعل الكذب ابعث على الغبطة والانشراح من قول
الحقيقة . انا ايضاً . . .

البارون : انت ايضاً ؟ ماذا عندك ؟ !

ناتاشا : اظلم أحلم وأحلم . وانتظر .

البارون : ماذا تنتظرين ؟

ناتاشا (تبتسم في شيء من الارتباك) : لا أدري . أفكر ان
غداً قد يجيء أحدهم . . انسان غير عادي . . او ان

شيئاً سيحدث شيئاً غير مالوف . فاضل أحلم وانتظر .
انتظر دائماً . . اما الواقع فماذا يمكن للمرء ان ينتظر؟

(فترة صمت)

البارون (بابتسامة معوجّة): لا ينتظر شيئاً ! فأنا ، مثلاً ،
لا أنتظر شيئاً ، فكل شيء انقضى . مرّ . انتهى . ماذا
ايضاً ؟

ناتاشا : او . . اتخيل اني سأموت غداً على حين فجأة وكل
شيء يصبح بعد ذلك بارداً في أعماقي . الصيف وقت
صالح لتصور الموت ، بسبب عواصفه الرعدية ، فقد
يغتالك البرق في اية لحظة .

البارون : انت تعيشين حياة بائسة ، وكل ذلك خطيئة
اختك - فهي ذات مزاج شيطاني !
ناتاشا : ومن يعيش حياة جيدة ؟ كل امرئ يعيشها رديئة
فاسدة - أنا أرى ذلك .

كليش (كان قد ظل حتى الآن مضطجعاً دون حراك يبدو وكأنه
منعزل عن البقية ، ولكنه ينتفض لدى سماعه هذه
الكلمات) : كل امرئ ؟ هذا كذب ! ليس كل امرئ .
لو كان كل امرئ لما كان ذلك مؤلماً حتى هذه
الدرجة . وعندئذ لا يعود المرء يبالي !
بوبنوف : اي شيطان نخسك هذه المرة ؟ كم نبحت !

(يعود كليش فيستلقي ثانية ، وهو يهمهم بينه وبين
نفسه)

البارون : الافضل ان اذهب فاصالح ناستيا . فاذا لم افعل ،
فلسوف تمسك عني الدراهم اللازمة للشراب .
بوينوف : هم - م . . لشدّ ما يتعشق الناس الكذب !
فالامر واضح حين تكذب ناستيا . لقد اعتادت ان
تصبخ بوزها ، فظنت ان في وسعها فعل ذلك بروحها
ايضاً . تزين روحها بالحمرة . لكن لماذا يكذب
الآخرون ؟ لوكا ذلك مثلاً . . انه يكذب كثيراً دون
ان يحصل على اية فائدة من ذلك . وهو رجل عجوز .
ماذا ينبغي من ذلك ؟

البارون (يفلت ضحكة قصيرة مبتعداً) : نفوسهم ، جميعاً ،
حقيرة سوداء ، وهم جميعاً يودون ان يزينوها بقليل
من الحمرة .

لوكا (يدخل من وراء الزاوية) : فيم تثير تلك الفتاة
باستمرار ، يا سيدي ؟ دعها تهناً في بكائها . ان كان
يسرّها ان تسيل عبراتها ، فأى أذى ، اذن ، ينالك
من تلك العبرات ؟

البارون : هذا سخيف ، ايها الشيخ ! وهي تثير الأعصاب .
اليوم هو راوول ، وغداً غاستون . . ولكن القصة لا
تتغير ابداً . على كل حال ، انا ذاهب لأتصالح معها .
(يخرج)

لوكا : هيا اذهب . كن رقيقاً لطيفاً معها ، فليس يؤذيك قط
ان تكون لطيفاً مع المرء .

ناتاشا : انت تملك قلباً طيباً ، يا جداه . ما الذي يجعلك
لطيفاً الى هذا الحد ؟

لوكا : اتقولين لطيفاً ؟ حسناً ، اذا كنت ترينني على هذا الفرار . (أنغام ناعمة لاكورديون ، وصدى غناء ، يأتیان من خلف الحائط الآجري .) يجب ان يوجد في هذا العالم انسان لطيف . يجب ان يحدث على الناس . لقد أحبّ المسيح جميع الناس ، وعلمنا ان نحذو حذوه . وأستطيع ان أقول لك عن حق انك كثيراً ما تستطيعين انقاذ انسان ما اذا اشفقت عليه في الوقت المناسب . مثال ذلك حين كنت حارساً ليلياً في مزرعة قروية تخص أحد المهندسين قرب مدينة تومسك . وتلك المزرعة كانت تنتصب وسط الغابات . المكان خاوٍ . حسناً ، كان الزمن الشتاء ، وكنت وحيداً في تلك المزرعة . . ولقد كان ذلك رائعاً ! وذات يوم سمعت ضجة صاخبة - ان بعض الناس يقتحمون المكان !

ناتاشا : لصوص ؟

لوكا : نعم ، كانوا لصوصاً يقتحمون الدار . . تناولت بندقيتي وخرجت اليهم . . وهناك وجدتهم ، وكانا اثنين . . منهمكين في فتح احدى النوافذ حتى لم يفطنا لمجيئتي . وصحت فيهما : «هاي أنتما ! اخرجنا من هنا !» فاستدارا اليّ يحملان فأساً فحذرتهما : «اذا برحتما مكانكما أطلقت النار !» ووجهت فوهة بندقيتي الى أحدهما ثم الى الآخر . . . فركعا على ركبتيهما ، واستعطفاني السماح لهما بالذهاب . أما أنا ، فكنت مجنوناً ذلك الحين . . . بسبب تلك الفأس ، فقلت

لهما : «طردتكما أيها الجنيان ، لكنكما رفضتما الذهب» . وقلت لهما : «فليذهب أحدكما ويقتطع غصناً كبيراً من تلك الادغال» . فجلبا الغصن المطلوب . فقلت : «فليركع أحدكما ، وليجلده الآخر» . وهكذا جلد كل منهما الآخر طبقاً لأوامري . وعندما انتهت عملية الجلد ، قالا لي : «أيها الجد ، اعطنا شيئاً نأكله بحق المسيح . لقد كنا نمشي وبطوننا فارغة خاوية» . . . اليك هؤلاء اللصوص ، يا عزيزتي ! (يضحك .) واليك تلك الفأس أيضاً ! كانا شابين رائعين طيبي القلب . قلت لهما : «لماذا لم تأتيا وتطلبيا مني شيئاً تأكلانه منذ البداية ، يا شيطانين ؟» فقالا : «سئمتنا السؤال وتعبتنا منه . فقد سألنا والحفنا في السؤال وليس من يعطينا شيئاً وهذا يؤلمنا !» . . . وعاشا معي ، بعد ذلك ، طوال الشتاء . وكان أحدهما ، واسمه ستيبان ، يأخذ البندقية ويضرب في ارجاء الغابات طيلة النهار . أما الآخر ، وينادونه ياكوف ، فكان مريضاً طوال الوقت ، ويسعل على الدوام . . . وكنا نحرس ، نحن الثلاثة ، تلك المزرعة . وعندما جاء الربيع توجهنا الي قائلين : «الوداع ، يا جد» . وهكذا مضيا يسعيان الى ربوع روسيا .

ناتاشا : هل كانا مجرمين هارين ؟

لوكا : نعم مجرمان هاربان . هاربان من المكان الذي نفيا اليه . ولقد كانا شابين رائعين ! لو لم اشفق عليهما لامكن ان يرديانني قتيلاً . او يرتكبا شيئاً لا يقل عن

ذلك شراً ، الامر الذي يعني اذن المحاكمة ، والسجن ،
وسبييريا . ما الفائدة ؟ السجن لا يعلم الانسان ما
هو حق ، وسبييريا لا تعلم الانسان ما هو الحق . .
لكن الانسان يعلمك هذا . . نعم ! يستطيع ان يعلمك
ما هو حق ، وبطريقة سهلة يسيرة !

(فترة صمت)

بوينوف : هم - م . اما أنا . . . فلست أجيد الكذب . ولم
أكذب ؟ انطق الحقيقة كاملة ، الحقيقة كما هي ! هذا
هو رأيي ! فممّ أخجل ؟

كليش (يقفز من جديد على حين بغتة وكأن النار تلسعه ،
ويصيح) : الحقيقة ؟ اية حقيقة ؟ اين هي ؟ (ينتش
الأسمال التي تغطيه) اليكم الحقيقة ! لا عمل ! لا قوة .
هذه هي الحقيقة ! لا مأوى ! حتى ولا سقف يخصني .
لم يتبق شيء سوى الموت كما يموت الكلاب . هذه
هي الحقيقة ، يا للشيطان ! ماذا أبغي من وراء
حقيقتك ؟ كل ما أبغيه فرصة أستطيع التنفس فيها !
أستطيع استنشاق نفس من الحياة ! أي شر ارتكبت ؟
وماذا أفعل بحقيقتك ؟ ليست هنالك فرصة للحياة ،
يا للجنة ! وهذه هي حقيقتك !

بوينوف : انظروا كيف تأثر هذا الفتى !
لوكا : يا يسوع المسيح ! لكن اسمع ، يا صديقي .
انت . .

كليش (يرتعش هياجاً) : جميعكم ، في هذا المكان ، تثرثرون
حول الحقيقة ! وانت ، أيها الشيخ ، تحاول مؤاساة
الجميع ! أريد ان اصارحك بحقدي على الجميع ! وعلى
الحقيقة ، فلتكن ملعونة الى الابد ! هل تفهم ؟ حاول
ان تفهم ! فلتذهب حقيقتك الى الجحيم ! (يركض خلف
زاوية الجدار ويتطلع الى الخلف)

لوكا : يا الله يا الله ، يا الله ! لشدّ ما هو مضطرب ،
هذا الشاب ! الى اين ذهب ؟
فاتاشا : انه كمن طاش صوابه .

بوبنوف : هذا جيد ! وكأنه فصل من مسرحية . هذا يحدث
من حين لآخر . انه لم يعتد على الحياة بعد .
بييل (يدخل على مهله من خلف زاوية الدار) : السلام
عليكم ، ايها الاخوان ! حسناً ، يا لوكا ، ايها العجوز
الداهية ، أفما زلت تسرد خرافاتك ؟

لوكا : أود ان ترى ذلك الرجل الذي يصيح لتوه هنا !
بييل : من ، كليش ؟ ما باله ؟ صادفته راكضاً وكأنما
الشیطان يهرول في أعقابه .

لوكا : كل انسان يركض مثله حين يتأثر قلبه على هذا
الفرار .

بييل (وهو يتخذ مجلسه) : لا احب ذلك الفتى . . . فهو
شرير وتمعرف جداً . (يقلّد كليش .) «أنا - أنا
رجل عامل» . وكان هذا يجعله أفضل من اي انسان
آخر . إمض واشتغل اذا أردت . ولكن ، فيم عجرتك
وتكبرك ! اذا كانت جدارة الانسان رهناً بمقدار العمل

الذي يفعله ، فالحصان أفضل من اي انسان اذن . . .
يظلُّ يجرّ ، دون ان ينبس بكلمة . ناتاشا ! هل
عشيرتك في الدار ؟

ناتاشا : ذهبا الى المقبرة ، ويزمعان حضور صلاة المساء
بعد ذلك .

بييل : ولذلك فليس لديك ما تفعلين الآن ! يا للدهشة !
لوكا (يستدير الى بوبنوف ، وعليه مسحة التفكير) :
الحقيقة ، تقول ؟ الحقيقة لا تشفي دائماً من ادواء
رديئة . فانت لا تستطيع دائماً ان تعين نفسك
بالحقيقة . فمثلاً كان ثمة قضية كهذه مرة : رجل ما
أعرفه يؤمن بالمدينة الفاضلة .

بوبنوف : يؤمن بماذا ؟

لوكا : بالمدينة الفاضلة . كان يقول : «لا بدء من وجود
مدينة فاضلة في هذا العالم» . . . وكان يفكر «ان
بشراً خاصين يقطنون تلك المدينة - بشراً طيبين ،
بشراً يحترمون بعضهم بعضاً . ويساعدون بعضهم
بعضاً في كل عمل وبكل بساطة . وتجري كل الامور
عندهم على ما يرام» . وهكذا فكر هذا الرجل في البحث
عن تلك المدينة الفاضلة . كان فقيراً يعيش حياة
شاقة قاسية . وكانت الامور تؤول احياناً الى حال
سيئة حتى لتحسبه يستسلم ، بل كان يبتسم لنفسه
ويقول : «لا بأس ، فانا أستطيع تحمل ذلك . سأنتظر
فترة اخرى ، ومن ثم أهجّر هذه الحياة وأرحل الى

المدينة الفاضلة» . تلك كانت فرحته الوحيدة في الحياة - ايمانه بالمدينة الفاضلة .

بييل : حسناً ، وهل وصل الى هناك ؟

بوينوف : اين ؟ هو - هو !

لوكا : ومن ثم نفوه الى المكان الذي يعيش فيه - هذا كله

حدث في سيبريا - رجلاً متبحراً في العلم

والثقافة . . . مع كتبه ومصوراته ، وجميع الاشياء

الآخري التي ترافق انساناً مثقفاً مثله . وقال هذا

الرجل المسكين لرجل الثقافة والعلم ذلك ، ، قال له :

«كن لطيفاً وأخبرني اين تقع تلك المدينة الفاضلة ،

وكيف أصل اليها» . واذا ذلك أمسك الرجل المتبحر في

العلم كتبه ، وفتح مصوراته ، وتطلع وتطلع ، لكنه

لم يستطع ان يجد تلك المدينة الفاضلة في أي مكان .

ان كل شيء في محله ، وكل الاراضي موجودة على

المصورات ، لكن المدينة الفاضلة لا توجد في أي

مكان !

بييل (في صوت مهموس) : أنت تمزح ! لا توجد في أي

مكان ؟

(بوينوف يضحك)

ناتاشا : كف عن ضحكك . وما بعد ، يا جداه ؟

لوكا : ما كان الرجل يستطيع ان يصدق ذلك . وقال : «لا

بدء ان تكون في مكان ما . . . تمنع اكثر لانه اذا لم

يك ثمة مدينة فاضلة فسائر مصوراتك وكتبك لا قيمة لها اذن» . فلم يرق هذا للرجل المتعلم ابداً . فقال : «ان مصوراتي افضل المصورات ، انما لا يوجد مثل تلك المدينة الفاضلة التي تتحدث عنها» . عندئذ ثار الرجل المسكين : ماذا يجري ؟ لقد ظل يعيش ويعيش هنا ، ويتحمل كل شيء ، لانه متأكد من وجود مثل ذلك المكان . ولكن ها انه يتبين الآن ، استناداً الى المصورات ، ان ليس ثمة مثل ذلك المكان مطلقاً ! ذلك غش ، ذلك خداع ! قال للرجل المثقف : «وانت . . . انت ، ايها الحقير ! انت وغد لثيم ، ولست متعلماً ابداً !» وضربه على اذنه - طق ! ثم لكمة أخرى - طق ! (بعد فترة صمت .) وبعد ذلك أسرع الى بيته وشنق نفسه !

(الجميع يصمتون . يرنو لوكا ، وهو يبتسم ، الى بييل وناشاشا)

بييل (بصوت مخفوض) : اللعنة ! تلك قصة لا تبعث على المرح !
فاتاشا : لم يتحمل الرجل ان يُخدع .
بوبنوف (مكتئباً) : كل هذا تلفيق . . .
بييل : وى . . . اذن فقد تبين ان ليس ثمة مدينة فاضلة !
فاتاشا : ذلك الرجل يبعث على الشفقة .

بوينوف : كل هذا تلفيق وبهتان ! هـ - هـو ! مدينة
فاضلة ! هذا كله من مخترعات رأسه ! هو - هو !
(يختفي من النافذة)

لوكا (يشير بحركة من رأسه الى نافذة بوينوف) : إنه
يضحك ! بخ ، بخ ، بخ ! (صمت .) حسناً ، يا
أصحاب ، أتمنى لكم الخير . لسوف أغادركم عن
قريب .

بيبيل : الى اين انت ذاهب ؟

لوكا : الى اوكرانيا . سمعت انهم بدأوا ايماناً جديداً
هناك ، فيجب ان ألقي نظرة . أجل ! البشر يبحثون
باستمرار ويريدون أبدأ شيئاً أفضل . فليهب لهم
اللّه شيئاً من الصبر !

بيبيل : هل تعتقد انهم سيجدون ما يبحثون عنه ؟

لوكا : تقصد البشر ؟ من دون ريب ! من يطلب ، يجد . .
من يريد شيئاً بشدة يحصل عليه دائماً .

ناتاشا : آه ، لو انهم يجدونه فقط ! لو انهم يبدعون حياة
أفضل !

لوكا : سيبدعون ! سوى أنه ينبغي لنا ان نساعدهم ، يا
عزيزتي . يجب ان نحترمهم لسعيهم .

ناتاشا : كيف أستطيع ان أساعدهم ؟ أنا نفسي في حاجة الى
مساعدة .

بيبيل (يعزم) : لسوف أتحدث اليك من جديد ، يا ناتاشا .
لسوف أطلب منك مرة اخرى . هنا ، أمامه ، فهو
يعرف كل شيء . تعالي معي !

ناتاشا : الى اين نذهب ؟ الى السجن ؟

بيبيل : أخبرتك اني سأقلع عن السرقة . اقسمت امام السماء اني سأقلع عنها . . واذا قلت ذلك مرة ، فسأفعله بكل تأكيد . اني أعرف القراءة والكتابة . وسوف أشتغل . . قال اني يجب ان اذهب الى سيبيريا بمحض ارادتي ، فهل نذهب ؟ ما ؟ او تظنين اني لا اكره هذه الحياة وأحقد عليها ؟ او اه ، يا ناتاشا ، اني أفهم . . اني أرى ذلك كله واعزي نفسي بالقول ان الناس المزعومين شرفاء يسرقون أكثر بكثير مما أسرق أنا . لكن ذلك لا يفيد . ليس ذلك ما أريد . لست آسف على شيء ولست أومن بالضمير . لكنني أشعر بشيء واحد : ليس هذا اسلوباً للحياة . يجب ان يعيش الانسان حياة أفضل ، يجب ان يعيش كما يستطيع ان يحترم نفسه !

لوكا : نطقت بالصواب ، يا عزيزي ! فليساعدك الله ! فليتغمذك المسيح بعطفه . هذا كلام صائب : ينبغي للانسان ان يحترم نفسه .

بيبيل : كنت لصاً منذ طفولتي البكرة ، وكان الجميع ينادونني دائماً بفاسيا اللص ؛ فاسيا ، ابن اللص . هذا هو رأيكم اذن ؟ لا بأس اذن ، كذلك سوف اكون - لص - ! أتفهمين ؟ ولربما أصبحت لصاً نكايه . ولربما انا لص لان انساناً لم يفكر ابدأ في مناداتي باسم آخر . ربما ستناديني انت يا ناتاشا ؟ لو انك . . .

فاتاشا (حزينة) : لا أصدق جميع هذه الاقوال . وأنا مضطربة اليوم . وقلبي يشب ويشب وكأنه يتوقع حدوث أمرٍ ما . ما كان يجب ان تثير هذا الموضوع اليوم ، يا فاسيا . .

بييل : ومتى اذن ؟ ليست هذه المرة الاولى التي قلت فيها ذلك .

فاتاشا : ولم اذهب معك ؟ أما اني احبك - فلا أستطيع ان أقول اني احبك كثيراً . قد استلطفك احياناً ، وفي احيان اخرى لا أستطيع رؤية وجهك . . اعتقد اني لا احبك . عندما تحب انساناً ما ، فأنت تعمي اذن عن الشر الذي فيه . . لكنني أرى هذا الشر فيك .

بييل : لا تخافي . ستحييني ! لسوف أعودك على نفسي ، لا ترفضني فقط ! لقد راقبتك مدة نيفت على السنة حتى الآن . وأرى انك فتاة جادة طيبة . . مخلوقة يمكن الوثوق بها والاعتماد عليها . . اني احبك حباً جماً ، يا ناتاشا .

(تظهر فاسيليزا في النافذة في أتم زينتها ، وتقف مرهفة اذنيها ، معتمدة على اطار النافذة)

فاتاشا : انت تحبني أنا اذن - وماذا عن اختي ؟
بييل (مرتبكاً) : حسناً ، ماذا عنها ؟ هنالك كثيرات من مثيلاتها .

لوكا : لا تفكري في هذا ، يا بنتي . حين لا يجد المرء خبزاً يلتهم العشب .

بييل (مكتئباً) : اشفقي عليّ . ليست هذه حياة . . انهما حياة كلب ، خالية من كل فرح أو سرور . كأنما في مستنقع . . حيث ينهار كل شيء تمسك به لانه متعفن . وشقيقتك تلك - ظننت انها غير ما هي عليه . لو لم تك شرهة جشعة تحب المال لفعلت المستحيل من أجلها . لو انها تكون ملكاً لي بكليتها . لكنها أرادت شيئاً آخر - مالا . . وارادت ان تكون مطلقة العنان . . مطلقة العنان تعيش حياة فاجرة . ما كانت تستطيع مساعدتي . انما انت - انت أشبهه بشجرة شابة تخر أغصانها لكنها تكبح جماحها . . .

لوكا : وأنا أنصح لك : تزوّجيه ، يا فتاتي . فهو ليس شاباً رديئاً . ذكره فقط - بصورة دائمة - انه انسان طيب ، فلا ينسى ذلك ابداً . لسوف يصدقك . قولي له فقط ، بصورة دائمة : «فاسيا ، انت انسان طيب . فلا تنس هذا!» وفكري يا عزيزتي : هل لديك مخرج آخر ؟ شقيقتك تلك حيوانة خسيصة . أما زوجها - فالعجوز أسوأ من ان تعبر الكلمات عن ذلك . . هكذا هي الحياة كلها هنا . هل لديك مخرج آخر ؟ ثم هو شاب قوي .

فاناشا : ليس هنالك مخرج آخر لي . أعرف ذلك . لقد فكرت في الأمر ملياً . إنما - لست أصدق احداً . ومع هذا ليس هنالك مخرج آخر .

بيبيل : بلى ، هنالك مخرج ، لكنني لن ادعك تسلكين هذا السبيل ، بل اقتلك بالاحرى .

ناتاشا (مبتسمة) : لم أصبح زوجتك بعد ، وهذا انت على استعداد منذ الآن لأن تقتلني .

بيبيل (يحوطها بذراعيه) : إنسي هذا ، يا ناتاشا ! كل شيء على ما يرام !

ناتاشا (تشدّ نفسها اليه) : يجب ان أطلعك على شيء واحد ، يا فاسيا . . وأقسم عليه امام الله . اول مرة ترفع فيها يدك عليّ او تسيىء اليّ بأي وسيلة اخرى فلن أبقى على نفسي . . إما أن اقتل نفسي او . .

بيبيل : فلتجفّ يدي وتسقط اذا رفعتها عليك !
لوكا : لا تقلقي ، يا عزيزتي ، فهو يحتاج اليك اكثر مما تحتاجين اليه .

فاسيليزا (من النافذة) : وهكذا تمت الخطوبة ! من الآن فصاعداً حب ، وشرف ، وطاعة !
ناتاشا : لقد عادا ! آه ، يا رب ! لقد رأينا ! آه يا فاسيا !

بيبيل : هم تخافين ؟ لن يجرؤ احد على لمسك الآن !
فاسيليزا : لا تقلقي ، يا ناتاشا ، فلن يضربك . ليس هو في الضرب أفضل منه في الحب . أنا أعرف ذلك !
لوكا (في صوت مخفوض) : هذا المرأة ! انها الأفعى بالذات !

فاسيليزا : انه لا يجيد سوى القاء خطب حلوة .

كوستيليوف (يدخل) : ناتاشكا ! ماذا تفعلين هنا ، ايتها
الكسول ؟ تشرين القيل والقال ؟ تشكين أهلك
وعشيرتك ؟ ولم تهيني السماور بعد ؟ ولم تجهزي
المائدة ؟

ناتاشا (خارجة) : ولكنكم عزمتم على الذهاب الى
الكنيسة . .

كوستيليوف : نياتنا ليست من شأنك ! واجبك ان تنجزي
عملك ، ان تقومي بما 'أمرت' به .

بييل : اخرس ! فهي ليست خادمتك بعد الآن ! ناتاشا ، لا
تذهبي ! ولا تفعلي لهم شيئاً !

ناتاشا : لا تصدر أوامرك اليّ . فلم يحن وقتك بعد .
(تخرج .)

بييل (الى كوستيليوف) : دعها وشأنها ! لقد فعلت بها ما
تشاء كفاية . هي لي الآن .

كوستيليوف : لك ؟ متى اشتريتها ؟ وكم دفعت ثمناً لها ؟

(فاسيليزا تضحك)

لوكا : اذهب من هنا ، يا فاسيا .

بييل : انتبهي ، والا انقلب ضحكك بكاء مريراً !

فاسيليزا : ما اشد خوفي ! اني خائفة حتى الموت !

لوكا : إمض من هنا ، يا فاسيا ! أفلا ترى انها تثيرك ،
وتحاول اغاظتك ؟ فاهم ؟

بيبييل : آه . . نعم . هي تكذب . انت تكذبين ! لن تسير
الاشياء على هواك .

فاسيليزا : وانا لا اريدها ما لم تكن على هواي ، يا فاسيا !
بيبييل (يهز قبضته في جهتها) : سوف نرى ! (يخرج .)
فاسيليزا (وهي تختفي عن النافذة) : سوف أهسي لك
زواجا مناسباً !

كوستيليواف (يقترّب من لوكا) : ماذا بك ، ايها العجوز ؟
لوكا : لا شيء ، ايها العجوز !

كوستيليواف : يقولون انك راحل عنا ؟
لوكا : لقد آن اوان الرحيل .

كوستيليواف : اين تذهب ؟
لوكا : سأتبع انفي .

كوستيليواف : تتابع طوافك وتجوالك . . ايضنيك البقاء
طويلاً في مكان واحد ؟ ايه ؟

لوكا : يقولون : في الحركة بركة .

كوستيليواف : لكن على المرء ان يقيم في مكان واحد . لا
يفترض في البشر ان يعيشوا كالصراصر - يذهبون هنا
وهناك وفي كل مكان . ينبغي للمرء ان يبني لنفسه
عشاً في مكان ما ، والا يكون غريباً في كل مكان .

لوكا : وماذا لو شعر المرء انه في عشه حيثما القى نفسه ؟
كوستيليواف : ذلك يعني انه صعلوك ومخلوق عديم النفع .

يجب ان يكون ثمة نفع من الانسان . يجب ان يعمل .
لوكا : وبي !

كوستيليواف : اجل والا كيف ؟ من هو الحاج الغريب ؟

الحاج الغريب هو شخص غريب ، شخص لا يشبه غيره من البشر . فاذا كان حاجاً مطلقاً ، حاجاً يعرف شيئاً او شيئين - اشياء لا يهتم احد بمعرفتها - حتى لو كانت هذه الاشياء هي الحقيقة - فليست كل حقيقة يحتاج اليها الناس . فليحتفظ بها لنفسه . واذا كان حاجاً صميمياً ، فلسوف يمسك بلسانه . او يتحدث بحيث لا يفقه انسان واحد ما يتحدث عنه . وينبغي الا يطلب تغيير الأوضاع ، والا يتدخل في أي شيء ، والا يكدر البشر ويزعجهم بغير سبب معقول . ليس من شأنه كيف يحيا الناس . بل واجبه ان يعيش حياة تقية ورعة . يجب ان يكتهف احد الكهوف في غابة لا يراه فيها انسان . لا حق له في التدخل في امور الناس ، او ادانة أحد . انما يجب ان يصلّي من اجل الجميع . . من اجل خطايانا الدنيوية جميعاً - خطاياي وخطاياك وخطايا الجميع . ولذا يتخلّى عن خيلاء هذا العالم وباطله - وهكذا يستطيع الصلاة . (صمت .) اما انت - اي نوع من الحجاج انت ؟ انت لا تحمل جواز سفر . . والرجل المحترم الفاضل يجب ان يحمل جواز سفر . جميع الناس المحترمين الافاضل يملكون جوازات سفر . . . هكذا !

لوكا : بعضنا بشر ، وبعضنا مجرد مخلوقات .
كوستيليواف : دعنا من ذكائك الآن ، دعنا من أحجياتك .
أعتقد اني واياك سواء في الذكاء . ماذا تقول - بشر ومخلوقات ؟

لوكا : ترى انها الغاز وأحجيات ؟ كنت اقول انه ما دام هناك تربة قاحلة عقيم ، وهناك تربة مثمرة خصبة . فان كل ما تزرع في التربة المثمرة الخصبة يجب ان ينتج ثماراً . هذا كل شيء .

كوستيليواف : حسناً ، وما نتيجة هذا ؟

لوكا : لناخذك انت مثلاً . لو ان الرب الآله نفسه قال

لك : «يا ميخائيل ! كن مخلوقاً بشرياً !» فلن يغير

ذلك في الامر شيئاً . اذ انك ستظل مثلك الآن .

كوستيليواف : هم . . هل تعرف ان عمّ زوجتي شرطي ؟
فإذا أنا . . .

فاسيليزا (تدخل) : الشاي جاهز ، يا ميخائيل ايفانوفيتش !

كوستيليواف (الى لوكا) : إسمع ما اقول : إخرج من هنا .
اخرج من منزلي !

فاسيليزا : أجل ، يفضل ان ترحل ايها العجوز ! فلسانك طويل . من يدري ، قد تكون مجرمًا فاراً .

كوستيليواف : إنقشع من هنا هذا اليوم ، والا سأ . . .

لوكا : والا ستنادي عمك ؟ هيا ناده . وقل له انك قبضت

على مجرم هارب . لعلّ العم ينال مكافأة - ثلاثة

كوبيكات .

بوبثوف (يطل من النافذة) : أتبيعون شيئاً ؟ ما هذا الذي

بثلاثة كوبيكات ؟

لوكا : انهم يهددون ببببي .

فاسيليزا (الى زوجها) : تعال !

بوبنوف : بثلاثة كوبيكات ؟ انتبه ، ايها الشيخ . سيبيعونك
بكوبيك واحد .

كوسيتيليوڤ (الى بوبنوف) : فيم نظرت كذا - مثل العفريت
الذي يظهر من تحت المدفأة ! (يخرج وزوجته .)

فاسيليزا : ما اكثر ما في هذا العالم من لصوص وغشاشين !
لوكا : ارجو لكما شايأ هنيئاً !

فاسيليزا (تستدير اليه) : إمسك لسانك ، ايها الفطر
المقفع ! (تختفي خلف زاوية الدار مع زوجها .)

لوكا : سأرحل الليلة . .

بوبنوف : هذا حسن . فالرحيل في الوقت المناسب خير
دائماً .

لوكا : هذا خير ما قيل .

بوبنوف : أنا أعرف ما أقول . لقد رحلت في الوقت
المناسب . وذلك ما أفلتني من الاشغال الشاقة على
ما يظهر .

لوكا : حقاً ؟

بوبنوف : أجل ، تلك هي الحقيقة ! واليك كيف حدث ذلك :

تورطت زوجتي مع اسطى في محلي . كان معلماً
قديراً . . بارعاً في صبغ جلود الكلاب وتحويلها الى
جلود راكون . . وجلود القطط ايضاً - الى جلود
قنقر . . وفار المسك . . او اي شيء آخر يعجبك .
كان شاباً ذكياً . فعقدت زوجتي صلات معه . . وتعلقت
ببعضهما بشدة حتى لم يكن لي بدّ من الحرص كيلا
يدسا لي السم ، او يتخلصا مني بطريقة اخرى .

وكنت أضرب زوجتي في بعض الأحيان - وعند ذلك كان المعلم يضربني . كان مقاتلاً جباراً . وذات مرة اقتلع نصف لحيتي وكسر احد اضلاعي . وكثيراً ما كنت افقد صوابي ايضاً . وقد ضربت زوجتي مرة بالمسطرة الحديدية على رأسها . فاشعلت نيران حرب ضروس . لكنني أدركت ان لا فائدة ترجى من كل ذلك - فلا بدّ ان يتغلبا عليّ . وهكذا عزمتم عليّ قتل زوجتي ، وفكرت في الأمر ملياً . ولكنني تمالكت نفسي في الوقت المناسب ، ورحلت عن المكان .

لوكا : هذا أفضل ما كان يمكن ان تعمل - تتركهما وشأنهما يحيلان جلود الكلاب الى راكون على هواهما .
بوبنوف : لكن المحل كان يخص الزوجة - وقد ظل كذلك .
أما أنا فبقيت لا أملك شروى تقير ، كما تراني . ولكن الحقيقة اني كنت أشرب المحل كله لو بقيت . فان عندي هوساً للشرب .

لوكا : هوس الشرب ؟ اها !

بوبنوف : انني سكير مفترس ! فاذا بدأت أشرب ، شربت كل شيء الا جلدي . وأنا كسول . لست تتصور كم ابغض العمل .

(يدخل ساتين والممثل يتجادلان)

ساتين : هراء ! لن تذهب الى اي مكان . . كل هذا هذيان .
ايها الشيخ ! اي هذيان صببت في أذن هذا الفتى ؟

الممثل : هذا كذب ! اخبره ، يا جداه ، انه يكذب . سوف
أذهب . لقد اشتغلت اليوم - كنت الشوارع . ولم
أشتف قطرة واحدة . تصور ! هذه هي - كوبيكاتي
العشرة وأنا صاح !

ساتين : هراء ! هيا ، اعطنيها . لسوف أشربها . . او
أخسرها في لعبة ورق .

الممثل : أبعدي يدك ! هذا جزء من ثمن تذكرة السفر .
لوكا (الى ساتين) : لماذا تحاول ابعاده عن جادة الصواب ؟
ساتين : «قل لي ، ايها الساحر ، يا صفي الآلهة ، أي مصير
يخبئه لي القدر؟» * أفلست ، يا أخي ! خسرت آخر
كوبيك ! لكن ما يزال للعالم رجاء بعد ، يا جدي -
فهناك نصابون اذكي مني بعد .

لوكا : انت فتى مرح ، يا قسطنطين ، ولطيف ايضاً .
بونوف : ايها الممثل ! تعال الي* !

(يتجه الممثل صوب النافذة ويفرغ ويبدأ حديثاً مع
بونوف في صوت مخفوض)

ساتين : كنت مسلياً عندما كنت صغيراً . جميل ان أستعيد
تلك الذكريات . كنت شاباً طيباً ! أرقص رقصاً
رائعاً . وأمثل على المسرح . وأضحك الناس دائماً .
كنت شاباً ظريفاً .

* من «قصيدة عن اوليج الكاهن» لبوشكين . الناشر .

لوكا : وكيف تحولت عن تلك الطريق ، ايه ؟
ساتين : يا لك من مخلوق فضولي ، ايها الشيخ ! تحب معرفة كل شيء فلماذا ؟

لوكا : أحب ان أفهم مشاكل الناس . لكنني لا أفهم شيئاً عندما أنظر اليك . فأنت فتى رائع ، يا قسطنطين ، وذكي ايضاً . ومع ذلك . . .

ساتين : السجن فعل بي ذلك ، ايها الجد ! قضيت اربع سنوات وسبعة اشهر في السجن . وليس من سبيل بعد السجن .

لوكا : او - هو ! ولماذا القوا بك في السجن ؟
ساتين : لاني قتلت وغداً . قتلته في ثورة من الغضب والاستياء . وتعلمت لعب الورق في السجن .

لوكا : قتلته من اجل امرأة ؟
ساتين : من اجل شقيقتي بالذات . انما كفاك تدخلا في امور لا تعنيك . فلست أحب ان توجه الاسئلة اليّ . وكل هذا حدث منذ زمن بعيد ، بعيد جداً . اختي . . ماتت . . قبل تسع سنوات . كانت اختي انسانة رائعة لطيفة ، يا صاح !

لوكا : انك تنظر الى الحياة بسهولة ! اما صانع الاقفال فلا يتحملها هكذا ويعوي هنا فترة ! أي - ي - ي . . .

ساتين : كليش ؟

لوكا : هو نفسه . لقد صاح : «ليس ثمة عمل ! لا ، لا شيء !»

ساتين : سيعتاد ذلك مع الزمن . حسناً ، ماذا افعل بنفسى
الآن ؟
لوكا (في لطف) : انظر ! ها هو ذا قادم .

(كليش يدخل على مهل ، محني الرأس)

ساتين : هاي ، انت ايها الارمل ! ما بال رأسك غارقاً بين
ركبتيك ؟ فيم تفكر ؟
كليش : افكر في ما سوف اعمل . ليس لدي أدوات . بعثها
جميعاً من اجل الجنازة .
ساتين : اقبل نصيحتي ولا تفعل شيئاً . كن وقرأ على كتف
العالم . .
كليش : لا يضيرك شيئاً ان تتكلم . لكنني استشعر الخجل
امام الناس . .
ساتين : إطرح ذلك ! فالناس لا ينجلون لانك تعيش حياة
قمنية بقلب . فكر ملياً في الامر . تكف انت عن
العمل ، واكف انا عنه . ويكف المئات والالوف .
ويفعل الجميع الشيء ذاته ! أتفهم ؟ سنكف عن العمل
جميعاً . ولن يحرك اي انسان ساكناً ليصنع شيئاً !
وماذا سيحدث بعدئذ ؟
كليش : سنموت جميعاً من الجوع .
لوكا (الى ساتين) : يجب ان تنضم الى «الهاربين» ما دمت

تفكر هكذا . . هنالك بعض الناس الذين يسمون
«الهاربون» * .

ساتين : أدري . وليسوا بمجانين على كل حال ، يا جداه .

(يسمع من نافذة جناح كوستيليوف صدى عويل ناتاشا :
«فيم هذا ؟ كفى ! . . ماذا فعلت ؟»)

لوكا (مضطرباً) ناتاشا ؟ أهى التى تصرخ على هذا الفرار ؟
ها ؟ اوخ . .

(تجىء من جناح كوستيليوف أصوات ، ضجة صاحبة وصدى
صحون تتكسر ، وصيحات كوستيليوف الثاقبة : «يا كلبة !
يا عاهرة !»)

فاسيليزا : انتظر ! دعني أفعل ! لسوف أرينّها ! خذ هذا !
وهذه !

ناتاشا : انهما يضربانني ! يقتلانني !

ساتين (يصيح امام النافذة) : هاي ، أنتم هناك !

لوكا (يركض هنا وهناك) : فاسيا ! لو انكم تبلغون فاسيا !
يا الهى ! ايها الناس الطيبون ! يا اخوان !

* اعضاء شيعة دينية أسسها «يفيمي» الجندي الهارب في
اواخر القرن الثامن عشر . وقد اعتقد مريدوه انه لا بد ، «لانقاذ
ارواحهم» ، من قطع كل العلاقات مع المجتمع والتخلي عن العائلة
والهرب الى الاماكن النائية المقفرة . الناشر .

الممثل (يركض الى الخارج) : هانذا . لسوف اذهب
وأحضره .

يوبنوف : ما أكثر ما ضرباها في المدة الاخيرة .
ساتين : تعال ، ايها الشيخ . سنكون شاهدين .
لوكا (يتبع ساتين) : اي شاهد سيكون مني ! هذا ليس من
عملي ! لو جاء فاسيا بأسرع ما يمكن ! اوخ !
ناناشا : اختي ! عزيزتي ! فا - ا
يوبنوف : كمّا فيها . سألقي نظرة .

(الاضطراب في جناح كوستيليويف يخفّ بعد ما انتقل من
الغرفة الى الممر كما يبدو . يسمع صوت الشيخ : «كفى!»
احد الابواب يصطفق بشدة ، فيقطع هذا عنفوان الضجيج
مثل ضربة فأس . السكون يخيم على المسرح . غسق
المساء)

كليش (قابع على المزلجة المقلوبة وسيماء اللامبالاة ظاهرة
عليه ، وهو يفرك يديه بشدة . يتفوه بشيء غير
مفهوم ينتهي الى هذه الكلمات) : لكن كيف ؟ . . لا
بدّ للمرء ان يعيش . (بصوت مرتفع .) انا في حاجة
الى مأوى ، أليس كذلك ؟ ليس لدي مأوى ! ليس
لدي شيء ! رجل وحيد - وحيد وحيد . ليس من
يساعدني .

(يذهب ببطء ، وقد تقوس بكامل جسده . يخيم صمت ينذر
بالسوء بضع لحظات . ثم يجيء من الممر الضيق بين الجدار

الآجري وجدار منزل كوستيليواف صخب غامض ينمو حتى
يصير صوتاً مشوشاً كلما اقترب . ومن المستطاع تمييز
عدة أصوات متفرقة)

فاسيليزا : أنا اختها ! دعوها لي !
كوستيليواف : الك الحق في ذلك ؟
فاسيليزا : يا مجرم !
ساتين : نادوا فاسيا ! . . اسرعوا اضربه ، يا زوب !

(تسمع صفارة الشرطي)

التتري (يدخل راكضاً ، ويده اليمنى معلقة بوشاح) : اي
قانون هو هذا - القتل في وضع النهار ؟
كريفوي زوب (يتبعه ميدفيديف) : هاه ! لقد اعطيته ضربة
رائعة !
ميدفيديف : انت - كيف تجرؤ على القتال ؟
التتري : وانت ؟ اي واجب هو واجبك ؟
ميدفيديف (يركض خلف زوب) : كفى ! أعدد لي صفارتي !
كوستيليواف (راكضاً) : ابرام ! اقبض عليه ! . . لقد
قتلني . .

(يجيء ، من خلف الزاوية ، كفاشنيا وناستيا وبينهما ناتاشا
شعواء الشعر . يتراجع ساتين الى الخلف ، يدفع امامه

فاسيليزا التي تحاول ضرب اختها ملوحة بيديها ، واليوشكا
يقفز حوالها كالعفريت ، يصفر في أذنها ، ويصيح ، ويعول .
يتبعهما عدد من النساء والرجال المتلفعين بالأسمال)

ساتين (الى فاسيليزا) : الى اين ، ايتها الافعى الملعونة ؟ ..
فاسيليزا : اليك عني ، ايها المجرم ! قد يكلفني ذلك
حياتي ، لكنني سأمزقها ارباً متناثرة !
كفاششيا (تبتعد بناتاشا) : كفى ، يا فاسيليزا ! اخجلي
قليلاً ! انت تتصرفين كما لو كنت وحشاً مفترساً !
ميدفيدف (يقبض على ساتين) : آها ! قبضت عليك اخيراً !
ساتين : زوب ، اضربهم ، يا زوب ! فاسيا ! .. فاسيا ! ..

(يتحلقون قرب الجدار الآجري . يقودون ناتاشا ويجلسونها
على كومة من الالواح الى اليمين)

بيبيل (يظهر فجأة من الممر ، ويروح يدفع الجميع صامتاً
بحركات جبارة قوية) : اين ناتاشا ؟ انت . .
كوستيليوف (يختبئ خلف زاوية الدار) : ابرام ! إمسك
بفاسكا . . يا اخوان ، ساعدوا في الامسك بفاسكا !
اللس ! السارق !

بيبيل : انت ، ايها الكلب العجوز ! (يضرب العجوز بلطمة
خاطفة من ذراعه ، فيقع على الارض بحيث لا يبين منه
سوى رأسه وكتفيه من خلف زاوية الدار . ويسرع
ببيبيل الى ناتاشا)

فاسيليزا : اضربوا فاسكا ، يا شبان ! اضربوا اللص !
ميدفيديف (يصيح بساتين) : اخرج من هنا ! انها مسألة
عائلية ! جميعهم أقارب واهل . . ومن انت لهم ؟
بيبيل : ما الامر ؟ ماذا فعلتْ - طعنتك ؟
كفاشنيا : انظر فقط ما فعل الوحشان ! سلقا قدميها بالماء
المغلي .

ناستيا : قلبا السماور عليها .
التتري : لعل ذلك لم يكن مقصوداً . يجب ان نتأكد . لا
يمكن ان نقول هذا دون تأكيد .
ناتاشا (شبه مغى عليها) : فاسيا ، خذني من هنا -
خبثني .

فاسيليزا : يا ربّ ! انظروا ! انه ميت ! مقتول !

(يهرع الجميع الى الممر حيث يضطجع كوستيليوف . يخلص
بوبنوف نفسه من الجمع ويدنو من فاسيا بيبيل .)

بوبنوف (بصوت مخفوض) : فاسيا ! العجوز - لقد مات !
بيبيل (يتطلع اليه دون وعي) : نادِ الاسعاف . لا بدّ ان
ننقله الى المستشفى . سوف أنتقم منهم لهذا !
بوبنوف : اقول ان أحدكم قتل العجوز .

(الضجة تخمد على المسرح وكأنها نار أطفأتها المياه . أصوات
متفرقة تترقع في نغمات ساكنة : «صحيح؟» ، «هذا ما
حدث» ، «حقاً؟» ، «فلنهرب من هنا يا اخ» ، «يا للجهيم !» ،

«انتبهوا الآن !» ، «لنتفرق قبل مجيء الشرطة» . الجموع
تتضاءل . يخرج بوبنوف والتتري . تهرع ناستيا وكفاشنيا
الى جثمان كوستيليوف)

فاسيليزا (تنهض عن الارض وتصيح بصورة ظافرة) :
مقتول ! هذا هو من قتل زوجي ! . . فاسكا فعل ذلك !
رأيتنه بنفسي ! رأيتنه ، يا اخوان ! . . ماذا ، يا
فاسكا ! الشرطة !

بيبيل (يترك جانب ناتاشا) : دعوني امر . . ابتعدوا عن
دربي ! (يلقي نظرة على العجوز ، ثم يستدير الى
فاسيليزا) ما ؟ هل انت راضية ؟ (يلمس الجسد
بقدمه .) انتهى ، ذلك الكلب العجوز . . حصلت
على مبتغاك . هه . . لعلني أقتلك انت الاخرى ؟
(ينقض عليها . يمسك ساتين وكريفوي زوب به
بسرعة . تختفي فاسيليزا في الممر)

ساتين : فكر فيما تفعل !

كريفوي زوب : هش ! تروء !

فاسيليزا (تظهر ثانية) : اها فاسيا ؟ يا صديقي الحميم ! لن
تفر من نصيبك ! . . الشرطة ! أبرام . . انفخ في
صفارتك !

ميدفيديف : انتزع الشياطين صفارتي مني .
اليوشكا : اليكها ! (يصفر فيها ، فيركض ميدفيديف خلفه .)
ساتين (يقود بيبيل الى ناتاشا) : لا تخف ، يا فاسكا . القتل
في مشاجرة لا يعني شيئاً . ولن يكلفك كثيراً .

فاسيليزا : اقبضوا على فاسكا ! لقد قتله ! رأيته بنفسى !
ساتين : انا الآخر ضربتته ، ثلاث ضربات . . لم يتطلب
الاجهاز عليه جهداً كبيراً . سأكون شاهداً ، يا
فاسيا .

بييل : لا اريد الافلات من هذا المأزق . . اريد ان أجرّ
فاسيليزا اليه . ولسوف أجرّهما اليه . هذا ما
أرادته . . لقد طلبت منى قتل زوجها . . طلبت منى
ذلك !

ناتاشا (فجأة ، بصوت مرتفع) : آه ! . . فهمت الآن ! . .
اذن ، هذه هي القضية ، يا فاسيا ! ايها الطيبون ،
لقد فعلا ذلك معاً ! هو وشقيقتي قد فعلا ذلك معاً !
خطا لكل شيء معاً ! أليس كذلك ، يا فاسيا ؟ ولذلك
تحدثت اليّ هذه الليلة - حتى تستطيع ان تسمع ؟
ايها الطيبون ، إنها عشيقته . . انتم تعرفون هذا . .
الجميع يعرفونه . فعلا ذلك معاً ! طلبت اليه ان يقتل
زوجها . فهو يقف حجر عشرة في طريقهما . . وأنا اقف
كذلك في طريقهما . . ولذا جعلنا منى مقعدة .

بييل : ناتاشا ! . . ماذا تقولين ؟ !

ساتين : وى ! اللعنة !

فاسيليزا : كذابة ! انها تكذب ! انسا . . انه وحده . .
فاسكا هو الذي قتله !

ناتاشا : فعلا ذلك معاً ! لعنكما الله ! انتما الاثنين .

ساتين : يا للعبة ! حاذر ، يا فاسيا ! سيفرقونك !

كريفوي زوب : لا يمكن فهم ما يجري ! اوه ! يا لها من
امور !

بيبيل : ناتاشا ! اأنت حقاً . . انت جادة ؟ . . كيف تظنين
اني . . واياها . .

ساتين : فكري فيما تقولين ، يا ناتاشا .

فاسيليزا (من الممر) : قتلوا زوجي ، يا صاحب السعادة .
انه فاسكا بيبيل ، اللص ، هو فعل ذلك ، يا حضرة
المفتش . . لقد رأيتة . . . الجميع رأوه . .

ناتاشا (تضطرب وتغمغم شبه مغمى عليها) : ايها الطيبون ،
انها شقيقتي وفاسكا بيبيل اللذان فعلا ذلك . استمع
اليّ ، ايها المفتش . انها اختي - التي بيّنت له كيف
يفعل ذلك . . هي التي اقنعتة . هو عشيقها . وها هو
ذا ، لعن الله روحه ! لقد قتلاه ! خذوهما معاً .
قودوهما الى السجن ! وخذوني أنا ايضاً ! ارموني في
السجن ! محبة بالمسيح . . ارموني في السجن !

ستار

الفصل الرابع

المشهد كما في الفصل الاول ، الا ان الحاجز الذي كان يؤلف غرفة بيبيل قد رُفِع ، كما اختفى سندان كليش . التتري يتململ ويثن بين الفينة والفينة على دكة في الزاوية التي كانت غرفة بيبيل . كليش جالس الى الطاولة يصلح اكورديوناً ، وبين فترة وفترة يعزف مجرباً مفاتيحه . والى الطرف الآخر من الطاولة يجلس ساتين والبارون وناستيا ، وامامهم زجاجة فودكا ، وثلاث زجاجات من الجعة ، وبعض الخبز الاسود . الممثل يتململ على سطح المدفأة ويسعل . الوقت ليلى ، المسرح مضاء بقنديل موضوع في وسط الطاولة . الريح تصفر في الخارج وتزأر .

كليش : اختفى في ذلك الهرج والمرج . هكذا . . .
البارون : انسلّ من الشرطة مثل الدخان من النار .
ساتين : مثل الشرير من البارّ .

ناستيا : كان عجوزاً طيباً ! اما انتم - انتم لستم مخلوقات بشرية . انتم - روث !

البارون (يشرب) : نخب صحتك ، يا سيدتي الحلوة !
ساتين : كان عجوزاً غريب الشأن ، وناستيا هذه وقعت في غرامه .

ناستيا : نعم ، وقعت في غرامه واحببته ! هذه هي الحقيقة .

فلقد شاهد كل شيء ، وفهم كل شيء .
ساتين (ضاحكاً) : كان بالنسبة للكثيرين اشبه بالعجين لمن
لا أسنان له .

البارون (ضاحكاً) : مثل اللزقة للدمامل .
كليش : لقد كان شفوفاً . اما انتم . . انتم لا تعرفون معنى
الشفقة .

ساتين : وماذا تفيدك شفقتي ؟
كليش : تستطيع ان لا تشفق ولكنك لا تستطيع ان تجرح
المرء .

التتري (يجلس على دكة ويروح يهزّ ذراعه المصابة كأنها
طفل) : كان عجوزاً طيباً . . يعرف قانون الروح . من
يعرف قانون الروح - هو صالح . ومن أضع
القانون - أضع نفسه . .

البارون : اي قانون ، ايها الامير ؟
التتري : قانون مختلف . . انت تعرف ما اعني .
البارون : وبعدئذ !

التتري : لا تجرح الناس . هذا قانون .
ساتين : هذا يسمى : «قانون عقوبات واصلاح المجرمين . . .»
البارون : ومن ثم هنالك «لائحة العقوبات المفروضة من قبل
قضاة الصلح . .»

التتري : القرآن قانون . . وقرآنكم قانون ايضاً . . كل
نفس ينبغي ان يكون لها قرآن . اجل !
كليش (يجرب الاكورديون) : انه يفتح ، اللعنة عليه !
كلام الامير حقيق . يجب ان يعيش الناس حسب

القانون . حسب الانجيل .

ساتين : حاول ذلك .

البارون : جرّب ذلك .

التتري : محمد اعطانا القرآن ، قال : اليكم - القانون !

افعلوا ما هو مكتوب هنا . ومر الزمن - فاذا القرآن

صغير صغير . ازمان جديدة وقانون جديد . كل زمن

جديد يعطي قانوناً جديداً .

ساتين : لقد حان اليوم اوان «قانون العقوبات . . .» . قانون

جيد صارم . . لا بدّ من انقضاء زمن طويل قبل ان يبلى .

ناستيا (تضرب الطاولة بقدرح في يدها) : لماذا . . لماذا

استمر في الحياة ههنا ! معكم جميعاً ؟ سأرحل . .

سأرحل الى اي مكان . . . الى آخر الارض .

البارون : حافية القدمين ، يا سيدتي الحلوة ؟

ناستيا : عارية الجسد ! أزحف على اربعتي !

البارون : منظر جميل ، يا سيدتي الحلوة . . على اربعتك !

ناستيا : هكذا سأذهب . اجل ! سأذهب على اية حال ،

لأتخلص من رؤية بوزك فقط . آه ، كم انا مللت من

كل شيء ! من كل انسان ومن الحياة نفسها !

ساتين : خذي الممثل معك يوم ترحلين . . فهو يخطط

لرحلة ماثلة . لقد اكتشف لتوّه ان هناك مستشفى

للعطونات قبل نهاية الارض بنصف فرسخ فقط !

الممثل (يطل برأسه من فوق حافة المدفأة) : العضويات ،

يا أحق !

ساتين : للعطونات المتسمة بالكحول . .

الممثل : اجل ! سيذهب على اية حال . سيذهب . . لسوف
ترون !

البارون : من هذا الذي سيذهب ، يا سيدي الطيب ؟
الممثل : انا !

البارون : merci ، ايها المندور للالاهة . . ما اسمها ؟
الاهة المأساة ، الدراما ماذا تدعوها ؟

الممثل : عروس الفنون الجميلة ، يا مغفل ! ليست هي
الاهة ، بل عروساً !

ساتين : لاشيسيس ؟ هيرا ؟ أفروديت ؟ اتروبوس ؟
الشيطان وحده يدري اية واحدة منهن ! كل ذلك من
صنع ذلك العجوز . لقد اهاج عواطف الممثل . انت
فاهم ، يا بارون ؟

البارون : ذلك العجوز غبي .

الممثل : ايها الجهل ! ايها البرابرة ! مي . . لبو . . مي . .
نه * . ايتها المخلوقات المجردة عن القلوب ! سوف
يرحل . سترون ذلك . «اتخموا ، ايتها العقول
المظلمة ! . . » هذا شعر من بيرانجيه . اجل ! لسوف
يجد لنفسه مكاناً حيث لا . . لا . .

البارون : لا شيء ، يا سيدي الطيب ؟

الممثل : اجل ، لا شيء ! «تلك الحفرة ستكون قبري . اموت
ضعيفاً ، عاجزاً» . ففيم تعيشون اذن ؟ فيم ؟

* هي الالهة المأساة عند الاغريق القدماء . الناشر .

البارون : كفاك صراخاً يا كين * ، ايها العبقري الفاسق !
الممثل : سوف اصرخ كما يحلو لي !
ناستيا (ترفع رأسها عن المائدة وتهز يديها) : هيا ، تابع صياحك . وليسمعوا !

البارون : ما فائدة ذلك ، يا سيدتي الجميلة ؟
ساتين : دعهما لشأنهما ، يا بارون ! فليذهبا الى الجحيم !
فليصرخا ! فليكسرا رأسيهما ، دعهما يفعلان ذلك !
لهذا معنى خاص ! دع المرء وشأنه ، على حد تعبير
الرجل العجوز . . انه هو الذي وضع الخميرة في رأس
جارينا ، هو الذي يشبه الخميرة القديمة بالذات . .
كليش : لقد اغواهما بمكان ما . . دون ان يدلهما على
الدرب اليه .

البارون : كان العجوز دجالاً .
ناستيا : كذب ! انت الدجال وحدك !
البارون : اخرسي ، يا سيدتي الجميلة !
كليش : اما الحقيقة - فلم يحبها . كان نائراً جداً ضد
الحقيقة . . وهذا صحيح ! عندما تفكر في الحقيقة ،
فأي حديث يمكن ان يدور عنها هنا اذن ؟ الحياة خائفة
كفاية بدونها . خذ الامير هنا مثلاً - سحق ذراعاه
اثناء العمل ، ولا بدّ له الآن ان يقطعها . هذه هي
الحقيقة التي عنها تتحدث .

ساتين (يضرب الطاولة بيده) : صمتا ! انكم جميعاً من -

* ممثل انجليزي اشترك في تمثيل ادوار شكسبير . المترجم .

البهائم ! حمقى أغبياء ! كفى ثرثرة عن الرجل العجوز !
 (بلطف اكثر) وانت أسوأ الجميع ، يا بارون . . انت
 لا تفهم شيئاً . وانت تكذب ! لم يك الرجل العجوز
 دجالاً . ما هي الحقيقة ؟ الانسان ! هذه هي الحقيقة !
 هو عرف هذا . . اما انتم فلا . رؤوسكم اشبه
 بالقرميد . انا أفهم الرجل العجوز . أجل ، أفهمه ! لقد
 كذب من دون ريب . لكنه يكذب رحمة بكم ، اخذكم
 الشيطان ! كثيرون هم الذين يكذبون بدافع الرحمة
 بأخوانهم . انا اعرف . لقد قرأت كثيراً من الكتب .
 انهم يكذبون بصورة رائعة ، بوحى وإلهام ، فيثيرونكم
 اذن . ثمة أكاذيب تعزي ، تصالح المرء مع نصيبه في
 الحياة . الاكاذيب تجدد عنراً للثقل الذي سحق ذراع
 العامل . اكاذيب تلوم المرء اذ يتضور جوعاً حتى
 الموت . . انا اعرف اكاذيبهم ! لا يحتاج الى الاكاذيب
 الا خائرو العزم والا الذين يعيشون عالة على الآخرين . .
 بعض الناس تعضدهم الاكاذيب ، وبعضهم الآخر
 يختفون وراءها . . اما الانسان الذي هو سيد نفسه -
 الانسان الذي هو - حر طليق ، والذي لا يمتص دماء
 الآخرين - فما حاجته الى الاكاذيب ؟ انما الاكاذيب
 دين العبيد والسادة ! والحقيقة إله الانسان الحر !
البارون : مرحى ! قول جيد ! أوافقك على كل ما قلت !
 فأنت تتكلم مثل . . . انسان محترم .
ساتين : ولم لا يتكلم المخاتل احياناً مثل انسان محترم ، اذا
 كان انساننا المحترم هذا كثيراً ما يتكلم مثل

المخاتلين ؟ نعم . ثمة أشياء عديدة نسيتها ، إنما لما
أزل اذكر شيئاً او شيئين . العجوز ؟ كان انساناً
ذكياً . ولقد . . أثّر فيّ مثلما يؤثر الحمض في قطعة
وسخة من العملة القديمة . فلنشرب نخب صحته !
املأوا قدحي .

(تملاً ناستيا قدح ساتين بالجمعة وتناوله اياه)

ساتين : (يضحك ضحكة قصيرة) : ذلك الشيخ يعيش بذكائه
الخاص ، وهو ينظر الى الاشياء بعينه وحدهما . قلت
له ذات يوم : «جداه ، فيم يعيش الناس ؟ . .» (يقلد
صوت لوكا وحركاته) «يعيشون ليجعلوا حياتهم
أفضل ، يا صديقي الطيب . لتتصور ان لدينا مثلاً
عدة نجارين - وجميعهم حثالة . ومن ثم ولد من بينهم
نجار واحد - نجار لم تعرف الارض له مثيلاً ، فكسف
الآخرين جميعاً ، كسفهم دون ان يستطيع احد منهم ان
يضاهيه بشيء . وكان يضع طابعه على كل شيء
يُصنع ، بحيث تقدمت تلك الحرفة ما يزيد على
العشرين عاماً بقفزة واحدة . وهذا ينطبق على الجميع -
السمكرية والاسكافيين . . وجميع العاملين ، وسائر
الفلاحين . . وحتى الاسياد . . جميعهم يعيشون من اجل
الافضل ! وكل واحد يعتقد انه يعيش من اجل نفسه ،
بينما هو طوال الوقت يعيش من اجل الافضل . وهم
يعيشون مائة عام . . وربما اكثر ، وجميعهم من اجل
الانسان الافضل» .

(ترمق ناستيا ساتين بانتباه . يتوقف كليش عن العمل في
تصليح الاكورديون ويرهف اذنيه . ويحنى البارون رأسه
على صدره وينقر بأصابعه على الطاولة في لطف . اما الممثل
فينزلق بهدوء عن المدفأة ليقعد دكة قريبة)

ساتين : «جميعهم ، يا صديقي الطيب ، حتى الاخير منهم ،
يعيشون من اجل الافضل ! يجب ان نراعي مشاعر
بعضنا بعضاً . اذ اننا لا نعرف ماهية هذا الانسان او
ذاك ، وفيهم خلق ، وماذا في امكانه ان يفعل . . ربما
كانت ولادته من حسن حظنا . . فهو قد يمدنا بمساعدة
طيبة . . يجب بصورة خاصة ان نحترم الاطفال . هؤلاء
الصغار . الحرية هي ما يحتاجون اليه ، اولئك
الصغار . يجب الان نعترض على طريقة حياتهم ويجب ان
نراعي مشاعرهم» . (يضحك في لطف . برهة صمت .)
البارون (متفكراً) : هم . . م . . ! في سبيل الافضل ؟ ذلك
يذكرني بعائلتي - عائلة قديمة . . يعود تاريخها الى
كاترين العظيمة . نبلاء . محاربون . قدموا من فرنسا .
خدموا القيصر وظلوا يرتقون ويرتقون . وخلال حكم
نيقولاى الاول ، وصل جدي غوستاف ديبييل . . الى
مكانة رفيعة . الثروة . . ومئات من الاقنان . .
والخيول . . والخدم . . .

ناستيا : كذاب ! هذا كلام فارغ !

البارون (قافزاً) : ما . . ذا ؟ وبعد ؟ !

ناستيا : هذا كلام فارغ !

البارون (صائحاً) : قصر في موسكو ! قصر في بطرسبورج !
عربات تحمل شعار اسرتنا !

(يحمل كليش اكورديونه ويمضي الى زاوية يراقب المشهد
منها)

فاستيا : هذا كلام فارغ !

البارون : صه ! عشرات الخدم ، أقول لك !

فاستيا (متلذذة) : كلام فارغ !

البارون : لاقتلنك !

فاستيا (تستعد للهرب) : لم تكن هناك عربات !

ساتين : كفى ، يا فاستيا ! لا تثيري جنونه .

البارون : انتظري فقط . . ايتها الرذيلة ! كان جدي . .

فاستيا : لم يكن لك جد البتة ! لم يكن لك شيء مطلقاً !

(يضحك ساتين)

البارون (يتهالك على مقعده وقد انهكه الغضب) : اخبرها ،

يا ساتين - هذه العاهرة - او انك تضحك انت الآخر ؟

أفلا تصدق ذلك ، انت الآخر ؟ (يصرخ في يأس ، وهو

يضرب الطاولة بجمع يديه .) ذلك صدق كله ، لعنكم

الله !

فاستيا (ظافرة) : آها ! تنوح وتزعق ! لعلك تدرك الآن ما

معنى الا يصدقك احد !

كليش (يعود الى الطاولة) : كنت على يقين من ان معركة

ستنشب .

التتري : آه ، ايها القوم البلهاء ! ذلك سيىء جداً !
البارون : انا . . لا أسمع ان يضحك مني الناس ! كنت
املك . . . ولديّ البرهان على ذلك . لديّ وثائق
ثابتة ، يا شياطين !

ساتين : دعها جانباً ! وانس قصة عربات جدك . . فهي لم
تحملك ابداً ، تلك العربات المرحومة .

البارون : كيف تجسر !

فاستيا : انظر الى هذا : كيف تجسر ! أنني أجسر !

ساتين : انها تجسر كما ترى . وفيهم هي أسوأ منك ؟ حتى
اذا لم يكن لها عربات او اجداد ، او ام او اب ايضاً .
البارون (يستكين الى الهدوء) : اخذك الشيطان ! انت تأخذ
الامور برباطة جأش دائماً . بينما انا لا املك
شخصية .

ساتين : حصلّ شخصية . . هي شيء مفيد . (صمت .)
فاستيا ، اذهبت الى مستشفى ؟

فاستيا : ولمه ؟

ساتين : لرؤية ناتاشا .

ساتين : تأخرت قليلاً ! فهي غادرت المستشفى منذ زمن
طويل . برحته و . . اختفت . ذهبت ولم تخلّف
اثراً . .

ساتين : ذلك يعني - اختفت تماماً .

كليش : اتساءل من الذي سيتغلب على الآخر ؟ فاسكا على
فاسيليزا ، ام العكس ؟

فاستيا : لسوف تتخلص فاسيليزا من ذلك كله بطريقة ما .

فهي مأكرة . لكنهم سيرسلون فاسكنا الى الاشغال الشاقة .

ساتين : لا ، بل سيحكم عليه بالسجن فقط لانه ارتكب جريمة قتل في معركة .

ناستيا : خسارة . يفضل ان يرسلوه الى الاشغال الشاقة - ان يرسلوكم جميعاً الى هناك . ان يكنسوكم جميعاً مثل النفايات . ان يرموكم في حفرة ما !

ساتين (مدهوشاً) : ماذا تقولين ؟ هل فقدت صوابك ؟

البارون : سأصفعها على اذنها . . مقابل كلامها الوقح !

ناستيا : هيا ، حاول . المسني فقط !

البارون : سأحاول ، ولن أخاف !

ساتين : كفى ! لا تلمسها . . لا تجرح مشاعر انسان ! لا

أقوى على انتزاع ذلك الشيخ من رأسي ! (يضحك)

لا تجرح مشاعر انسان ! لكن ، ماذا لو جرحوا مشاعري

مرة واحدة والى الابد ؟ ماذا أفعل اذن ؟ أيفترض في

ان اصفع عنهم ؟ أبداً ! لا اصفع عن أحد !

البارون (الى ناستيا) : لا تنسي انك لست على قدم المساواة

معي ! فانت . . نفاية الارض !

ناستيا : اخ منك ، ايها المخلوق الساقط ! انت تحيا على

حسابي . . مثل دودة على تفاحة !

(الرجال ينفجرون ضحكاً صاخباً)

كليش : يا للحمقاء ! تفاحة !

البارون : كيف يمكن لانسان ان يغضب منها ؟ هي حمقاء !
ناستيا : أتضحكون ؟ تخدعون أنفسكم . انتم لا تشعرون
بالمرح !

الممثل (مكتئباً) : هيا ، اعطيهم درساً !
ناستيا : لو كنت اقدر ! لكنك . . لكنك . . (تلتقط قدحاً
وترميه على الارض) . . لكنك فعلت بكم هكذا !
التتري : فيم تكسرين الاقداح ؟ ايه . . امرأة بلهاء !
البارون (ينهض) : لا ! سوف القنّها الآن . . درساً !
ناستيا (راكضة الى الباب) : اذهبوا الى جهنم !
سائين (يصيح خلفها) : هاي ! كفى ! من تخيفين ؟ ما معنى
كل هذا على اي حال ؟

ناستيا : ذئاب ! (تخرج راكضة) لتنفقوا نفقاً ! ذئاب !
الممثل (مكتئباً) : آمين !
التتري : او - او - او ! امرأة شريرة - امرأة روسية .
وقحة . . متحررة جداً . اما التتريات فيختلفن عن
هذا . التتريات يعرفن القانون .

كليش : انها تحتاج الى هزة جيدة .
البارون : العاهرة !
كليش (يجرّب مفاتيح الاكورديون) : حسن ! لكن صاحبه
لم يأت وراه . . ذلك الفتى يبدد نفسه . .
سائين : خذ ، اشرب قدحاً الآن !
كليش : شكرآ ! حان وقت النوم .
سائين : هل اعتدت علينا ؟
كليش (يشرب ، ثم يتجه صوب دكة في احدى الزوايا) :

اظن هذا ! يتضح ان المخلوقات البشرية تتزاحم في كل مكان . وانت لا تلاحظ هذا بادي الامر . . ومن ثم تلقي نظرة جيدة فاذا هي هناك - المخلوقات البشرية . لا بأس !

(ينشر التتري غطاء على دكته ، ثم يجثو على ركبتيه ويروح يصلي)

البارون (ينبه ساتين الى التتري) : انظر الى هذا !
ساتين : دعه لشأنه . فهو فتى طيب . لا تزعجه . (يضحك)
انا طيب القلب هذا النهار والشيطان وحده يدري سبب هذا !

البارون : طيب القلب دائماً عندما تشرب . . وتكون ذكياً ايضاً .

ساتين : عندما اكون سكران . . تبدو الاشياء جميعاً جميلة رائعة . انه يصلي ؟ رائع ، قد يكون الانسان مؤمناً وقد لا يكون . . كما يشاء . فذلك من شأنه وحده . فللانسان حرية الاختيار . وهو يدفع ثمن كل شيء - ثمن ايمانه ، وانكاره ، وحبه ، وكونه ذكياً . الانسان يدفع ثمن كل شيء بنفسه ، وهذا هو السبب في انه حر . الانسان ، هذه هي الحقيقة ! ما هو الانسان ؟ ليس انت ، ولا انا ، ولا هم . لا ! لكن انت ، وانا ، وهم ، والشيوخ ، ونابليون ومحمد - جميعهم في واحد (يرسم صورة انسان في الهواء .) هل فهمت ؟ ذلك -

هائل ! يتضمن جميع البدايات وجميع النهايات . .
كل شيء - جزء من الانسان ؛ وكل شيء - من اجل
الانسان ! الانسان وحده موجود ، وجميع ما تبقى من
صنع يديه وفكره فقط ! ما أعجبه ، الانسان ! ولشدّة
ما في هذه الكلمة من فخار - الانسان ! يجب ان يُحترم
الانسان . لا ان يكون موضع الشفقة . . فالشفقة
اهانة ! لكن ان يُحترم ! هيا ، ايها البارون ، ولنشرب
نخب الانسان ! (يقف .) ما أحسن ان تحسّ نفسك
انساناً ! وهأنذا - مجرم سابق ، قاتل ، نصاب -
وكل ما يتبع هذا ! عندما اعبر الشارع يظنني البشر
لصاً . . ويتحاشونني ويرمونني بنظراتهم الجانية .
وكثيراً ما ينادونني وغداً لثيماً ! مخاتلاً ! ويقولون
لي : اشتغل ! اشتغل ! لماذا ؟ لأملأ معدتي ؟
(يضحك .) لطالما احتقرت الناس الذين يفكرون كثيراً
بمعداتهم . ليست المعدة الشيء الرئيسي ، يا
بارون ! ليست شيئاً رئيسياً ! فالانسان اثنان من هذا
وأرفع . الانسان أرفع قدرأ من معدته !

البارون (يهز رأسه) : انت تعرف كيف تفكر في الامور . هذا
جيد . فلا بدّ ان يبعث هذا الدفء في قلبك . اما
أنا - فلا أستطيع . ولا اعرف كيف . . (يتطلّع
حواليه ، ويتحدث في همس واحتراس .) وفي بعض
الاحيان ، أشعر بالخوف . . أفهمت ؟ وارتعب . فأروح
افكر : ماذا سيحدث بعد ؟

ساتين (يراوح ويغادي) : هراء ! من الذي يخافه الانسان ؟

البارون : اسمع . بقدر ما استطيع ان اتذكر . . كان ثمة نوع من الضباب في رأسي . وما كنت استطيع قط ان أفهم شيئاً . أنا . . ذلك غريب ، ولكن . . ويؤتى لي اني قضيت حياتي بكاملها وأنا ابدل ملابسي . . ولما ؟ لا أقدر ان أفهم ذلك . اولاً كنت طالباً - البس زي مدرسة ابناء النبلاء . وماذا علموني هناك ؟ لست أتذكر . تزوجت . وارتديت بدلة السهرات ومن ثم الروب البيتي . لكن الزوجة التي اخترت كانت زوجة سيئة . لماذا تزوجتها ؟ لا أتذكر . ولقد بذرت جميع ما أملك - وارتديت معطفاً رمادياً وسروالاً باهت اللون . . كيف ضيَّعت كل شيء ؟ لا أتذكر . وعملت في مكتب حكومي - فارتديت البدلة الرسمية ، قبعة لها شعار معدني . . واختلست اموال الحكومة . وعندذاك البسوني ثياب المجرمين . . وبعد ذلك صرت ألبس هذه الاشياء . . وهذا لكأنما في حلم . ها ؟ هل هذا مضحك ؟

ساتين : ليس كثيراً . . فهو سخيّف اكثر منه مضحكاً .

البارون : هذا صحيح ، أظن انا الآخر انه سخيّف . ولكن . . لا بدّ اني خلّقتُ لشيء ما . ما رأيك ؟
ساتين (يضحك) : هذا محتمل . لقد خلق الانسان من اجل الافضل . (بهز رأسه) كلمات طيبة !

البارون : ناستيا هذه ! الى اين فرت ؟ سأذهب والقي نظرة . وعلى اية حال ، فهي . . . (يخرج . صمت)

الممثل : يا تترى ! (صمت) ايها الامير !

(يدير التتري رأسه)

الممثل : صلّ من اجلي !

التتري : ماذا ؟

الممثل (مخفّضاً صوته) : قل صلاة من اجلي !

التتري (بعد فترة من صمت) : صلّ بنفسك . .

الممثل (يهبط عن المدفأة بسرعة ، ويسرع الى الطاولة ،
يصب لنفسه كأساً من الفودكا بيدين راعشتين ،
ويبتلعه بسرعة ، ومن ثم يقصد الممر في شبه عدو .) :
انه راحل !

ساتين : هاي ، انت ! يا سيقمبر ! الى اين انت ذاهب ؟
(يصفر . يدخل بونوف وميدفيديف ، وهذا الاخير
يرتدي معطفاً نسويّاً محشوّاً بالقطن . كلاهما سكران
قليلاً . يحمل بونوف في احدى يديه عقداً من الكعك ،
وفي الاخرى عدداً من السمك الداخن ، وقد القى تحت
ابطه قنينة فودكا ، بينما تطل قنينة اخرى من جيب
معطفه .)

ميدفيديف : الجمل شيء أشبه بالحمار ، الا انه بدون
اذنين . .

بونوف : كفى ! انت نفسك شيء اشبه بالحمار .

ميدفيديف : ليس للجمل آذان البتة . . فهو يسمع من
خيشوميه .

بونوف (الى ساتين) : يا صديقي ! لقد فتشت جميع الحانات

والخمارات باحثاً عنك . اليك هذه القنينة . فيداي
جميعاً مشغولتان .

ساتين : ضع هذه الكعكات على الطاولة ، فتصبح احدي يديك
طليقة . .

بوبنوف : مضبوط ! يا لك من . . . يا شرطي ! انظر اليه
فقط ! انه فتى ذكي ، ها ؟

ميدفيديف : جميع اللصوص اذكياء . . أعرف هذا ! والا ما
استطاعوا الاستمرار . قد يكون الرجل الطيب غيبياً
أحمق . لكن الرجل الشرير - ينبغي ان يكون ذكياً
حتماً . اما عن ذلك الجمل ، فانت على ضلال . انه
حيوان جرّ . من غير قرون . . ولا أسنان . .

بوبنوف : اين الجميع ؟ كيف لا يوجد احد هنا ؟ هاي ، هيا
ازحفوا ! اني أولم مادبة ! من هناك في الزاوية ؟

ساتين : كم تحتاج من الوقت حتى تشرب آخر كوبيك في
جيبك ، ايها الفزاعة العجوز ؟

بوبنوف : لن احتاج الى طويـل زمن ! فراس المال الذي
ادخرت هذه المرة ليس كبيراً . . . زوب ! اين هو
زوب ؟

كليش (يدنو من الطاولة) : ذهب .

بوبنوف : غر - ر - ر - ر . . . هكذا يفعل الكلب !

وف ! وف ! هذا ما يفعله الديك الرومي ! فلا تنبح

ولا تهز ! اشربوا ، افرحوا ! ولا تتذمروا ! الدعوة على

حسابي هذه الليلة ! ولشدة ما أحب ذلك ! لو كنت

غنياً ، لفتحت خمارة يشرب فيها الجميع بلا مقابل !

وحق الله ! وفيها فرقة موسيقية ، وجوقة للترتيل
ايضاً . . فيأتيها جميع الناس ، يأكلون ويشربون
ويصغون للاغنيات ! روح عن نفسك ! لا مال ؟
اليكم - خسارة لا تتقاضاكم ثمناً ! اما انت ، يا ساتين ،
فكنت كنت اعطيك نصف مالي بالاضافة . هذا
ما كنت افعل !

ساتين : اعطنه كله - في الحال !

بوبنوف : كل ما املك ؟ في الحال ؟ هاه ! اليك -
روبلاً وهذا آخر وعشرين كوبيكاً
 وخمسة كوبيكات وسبعة . . . كل شيء !

ساتين : حسناً ! سيكون آمن وهو معي ، سأقامر به .
ميدفيديف : وانا شاهد على ان المال قد اعطي لحفظه . كم
المبلغ ؟

بوبنوف : انت ؟ انت جمل . نحن لا نحتاج شهوداً على
الاطلاق .

اليوشكا (يدخل عاري القدمين) : يا شباب ! تبللت قدماي !
بوبنوف : تعال بلل حلقك ! . . . هذا كل ما انت في حاجة
اليه ! انت لطيف . فغناؤك وعزفك رائعان كل الروعة .
اما شربك الخمرة - هذا غير جيد . ذلك ضار ، يا
اخي . الشرب ضار .

اليوشكا : انت مثال جيد . انت لا تشبه مخلوقاً بشرياً الا
حين تسكر . كليش ! هل اصلحت آلة الاكورديون ؟
(يغني ويرقص .)

اوه ، لو كنت املك بوزاً
بشعاً قبيحاً كبوز البقرة ،
اذن تكبّرت عليّ
محبوبتي الشقراء !

انني بردان ، يا اخوتي . انني اتجلد . . . د !
ميدفيديف : هم . . . هل لي ان اسأل من هي محبوبتك
الشقراء ؟
بوبنوف : الا تكف عن اسئلتك ! انتهيت الآن يا اخ ! فلم
تعد شرطياً بعد الآن . . . لست شرطياً ولا عمّاً ! . . .
اليوشكا : انت - زوج العمّة ليس غير .
بوبنوف : واحدى بنات اخيك في السجن ، والاخرى تموت .
ميدفيديف (بفخر) : هذا كذب . فهي لا تموت . انما اختف
اثرها .

(يضحك سائتين)

بوبنوف : الامر سيان يا اخ ! ما دمت قد فقدت ابنتي
اخيك ، فأنت لم تعد بعد الآن عمّاً .
اليوشكا : يا صاحب السعادة ! يا طبّال الماعز المتقاعد !

محبوبتي - تملك مالاً ،
وانا - مفلّس !

لكنني ما ازال طروباً .
طروباً بشكل مدهش !

الجو بارد ملعون !

(يدخل كريفوي زوب . تبدو وجوه اخرى من الرجال والنساء
خلال بقية المشهد . يخلعون معاطفهم ويضطجعون على الدكك
المبعثرة وهم يهمهمون)

كريفوي زوب : لماذا هربت ، يا بوبنوف ؟
بوبنوف : تعال هنا ! اجلس ، ولنغن* اغنية يا اخ ! اغنيتي
المفضلة . . . ايه ؟

التتري : يجب ان تناما في الليل . الاغاني تنشد في النهار .
ساتين : لا بأس ، ايها الامير . تعال هنا .
التتري : ماذا تعنى بلا بأس ؟ انت تبعث ضجيجاً . تبعث
ضجيجاً صاخباً عندما تغني .

بوبنوف (يذهب اليه) : كيف الذراع ، ايها الامير ؟ هل
قطعوها ؟

التتري : ولمه ؟ أنتظر . لعلهم لا يقطعونها . فالذراع ليست
حديداً عتيقاً ! ومن السهل قطعها لما يحين الحين .

كريفوي زوب : امرك يامان* ، ايها الامير . بذراع واحدة
انت لا تصلح لشيء . فالناس من امثالنا لا يساوون
الا ما تساويه اذرعهم وظهورهم ، فلا انسان بلا

* يامان - سيبى* بالتترية في الاصل . الناشر .

ذراع ! لقد انتهى امرك ! تعال ، وتناول جرعة . لا شيء غير ذلك امامك !

كفاشنيا (تدخل) : آه ، يا رجالي ، يا اعزائي ! الطقس بارد ! المطر ! هل رجلي الشرطي هنا ؟ يا شرطي !

ميدفيديف : هانذا !

كفاشنيا : لقد اخذت سترتي ثانية ! ويبدو انك تناولت رشفة او رشفتين ، ايه ؟ ما فكرتك من ذلك ؟

ميدفيديف : بمناسبة عيد ميلاد بوبنوف . . والبرد ، والمطر . .

كفاشنيا : انتبه جيداً ! المطر ! دعك من الشرب ! تعال الى الفراش !

ميدفيديف (في طريقه الى المطبخ) : بلى ، بالامكان الذهاب الى الفراش . اريد ان انام .

ساتين : الست . . شديدة الصرامة معه ؟

كفاشنيا : تلك هي الطريقة الوحيدة معه ، يا صديقي . يجب ان نشدد قبضتنا على رجل مثله . عندما اخذته ليعيش معي قلت في نفسي : لعلي احصل على بعض الفائدة منه ، فهو في الخدمة ، وانتم عصابة من المعربدين . . وكنت انا امرأة بائسة لا حول لي ولا قوة . لكن سرعان ما راح يسكر ، وانا لا أستطيع ان اتحمل شيئاً كهذا !

ساتين : لقد التقطت زوجاً بائساً .

كفاشنيا : لم يكن هناك افضل منه . فانت لن تعيش معي - انت متعال جداً ! وحتى لو فعلت . . . فذلك ما كان

يطول اكثر من اسبوع واحد ولكنك قامرتَ بي
في لمح البصر - تقامر بي وبجميع ما عندي من أحشاء .
ساتين (ضاحكا) : انت على حق ، يا امرأة . كنت قامرت بك
تماماً

كفاشنيا : أعرف هذا ! اليوشكا !

اليوشكا : هاأنذا !

كفاشنيا : ما هذه الثرثرة التي تنشرها حولي ؟

اليوشكا : انا ؟ انها الحقيقة فقط . لقد قلت : يا لها من
امرأة ! معجزة بكل بساطة ! سمن ، عظام ، ولحم -
تزن عشرة بودات * ، اما دماغها - فلا يزن اوقية
واحدة !

كفاشنيا : هذا كذب . فراسي تحوي كثيراً من الدماغ .
لكن ، لم قلت انني ضربت زوجي الشرطي ؟

اليوشكا : ظننت انك ضربته حين جررته من شعره .

كفاشنيا (ضاحكة) : أبله ! كان يجب ان تتظاهر انك اعمى
لا تبصر . لكن ، فيم انت تنشر ثيابنا القنرة كيما
يراهما الجميع ؟ وخلاف هذا ، فقد جرحت شعوره .
لقد جعل يسكر بسبب من ثررتك . . .

اليوشكا : اذن ، هي الحقيقة ما يقولون - حتى الفراخ
تشرب .

(ساتين وكليش يضحكان)

* البود - مقياس وزن روسي قديم يساوي ١٦,٣ كغ .
الناشر .

كفاشنيا : اووه ، يا للسانك ! اي صنف من البشر انت ،
يا اليوشكا ؟
اليوشكا : أئخر صنف في الوجود ! انا ماهر في اي عمل .
وأتابع أنفي ايان يذهب !
بوبنوف (جنب دكة التتري) : تعال ! لن نسمح لك بالنوم
على اية حال ! لسوف نغني . . طوال الليل ! زوب !
كريفوي زوب : تغني ؟ هذا حسن . . .
اليوشكا : سأعزف لكم !
ساتين : سنصغي اليك !
التتري (باسمًا) : حسناً ، ايها الشيطان بوبنوف . . . صب
خمرة . نحن نشرب ونمرح . ولسوف نموت يوم يجيء
فيه موتنا .
بوبنوف : املا له قدحه ، يا ساتين ! اجلس ، يا زوب !
المرء لا يحتاج شيئاً كثيراً ، يا اصدقائي . هاأنذا اطفح
خمرة واحسّ السعادة ! زوب . . . ابدا الاغنية -
اغنيتي المفضلة ! ولسوف أغني وابكي !
كريفوي زوب (يغني) :
في كل صباح تشرق الشمس وتغرب . . .
بوبنوف (يشترك معه) :
والعتمة ما برحت تخيم في زنزانتني . . .

(الباب يفتح بسرعة)

البارون (يصيح من على العتبة) : هاي . . . يا قوم ! تعالوا !

اسرعوا ! لقد شئق الممثل . . نفسه ! هنالك في
الغلاء .

(سكوت مطبق . الجميع يتطلعون الى البارون . تظهر ناستيا
من خلفه وتسير على مهلها ، مفتوحة العينين ، في اتجاه
الطاولة)

ساتين (بهدهوء) : تفو ! . . لقد أفسد الاغنية . . ذلك
الاحمق !

ستار

أعداء

(مشاهد)

كتبت هذه المسرحية في عام ١٩٠٦ . مثلت «أعداء» لأول مرة على مسرح لينينغراد الأكاديمي الحكومي في ٢٥ أيلول ١٩٣٣ . وفي عام ١٩٣٥ قدمت على خشبة مسرح موسكو الفني .

الشخصيات

- زاخار بارددين : في الخامسة والأربعين .
 - بولينا : زوجته ، تناهز الأربعين .
 - ياكوف بارددين : في الأربعين .
 - تاتيانا : زوجته ، في الثامنة والعشرين . ممثلة .
 - ناديا : ابنة أخت بولينا ، في الثامنة عشرة .
 - بيشيشيغوف : جنرال متقاعد ، عم آل بارددين .
 - ميخائيل سكروبووتوف : في الأربعين . تاجر . شريك آل بارددين .
 - كليوباترا : زوجته ، في الثلاثين .
 - نيقولاي سكروبووتوف : أخوه ، في الخامسة والثلاثين . محام ، وكيل دعاوي .
 - سينتروف : كاتب .
 - بولوغى : كاتب .
 - كون : جندى سابق .
- عمال .
- غريكوف
 - ياغودين
 - ليفشين
 - ريابتروف
 - اكيهوف

- أغرافينا : مدبرة المنزل .
- بوبويدوف : تقيب في الدرك .
- كفاش : عريف في الدرك .
- ملازم في الجيش ، مفتش المباحث ، موظف ، رئيس الشرطة ،
شرطى ، ودركيون ، وجنود ، وعمال ، وكتاب ، وخدم .

الفصل الأول

حديقة مظلة بأشجار كبيرة من الزيزفون . تنهض في أقصاها خيمة عسكرية بيضاء . تحت الأشجار ، الى اليمين ، مقعد ترابي عريض مغطى بالاعشاب تنتصب طاولة الى الامام منه . مائدة طويلة للافطار تمتد تحت الأشجار الى اليسار . سماور صغير يغلي . مقاعد من الخيزران مصفوفة حول المائدة . أغرافينا تصنع القهوة ، وكون يقف تحت شجرة يدخن غليوناً ويتحدث الى بولوغي .

بولوغي : (يتحدث بحركات خرقاء) : طبعاً ، معرفتك بذلك أفضل . أنا شخص معدوم الأهمية ، وحياتي عديمة المغزى بما فيه الكفاية . لكنني زرعت كل خياره بيديّ هاتين ، ولن يسرقها امرؤ دون أن يقدم لي حساباً على ذلك .

كون : (متجهماً) : ليس من يسأل الأذن منك .
بولوغي : (ضاغطاً يده على صدره) : لا ! آسف! اذا أخذ شخص ملكيتك ، أفلا يحق لك أن تطلب حماية القانون ؟

كون : هيا اطلب ذلك . اليوم يأخذون خياراتك ، وغداً رأسك . ذلك هو القانون الذي تتحدث عنه !
بولوغي : غريب أن أسمعك تقول ذلك ، بل خطير أيضاً . كيف تسمح لنفسك ، أنت الجندي المتقاعد ، الحائز

على وسام القديس غيورغي ، بالكلام عن القانون بمثل
هذا الازدراء ؟

كون : ليس هناك قانون . هناك أمر فقط . الى اليسار ،
دُرْ ! الى الأمام ، سِرْ ! وهذا أنت تنطلق . وعندما
يقولون : «قف!» فهذا يعني : قف .

أغرافينا : قد يكون التوقف عن تدخين هذا الغليون فكرة
حسنة ، يا كون . انه يؤذى الأوراق .

بولوغي : لو أن الجوع دافعهم الى السرقة ، فلعلى أعذرهم .
الجوع يبرّر أشياء عديدة . تستطيع أن تقول ان
سائر الدنئات ارتكبت في سبيل ارضاء الجوع . عندما
يريد الانسان أن يأكل ، عندئذ يمكن بكل تأكيد
. . .

كون : الملائكة لا يأكلون ، لكن ابليس تمرّد على الله مع
ذلك .

بولوغي : (سعيداً) : هذا ما أسميه شيطنة خالصة ! . .

(يدخل ياكوف بارددين . انه يتكلم بهدوء ، وكأنه يصغي الى
كلماته ذاتها . ينحني بولوغي له ، ويلقي كون تحية
عسكرية لامبالية)

ياكوف : مرحباً . ماذا تفعل هنا ؟

بولوغي : جئت الى زاخار ايفانوفيتش برجاء متواضع .

أغرافينا : جاء يرفع شكوى . ان بعض الشبان من المعمل
سرقوا خياراته ليلة البارحة .

ياكوف : حقاً ؟ ينبغي أن تخبر أخي بذلك .

بولوغي : بالضبط ، اني ذاهب اليه .
كون (مدمماً) : لا أراك ذاهباً الى أى مكان . أنت لا تفعل
سوى الوقوف هنا والتذمر .

بولوغي : أنا لا أتدخل في شؤونك البتة ، أليس كذلك ؟
لو كنت تقرأ الصحيفة أو شيئاً ما ، فتستطيع عندئذ
بكل تأكيد أن تتهمني بالتدخل .
ياكوف : كون ، أريد أن أتحدث اليك .
كون (يتقدم اليه) : أنت رجل بخيل ، يا بولوغي ، ومفتر .
عجوز .

بولوغي : وقر كلماتك . لقد وُهب الانسان لساناً ليرفع
به شكاوى .

أغرافينا : أواه ، كفاك ثرثرة ، يا بولوغي . أنت أشبه
بالبعوضة منك بالكائن الانساني .

ياكوف (الى كون) : ما عساه يفعل هنا على أية حال ؟ لم لا
يذهب من هنا ؟

بولوغي (الى أغرافينا) : ان كانت كلماتي تسيء الى اذنك
وتفشل في لمس شغاف قلبك - فسوف ألوذ بالصمت
اذن . (يفادر المكان ويمشي على طول الممر ، متحسناً
الأشجار أثناء مروره) .

ياكوف (بارتباك) : حسناً ، يا كون . يلوح أنى في العشية ،
مرة ثانية ، جرحت شعور انسان ما ؟

كون (يكشر عن اسنانه) : نعم ، أخشى أنك فعلت ذلك .
ياكوف (يسير ذهاباً وإياباً) : تفو ! ما أعجب ذلك ! ترى ،

لماذا أهين الناس على الدوام حين أكون سكران ،
يا كون ؟

كون : يحدث أحياناً أن يكون الناس أفضل في حال السكر منهم في حال الصحو . انهم أشجع اذن ، لا يخافون أى انسان ، بل لا يوفرون أنفسهم أيضاً . كان في سريتنا ضابط صف لا يعرف سوى النميمة والنفاق والضرب عندما يكون صاحياً ، ولكن عندما يسكر ، ينخرط باكياً مثل طفل رضيع ، قائلاً : «يا اخوتي ، أنا انسان مثلكم جميعاً» . ويقول : «ابصقوا في عيني ، يا اخوتي» . وكان البعض يفعلون ذلك دون تأخير . . .

ياكوف : من الذى أهنته البارحة ؟

كون : المدعي العام . قلت له انه أحق . ثم قلت له ان لزوجة المدير سبطاً من العشاق .

ياكوف : تصوّر ! ما كان شأنى في ذلك ؟

كون : لا أدرى . ثم . . .

ياكوف : حسناً ، يا كون . هذا يكفي ، والا تجلب انى

تفوهت بالسوء بحق كل انسان . . . كل هذا بسبب

تلك الفودكا اللعينة ! (يقترّب من المائدة ويروح يرنو

الى الزجاجات ، ثم يصب لنفسه كأساً كبيرة من

الفودكا ، ويشرع يحتسيها بجرعات صغيرة . ترمقه

اغرافينا من زاوية عينها وتتنهد) . أنت تحسّين بعض

الأسف من أجلى ، اليس كذلك ؟

اغرافينا : ذلك ما يرثى له كثيراً . أنت صريح وبسيط مع

كل انسان ، ولا تشبه سيداً البتة .

ياكوف : لكن كون ههنا لا يرثي لأحد مطلقاً . انه لا يفعل سوى التفلسف . لا بدّ من قدر كبير من العسف كي يأخذ المرء في التفكير ، أليس هذا صحيحاً ، يا كون ؟
(يدفُ صوت الجنرال من الخيمة صائحاً : «هاى ، يا كون !») أحمئن أنهم يعاملونك بقسوة كثيرة ، ولذا أنت على كل هذا الذكاء . أليس كذلك ؟
كون (مغادراً المكان) : ان رؤية هذا الجنرال وحدها تكفي لتجعل مني أبله غيبياً .
الجنرال (مندفعاً من الخيمة) : كون ! الى النهر ! بسرعة !

(يختفيان في الحديقة)

ياكوف (يجلس ويترنح الى الخلف والأمام على مقعده) : أما تزال زوجتي نائمة ؟
أغرافينا : كلا ، لقد استيقظت واستحمت أيضاً .
ياكوف : هكذا ترثين لي ، أليس كذلك ؟
أغرافينا : ينبغي أن تتناول علاجاً .
ياكوف : حسناً ، صبي لي قطرة من الكونياك .
أغرافينا : لعلّه من الأفضل ألا أفعل ، يا ياكوف ايفانوفيتش .
ياكوف : لم لا ؟ منع كأس واحدة عني لن يفيدني شيئاً .

(تصب له أغرافينا ، متنهدة ، كأساً من الكونياك . يدخل ميخائيل سكروبو توف مسرعاً في حالة من الاضطراب ، يشدُّ

بعضية لحيته السوداء المدببة ، ويلعب بالقبعة التي يحمل
في يده)

ميخائيل : هل استيقظ زاخار ايفانوفيتش ؟ لم يفق بعد ؟
كان يجب أن أتوقع ذلك ! أعطيني . . . أئمة حليب
مبرد ؟ شكراً . صباح الخير ، يا ياكوف ايفانوفيتش !
هل سمعت الأخبار ؟ أولئك الأوغاد يصرّون على أن
أسرح رئيس العمال ديتشكوف . وقد هددوا بالاضراب
عن العمل اذا لم أفعل ذلك ، أخذهم الشيطان .
ياكوف : هيا ، سرّحه .

ميخائيل : ليس أسهل من ذلك . لكنك ترى . . . المشكلة
ليست هنا . المشكلة هي أن التنازلات تفسدهم .
اليوم يطلبون أن أسرح رئيس العمال ، وغداً
يريدونني أن أشنق نفسي في سبيل تسليتهم .
ياكوف (في لطف) : اتعتقد أنهم سينتظرون حتى الغد كي
يريدوا ذلك ؟

ميخائيل : يبدو أنك تجد ذلك مضحكاً ! أود ان أراك تجرب
أن تسوس هؤلاء السادة القدرين - ما يقارب الألف
منهم ، وقد لعب مختلف البشر برؤوسهم ، بما فيهم
أخوك العزيز بلييراليتة ، وحفنة من الأغبياء الذين
يكتبون المنشورات . (ينظر الى ساعته) الساعة
العاشرة تقريباً ، وهم يهددون أن يبدأوا تسليتهم بعد
الغداء . آه أجل ، يا ياكوف ايفانوفيتش . مما لا ريب
فيه أن أخاك أفسد الأمور في المعمل عندما كنت بعيداً

اقضي اجازتي . لقد افسد الناس تماماً بافتقاده الى
الحزم .

(يدخل سينتروف من الناحية اليمنى . انه في الثلاثين
تقريباً ، وفي هيئته وتقاسيم وجهه شيء هادئ ومؤثر) .

سينتروف : يا ميخائيل فاسيليفيتش ! جاء بعض الممثلين
عن العمال الى المكتب ، وهم يطلبون مقابلة صاحب
المعمل .

ميخائيل : يطلبون ؟ كن طيباً وابعث بهم الى الشيطان !
(تدخل بولينا من اليسار .) اصفحي عني ، يا بولينا
ديمترييفنا !

بولينا (برشاقة) : عندك عادة اطلاق السباب والشتائم !
ولكن ما هي المناسبة هذه المرة ؟

ميخائيل : انها تلك «البروليتاريا» ! انهم «يطلبون» ! كانوا
يأتون اليّ فيما مضى «بالتماسات» مطيعة .

بولينا : لا بدّ لي من القول انك كثير القسوة مع الناس .

ميخائيل (يلوِّح بيديه باستسلام) : وانت أيضاً ؟

سينتروف : ماذا ينبغي لي ان اقول للمثلين ؟

ميخائيل : فلينتظروا ! عندّ اليهم .

(يفادر سينتروف المكان متمهلاً)

بولينا : ان لهذا الرجل وجهاً يبعث على الاهتمام . هل مضى
عليه زمن طويل هو يشتغل لنا ؟

ميخائيل : حوالي العام على ما يبدو . . .
بولينا : يوحى بأنه فتي مهذب حسن التربية . من هو ؟
ميخائيل (يهز كتفيه) : يكسب أربعين روبلاً في الشهر .
(يتطلع الى ساعته ، يتنهد وينظر حواليه ، فتقع
أبصاره على بولوغي تحت احدى الأشجار) ماذا تفعل
هنا ؟ هل أتيت لرؤيتي ؟
بولوغي : كلا ، يا ميخائيل فاسيليفيتش ! جئت لرؤية زاخار
ايفانوفيتش .

ميخائيل : في أى شأن ؟
بولوغي : بخصوص اعتداء على حقوق الملكية .
ميخائيل (الى بولينا) : اسمحي لي أن أقدم لك مستخدماً
جديداً . لديه ميل الى البستنة ، وهو على يقين مطلق
من أن جميع الأشياء على وجه البسيطة خلقت لهذا
الهدف الوحيد ، ألا وهو الحاق الأذى بمصالحه . كل
شيء يضجره : الشمس ، وانكلترا ، والآلات الجديدة ،
والضفادع . . .

بولوغي (مبتسماً) : اسمح لي أن الاحب أن الضفادع تضجر
كل الناس على حدٍ سواء عندما تأخذ بالنقيق .
ميخائيل : عد الى المكتب ! ما هذه العادة عندك في ترك
جميع الشؤون كي تأتي للشكوى ؟ لا أحب ذلك
مطلقاً . اغرب عن وجهي !
(ينحني بولوغي ويغادر المكان ، فيما تبتسم بولينا وتروح
تراقبه من وراء نظارتها .)
بولينا : ما أشد صرامتك ! انه شخص مسل . ليخيل اليّ

أن الناس في روسيا أكثر أصالة من الناس في خارجها .

ميخائيل : اذا قلت انهم أكثر فظاظة ، وافقتك فيما تذهبين اليه . أنى أدير الناس منذ خمسة عشر عاماً ، الأمر الذي أعطاني فهماً ممتازاً عن الشعب الروسي الطيب كما يصفه كتابنا الاكليريكيون .

بولينا : الاكليريكيون ؟

ميخائيل : جميع أصحابك من أمثال تشيرنيشيفسكي ، ودوبروليوبوف ، وزلاتوفراتسكي ، وأوسبنسكي . (ينظر في ساعته) لشدّة ما تأخر زاخار ايفانوفيتش في المجيء !

بولينا : أتعلم ما الذى يؤخره ؟ انه ينهي شوط شطرنج العشية مع أخيك .

ميخائيل : وهناك في المعمل يهددون بالاضراب عن العمل بعد الغداء ! يمكننى أن اتأكد أن روسيا لن تجدي أبداً لاي شيء حسن . هذا حق لا مرأى فيه . انها بلد الفوضى ! ان لدى الناس قرفاً عضوياً من أي عمل كان ، وعجزاً تاماً عن حفظ النظام ! وليس ثمة أدنى احترام للقانون !

بولينا : ولكن هذا أمر طبيعي تماماً . كيف يمكن أن يكون احترام للقانون في بلد ليس فيه قانون ؟ بيني وبينك ، ان حكومتنا . . .

ميخائيل : آه ، أنا لا أبرر أي انسان حتى ولا الحكومة أيضاً . خدى الأئكلوساكسونيين مثلاً . (يدخل زاخار ،

باردين ونيقولاى سكرو بوتوف) . لا يمكن أن تجدي مواد أفضل لتبني بها دولة . ان الرجل الانكليزي يتخطر أمام القانون على قائمته الخلفيتين مثل جواد السيرك . ان الاحساس بالقانون موجود في عظامه وفي عضلاته بالذات . صباح الخير ، يا زاخار ايفانوفيتش ! مرحباً ، يا نيقولاى ! اسمع لي أن أخبركما بالنتائج الأخيرة لسياستكما الليبرالية مع العمال : يطلب العمال أن أسرح ديتشكوف فوراً ، مهددين بالاضراب عن العمل بعد الغداء اذا لم أفعل ذلك . . حسناً ، كيف تجدان هذا ؟

زاخار (يحك جبهته) : هم - م - م . ديتشكوف ؟ ذلك الفتى الذي يستعمل قبضتيه على الدوام ويلاحق الفتيات ؟ بكل تأكيد يجب أن نسرّحه . ذلك عدل بكل بساطة . **ميخائيل** (محتاجاً) : يا الله ! الا يمكنك أن تتكلم جاداً أيها الشريك المحترم ؟ ليست القضية قضية عدالة بل معملنا . العدالة من شأن نيقولاى وحده . واني لمجبر على الاشارة مرة أخرى الى أن مفهومك عن العدالة هدام بالنسبة الى العمل .

زاخار : كيف يمكن أن يكون ذلك ؟ هذه مفارقة . **بولينا** : تتحدثون في موضوع العمل في حضرتي ! ومنذ بكور الصباح !

ميخائيل : معذرة ، لكن لا بدّ لي من ذلك . يجب أن نوضح هذا الموضوع . قبل أن أرحل لقضاء عطلتي كنت أمسك المعمل في يدي هكذا (يرفع قبضته المنضمة) ،

وما كان أحد يجرؤ أن يبدي أدنى زقزقة ! وانك لتعلم
أني لم أر قط أدنى فائدة في سائر تلك تسليات أيام
الأحد - حلقات المطالعة وما شابه هذا الهراء - في ظروفنا
الراهنة . . ان الفكر الروسي الفج لا يمكن أن يلتهب
بنور العقل عندما تقع عليه شرارة من معرفة . انه لا
يفعل اذن سوى العسيسة وارسال الدخان !

نيقولاي : ينبغي للمرء أن يتحدث بهدوء دائماً .

ميخائيل (متمالكا زمام نفسه بصعوبة) : شكراً لك من أجل
نصيحتك ، فهي صحيحة كل الصحة ، ولكنني لا
أستطيع لها قبولاً من سوء الحظ . ان موقفك من
العمال ، يا زاخار ايفانوفيتش ، قد زعزع ونسف خلال
سنة شهور الأساس المتين الذي قضيت ثمانية أعوام
في بنائه . لقد كسبت احترام العمال جميعاً ، فهم
ينظرون اليّ على اعتباري سيّداً لهم . أما الآن فمَنْ
الواضح أن ثمة سيّدين ، سيّداً صالحاً وسيّداً شريراً .
وأنت ، طبعاً ، هو السيّد الصالح .

زاخار (مرتبكاً) : ولكن ، يا الهى . . أنا لا أفهمك .

بولينا : هذا قول غريب جداً ، يا ميخائيل فاسيليفيتش !
ميخائيل : لديّ أسباب لهذا القول . لقد وضعتني في مركز
سخيف . عندما أثرت هذه القضية آخر مرة أخبرت
العمال أنني أفضل اغلاق المعمل على تسريح ديتشكوف .
ولقد أدركوا أنني أعني ما أقول فهدأت نائرتهم .
ولكنك في يوم الجمعة ، يا زاخار ايفانوفيتش ، قلت

لذلك الفتى غريكوف أن ديتشكوف انسان فظ ، وأن
في نيتك تسريحه .

زاخار (بلهجة مصالحة) : ولكن يا عزيزي ، انه يتجول موجها
الى سائر الناس اللكمات على الحنك وما أشبه ذلك .
من المؤكد أننا لا نستطيع القبول بمثل هذه الأشياء .
نحن أوروبيون . نحن شعب متمدن .

ميخائيل : قبل كل شيء نحن أصحاب معمل . ان العمال
يتضاربون في كل عيد : فما شأننا نحن في ذلك ؟ ولكن
ينبغي لك أن توجـل في الوقت الراهن تلقين العمال
الأخلاق الحسنة . ان ممثلهم ينتظرونك هذه اللحظة
بالضبط في المكتب ، وسوف يطلبون أن تسرح
ديتشكوف . ماذا في نيتك أن تفعل ؟

زاخار : أترى أن ديتشكوف لا غنى عنه حتى هذه الدرجة ؟
نيقولاي (بجفاء) : يبدو لي ان القضية ليست قضية فرد ،
بل قضية مبدأ .

ميخائيل : بالضبط ! قضية من هو السيد في المعمل - أنت
وأنا ، أم العمال !

زاخار (في حيرة) : أجل ، اني أفهم . لكن . . .

ميخائيل : اذا خضعنا لهم الآن ، فليس من يدري ما عساهم
يطلبون بعد ذلك . انهم عصبية وقحة . . . ستة شهور
من هذه المدارس الأحادية وغيرها أعطت ثمارها . انهم
يحملقون فيّ مثل قطع من الذئاب . ولقد أصدروا منذ
الآن بعض المنشورات التي تفوح برائحة الاشتراكية .

بولينا : الاشتراكية في غير محلها في مثل هذا المكان ! ان لها بالأحرى صدىً مضحكاً ، أليس كذلك ؟
ميخائيل : أتحسبن ؟ يا عزيزتي بولينا ديمترييفنا ، الأطفال مسلون ما برحوا صغاراً . ولكنهم يكبرون شيئاً فشيئاً ، فاذا أنت تجدين نفسك ، بصورة مباغثة ، وجهاً لوجه أمام أوغاد بالخين .

زاخار : ماذا تنوي أن تفعل ؟

ميخائيل : سأغلق المعمل . فليجوعوا بعض الوقت ، وسوف تفر همتهم (ينهض ياكوف ، ويقرب من المائدة ويجرع قدحاً . ثم يغادر المكان على مهله) حالما نغلق المعمل تتدخل النساء ويأخذن في البكاء - ودموع النساء أشبه بريح من الأملاح المروحة تهبُّ على أولئك الذين أصابتهم الأحلام بالدوار . انها تردهم الى الصواب فوراً .

بولينا : أنت تقول أشياء قاسية .

ميخائيل : ربما . لكن الحياة تتطلب مثل هذه القسوة .

زاخار : ولكن . . مثل هذا التدبير . . أعتقد أنه ضروري بصورة مطلقة ؟

ميخائيل : أستطيع أن تقترح أي شيء آخر ؟

زاخار : ماذا اذا ذهبتُ وتحدثت اليهم ؟

ميخائيل : من المؤكد أنك سوف تدعن لهم ، وعندئذ لا يعود وضعي يطاق . أسالك المغفرة ، ولكن لا بد لي من القول ان تذبذبك يكاد أن يكون اهانة موجهة الي ! هذا اذا لم أقل شيئاً عما يسببه من ضرر .

زاخار (في اندفاع) : ولكن ، يا صاحبي العزيز ، أنا لا أعترض . اني أجرب أن أجد لذلك حلاً بكل بساطة . يجب أن تفهم أنني ملاك زراعي أكثر مني رجلاً صناعياً ! وهذا كله جديد عليّ ، وكثير التعقيد بالإضافة . اني أحب أن أرى العدالة تتحقق ، فالفلاحون ألطف وأطيب طبيعة من العمال . واني لأتدبر الأمور معهم بصورة ممتازة . ومن المؤكد أن بين العمال بعض الوجوه الباعثة على كثير من الاهتمام . أما بصورة اجمالية . . فاني أوافقك . . انهم كثيرو الغطرسة .

ميخائيل : وبصورة خاصة ، منذ ان قدمت لهم تلك الوعود كلها .

زاخار : حالما ذهبت شرعت ألاحظ نوعاً من القلق . . بل كان ثمة اضطرابات أيضاً . ربما لم أكن حذراً بصورة كافية . ولكن لم يكن بدّ من تهدئة العمال . وقد كتبت أشياء عنا في الصحف . ولا بدّ لي من الاعتراف بأنها كانت أشياء قاسية جداً .

ميخائيل (بنفاد صبر) : الساعة الآن الدقيقة السابعة عشرة بعد العاشرة . ولا بدّ لنا من الانتهاء الى قرار ما . ان الوضع الراهن يتطلب مني اما اغلاق المعمل واما الانسحاب من المشروع . اذا اغلق المعمل لن نتحمل أية خسارة ، فقد اتخذت سلفاً سائر الاحتياطات اللازمة ، اذ مختلف طلباتنا المستعجلة حاضرة ، وفي المخازن بضائع احتياطية .

زاخار : هم - م - م ! اني أفهم . لا بدّ من اتخاذ قرار في

الحال . ما رأيك ، يا نيقولاي فاسيليفيتش ؟
نيقولاي : رأيي أن أخي على حق . إذا كنا نقدّر الحضارة
فيجب أن نتمسك بالمبادئ المعينة بصورة حازمة .
زاخار : هذا يعني أن من رأيك أنت الآخر أن نغلق
المعمل ؟ . . يا حرام ! يا عزيزي ميخائيل
فاسيليفيتش ، أرجوك ألا تغضب مني . سوف أعطيك
جوابي خلال - فلنقل عشر دقائق . . أيكفي هذا ؟
ميخائيل : تماماً .

زاخار : بولينا ، أرجوك أن تأتي معي . .
بولينا (تلحق بزوجها) : يا الله ! لشد ما في كل هذا من
مضايقات !

زاخار : لقد اكتسب الفلاح ، خلال الأجيال ، شعوراً فطرياً
بالاحترام تجاه طبقة النبلاء .

(يخرجان)

ميخائيل (من خلال أسنانه) : يا للمخنث ! انه يستطيع أن
يقول ذلك بعد المذابح الزراعية في الجنوب ! الأحمق !
نيقولاي : هدى روعك ، يا ميخائيل ! لماذا تفلست زمام
نفسك هكذا ؟

ميخائيل : لقد تمزقت أعصابي ارباً ارباً ، أفلا تستطيع رؤية
ذلك ؟ اني ذاهب الى المعمل و . . انظر ! (يتناول
مسدساً من جيبه) انهم يكرهونني ، بفضل ذلك
الأبله . ولكنني لا أستطيع أن أتخلى عن المشروع .

لسوف تكون أنت أول من يلومني اذا فعلت ذلك . . .
رأسمالنا كله في المصنع . . اذا انسحبت ، فان ذلك
الأحمق الأصلع سيدمر كل شيء .
ثيقلوي (بهدهو) : ذلك سيي ، اذا كنت لا تبالغ فيه .
سينتروف (يدخل) : العمال يطلبونك .
ميخائيل : أنا ؟ ماذا يريدون ؟
سينتروف : ثمة اشاعات تقول ان المصنع سيغلق أبوابه
بعد الغداء .

ميخائيل (لأخيه) : أسمعت هذا ؟ كيف عرفوا ذلك ؟
ثيقلوي : أخبرهم به ياكوف ايفانوفيتش على ما يبدو .
ميخائيل : لعنة الله على كل هذا ! (ينظر الى سينتروف
بهياج لا يستطيع الى اخفائه سبيلاً .) لم أنت
معني بهذا الأمر حتى هذه الدرجة ، يا سيد سينتروف ؟
تأتي الى هنا باستمرار ، وتطرح الأسئلة . لم تفعل
ذلك ؟

سينتروف : المحاسب طلب مني ان أدعوك .
ميخائيل : حقاً ؟ من أين اكتسبت عادة التكشير هذه ولوي
شفتيك بصورة شيطانية ؟ هل أجرؤ على سؤالك عما
يسعدك حتى هذه الدرجة ؟

سينتروف : أعتقد أن ذلك من شأني وحدي .
ميخائيل : أنا لا أوافقك . أنصح لك أن تكون أكثر احتراماً
نحوي في المستقبل ، هل تسمع ؟ (سينتروف يشخص
اليه بنظرة ثابتة) حسناً ، ما الذي تنتظره ؟
تاتيانا (تدخل من اليمين) : آه ، هذا هو المدير . هل أنت

في عجلة ؟ (تصبح سينتروف) مرحباً ، يا ماتفي
نيقولايفيتش !

سينتروف (بحرارة) : صباح الخير . كيف حالك ؟ ألسنت
متعبة ؟

تاتيانا : أبدأ . ذراعاي وحدهما يؤلمانني من التجذيف .
هل أنت ذاهب الى المكتب ؟ سأصحبك حتى البوابة .
أتعرف ما أريد أن أخبرك به ؟
سينتروف : كلا ، طبعاً .

تاتيانا (تسير الى جانب سينتروف) : كان فيما قلت البارحة
شيء كثير من الذكاء ، انما كان فيه شيء كثير من
الانفعال والتحيز . بعض الأحاديث يزداد حظها من
الاقناع بمقدار ما ينقص نصيبها من العاطفة . . .
(يصبح حديثهما غير مسموع) .

ميخائيل : كيف ترى ذلك ؟ ان المستخدم الذي طلبته لتوي
كي يقدم الحساب على وقاحته يتباهى أمام عيني
بالضبط عما يربطه من أواصر اللفة مع زوجة
ياكوف . هو سكير ، وهي ممثلة . أما ما جاء بهما
الى هنا ، فذلك أمر لا يعرفه سوى الشيطان .

نيقولاي : انها امرأة غريبة - جميلة وأنيقة ، بل جذابة -
ومع ذلك يبدو أنها تتورط مع هذا المتملق . يا لها
من غرابة الأطوار ، بل يا للحماقة !

ميخائيل (بسخرية) : هذا ما تسميه ديموقراطية . انها ابنة
معلم ريفي كما تعلم ، وهي تقول انها تشعر بالانجذاب

دائماً الى عامة الناس . اللعنة على ذلك كله ، أتمنى
لو أني لم أختلط بهؤلاء السادة الريفين !
نيقولاي : لا ضرورة للشكوى في اعتقادي ، فأنت رئيس هذا
العمل .

ميخائيل : ليس بعد . لكنني سوف أصبح الرئيس .
نيقولاي : يخال لي أن الوصول إليها سهل ، فهي شهوانية
جداً فيما يبدو .

ميخائيل : أين ذلك الليبرالي ؟ لا بدّ أنه عاد أدراجه الى
السريير . لا ، اقول لك ان روسيا لن تحقق شيئاً .
والناس مسبوّهون اختبلت أحاديثهم وتساورهم أحلام
اليقظة . فلا أحد يعرف مكانه في هذه الحياة . أما
الحكومة فتتشكل من عصابة من أنصاف المجانين -
عصابة من البلهاء الوضيعين الذين لا يفهمون شيئاً ،
ولا يستطيعون أن يصنعوا أي شيء على الاطلاق .

ناتيانا (تعود) : أنت أيضاً تصيح ؟ ثمة سبب يدفع الجميع
الى الصياح !

أغرافينا : يا ميخائيل فاسيليفيتش ، ان زاخار ايفانوفيتش
يطلبك . . .

ميخائيل : أخيراً ! (يخرج دون الاصغاء الى كلامها) .
ناتيانا (تجلس الى المائدة) : ما باله شديد الاضطراب ؟
نيقولاي : لا أعتقد أن ذلك يشير اهتمامك .

ناتيانا (بهدهو) : انه يذكرني بشرطي . ما أكثر ما كان يقوم
بواجبه في مسرحنا في كوستروما - طويل ناحل جاحظ
العينين .

نيقولاي : لا أرى وجه الشبه بينه وبين أخي .
تاتيانا : لا أتحدث عن شبه جسماني . كان ذلك الشرطي
أيضاً في عجلة من أمره على الدوام ، يعدو وراء شيء
ما . لم يكن يسير ، بل يركض . لم يكن يدخن ، بل
يلتهم اللفائف . كان يبدو كأنه لا يملك الوقت كي
يعيش ، بل يذهب كل وقته في الاندفاع الى مكان ما ،
وهو نفسه لم يكن يعرف الى أين !

نيقولاي : أنتعقدين أنه ما كان يعرف فعلاً ؟

تاتيانا : اني واثقة من ذلك . عندما يكون للمرء هدف
واضح ، فانه يسعى اليه بهدوء . . اما ذلك الفتى
فكان يعدو على الدوام . وكان ذلك عدواً من نوع
خاص . كان يبدو أن شيئاً ما يجلبه من الداخل ، فهو
يركض ويركض ، معترضاً سبيله الخاص وسبيل كل
انسان آخر . لم يكن شرهاً - ليس بالمعنى الضيق
للكلمة . كان متلهفاً فقط ، بِشَرِّهِ ، الى انجاز كل ما
يجب انجازه ، كي يتخلص من واجباته كلها ، بما
فيها واجب تناول الرشوة . لم يكن «يتناول»
الرشاوى - كان «يختطفها» . وكان يختطفها بسرعة
عظيمة حتى لينسى أن يقول شكراً . وأخيراً داسته
عربة وقتلته .

نيقولاي : أتريدين أن تقولي ان فعالية أخي ينقصها الهدف
الذي تتوجه اليه ؟

تاتيانا : أهكذا يتضح من حديثي ؟ كلا ، ليس هذا ما أردت

ان أقول . أن أخاك يذكرني ، بكل بساطة ، بذلك الشرطي .

نيقولاي : ليس هذا مديحاً لأخي ، كما يتضح لي .

تاتيانا : ليس في نيتي مطلقاً أن أمتدح أخاك .

نيقولاي : ان لك لأسلوباً مبتكراً في المداعبة .

تاتيانا : حقاً ؟

نيقولاي : أجل . لكنه ليس بالأسلوب المرح كثيراً .

تاتيانا (بهدهوء) : أيمكن لامرأة أن تكون مرحة معك ؟

نيقولاي : أو - هو !

بولينا (تدخل) : ليس كل شيء يسير على ما يرام اليوم فيما

يبدو . فليس من يتناول افطاره ، والجميع مهتاجون

فكانهم لم ينالوا قسطاً من النوم يكفيهم . لقد ذهبت

ناديا في وقت مبكر هذا الصباح الى الغابات تقطف

الفطور بصحبة كليوباترا بتروفنا ، وقد طلبت منها

البارحة الا تفعل ذلك . يا للسموات ! لشدّ ما

أصبحت الحياة صعبة .

تاتيانا : أنت تكثرين من الطعام .

بولينا : لمَ هذه اللهجة ، يا تاتيانا ؟ موقفك من الناس

غير طبيعي .

تاتيانا : حقاً ؟

بولينا : ليس أيسر من النظر الى الأمور بهدهوء عندما لا

يملك المرء شيئاً ، فهو بذلك حرّ من كل مسؤولية .

ولكن عندما يرتبط آلاف الناس بك من أجل طعامهم

يختلف الأمر كثيراً .

تاتيانا : كفي عن اطعامهم ، وليعيشوا كيفما يروقهم . ردّي اليهم كل شيء - المعمل ، والأرض ، وعيشي بسلام .
نيقولاي (يشعل لفافة) : من أية مسرحية اقتبست هذا ؟
بولينا : لا أستطيع ان أفهم لماذا تقولين مثل هذه الأشياء ، يا تاتيانا . يجب ان ترى مبلغ اضطراب زاخار . لقد قررنا ان نغلق المعمل فترة من الزمن ، حتى يسترد العمال صوابهم . لكن تصوري مبلغ ما في ذلك من صعوبة ! ان مئات الناس سيُلقي بهم دونما عمل .
وان لهم اولاداً . . . هذا فظيح !

تاتيانا : لا تغلقوا المعمل اذا كان الأمر على هذا القدر من الفظاعة ! لماذا تورطون أنفسكم ؟
بولينا : أواه ، يا تاتيانا ! لشدّ ما تشيرين الأعصاب ! اذا لم نغلق المعمل ، فسوف يضرب العمال ، وسوف يكون ذلك أسوأ .

تاتيانا : ما الذي سوف يكون أسوأ ؟
بولينا : كل شيء . نحن لا نستطيع ، بكل تأكيد ، تلبية سائر طلباتهم ، وهي ليست طلباتهم في واقع الأمر . لقد شرعوا يزعمون لمجرد انه عصابة من الاشتراكيين علمتهم ان يفعلوا ! (بحمية) لا أستطيع ان أفهم ذلك ! ان الاشتراكية تحتل مكانها المناسب في الخارج ، وزعمائها يقومون بنشاطهم بصورة علنية . أما معنا ، ههنا في روسيا ، فانهم يأخذون العمال الى الزوايا ويهمسون في آذانهم بما يريدون ، متجاهلين تماماً هذه الحقيقة ، ألا وهي ان الاشتراكية لا مكان

لها في نظام ملكي ! انه الدستور ما نحتاج ، لا الاشتراكية . ما رأيك ، يا نيقولاي فاسيليفيتش ؟
نيقولاي (يضحك ضحكة مقتضبة) : رأيي يختلف نوعاً ما .
الاشتراكية ظاهرة بالغة الخطورة . ويمكن أن تجد
تربة خصبة في بلد لا يملك فلسفة عنصرية مستقلة
إذا جاز التعبير ؛ بلد كل شيء فيه يُستعار بصورة
هوجاء سريعة . نحن متطرفون . وهذه هي نقطة
الضعف فينا .

بولينا : أوه ، هذا صحيح جداً ! نحن متطرفون .
تاتيانا (تنهض) : وبصورة خاصة أنت وزوجك . ومساعد
المدعي العام ايونا .

بولينا : ماذا تعرفين عن ذلك ، يا تاتيانا ؟ يعتبر زاخار
واحداً من الحمر في محافظتنا .

تاتيانا (تسير جيئة وروحة) : اعتقد انه صار أحمر بدافع
الخجل ليس غير ، وليس في كثير من الأحيان على أية
حال .

بولينا : تاتيانا ! ماذا ألمّ بك بربك ؟
تاتيانا : لماذا ، هل أغضبتك ؟ لم أكن أقصد ذلك . فيخيل
اليّ أن حياتكم أشبه مسرحية يمثلها هواة . لقد
أسسوا توزيع الأدوار ، وليس ثمة انسان يتحلّى بأية
موهبة . وكل واحد يمثل بصورة فظيعة . وتظلل
المسرحية دونما أدنى معنى .

نيقولاي : ثمة بعض الحقيقة فيما تقولين . فكل واحد يشكو
من أن المسرحية مضجرة .

تاتيانا : نحن الذين جعلناها مضجرة . ويتراءى لسي أن
القائمين بالادوار الثنائية شرعوا يدركون ذلك .
ولسوف يطردوننا من خشبة المسرح يوماً ما .

(يدخل الجنرال وكون)

نيقولاي : افلست تبالغين قليلاً ؟
الجنرال (ينادي وهو يقترب) : بوليننا ! شيئاً من الحليب
للجنرال ! وليكن بارداً جداً ! (الى نيقولاي) مرحباً ،
يا كفنناً قديماً للقوانين ! . . يدك ، يا ابنة أخي
القاتنة ! كون ، أجب على السؤال : ما هو الجنوي ؟
كون (ضجراً) : كما يريد رئيسه ، يا صاحب السعادة !
الجنرال : واذا أراد أن يكون سمكة ، ايه ؟
كون : يجب أن يكون الجنري قادراً على أن يكون أى شيء
كان .

تاتيانا : عماء العزيز ، لقد سليتنا بهذا المشهد البارحة .
يجب أن يتكرر علينا كل يوم ؟
بولينا (متنهدة) : كل يوم بعد حمامه .
الجنرال : أجل كل يوم حقاً . وشيء متنوع على الدوام .
ينبغي لهذا المهرج العجوز أن يصنع الأسئلة وأن
يجيب عليها من تلقاء نفسه .
تاتيانا : اتستمتع بذلك ، يا كون ؟
كون : صاحب السعادة يستمتع به .
تاتيانا : ولكن انت ؟

الجنرال : انه يجب ذلك ، هو الآخر !
كون : انا متقدم كثيراً في السن كي أصلح للسيرك .
ولكن ، ما دام المرء يريد أن يأكل ، فلا بد له من
التكشير والصبر على ذلك .

الجنرال : أنت ، الوغد العجوز المكّار ، أنت ! يمينا دُرُ !
الى الامام ، سيرُ !

تاتيانا : افلا تتعب أبداً من الهزء من هذا الشيخ ؟
الجنرال : انا الآخر شيخ . ولكنني تعبت منك أيضاً . ينبغي
أن تكون الممثلة مسلية . و أنت لست كذلك بكل
تأكيد .

بولينا : عماء ، هل تعلم . . . ؟

الجنرال : انا لا أعلم شيئاً البتة .

بولينا : اننا نفلق المعمل . . .

الجنرال : ماذا ؟ عظيم ! لن يكون صغير بعد الآن اذن ! في
وقت مبكر من كل صباح ، في منتصف رقاد عميق
بالضبط - او - او - او - او ! هذا حق ! الا
فاغلقوه !

ميخائيل (يدخل مسرعاً) : نيقولاي ، دقيقة واحدة ! حسناً ،
لقد أغلق المصنع ، ولكن يفضل أن نتخذ بعض
التدابير ، في حالة . . . أرسل برقية الى نائب
الحاكم ، أخبره بالحالة بصورة مقتضبة ، واسأله أن
يرسل جنوداً . وقع باسمي .

نيقولاي : هو صديقي أيضاً .

ميخائيل : سوف أرسل أولئك الممثلين الى الشيطان . لا

تحدث أحداً بموضوع البرقية . سوف أخبرهم ذلك
بنفسي عندما يحين الأوان . اتفقنا ؟

نيقولاي : اتفقنا .

ميخائيل : ينتاب المرء احساس رائع حين تسيير الأمور على
هواه . اني أكبر منك في السن ، لكنني أصغر منك في
الروح ، أفلا تعتقد ذلك ؟

نيقولاي : ليس هذا شباباً ، بل عصبية ، اذا سألتني
رأيي .

ميخائيل (باستهزاء) : حسناً ، سوف أريك ان كانت
عصبية أم لا . سوف ترى ! (يخرج ضاحكاً .)

بولينا : هل قرروا أن يفعلوا ذلك ، يا نيقولاي
فاسيليفيتش ؟

نيقولاي (وهو يخرج) : فيما يبدو .

بولينا : أيتها السماوات الطيبة !

الجنرال : ماذا قرروا أن يفعلوا ؟

بولينا : أن يفلقوا المعمل .

الجنرال : أوه ، هذا . . . يا كون !

كون : حاضر !

الجنرال : صنّارات الصيد والقارب !

كون : كل شيء جاهز .

الجنرال : اني غادٍ أتسلى بالسماك ، وافضل ذلك علي أن

أتملّل مع البشر . (يضحك .) لقد عبّرت عن ذلك

حسناً ، ها ؟ (تدخل ناديا راکضة) آه ، يا فراشتي

الحلوة ! ما الذي يجري ؟

ناديا (سعيدة) : جرت معنا للتو مغامرة ! (تستدير وتنادي) أرجوك أن تأتي الى هنا ! غريكوف ! لا تسمح لي بالذهاب ، يا كليوباترا بتروفنا ! ونحن نخرج من الغابة بالضبط ، يا خالتي ، وقعنا فجأة على ثلاثة عمال سكارى . . .

بولينا : هكذا اذن ! لقد حذرتك . . .
كليوباترا (يتبعها غريكوف) : أيمن أن تتصوروا شيئاً أبعث على الاشمئزاز ؟

ناديا : لماذا يبعث على الاشمئزاز ؟ كان ذلك مسلياً جداً ! ثلاثة عمال ، يا خالتي ، يبتسمون جميعاً ويقولون : «صباحاً سعيداً ، يا سيداتنا الصغيرات العزيزات !»

كليوباترا : سوف أطلب من زوجي بكل تأكيد أن يسرحهم .
غريكوف (مبتسماً) : لأى سبب ؟

الجنرال (الى ناديا) : من هو هذا . . . منظف مداخن ؟
ناديا : انه ذلك الذي أنقذنا ، يا جداه ، الا تفهم ذلك ؟
الجنرال : كلا ، لا أفهم شيئاً .

كليوباترا (الى ناديا) : لكان أحداً كان يستطيع أن يفهم بالطريقة التي رويت بها ذلك .

ناديا : رويت ذلك كما حدث بالضبط .
بولينا : حسناً ، لا يستطيع أحد أن يفهم شيئاً مما تقولين ، يا ناديا .

ناديا : ذلك أنكم لا تفتأون تقاطعونني ! جاؤوا الينا وقالوا :

«أيتها السيدتان ، لماذا لا تشاركاننا في انشاد
أغنية . . .»

بولينا : عظيم ! يا للوقاحة !

ناديا : لا شيء من هذا القبيل ! لقد قالوا : «سمعنا انكما
تغنيان بصورة رائعة .» وقالوا : «بكل تأكيد ، اننا
سكارى بعض الشيء ، ولكننا أفضل حين نكون
كذلك .» وتلك هي الحقيقة ، يا خالتي . عندما
يكونون سكارى لا يكونون على كأبتهم المعتادة .

كليوباترا : من حسن حظنا أن ذلك الفتى . . .

ناديا : اني أروي ذلك بصورة أفضل منك ! لقد شرعت
كليوباترا بتروفنا تزجرهم . . . وما كان يجب أن
تفعلني ذلك ، اني على يقين من هذا ! وعندئذ أقبل
واحد منهم ، وهو الطويل الناحل بينهم . . .

كليوباترا (متوعدة) : اني أعرف من هو !

ناديا : . . . أمسك بها من يدها وقال بحزن بليغ : «أنت
سيدة فائقة الجمال ، عظيمة الروعة ومثقفة ، ومن
دواعي السرور أن ينظر المرء اليك . ومع ذلك
تزجرين وتعنفين . هل أسأنا اليك ؟» قال ذلك بلطف
كثير ، من صميم قلبه . ولكن واحداً آخر - وكان
فظلاً في الحقيقة - قال بعد ذلك : «فيم تتحدث اليهما ؟
فكأنهما تستطيعان ان تفهما أي شيء كان ! هما ليستا
بشراً . . . انهما حيوانات !» يعني أننا نحن -
حيوانات . هي وأنا . (تضحك .)

تاتيانا (مستهزئة) : يلوح أنك مسرورة بهذه الصفة .

بولينا : ماذا قلت لك ، يا ناديا ؟ فانت كثيرة المشاغل . . .

غريكوف (الى ناديا) : هل أستطيع الذهاب الآن ؟
ناديا : أوه ، كلا . أرجوك لا تذهب . أفلا تود أن تتناول قليلاً من الشاي ؟ . أم الحليب ؟ أرجوك أن تتناول شيئاً !

(يقهقه الجنرال ، وتهز كليوباترا كتفيها . تراقب تاتيانا غريكوف وتهمهم بشيء ما بصورة هادئة . تطرق بولينا برأسها وتركز انتباهها على الملاعق التي تنشفها بقطعة من القماش)

غريكوف (مبتسماً) : كلا ، شكراً . لا أرغب في أي شيء .
ناديا (باصرار) : أرجوك ألا تكون خجولاً . . . هؤلاء قوم لطفاء حقاً ، صدقني .

بولينا (محتجة) : ناديا !
ناديا (الى غريكوف) : لا تذهب الآن ، فانا لم أنته من رواية القصة كلها .

كليوباترا (مستاءة) : وباختصار ، فان هذا الفتى ظهر في الوقت المناسب ، وأقنع رفاقه السكارى أن يتركونا في سلام . وقد طلبت منه أن يرافقنا حتى البيت ، وهذا كل شيء .

ناديا : آه ، يا للطريقة التي تروين بها ذلك ! لو كان الأمر كذلك ، لكان مضجراً بكل بساطة .

الجنرال : حسناً ، والآن ما الذي يجب استخلاصه من هذا الأمر ؟

ناديا (الى غريكوف) : اجلس ! خالتي ، لماذا لا تدعينه للجلوس ؟ ولماذا أنتم مكتئبون جميعاً ؟

بولينا (الى غريكوف من حيث تجلس) : اني عظيمة الامتنان لك ، أيها الفتى .

غريكوف : لا تعيري ذلك أي اهتمام .

بولينا (بجفاء أكثر) : كان دفاعك عن الامراة والفتاة بادرة طيبة منك .

غريكوف (بهدوء) : لم تك حاجة للدفاع عنهما لأن احداً لم يقصد الاساءة اليهما .

ناديا : يا خالتي ! كيف تستطيعين أن تقولي مثل هذا القول ؟
بولينا : لا تحاولي أن تلقني الأكبر منك سنأ .

ناديا : ولكن احداً لم يدافع عن أحد بالطبع . لقد قال لهم بكل بساطة : «دعوها وشأنهما ، أيها الرفاق .

فذلك ليس بلطيف منكم .» وكانوا سعداء برؤيته ،

فصاحوا : «غريكوف ! تعال معنا ! أنت فتى ذكي .»

وفي الحقيقة انه ذكي ، يا خالتي . . . اصفح عني ، يا

غريكوف ، ولكن تلك هي الحقيقة .

غريكوف (مبتسماً) : القيت بي في وضع حرج للغاية .

ناديا : حقاً ! ولكنني لم أقصد ذلك ! لست أنا السبب ، بل هم ، يا غريكوف !

بولينا : ناديا ! أنا لا أستطيع أن أطيق حماسك الفائضة .

أنت تجعلين من نفسك أضحوكة . كفاك !

ناديا (بانفعال) : اذن اضحكوا ان كنت ابعث على السخرية !
ما بالكم تجلسون هنا كالطوم ؟ هيا اضحكوا !
كليوباترا : لدى ناديا موهبة عظيمة في تحويل الجبّة الى
قبّة وذلك مع كثير من الضوضاء . وهو امر بغض
بصورة خاصة الآن ، امام غريب يسخر منها كما
ترون .

ناديا (الى غريكوف) : اتسخر مني ؟ لماذا ؟
غريكوف (ببساطة) : ابدأ . اني أعجب بك .
بولينا (مرتاعة) : ماذا ؟ عماه . . .

كليوباترا (بضحكة صغيرة) : عظيم !
الجنرال : حسناً ، كفى ! الأشياء الجيدة بالمقادير القليلة !
اليك ، أيها الفتى ، خذ هذا واذهب .
غريكوف (يستدير عنه) : شكراً لك ، فلا ضرورة لاي شيء .
ناديا (تغطي وجهها بيديها) : اواه ! كيف يمكنك !
الجنرال (يوقف غريكوف) : انتظر لحظة ! هذه ورقة من فئة
العشرة روبلات !
غريكوف (بهدوء) : وما معنى ذلك ؟

(يرين السكون على الجميع لبرهة وجيزة .)

الجنرال (مضطرباً) : . . . ال . . . من انت على أية حال ؟
غريكوف : عامل من العمال .
الجنرال : حداد ؟

غريكوف : كلا ، بل برّاد .
 الجنرال (بصرامة) : سيّان . لم لا تأخذ هذا المال ، ايه ؟
 غريكوف : لأنني لا أريده .
 الجنرال (ثائراً) : هراء . ما الذي تريده ؟
 غريكوف : لا شيء .
 الجنرال : لعلك تود أن تطلب يد الفتاة ، ايه ؟ (يضحك -
 الجميع يتضايقون بسبب من نكته .)
 ناديا : أوه ! فكّر فيما تقول !
 بوليننا : أرجوك ، يا عماء . . .
 غريكوف (بهدهوء الى الجنرال) : ما هو عمرك ؟
 الجنرال (مدهوشاً) : ماذا ؟ أنا ؟ . . . ما هو عمري ؟
 غريكوف (بالنغمة ذاتها) : أجل . ما هو عمرك ؟
 الجنرال (يتطلع حواليه) : ان . . . ه . . . احدى وستون
 سنة . . . فيم تريد أن تعرف ذلك ؟
 غريكوف (وهو يغادر المكان) : يجب أن تكون أعقل في
 سنك .

الجنرال : ماذا ؟ أعقل ؟ أنا ؟

ناديا (تركض خلف غريكوف) : أرجوك . . . أرجوك الا
 تغضب . انه رجل عجوز . انهم قوم لطفاء حقاً ،
 صدقني . بشرفي !

الجنرال : ما معنى هذا ، بحق الشيطان ؟

غريكوف : لا تبالي . فهذا بالضبط ما هو متوقع .

ناديا : سبب ذلك الحرارة وحدها . فهي تجعل الجميع في

مزاج سيء . وأنا رويت مغامرتنا بصورة رديئة
جداً .

غريكوف (مبتسماً) : كيفما رويتها فهم لن يفهموها .

(يخنفيان)

الجنرال (مغتاضاً) : كيف جرؤ أن يقول مثل هذا الشيء لي !
تاتيانا : ما كان من شأنك أن تقدم له المال .

بولينا : أوه ، ناديا ! انها ناديا !

كليوباترا : لله در أعصابه ! اليكم هذا الثائر الفخور !
لسوف اطلب من زوجي بالتأكيد أن . . .

الجنرال : يا له من فتى دنيء !

بولينا : ولكن ناديا لا تطاق ! تسير واياها هكذا ! لقد
أزعجتني كثيراً !

كليوباترا : هؤلاء الاشتراكيون عندكم يزدادون وقاحة يوماً
بعد يوم . . .

بولينا : ما الذي يحملك على الظن بأنه اشتراكي !

كليوباترا : أستطيع أن أرى ذلك . فجميع العمال المهذبين
اشتراكيون .

الجنرال : سأطلب الى زاخار أن يلقي اليوم هذا الوقح خارج
المعمل على أذنه .

تاتيانا : لقد أغلق المعمل .

الجنرال : لا أهمية لذلك . . . على أذنه !

بولينا : تاتيانا ، اذهبي ونادي ناديا . اعلمي معروفاً .
قولي لها اني مرتاعة .

(تخرج تاتيانا)

الجنرال : الحثالة ! ما هو عمري ، ايه ؟
كليوباترا : أولئك السكرارى تواقحوا وصفروا لنا . وأنتم
لا تفتأون تدلونهم . . . بالحلقات الدراسية وما
شابه ! اي معنى في ذلك ؟

بولينا : تصوروا فقط ، حين كنت' ذاهبةً الى القرية
يوم الخميس ، واذا بي أسمع صفيراً على حين بغتة !
يصفرون حتى لي أنا ! وكان يمكن أن يخيفوا الجياد ،
اذا تركنا جانباً ما في ذلك من اهانة !

كليوباترا (بتحذلق) : اللوم يقع على زاخار ايفانوفيتش !
فهو لا يقيم المسافة بصورة جيدة بينه وبين أولئك
القوم ، كما يقول زوجي .

بولينا : هو رقيق القلب جداً ، يريد أن يكون لطيفاً مع كل
انسان . وهو مقتنع بأن التفاهم مع عامة الناس يعود
بالفائدة على الجانبين . وهو على حقّ فيما يتعلق
بالفلاحين . فهم يستأجرون الأرض ، ويدفعون الريع ،
والأمور جميعاً على غاية الروعة . أما هؤلاء . . .
(تدخل تاتيانا وناديا .) ناديسا ! يا عزيزتي ، أنت
تفهمين أنه لم يكن من اللائق . . .

ناديا (بغضب) : انتم لم تكونوا لائقين ، انتم ! لقد أثرت

الحرارة فيكم - انتم قبيحون معلولون لا تفهمون
شيئاً ! وأنت ، يا جداه ، ما أغباك ، وربّي !
الجنرال (في هياج) : أنا ؟ غبي ؟ أيجب أن أسمع ذلك مرة
ثانية ؟

ناديا : لماذا قلت ذلك - عن طلب يدي ؟ أفلا تخجل ؟
الجنرال : أخجل ؟ حسناً ، هذا يتجاوز كل حدود ! لقد كفاني
ما لقيت في يوم واحد . (يغادر المكان ، صائحاً بأعلى
صوته) كون ! فليأخذ الشيطان أهلك ! الى أين
حملتك قدماك الحمقوان ، يا مغفل ، يا بليد !
ناديا : وأنت ، يا خالتي ، أنت ! . . لقد كنت في الخارج
أيضاً . . . وألقيت خطباً رائعة عن السياسة ! ولم
تطلبني منه الجلوس . ولم تقدمي له قدحاً من الشاي !
بولينا (تقفز على قدميها وتلقي الملعقة على المائدة) : هذا
مستحيل ! هل تدركين معنى ما تقولين ؟
ناديا : وأنت الأخرى ، يا كليوباترا بترفنا ! . . في طريق
العودة كنت كثيرة اللطف والأدب معه ! ولكن ما أن
وصلنا الى هنا . . .

كليوباترا : ماذا كان ينتظر مني أن أفعل ، أن أقبله ؟
اعذريني ، ولكن وجهه كان قذراً . وعلى أي حال ،
فمن أعطاك الحق بتعنيفي ؟ أتريين ، يا بولينا
ديمتريفنا ؟ هذه هي ديمقراطيتكم ، أو ماذا
يسمونها - الانسانية ؟ وزوجي المسكين هو الذي
يتحمل عواقب ذلك كله . ولكن سوف تضطرون لأن
تتحملوا عواقبه انتم أيضاً . سوف ترين !

بولينا : يجب أن أستميحك العذر ، يا كليوباترا بتروفنا ،
لتصرفي ناديا . . .

كليوباترا (مغادرة المكان) : لا ضرورة لذلك مطلقاً . ليست
المشكلة مشكلة ناديا وحدها . . . نحن جميعاً
ملومون !

بولينا : أصغي اليّ ، يا ناديا . عندما ماتت أمك وحملتني
مهمة رعايتك وتنشئتك . . .

ناديا : لا تتحدثني عن أمي ! أنت لا تذكرينها بالخير أبداً !
بولينا (في دهشة) : ناديا ! هل أنت مريضة ؟ فكري فيما
تقولين . كانت أمك شقيقتي ، وقد عرفتها بصورة
أفضل قليلاً منك .

ناديا (عاجزة عن ضبط دموعها) : أنت لا تعرفين شيئاً . . .
الفقراء والأغنياء لا يملكون شيئاً مشتركاً البتة . . .
كانت أمي فقيرة ، وكانت طيبة ! . . أنت لا تستطيعين
أن تفهمي الفقراء ! بل انك لا تفهمين حتى العمّة
تاتيانا !

بولينا : ناديا ، يجب أن أسألك أن تذهبي . اذهبي في
الحال !

ناديا (مغادرة المكان) : اني ذاهبة . . . ولكنني على حق ،
على أية حال . أنا ، لا أنت !

بولينا : يا للسמות ! فتاة قوية في صحة جيدة تصاب بمثل
هذه النوبة بصورة مباغتة ! هذه هستيريا تقريباً !
اصفحي عني ، يا تاتيانا ، ولكنني أخاف أن تكوني قد
تركت فيها أثراً سيئاً . أنت تحدثينها عن جميع الأمور

فكانها بالغة ، وتذهبين بها بين مستخدمينا - أولئك القوم في المكتب - وأولئك العمال غريبي الأطوار . هذا سخف ، هل تعلمين ؟ وحفلات الترفيه تلك !
تاتيانا : هدئي روعك . لعلك من الأفضل أن تتناولتي جرعة من الشراب أو من أي شيء آخر . مما لا ريب فيه أنك لم تتصرفي بكثير من اللباقة مع ذلك العامل . ما كان يصيب المقعد سوء لو أنك طلبت إليه أن يجلس عليه .

بولينا : انت مخطئة . لا يستطيع أحد بكل تأكيد أن يتهمني باتخاذ موقف سيئ من العمال . ولكن لكل شيء حدوداً ، يا عزيزتي !

تاتيانا : ثم اني لم أذهب بها الى أي مكان مطلقاً ، بالرغم مما تقولين . هي تذهب من تلقاء نفسها . . . ولا أرى من الضروري اعتراض سبيلها .

بولينا : تذهب من تلقاء نفسها ! لكانها تفهم ماذا تفعل !

(يدخل ياكوف على مهل ، سكران قليلاً)

ياكوف (وهو يجلس) : سوف يحدث اضطراب في المعمل .
بولينا (باكتئاب) : أوقف ذلك ، يا ياكوف ايفانوفيتش !
ياكوف : أجل ، هناك اضطراب . سوف يحدث اضطراب . سوف يحرقون المعمل ويشووننا جميعاً في النار - مثل الأرانب .

تاتيانا (في غيظ) : لقد بكّرت في الشراب .

ياكوف : اني اشرب دائماً في مثل هذه الساعة . لقد رأيت كليوباترا توأ . . . تلك امرأة وضيفة ، وربي ! ليس بسبب عشاقها الكثيرين ، بل لأن كلباً عجوزاً شريراً يقبع حيث يجب أن يكون قلبها .

بولينا (تنهض) : يا للسموات ! كانت الأشياء جميعاً على ما يرام ! ثم اذا كل شيء ، بصورة مباغتة . . . (تشرع تضرب في أنحاء الحديقة دون هدف) .

ياكوف : شرير واجرب - ليس هو كلباً كبيراً ، لكنه على شيء من الشراهة . انه يقبع هناك مكشراً عن أنيابه . لقد ازدرد كل شيء ، لكنه يطلب المزيد . سوى أنه لا يعرف ما يريد ، الأمر الذي يشغل باله . . .

تاتيانا : صه ، يا ياكوف ! هذا أخوك آت .

ياكوف : وماذا يهمني من أخي ؟ . . . تاتيانا ، أدرك جيداً أنك لا تستطيعين سبيلاً الى حبي بعد الآن ، وهذا موجه . أجل ، موجه ، لكنه لا يمنعني من الاستمرار في حبك . . .

تاتيانا : من الأفضل أن تنشط قليلاً . اذهب واستحم .

زاخار (داخلاً) : هل أعلنوا أن المعمل أغلق ؟

تاتيانا : لا أعلم .

ياكوف : كلا ، لم يعلنوا ذلك ، ولكن العمال يعرفون ذلك على أية حال .

زاخار : كيف ؟ من أخبرهم ؟

ياكوف : أنا أخبرتهم . ذهبت اليهم وحدثتهم بكل شيء .

بولينا (قادمة) : ولم فعلت ذلك ؟

ياكوف (يهز كتفيه) : بسبب ما في ذلك من طرافة ليس غير .
ولقد وجدوا ذلك مثيراً للاهتمام . اني اروي لهم كل
شيء - كل شيء ان كانوا يصغون . اظنهم
يستلطفونني ، كما يسعدهم ان يعرفوا ان اخا معلمهم
سكير . ذلك يطبعهم بفكرة المساواة بين سائر البشر .
زاخار : هم - م . انت تذهب كثيراً الى المعمل ، يا ياكوف .
ومما لا ريب فيه اني لا أعترض على ذلك . ولكن
ميخائيل فاسيليفيتش يقول انك تنتقد الادارة احياناً
اثناء حديثك مع العمال .

ياكوف : هذا كذب . انا لا اعرف شيئاً عن الادارة ، او سوء
الادارة .

زاخار : وهو يقول أيضاً انك تحمل بعض الفودكا معك
احياناً .

ياكوف : هذا كذب . انا لا احملها . اني اطلبها ، لا
احياناً ، بل على الدوام . فهم لن يعيروني ادنى اهتمام
اذا لم اقدم الفودكا .

زاخار : ولكن ، يا ياكوف ، احكم على ذلك بنفسك - فانت
بعد كل شيء اخو صاحب المعمل .

ياكوف : هذا ليس عيبي الوحيد .

زاخار (مستاء) : حسناً ، لن ازيد شيئاً على ذلك ، لا شيء
البتة . اني محاط لسبب ما بجو معاد .

بولينا : تلك هي الحقيقة . كان يجب ان تسمع ما قالت ناديا
لتوها .

بولوغي (يدخل راکضاً) : اسمحوا لي . . . في هذه اللحظة

بالضبط . . . في هذه اللحظة بالضبط . . . قتلوا
المدير !

زاخار : ماذا ؟

بولينا : أنت . . . ما الذي قلت ؟

بولوغي : قتلوه تماماً . فسقط على الأرض . . .

زاخار : من ؟ من أطلق النار عليه ؟

بولوغي : العمال .

بولينا : هل أمسكوا بهم ؟

زاخار : أهنأك طيب ؟

بولوغي : لا أدري . . .

بولينا : ياكوف ايفانوفيتش ! اذهب في الحال .

ياكوف (ملوحاً بيده دلالة على العجز) : أين ؟

بولينا : كيف حدث ذلك ؟

بولوغي : كان المدير تائراً . فرفس أحد العمال في معدته .

ياكوف : انهم آتون الى هنا .

(اضطراب . يؤتى بميخائيل سكروبتوف يحمله نيقولاي من

جانب ، وليفشين وهو عامل أصلح متوسط السن من الجانب

الآخر . يرافقهم عدد من العمال والمستخدمين)

ميخائيل (بصوت متعب) : دعوني لوحدي . . . ضعوني أرضاً .

نيقولاي : هل رأيت من أطلق النار ؟

ميخائيل : اني لا استطيع الاستمرار . . . اني . . .

متعب . . . متعب . . .

نيقولاي (باصرار) : هل لاحظت من اطلق النار ؟
ميخائيل : انكم تؤذونني . انه فتى احمر الرأس . ضعوني
أرضاً . فتى احمر الرأس .

(يضعونه على المقعد المصنوع من الأعشاب)

نيقولاي (الى شرطي) : أسمع ؟ فتى احمر الرأس . . .
الشرطي : أجل ، يا صاحب السعادة .
ميخائيل : آه ، سيان ذلك الآن .
ليفشين (الى نيقولاي) : أفلا يكون من الأفضل الا تزعجه
الآن ؟

نيقولاي : صمتا ! أين الطبيب ؟ أسالك أين الطبيب !

(يشرع الجميع يتهامسون ويتجولون دونما هدف .)

ميخائيل : لا تزعق . . . الألم . . . دعني أستريح .
ليفشين : هذا صحيح ، استرح قليلاً ، يا ميخائيل
فاسيليفتش . آه ، يا الهي ! انها مسألة مال ليس
غير ، حياتنا كلها تتوقف عليه ! المال هو حياتنا ،
وهو موتنا .

نيقولاي : أيها الشرطي ! اطلب من جميع الذين ليسوا من
هذه الدار أن يغادروا المكان .

الشرطي (بصوت خافت) : اذهبوا ، يا فتيان . ليس ثمة ما
تراقبونه ههنا .

زاخار (همساً) : أين الطبيب ؟
يقولاي : ميشا ! ميشا ! (ينحني فوق أخيه ويفعل الجميع
مثله .) أخاف أن يكون كل شيء قد انتهى .
زاخار : مستحيل ! لقد أغمي عليه ، ليس أكثر !
يقولاي (بيطاء وبصوت خافت) : كلا ، لقد مات . أتفهم ما
معنى ذلك ، يا زاخار ايفانوفيتش ؟
زاخار : ولكن . . . لعلك مخطئ .
يقولاي : لا ، لست مخطئا . انك أنت الذي سببت مقتله -
أنت !
زاخار (مرتاعاً) : أنا ؟
تاتيانا : ما أقسى ذلك . . . واسخفه !
يقولاي (مهاجماً زاخار) : أجل ، أنت !
رئيس الشرطة (يدخل مسرعاً) : أين المدير ؟ هل جرحه
خطير ؟
ليفيشين : لقد مات . كان يستحث الآخرين دائماً - في عجلة
من أمره ابداً . أما الآن فانظروا اليه .
يقولاي (الى رئيس الشرطة) : استطاع أن يقول لنا ان الفتى
الذي قتله كان أحمر الرأس .
رئيس الشرطة : أحمر الرأس ؟
يقولاي : أجل . ينبغي أن نتخذ التدابير اللازمة في الحال .
رئيس الشرطة (الى الشرطي) : أوقف في الحال سائر الذين
رأسهم أحمر !
الشرطي : حالاً ، يا صاحب السعادة .

رئيس الشرطة : حذار أن يفلت أحد منهم !

(يخرج الشرطي)

كليوباترا (تدخل مسرعة) : أين هو ؟ ميشا ! ما الأمر ، هل أغمي عليه ؟ نيقولاي فاسيليفيتش ، هل أغمي عليه ؟
(يستدير نيقولاي عنها .) هل مات ؟ مات ؟
ليفشين : لقد هذا الآن . هدهم بغدارته ، لكن الغدارة دارت عليه .

نيقولاي (غاضباً ، بهمس ضئيل) : أخرج من هنا ! (الى رئيس الشرطة) خذ هذا الفتى من هنا !
كليوباترا : الطيب - ماذا قال الطيب ؟
رئيس الشرطة (بصوت خافت الى ليفشين) : أخرج من هنا ، أنت !

ليفشين (همساً) : اني ذاهب . لا حاجة الى دفعي .
كليوباترا (دون أن ترفع صوتها) : هل قتلوه ؟
بولينا (الى كليوباترا) : يا حبيبتى !
كليوباترا (بصوت خافت ، ولكن بلهجة منتقمة) : لا تلمسيني ! هذا من صنعك ! من صنعك !
زاخار (بقنوط) : اني أفهم أن هذه صفقة هائلة لك . . .
ولكن لم . . . لم تقولين مثل هذا الكلام ؟
بولينا (باكية) : آواه ، يا عزيزتي . فكري فيما تقولين !
تاتيانا (الى بولينا) : يحسن أن تذهبي من هنا . أين الطيب ؟

كليوباترا : ميوعتك اللعينة هي التي قتلتها !
نيقولاي (بحفاء) : هديني من روعك ، يا كليوباترا ! فزاخار
ايفانوفيتش لا يستطيع امتناعاً عن الاعتراف بذنبه
أمامنا .

زاخار (بقنوط) : ولكن يا سادة . . . أنا لا أفهم شيئاً .
ماذا تقولون ؟ كيف يمكن أن توجهوا مثل هذا الاتهام ؟
بولينا : هذا فظيع ! مثل هذه القسوة !

كليوباترا : القسوة ؟ لقد ألبتم العمال عليه ، ودمرتم
تأثيره عليهم . كانوا يخافونه . كانوا يرتجفون لدى
مجرد رؤيته . والآن قتلوه . وأنتم . . . أنتم
الملومون . ان دمه على أيديكم !

نيقولاي : كفى ! كفى ! يجب الا تصيحي .
كليوباترا (الى بولينا) : تبكين ، أليس كذلك ؟ هذا حق !
ابكي ! ابكي دمه كله من عينيك !

الشرطي (يدخل) : يا صاحب السعادة . . .
رئيس الشرطة : صه !

الشرطي : لقد أوقف سائر الحمر الرؤوس !

(يأتي الجنرال عبر الحديقة من الخلف ، يدفع كون أمامه
ويضحك بصوت مرتفع .)

نيقولاي : هس - س - س !
كليوباترا : ماذا ، يا قتلة ؟

ستار

الفصل الثاني

قمر براق يلقي ظلالاته كثيفة ثقيلة على الحديقة . المائدة منثورة بالخبز ، والخيار ، والبيض ، وزجاجات الجعة . الشموع تشتعل في الشمعدانات ، وأغرافينا تغسل الصحون ، فيما ياغودين جالس على مقعد يدخن وفي يده عصا . الى اليسار تقف تاتيانا ، وناديا ، وليفشين . الجميع يتحدثون بصوت خافت . فكأنهم يصغون الى شيء ما . الجو العام يشير الى توقع مشبع بالتوتر .

ليفشين (الى ناديا) : جميع الأشياء الانسانية سُمّت بطابع النحاس ، يا آنسة . وهذا هو السبب في أن قلبك الفتي مثقل . ان البشر جميعاً مقيدون بالسلاسل الى كوبيك نحاسي ، البشر جميعاً ، ما عداك ، وهكذا فأنت لا تتلائمين مع هذه الحال . ان الكوبيك يجلجل برسالته في أذن كل انسان على وجه البسيطة : «حبّتي كما تحب نفسك» . ولكن هذا لا يتعلق بك . فالعصفور لا يزرع ولا يحصد .

ياغودين (الى أغرافينا) : بدأ ليفشين يعلم أسياده ! يا للأبله العجوز !

أغرافينا : لمّ لا ؟ انه يخبرهم بالحقيقة . ان قليلاً من الحقيقة لن يسيء أبداً الى أسياده .
ناديا : هل حياتك شاقة ، يا ليفشين ؟

ليفشين : ليس كثيراً . فأنا لا اولاد لي . ان لي امرأة ،
يعني زوجة . ولكن اولادنا ماتوا جميعاً .
ناديا : يا عمتي تاتيانا ! لم يتحدث الجميع همساً عندما تكون
هنالك جثة في الدار ؟

تاتيانا : لا أدري .

ليفشين (مبتسماً) : ذلك اننا جميعاً مذنبون امام الميت ،
يا آنسة . مذنبون من جميع وجهات النظر .
ناديا : ولكن الأمور ليست كذلك بصورة دائمة . . . ان
الميت . . . قتيل . ولكن البشر يتحدثون همساً على اى
حال .

ليفشين : اننا نقتلهم جميعاً ، يا آنسة : البعض بالرصاص ،
والبعض الآخر بالكلمات . اننا نقتل الجميع بأفعالنا .
اننا نطرد البشر من تحت الشمس الى جوف التربة دون
أن ندرك ذلك . لكننا نشعر بذنبنا حين نلقي
اخيراً انساناً بين ذراعي الموت . نروح نشعر بالأسف
للميت ، وبالخجل من أنفسنا ، فيقوم خوف عظيم
في باطننا . ذلك أننا ، نحن الآخرين ، أفلا ترين ،
نطارد بالطريقة عينها ؛ نحن أنفسنا مقدرّون للموت .
ناديا : أجل ، تلك فكرة مخيفة .

ليفشين : يجب ألا تقلق بالك . فهي مخيفة اليوم ، لكن
النسيان سيغشاها غداً . . . ويأخذ الناس يدفعون
بعضهم بعضاً من جديد . وحين يقع احدهم أرضاً يهدأ
الجميع ويعروه الخجل لدقيقة واحدة . ثم يصعدون
زفرة ويبدأون كل شيء من جديد مرة أخرى ، بالطريقة

القديمة بالضبط . انها الجهالة ! ولكنه لا حاجة بك الى
الشعور بالخجل ، يا آنسة . الاموات لن يقلقوك . وأنت
تستطيعين أن تتكلمي بصوت مرتفع في حضرتهم .
تاتيانا : كيف يجب أن نبدل طريقتنا في الحياة في رأيك ،
يا ليفشين ؟

ليفشين (بلهجة مشوبة بالأسرار) : ينبغي لنا أن نتخلص من
الكوبيك . ينبغي أن ندفنه . اذا ما ذهب الكوبيك
مرة ، فلماذا ندفع بعضنا بعضاً اذن ؟ لماذا نكون
أعداء ؟

تاتيانا : وهذا كل شيء ؟

ليفشين : هذا يكفي لنبدأ به .

تاتيانا : أتودين أن نقوم بنزهة في الحديقة ، يا ناديا ؟
ناديا (متفكرة) : لا بأس .

(تختفيان في أعماق الحديقة ؛ يقطع ليفشين المسرح ميمما
شطر المائدة . يبدو الجنرال ، وكون ، وبولوجي عند مدخل
الخيمة)

ياغودين : أنت تزرع بذورك في تربة صخرية ، يا ليفشين ،
أيها الأبله العجوز !

ليفشين : لماذا ؟

ياغودين ؛ لا معنى لمحاولة تعليمهم أى شيء كان . فكأنهم
يستطيعون أن يفهموا . ان ما نقول يمكن أن يبلغ
قلب انسان عامل ، لكنه لن يبلغ قلب النبلاء .
ليفشين : الآنسة الصغيرة ناعمة جداً ، ولقد حدثني غريكوف
عنها .

اخرافينا : لعلك ترغب في قدح ثان من الشاي ؟
ليفشين : ان كنت لا تمنعين .

(صمت - ثم يسمع صوت الجنرال الأجنس . يلوح ثوبا ناديا
وتاتيانا الأبيضان من خلال الأشجار)

الجنرال : أو أنك تأخذ وترأ وتمدّه على عرض الطريق
بصورة لا يستطيع انسان أن يراه معها . ويأتي انسان
ما ، وإذا هو على حين غرة - طُبْ !

بولوغي : ظريف أن ترى انساناً يقع ، يا صاحب السعادة .
ياغودين : أسمعتَ هذا ؟
ليفشين : سمعته جيداً .

كون : لا نستطيع أن نصنع شيئاً من هذا القبيل اليوم ، وفي
الدار ميت لم يبارحها . لا يمكن أن تمزحوا وفي الدار
ميت .

الجنرال : لا تعلمني ! عندما تموت لن أتعب من الرقص .

(تقترب تاتيانا وناديا من المائدة)

ليفشين : بلغ الجنرال سن الخرف .
اخرافينا (تذهب ناحية الدار) : أبدأ يدبر بعض الحيل !
تاتيانا (تجلس الى المائدة) : أخبرني ، يا ليفشين : هل أنت
اشتراكي ؟

ليفشين (ببساطة) : أنا ؟ لا . أنا وتيموفي - اننا حائكان .
هذا ما نحن - حائكان .

تاتيانا : هل تعرف بعض الاشتراكين ؟ هل سمعت شيئاً
عنهم ؟

ليفشين : بلى ، سمعنا عنهم . نحن لا نعرف أحداً منهم ،
ولكننا سمعنا عنهم .

تاتيانا : هل تعرف سينتروف الذي يعمل في المكتب ؟

ليفشين : بكل تأكيد نعرفه . اننا نعرف سائر الرجال في
المكتب .

تاتيانا : وهل تحدثت اليه مرة ؟

ياغودين (مضطرباً) : عن أي شيء نستطيع أن نتحدث اليه ؟
هو يشتغل في الطابق العلوي ، ونحن في الطابق
السفلي . واذا اضطررنا الى الذهاب الى المكتب أخبرنا
بما يريد المدير ، وهذا كل شيء . هذا كل ما نعرف
عنه .

ناديا : يبدو أنك تخافنا ، يا ليفشين . لا تخش شيئاً ، فالأمر
يشير اهتمامنا حتى درجة بعيدة . . .

ليفشين : ولم نخاف ؟ لم نأت عملاً باطلاً . سألونا أن نأتي الى
هنا ونحفظ النظام ، ففعلنا ذلك . الناس جنواً هناك .
هم يقسمون بأنهم سيحرقون المعمل وكل شيء آخر -
ولن يتركوا شيئاً سوى كومة من رماد . حسناً ، اننا
لا نوافق على مثل هذه الاساءة . ليس ما يدعو الى احراق
الأشياء . ولم احراقها ؟ لقد بنيناها بأنفسنا ، نحن
وآباؤنا وأجدادنا . . . فلماذا نقدم على احراقها ؟

تاتيانا : آمل ألا تعتقد أننا نسالك كي نسييء اليك !
ياغودين : ولم نعتقد هكذا ؟ اننا لا نضمّر السوء لأي
انسان .

ليفشين : اليك ما نفكر فيه : كل ما بناه الشعب بيديه
مقدس . ينبغي أن تقدر العمل الانساني ، لا أن تقدم
على احراق الأشياء . ولكن الناس اظلمت عقولهم . هم
يحبون النار . وقد اثار المرحوم غضبهم . كان المرحوم
قاسياً معنا . هذا ما لا سبيل الى انكاره . كان يلوّح
بغدارته في وجهنا على الدوام ليعث فينا الخوف . . .

ناديا : وهل زوج خالتي أفضل منه ؟

ياغودين : زاخار ايفانوفيتش ؟

ناديا : أجل . هل هو - لطيف ؟ أم انه لا يقلّ عن ذلك
قسوة بالنسبة اليكم ايضاً ؟

ليفشين : لن أقول ذلك .

ياغودين (بكآبة) : هم جميعاً سواء في نظري ! الصارمون
واللطيفون . . . جميعهم متشابهون .

ليفشين (بلطف) : الصارم معلم واللطيف معلم . والسرطان
لا يأبه للانسان الذي يقرض في لحمه .

ياغودين (ضجرأ) : زاخار ايفانوفيتش رجل طيب القلب .

ناديا : تعني أنه أفضل من سكروبتوف ؟

ياغودين (بصوت خفيض) : لا تنسي أن المدير لم يعد في
عداد الأحياء .

ليفشين : زوج خالتيك رجل طيب في الحقيقة ، يا آنسة . سوى
أن ذلك لا يجعل الأمور أيسر علينا مطلقاً .

تاتيانا (نائرة) : فلنذهب ، يا ناديا . أفلا ترين أنهما لا يريدان أن يفهمانا ؟
ناديا (بصوت خفيض) : أجل . . .

(تخرجان بسكون . يراقبهما ليفشين وهما ذاهبتان ، ثم ينظر الى ياغودين ؛ كلاهما يبتسمان)

ياغودين : ما اكثر اسئلتهما ، اليس كذلك ؟
ليفشين : ألم تسمع ؟ ان الأمر «يثير اهتمامهما حتى درجة بعيدة» .

ياغودين : لعلهما تظنان أننا سننفسى شيئاً ما .
ليفشين : أعتقد أن الأنسة الشابة رائعة جداً . ما أسوأ أن تكون غنية !

ياغودين : من الأفضل أن نخبر ماتفي نيقولايفيتش بالأمر -
أن السيدة جرّبت أن تنتزع المعلومات منا .
ليفشين : سوف نخبره . وسوف نخبر غريكوف أيضاً .
ياغودين : أتساءل كيف تسير الأمور ؟ يجب أن تنزل الادارة عند رغبتنا . . .

ليفشين : سوف تدعن . ثم يشرعون ، بعد برهة وجيزة ،
يزحموننا بالحائط من جديد .

ياغودين : يبقرون أحشاءنا من جوفنا .
ليفشين : كما تقول .

ياغودين : وىء . أواه ! لو استطع أن أنال قسطاً كبيراً
من النوم !

ليفشين : لم يحن الوقت بعد . هذا الجنرال آتٍ .

(يدخل الجنرال ، بولوغي يسير الى جانبه باحترام ، ووراءهما
كون . بولوغي يطبق بصورة مباغتة على ذراع الجنرال)

الجنرال : ما هذا ؟

بولوغي : حفرة في الأرض . حذار من السقوط فيها .

الجنرال : أوه . ما هذا الذي على المائدة ؟ يا لها من فوضى .

أكنتما تأكلان هنا ؟

ياغودين : أجل ، يا سيدي . نحن والآنسة الصغيرة .

الجنرال : وهكذا فأنتما تحرسان لنا المكان ؟

ياغودين : أجل ، يا سيدي . فنحن نقوم بواجبنا .

الجنرال : هذا حسن ! سوف أتحدث الى الحاكم بشأنكما . ما

هو عددكم هنا ؟

ليفشين : اثنان .

الجنرال : يا أحمق ! أستطيع أن أعدّ حتى الاثنين . ما هو

عددكم جميعا ؟

ياغودين : ثلاثون تقريبا .

الجنرال : هل أنتم مسلّحون ؟

ليفشين (الى ياغودين) : أين تلك الغدّارة التي تحمل ، يا

تيموفي ؟

ياغودين : هذه هي .

الجنرال : لا تمسك بها من فوهتها ! يا للشيطان ! كون ،

لقن هذين الأبلهين كيف يمسان غدارة بأيديهما !
(الى ليفشين) أليك مسدس ؟

ليفشين : ليس لدي شيء .

الجنرال : اذا جاء المتمردون ، فهل في نيتكم اطلاق النار ؟
ليفشين : انهم لن يأتوا ، يا صاحب السعادة . لم يقصدوا شيئاً . . . انما تأججوا لدقيقة واحدة ليس غير .

الجنرال : ولكن اذا أتوا ؟

ليفشين : لقد اغتاطوا ، يا سيدي . . . بخصوص اغلاق المعمل . بعضهم لديه أولاد .

الجنرال : ما هذا الذي تهذي به ؟ سألتك ان كنتما تنويان اطلاق النار ؟

ليفشين : حسنأ ، اننا على أتم استعداد لذلك ، يا سيدي . ولم لا نطلق النار ؟ سوى أننا لانعرف كيف نفعل ذلك . أضف الى هذا أننا لا نملك شيئأ نطلق النار منه . . . لو كان هذا بندقية ، أو مدفعاً .

الجنرال : كون ! تعال هنا وعلمهما . . . اذهب بهما الى الضفة هناك . . .

كون (متجهماً) : اسمح لي أن أقول لك ان الليل هبط ، يا صاحب السعادة . ولسوف يخاف الناس ويحتاجون اذا شرعنا نطلق النار . ولسوف يأتون جميعاً الى هنا ليطلبوا على ما يجري . ولكني سأفعل كما تقول بالضبط ، فذلك سواء بالنسبة اليّ .

الجنرال : حسنأ . أرجىء ذلك الى الغد !

ليفشين : سوف يكون كل شيء على أتم هدوء غداً . سوف يفتحون المعمل غداً .

الجنرال : من الذي سيفتحه ؟

ليفشين : زاخار ايفانوفيتش . انه يحدث العمال بذلك الآن .

الجنرال : اللعنة ! لو كان الأمر لي ، لأغلقت المعمل الى الأبد . وكنا خلصنا من ذلك الصغير اللعين عند بكور كل صباح !

ياغودين : لن نمانع ، نحن أيضاً ، اذا هم تأخروا قليلاً في ارسال الصغير .

الجنرال : وكنت اجعلكم تموتون من الجوع . فننتهي بذلك من شغبيكم !

ليفشين : اتسمي هذا شغباً ؟

الجنرال : صمتاً ! ماذا تفعلان في هذا المكان على أي حال ؟

يجب أن تقوما بجولاتكما على طول السور ، فاذا رأيتما

أحداً يتسلقه - أطلقا النار في الحال . سوف أكون

أنا المسؤول عن ذلك !

ليفشين : تعال ، يا تيموفي . هات غدارتك .

الجنرال (يغمغم وراءهما) : غدارة ! يا للحمارين الأحمقين !

لا يعرفان ما هو المسدس حين يشاهدانه !

بولوغي : اسمح لي أن أخبر سعادتك أن عامة الناس هم على

العموم خشنون بهيميون . خذ حالتي مثلاً : ان لسي

حديقة ، وأنا أزرع الخضار بنفسي . . .

الجنرال : هذا أمر محمود .

بولوغي : وأنا أكرّس أوقات فراغي كلها لهذا العمل .

الجنرال : كل انسان ينتظر منه أن يعمل !

(تدخل تاتيانا وناديا)

تاتيانا (عن بعد) : ما بالك تصيح هكذا ؟

الجنرال : آه من هؤلاء الناس ! (الى بولوغي) حسناً ؟
بولوغي : ولكن العمال يسرقون ثمرات جهدي في كل ليلة تقريباً . . .

الجنرال : تقول يسرقون ؟

بولوغي : بالضبط . وقد طلبت حماية القانون ، ولكن القانون يمثلك في هذا المكان رئيس الشرطة المحترم ، وهو رجل يظهر اللامبالاة التامة بحاجات السكان .

تاتيانا (الى بولوغي) : لماذا تلجأ بربك الى هذه اللهجة البلدية في الكلام ؟

بولوغي (مرتبكاً) : هل أفعال ذلك ؟ أسأل صفحك ، ولكنني درست في المدرسة الثانوية طوال ثلاث سنوات ، وأنا أقرأ الصحيفة يومياً .

تاتيانا (مبتسمة) : أوه ! اذن فهذا يفسر كل شيء !

ناديا : انك مضحك جداً ، يا بولوغي .

بولوغي : يسعدني أن يبعث حديثي السرور في نفسك !
ينبغي للمرء أن يسعى لأن يكون دمثاً .

الجنرال : أتحب أن تصطاد ؟

بولوغي : لم أجرب ذلك أبداً ، يا صاحب السعادة .

الجنرال (يهز كتفيه) : جواب غريب !

تاتيانا : ما الذي لم تجربه ، الصيد أم الحب ؟

بولوغي (في حيرة) : الأول .

تاتيانا : والثاني ؟

بولوغي : جرّبت الثاني .

تاتيانا : هل أنت متزوج ؟

بولوغي : أحلم فقط بنعمة الزواج . ولكن نظراً لأنني أكسب

خمسة وعشرين روبلاً في الشهر فقط (يدخل نيقولاي

وكليوباترا مسرعين) فاني لا أجرؤ على المجازفة بمثل

هذه الخطوة .

نيقولاي (غاضباً) : مدهش بكل بساطة ! فوضى مطلقة !

كليوباترا : كيف يستطيع ! كيف يتجاسر !

الجنرال : ما بالكما ؟

كليوباترا (صائحة) : ابن أخيك فظيع ! لقد استجاب لسائر

طلبات العصاة ، قتلة زوجي !

ناديا (بصوت خفيض) : ولكنهم ليسوا قتلة جميعاً !

كليوباترا : انه يسخر من جثمان الميت ! ومني ! أن يفتح

المعمل قبل أن يدفن الرجل الذي قتله أولئك الأوغاد

بالضبط لأنه أغلق المعمل .

ناديا : ولكن زوج خالتي يخشى أن يحرقوا كل شيء !

كليوباترا : أنت طفلة وينبغي أن تمسكي لسانك !

نيقولاي : يا للخطاب الذي ألقاه ذلك الفتى ! دعاية اشتراكية

واضحة جداً !

كليوباترا : ثمة كاتب يترأسهم ويقدم لهم النصائح . ولقد

وجد الجراة على القول ان الجريمة حرّض عليها

المرحوم نفسه !

نيقولاي (يكتب شيئاً في مفكرته) : ذلك الفتى يشير شكوكي .
انه أذكى من أن يكون مجرد كاتب .

تاتيانا : أتتحدث عن سينتروف ؟

نيقولاي : أجل .

كليوباترا : أشعر كأن انساناً ما بصق في وجهي .

بولوغي (الى نيقولاي) : اسمح لي أن أبدي هذه الملاحظة .
ان السيد سينتروف يقرأ الصحف دائماً ويعلق بصورة
مفصلة على الأحداث السياسية . وهو كثير النقمة على
السلطات .

تاتيانا (الى نيقولاي) : أمعني أنت بسماع مثل هذه
القصص ؟

نيقولاي (متحدياً) : أجل ، أنا معني ! أتحاولين أن
تخجليني ؟

تاتيانا : يخيل اليّ أن لا مكان هنا للسيد بولوغي .

بولوغي (مرتبكاً) : أسأل صفحك . سأذهب على الفور .
(يخرج) .

كليوباترا : هذا هو قادم . لا أريد رؤيته . فأنا لا أطيقه .
(تخرج متسارعة)

ناديا : ماذا يجري ؟

الجنرال : ان سني المتقدمة لا تسمح لي بمثل هذه
الانفعالات . جرائم قتل ، وثورات . كان من واجب
زاخار أن يتكهن بهذه الأشياء جميعاً عندما دعاني
لقضاء فترة راحة هنا . (يدخل زاخار ، مهتاجاً لكنه
مسرور . عندما يرى نيقولاي يتوقف في حيرة ويصلح

من وضع نظارتيه .) اسمع ، يا ابن أخي العزيز . هل
تدرك ما فعلت ؟

زاخار : لحظة واحدة ، يا عماه . نيقولاي فاسيليفيتش !
نيقولاي : نعم - مم . . .

زاخار : كان العمال في حالة من الهياج العظيم بحيث . . .
خشيت أن يدمروا المعمل بأسره . . . وهكذا ، فقد
لبيت طلبهم في عدم اغلاق المعمل اليوم . وكذلك
طلبهم الخاص بديتشكوف . سوى أنني قبلت ذلك
بشرط أن يسلموني المجرم ، وقد شرعوا منذ الآن
يفتشون عنه .

نيقولاي (بجفاء) : ما كان يجب أن يزعجوا أنفسهم . سوف
نجد المجرم دون مساعدتهم .

زاخار : بدا لي من الأفضل أن يجدوه بأنفسهم . ذلك
أفضل . ولقد اتفقنا أن نفتح المعمل غداً بعد الغداء .

نيقولاي : من تعني بكلمة - اتفقنا ؟

زاخار : أنا . . .

نيقولاي : آ - ها ! شكراً لهذه المعلومات . انما يخيل اليّ
على أية حال أن مكان أخي ، بعد وفاته ، يجب أن
نحتله أنا وزوجته . واذا لم اكن مخطئاً ، فقد كان يجب
أن تشاورنا في الموضوع ولا تتخذ القرار لوحده .

زاخار : ولكنني طلبت منك القدوم ! بل جاء سينتروف في
طلبك ، ورفضت أن تأتي .

نيقولاي : ما كان يتوقع مني أن أفكر في قضايا العمل يوم وفاة أخي .

زاخار : ولكنك ذهبت الى المعمل على أية حال .

نيقولاي : ذهبت . ذهبتُ استمع الى خطاباتهم . ماذا في ذلك ؟

زاخار : لكن ، أفلا تفهم ؟ يبدو أن المرحوم أرسل برقية الى سلطات المدينة لترسل قوات عسكرية ، وقد جاء جوابها يقول ان هذه القوات ستصل في صبيحة الغداة .

الجنرال : أها ! جنود ! هذا كلام جدي ! فلن يكون ثمة حماقات وعلى المسرح جنود !

نيقولاي : هذا تدبير حكيم جداً !

زاخار : أنا لست على يقين من ذلك . اذا جاءت القوات العسكرية ازداد هياج العمال أكثر من أي وقت آخر . والرب وحده يعلم ما يمكن أن يقدموا عليه اذا لم نفتح المعمل ! اعتقد أنني فعلت الصواب . فعلى الأقل لن تراق الدماء .

نيقولاي : لي وجهة نظر أخرى في الموضوع . ما كان يجب أن تستجيب لكل مطالب أولئك . . . المخلوقات ، ولو احتراماً لذكرى المرحوم فقط .

زاخار : ولكن الا ترى ان هذا يمكن ان يقود الى مأساة أعظم ؟

نيقولاي : هذا لا يعنيني في كثير أو قليل .

زاخار : صحيح ، ولكن ماذا عني ؟ أنا الذي سأعيش بين

العمال ! فاذا أريق دمهم . . . فيمكن أن يدمروا المعمل
بأسره !

نيقولاي : لا أعتقد ذلك .

الجنرال : ولا أنا أيضاً !

زاخار (بقنوط) : وهكذا ، فأنت تلومني على ما فعلت ها ؟

نيقولاي : أجل ، ألومك .

زاخار (بصدق) : لماذا يجب أن تكون هذه العداوة كلها ؟

انما أريد شيئاً واحداً ، ألا وهو تفادي هول هو عظيم

الاحتمال . لا أريد اراقة الدماء . أحق أنه يستحيل

ايجاد طريقة مسالمة ومعقولة للحياة ؟ أنت تحقد

عليّ ، والعمال لا يثقون بي . أريد أن أفعل ما هو

حق . الحق وحده !

الجنرال : من يدري ما هو الحق ؟ بل هذه ليست كلمة ،

ولكن مجموعة من الأحرف ليس غير . ح من أجل حمار ،

ق من أجل قرف . ولكن الاعمال هي الأعمال ، أفليست

الأمور كذلك ؟

ناديا (وعيناها تفضان بالدموع) : ألا فاهداً ، يا جداه .

زاخار ايفانوفيتش . . لا تنزعج . انه لا يفهم . أواه ،

يا نيقولاي فاسيليفيتش ، لماذا أنت لا تفهم ؟ أنت

ذكي جداً . لماذا لا تتق بزوج خالتي ؟

نيقولاي : آسف . ولكنني سأذهب ، يا زاخار ايفانوفيتش .

أنا لم أعتد أن يتدخل الأطفال في شؤون المعمل .

(يخرج)

زاخار : رأيت ذلك ، يا ناديا ؟

ناديا (تمسك يده) : لا عليك . الأمر الهام هو أن يرضى العمال . ثمة الكثيرون منهم ، وعددهم أكثر منا .

زاخار : انتظري لحظة . . . يجب أن أقول لك اني مستاء كثيراً منك ، يا ناديا . كثيراً .

الجنرال : وكذلك أنا !

زاخار : أنت تتعاطفين مع العمال . هذا أمر طبيعي في مثل سنك ، انما لا يجوز لك أن تفقدي حس الفارق بينك وبينهم ، يا عزيزتي . هذا الصباح جئت بذلك الفتى غريكوف الى المائدة . اني أعرفه ، فهو فتى ذكي . بيد أنك ما كنت تملكين الحق في اغاظة خالتك بسببه .

الجنرال : هذا حق ! لا تقصّر في تعنيفها !

ناديا : ولكنك لا تعرف كيف حدث ذلك كله .

زاخار : تستطيعين أن تكوني على يقين من أني أعرف أكثر مما تعرفين أنت . قومنا قساة وغير مثقفين ، ان أعطيتهم اصبعاً أطبقوا على اليد بأسرها .

ناتيانا : كما يتعلق الرجل الغريق بقشة .

زاخار : انهم جشعون أفظاظ ، ولا ينبغي ملاحظتهم ، بل تثقيفهم . هذا هو الواقع - تثقيفهم . كوني طيبة وفكري في الأمر ملياً .

الجنرال : والآن سأقول كلمتي . الشيطان وحده يعلم كيف كان سلوكك نحوى ، أنت أيتها الثعلبة الصغيرة . فلأذكرك بأنه لا بدّ لك من أربعين سنة حتى تلحقي بي في مضمار السن ، وينبغي لك أن تنتظري هذه المدة

كلها قبل أن أسمح لك بمخاطبتي كندٍ . تذكرني
هذا . كون !

كون (من بين الأشجار) : هذا أنا .

الجنرال : أين ذلك . . . ماذا نسميه . . . ذلك البزال ؟
كون : أى بزال ؟

الجنرال : ذلك . . . ما اسمه ؟ ذلك الناحل المراوغ . . .
كون : أوه ، بولوغني . لا أدري .
الجنرال (يذهب صوب الخيمة) : ابحث عنه .

(يذهب زاخار ويأتي مطرق الرأس ، يمسح نظارتيه بمنديل
جيبه . تجلس ناديا مستغرقة في تفكير عميق ، فيما تاتيانا لا
تبرح واقفة تراقبهما)

تاتيانا : هل عُرِفَ القاتل ؟

زاخار : يقولون أنهم لا يعرفون ، ولكنهم وعدوا بالعثور
عليه . أنهم يعرفون طبعاً . اعتقد . . . (يتطلع حوالياً
ويخفض صوته) اعتقد أنهم اتفقوا على ذلك فيما
بينهم . تلك مؤامرة . صحيح أنه اغاظهم حتى درجة
الياس . لم يكن يقف عند حد . لقد كان حب القوة داء
أصابه . وهكذا قتلوه . ذلك شنيع طبعاً ، اليس
كذلك ؟ شنيع في بساطته بالذات . لقد قتلوه فعلاً ،
وهم ما برحوا ينظرون اليك بأعين صافية صريحة ،
فكأنهم لا يدركون أنهم ارتكبوا اثماً . إن ذلك كله
بسيط بصورة مروعة .

تاتيانا : يقولون ان سكر بوتوف كان على وشك اطلاق النار حين انتزع احدهم المسدس من يده و . . .
زاخار : هذا لا يهم . فهم الذين ارتكبوا جريمة القتل ، وليس هو .

ناديا : لماذا لا تجلس ؟

زاخار : لماذا ارسل في طلب الجنود ؟ لقد اكتشفوا ذلك مثلما هم يكتشفون كل شيء ، وهذا عجّل بموته . طبعاً لم يكن لي بدّ من فتح بوابات المعمل . فلو لم أفعل ذلك ، لفسدت علاقاتي معهم لفترة مديدة من الزمن . هذا وقت ينبغي للمرء ان يظهر لهم فيه مقداراً اكبر من الاهتمام والاعتبار . من يدري كيف يمكن ان ينتهي ذلك ؟ الانسان العاقل لا بدّ له ان يحرص في مثل هذا الوقت على أن يكون له اصدقاء بين عامة الشعب . (يظهر ليفشين على المسرح .) من القادم ؟

ليفشين : هذا نحن . . . نقوم بالحراسة .

زاخار : حسناً ، يا ليفشين ، الآن وقد قتلتم انساناً أصبحتم لطافاً مسالمين ، ها ؟

ليفشين : نحن دائماً كذلك ، يا زاخار ايفانوفيتش . . . دائماً مسالمون .

زاخار (منتهراً) : آه ، وأنتم تقتلون الناس بصورة مسالمة ، ها ؟ وبالمناسبة ، فقد بلغني أنك تنشر بعض الأفكار ، يا ليفشين . بعض الأفكار الجديدة الخبيثة عن عدم الحاجة الى المال والمعلمين وما شابه من الأشياء بعد

الآن . هذا أمر يمكن الصفع عنه . . . هذا أمر يمكن فهمه . . . عند ليف تولستوي . ولكن من الأفضل أن تكفّ عنه ، يا صديقي فلن ينتج شيء حسن عن مثل هذا الكلام .

(تخرج تاتيانا وناديا من اليمين ، حيث يسمع صوتاً سينتروف وياكوف . يظهر ياغودين من خلف الأشجار .)

ليفشين (بهدهوء) : أي كلام ؟ لقد عشت طويلاً ، وفكرت ملياً ، وأنا أقول ما أفكر فيه .

زاخار : ليس المعلمون وحوشاً . ينبغي لكم أن تفهموا هذا . أنتم تعرفون أنني لست امرأةً وضعياً ، وأنا على أتم الاستعداد دائماً لمساعدتكم . اني أريد أن أصنع ما هو أفضل .

ليفشين (متنهدياً) : أئمة انسان يريد أن يسيىء الى نفسه ؟ زاخار : لكن ، ألا تستطيعون أن تفهموا أنني أريد أن أصنع ما هو أفضل لكم ؟

ليفشين : نحن نفهم ذلك . زاخار (يحدق فيه) : لا ، انت مخطىء . أنتم لا تفهمون . يا لكم من قوم غريبين - أنتم أحياناً مثل الحيوانات ، وفي أحيان أخرى مثل الأطفال الصغار .

(يخرج . يظل ليفشين واقفاً معتمداً عصاه يراقبه وهو يذهب .)

ياغودين : قرأ عليك موعظة أخرى ؟
ليفشين : انه صيني . صيني حقيقي . ماذا يحاول أن يقول ،
يا ترى ؟ أنه لا يستطيع أن يفهم أي انسان آخر سوى
نفسه !

ياغودين : يقول انه يريد أن يصنع ما هو حق ، ما هو
أفضل .

ليفشين : صحيح .
ياغودين : فلنذهب ، فهؤلاء هم قادمون .

(ينسحب ليفشين وياغودين الى أعماق الحديقة . تدخل تاتيانا
وناديا وياكوف وسينتروف الى المسرح من الجانب الأيمن)

ناديا : اننا لا نبرح ندور وندور في حلقات مفرغة فكأننا في
حلم .

تاتيانا : أتودُّ شيئاً تأكله ، يا ماتفي نيقولايفيتش ؟
سينتروف : أفضل قدهاً من الشاي . لقد تكلمت كثيراً اليوم
حتى يؤلمني حلقي .

ناديا : ألا تخاف شيئاً ألبتة ؟
سينتروف (يجلس الى المائدة) : أنا ؟ كلا ، لا شيء على
الاطلاق !

ناديا : اني خائفة . لقد اختلطت الأشياء بصورة مبالغتة ، فانا
لا أستطيع الآن أن أميز من هو المصيب ومن هو
المخطئ .

سينتروف (مبتسماً) : لسوف تصحح هذه الأشياء . انما لا

تخافي من التفكير . فكري دون جزع ، ولا تتوقفي عن التفكير حتى تبلغى النهاية . على العموم ، ليس هناك ما يخشى جانبه .

تاتيانا : أعتقد أن كل شيء هدا ؟

سينتروف : نعم . فالعمال ، نادراً ما يربحون ، وكل انتصار صغير يحمل اليهم رضى عظيماً .

ناديا : هل أنت مغرم بهم ؟

سينتروف : ليس هذا بالمقصود . لقد عشت معهم زمناً طويلاً ؛ وأنا أعرفهم وأعرف قوتهم . اني أؤمن بذكائهم .

تاتيانا : وأن المستقبل لهم ؟

سينتروف : أجل ، أؤمن بذلك أيضاً .

ناديا : المستقبل . هذا شيء لا أستطيع تصوّره .

تاتيانا (مستهزئة) : انهم عصابة خبيثة ، بروليتاريوك هؤلاء ! فقد جربت وناديا أن نتحدث اليهم ، ولكن شيئاً لم ينتج عن ذلك الحديث .

ناديا : لم يكن ذلك على شيء كثير من اللطف . لقد تحدث

الينا الرجل العجوز وكأننا شريرتان . جاسوستان أو

شيء من هذا القبيل . ولكن هناك رجلاً آخر ،

غريكوف . . . انه ينظر الى الناس بصورة مختلفة .

الرجل العجوز يبتسم أبدأ فكأنه يرثي لنا ، فكأننا

مريضتان .

تاتيانا : كفّ عن الاكثار من الشرب ، يا ياكوف . لا أطيق

أن أنظر اليك .

ياكوف : ماذا ينتظر مني أن أفعل ؟
سينتروف : أليس ثمة شيء آخر تفعله ؟
ياكوف : أحس قرفاً ، قرفاً لا يقهر ، من العمل وكل ما يتعلق به . اسمع ، أنا أنتسب الى المرتبة الثالثة .

سينتروف : الى ماذا ؟

ياكوف : المرتبة الثالثة . الناس مقسمون الى مراتب ثلاث :
المرتبة الأولى تتألف من أولئك الذين يعملون طوال حياتهم ، والثانية من أولئك الذين يوفرون المال ، والثالثة من أولئك الذين لا يريدون أن يكسبوا خبزهم لأنه لا معنى في ذلك ، ولا يستطيعون أن يوفروا المال لأن ذلك جنون - حسناً ، ذلك دون مستواهم . وهذه المرتبة الثالثة - هي أنا . والى هذه المرتبة ينتسب سائر الناس الكسالى ، الأفاقون ، والرهبان ، والمتسولون ، والطفيليات الأخرى في هذا العالم .

ناديا : لماذا تقول مثل هذه الأشياء المضجرة ، يا عماء ؟
وأنت لست على هذا الغرار أبداً . فأنت لطيف رقيق القلب .

ياكوف : وبكلام آخر لا أنفع شيئاً . هذا ما أدركته منذ كنت في المدرسة . ان الناس يلتحقون بهذه المراتب الثلاث قبل أن يكبروا .

ناتيانا : كانت ناديا على حق عندما قالت انك مضجر ، يا ياكوف .

ياكوف : أنا أوافقها . يا ماتفي نيقولايفيتش ، هل تعتقد أن للحياة وجهها ؟

سينتروف : ربما . . .

ياكوف: ان لها وجهاً . ووجهها فتني على الدوام . قبل زمن غير بعيد كانت الحياة تنظر اليّ في لامبالاة ، أما الآن فهي تنظر اليّ بصرامة ولا تبرح تسأل : «من أنت ؟ الى أين أنت ذاهب ؟» (يبدو أنه خائف من شيء ما ، وحين يجرب أن يبتسم ترتجف شفثاه ويلتوي محياه في تكشيرة تبعث على الشفقة .)

تاتيانا : أوه ، دع عنك هذا ، يا ياكوف . . . هذا المدعي العام قادم . . . لا أريدك أن تقول مثل هذه الأشياء أمامه .

ياكوف : حسناً .

ناديا (بصوت خافت) : كل امرئ يتوقع أن يحدث شيء مخيف . لماذا لا يسمحون لي بمصادقة العمال ؟ ذلك سخيف جداً .

نيقولاي (مقترّباً) : هل أستطيع أن أتناول قدحاً من الشاي ؟
تاتيانا : طبعاً .

(يجلس الجميع في سكون بضع ثوان فيما يقف نيقولاي يحرك ملعقة في قده الشاي .)

ناديا : أودّ أن أعلم لماذا لا يثق العمال بزوج خالتي ، وعلى العموم . . .

نيقولاي (متجهماً) : هم لا يثقون الا بأولئك الذين يلقون الخطب في موضوع : «يا عمال العالم ، اتحدوا !» انهم يثقون بهم كل الثقة .

ناديا (بصوت خافت ، وهي تهزُّ كتفيها) : هذه الكلمات - هذا النداء الى عمال جميع البلدان - تجعلني أتصوّر أنني أخرج عن نطاقه ، فكأن الناس الذين مثلنا غير مرغوب فيهم .

نيقولاي (في هياج) : صحيح تماماً ! كل انسان متحضر لا بدّ أن يشعر بمثل هذا الشعور ، واني على يقين أن نداء آخر سيتردد عما قريب : «يا شعوب العالم المتحضرة ، اتحدوا !» لقد آن الأوان للمناداة بذلك . آن الأوان ! ان البرابرة على وشك أن يدوسوا بالأقدام ثمار آلاف السنوات من الحضارة . هم في سبيلهم الى ذلك ، يدفعهم جشعهم ونهمهم !

ياكوف : انهم يحملون ارواحهم في معداتهم ، معداتهم الفارغة ، وذلك منظر يدفعكم الى الشرب .

(يصب لنفسه كأساً من الجعة)

نيقولاي : القطيع آتٍ ، يستحسه الجشع ، وقد وحدت صفوفهم رغبتهم الواحدة ، الا وهي ابتلاع كل شيء .

تاتيانا (متفكرة) : القطيع . . القطيع في كل مكان . في المسارح ، في الكنائس . . .

نيقولاي : ماذا يستطيع هؤلاء الناس أن يعطوا ؟ لا شيء سوى الدمار . . . ولاحظوا أن الدمار سيكون أشدّ هولاً هنا ، بيننا ، منه في أي مكان آخر .

تاتيانا : يبدو لي غريباً دائماً أسمع الناس يتحدثون عن العمال كبشر متقدمين . هذا بعيد عن فهمي لهم .

ثيقولاي : وانت ، أيها السيد سينتروف ؟ . . لا اعتقد أنك توافقنا !

سينتروف (بهدهوء) : لا ، لست أوافقكم .
ناديا : هل تذكرين ، يا عمتي تانيا ، ما قال الرجل العجوز عن الكوبيك ؟ كان كلامه بسيطاً جداً .

ثيقولاي : لماذا لا توافقنا ، يا سيد سينتروف ؟
سينتروف : لأنني أفكر بطريقة مختلفة .
ثيقولاي : جواب معقول جداً . ولكن لعلك تقاسمنا وجهات نظرك ؟

سينتروف : لا اعتقد أنني أبالي بذلك .
ثيقولاي : يؤسفني كثيراً أن أسمع ذلك . وإنما يعزيني الأمل في أن موقفك سيتبدل عندما نلتقي مرة أخرى .
يا ياكوف ايفانوفيتش ، أرجو أن ترافقني إلى البيت ، أن كنت لا أثقل عليك بذلك . لقد تحطمت أعصابي .
ياكوف (ينهض بصعوبة) : بكل سرور ، بكل سرور .

(يخرجان)

تاتيانا : هذا المدعي العام شخص بغيض . ومن الصعب موافقته على أي شيء ينطق به .
ناديا (تنهض) : إذن ، فلماذا توافقيه ؟
سينتروف (مستهزئاً) : أجل لماذا ، يا تاتيانا بافلوفنا ؟
تاتيانا : ذلك أن آراءنا متشابهة .
سينتروف (إلى تاتيانا) : أنت تفكرين مثل تفكيره ، لكن

شعورك يختلف عن شعوره . أنت تريد أن تفهمي ،
أما هو فلا يعني بذلك مطلقاً . فالفهم لا يعني شيئاً
بالنسبة إليه .

تاتيانا : لا بدّ أنه شديد القسوة .

سينتروف : بلى ، أنه كما تقولين . هو يعالج في المدينة
القضايا السياسية ، وموقفه من أولئك الذين يعتقلون
يبحث على الاشمئزاز .

تاتيانا : وبالمناسبة ، فقد كتب شيئاً عنك في مفكرته .
سينتروف (مبتسماً) : لا أشك في ذلك . لقد تحدث كثيراً الى
بولوغي وهو لا يفوته شيء على الاطلاق . **تاتيانا**
بافلوفنا ، لي رجاء عندك .

تاتيانا : سأكون سعيدة بانجاز كل ما في وسعي .

سينتروف : شكراً لك . اعتقد أن الدرك قد استدعوا .

تاتيانا : صحيح .

سينتروف : هذا يعني أنهم سيفتشون الدور . يمكنك أن
تخبئي شيئاً لي ؟

تاتيانا : أظن أنهم سيفتشون بيتك ؟

سينتروف : بكل تأكيد .

تاتيانا : وقد يعتقلونك ؟

سينتروف : لا أظن ذلك . ولم يفعلون هذا ؟ لأنني القى
خطابات ؟ ولكن زاخار ايفانوفيتش يعلم أنني ادعو
العمال الى النظام في جميع خطباتي .

تاتيانا : وهل ماضيك نظيف ؟

سينتروف : ليس لي ماضٍ . هل ستساعديني ؟ ما كنت

أزعجك لولا اعتقادي أن سائر منازل الذين يمكن أن
يخبثوا هذه الأشياء لي سوف تفتش غداً . (يضحك
بصوت خافت)

تاتيانا (مرتبكة) : سوف أتحدث بصراحة . . . ان مركزي في
هذه الدار لا يسمح لي باستعمال الغرفة التي أعطيت
لي كأنها غرفتي الخاصة .

سينتروف : وبكلام آخر لا تستطيعين ؟ حسناً ، اذن . . .
تاتيانا : أرجوك ألا تستاء مني .

سينتروف : طبعاً لا . ان رفضك مفهوم تماماً .
تاتيانا : ولكن انتظر ، فسوف أتحدث الى ناديا .

(تخرج . ينقر سينتروف بأصابعه على المائدة وهو يراقبها
تبتعد . تسمع خطوات متلصصة)

سينتروف (بصوت خافت) : من هناك ؟

غريكوف : هذا أنا . هل أنت وحيد ؟

سينتروف : نعم ، ولكن ثمة أناساً يتجولون في الأنحاء . ما
هي أخبار المعمل ؟

غريكوف (يضحك ضحكة قصيرة) : أنت تعلم أنهم وافقوا
على البحث عن ذلك الذي أطلق النار . وهم يقومون
بتحقيق الآن . ويصيح البعض أن الاشتراكيين هم الذين
قتلوه - أولئك الذين يحاولون أن ينقذوا جلودهم .

سينتروف : هل تعرف - من فعل ذلك ؟

غريكوف : اكيوف .

سينتروف : حقاً ؟ أف . . . ما كنت أتوقع ذلك ! فهو فتى لائق وعاقل .

غريكوف : انه ملتهب المزاج . وهو يريد أن يسلم نفسه . ان له زوجة وولداً ، وولداً آخر على الطريق . . تحدثت الى ليفشين لتوتوي ، وهو يهرف طبعاً . يقول ان علينا أن نستبدل بأكيموف شخصاً آخر اقل أهمية منه .

سينتروف : هذيان عجيب ! لكنني آسف لسماح هذه الأمور ! (يسكت .) اسمع ، يا غريكوف ، عليك أن تدفن كل شيء في الأرض . . ليس ثمة مكان آخر لاختفائه .

غريكوف : وجدت مكاناً . فقد وافق عامل البرق على أخذ كل شيء . ولكن من الأفضل أن تبتعد من هنا ، يا ماتفي نيقولايفيتش .

سينتروف : لا ، لن اذهب الى اي مكان مطلقاً .

غريكوف : سوف يعتقلونك .

سينتروف : ليكن ! سوف يترك ذهابي انطباعاً سيئاً في العمال .

غريكوف : هذا صحيح . لكنني آسف لك .

سينتروف : هراء ، فأكيموف هو الذي يجب أن نأسف له .

غريكوف : أجل ، وليس ما نستطيع في سبيل مساعدته . يريد أن يسلم نفسه . من المضحك أن أراك في دور حارس أملاك المعلمين .

سينتروف (مبتسماً) : ليس من سبيل آخر . اعتقد أن رفاقي نيام ؟

غريكوف : كلا ، بل اجتمعوا كي يناقشوا الأمور . الليل رائع .

سينتروف : سأكون سعيداً بمرافقتك ، ولكن لا بدّ لي من الانتظار . من الأرجح أن يعتقلوك أنت الآخر .
غريكوف : وبذلك نقضي أيام سجننا معاً . اني ذاهب .

(يخرج)

سينتروف : وداعاً (تدخل تاتيانا .) لا تزعجي نفسك ، يا تاتيانا بافلوفنا . لقد رتبت كل شيء ! وداعاً .
تاتيانا : اني آسفة كل الأسف .
سينتروف : طابت ليلتك .

(يخرج . تدرع تاتيانا أرض المسرح بخطوات خفيفة ، متفحصة بوزي حذائها . يدخل ياكوف .)

ياكوف : لماذا لا تذهبين الى فراشك ؟
تاتيانا : لا أريد ذلك . اني أفكر في الرحيل عن هذا المكان .
ياكوف : هم - م - م . أما أنا ، فلا مكان لي اذهب اليه .
لقد اجتزت سائر القارات والجزر .

تاتيانا : هذا المكان يبعث اليأس في القلب . الاشياء جميعاً تتأرجح وتبعث في رأسي الدوار . اني مضطرة أن اكذب ، وأنا لا أستطيع أن أطيق الكذب .

ياكوف : صحيح . أنت لا تستطيعين ان تطيقي الكذب . من سوء حظي أنا ، من سوء حظي .

تاتيانا (لنفسها) : ولكنني في هذه اللحظة بالضبط كذبت .
من المؤكد أن ناديا كانت توافق على اخفاء تلك
الأشياء ، ولكنني لا أملك الحق في دفعها على هذه
الطريق .

ياكوف : عمّ تتحدثين ؟

تاتيانا : لا شيء على التعيين . ما أغرب ذلك ! البارحة كان كل
شيء واضحا جليا ، وقد حسبت أنني عرفت ما أريد .
ياكوف (بصوت خافت) : ان السكيرين الموهوبين ، والعاطلين
الجميلين ، وسائر أعضاء المهن الفكيهة لم يعودوا
يجتذبون الانتباه . اهتمّ الناس بنا بقدر ما كنا في
تضاد مع بلادة الحياة اليومية . ولكن الحياة اليومية
تزداد اليوم مأسوية أكثر فأكثر . ويصبح الناس بنا :
«هي» ، أنتم أيها المهرجون والممثلون ! أخرجوا من
المسرح !» ولكن المسرح ميدانك ، يا تاتيانا .

تاتيانا (بقلق) : ميداني ؟ أجل ، حسبت مرة أنني أقف بثبات
على المسرح ، وأني أستطيع هناك أن أبلغ ذرى
مرتفعة . (بشدة الألم .) اني أحس البؤس والغزى
أمام هؤلاء الناس الذين يراقبونني بأعين باردة صامتة
تلوح كأنها تقول : «اننا نعرف ذلك كله ، فهو قديم
ممل .» أحس الضعف أمامهم فأنا عزلاء من كل
سلاح . . . لا أستطيع أن أستولي على قلوبهم وأن
أثير عواطفهم . أريد أن ارتعش فرحا وخوفاً ، أريد
أن أقول كلمات ملأى بالنار ، والهوى ، والحقْد !
كلمات حادة كالسكين ، ملتبهة كالشعلة . . . لأريد

أن أصبها بسخاء واسراف أمام الناس . ألا فليشتعل
المستمعون اليّ ، وليصيحوا ، ويولوا الادبار . . .
لكن ليس ثمة مثل هذه الكلمات . وكنت أعترض
سبيلهم بأن أقذفهم بكلمات أخرى ، كلمات جميلة هذه
المرّة ، جميلة مثل الورد ، ملأى بالرجاء ، والحب ،
والفرح ! ولسوف يبكون ، وكذلك أبكي أنا . سوف
أبكي بعبرات رائعة ! ولسوف يهتفون لي ، ويغرقونني
بالأزهار ، ويرفعونني على أيديهم . وسوف يكونون في
قبضة يدي لبرهة من الزمان ، فأحيا لبرهة من الزمن
حياة نابضة . كل الحياة في تلك البرهة الوحيدة ! لكنه
لا وجود لمثل تلك الكلمات الحية المتأججة .

ياكوف : اننا نعرف جميعاً كيف نعيش لبرهة واحدة فقط .
تاتيانا : أفضل الأشياء في الحياة تحدث للحظة واحدة فقط .
لشدّ ما أود أن أرى الناس على صورة أخرى - أن
أراهم أكثر استجابة ! وأن أرى الحياة على صورة
أخرى - أقل عبثاً ! حياة يكون الفن فيها لا غنى عنه -
للجميع وبصورة دائمة . كيما يكون لي في الحياة
مكان . . . (يحدق ياكوف في الظلمة بعينين واسعتين .)
فيم تشرب بمثل هذا الاسراف ؟ لقد قتلت نفسك .
لقد كنت جميلاً مرة .

ياكوف : انسي ذلك .

تاتيانا : أفلا تستطيع أن تفهم كم يصعب ذلك عليّ ؟
ياكوف (بهلع) : مهما أكن سكران ، فأنا أفهم كل شيء .
وهذه مصيبتني . فكري يعمل ويعمل بعناد ملعون .

يعمل بصورة دائمة . واني لأرى بصورة دائمة وجهاً
فارغاً ، عريضاً ، غير مغسول ، ذا عينين هائلتين لا
يبرحان يرددان السؤال : «والآن؟» هذه الكلمة ليس
غير : «والآن» ؟

بولينا (تدخل مسرعة) : تاتيانا ! أرجوك ان تأتي الى هنا ،
يا تاتيانا . انها كليوباترا . لقد فقدت عقلها . فهي
تهين كل الناس . ربما استطعت أن ترددها الى
الصواب .

تاتيانا (بشقاء) : دعوني من مشاحناتكم . التهموا بعضكم
بعضاً اذا شئتم ، لكن كفوا عن الارتماء تحت أقدام
الآخرين .

بولينا (مرتاعة) : تاتيانا ! ماذا أصابك ؟ ما هذا الذي
تقولين ؟

تاتيانا : الى مَ تسعين ؟ ماذا تريدن ؟

بولينا : انظري اليها فقط . هذه هي قادمة .

زاخار (من خارج المسرح) : اسكتي ! أتوسل اليك !
كليوباترا (من خارج المسرح أيضاً) : أنت الذي يجب أن
تسكت في حضوري !

بولينا : سوف تأخذ في الصباح هنا ، وسائر هؤلاء الفلاحين
فيما حولنا . . ذلك فظيع ، يا تاتيانا . أرجوك .

زاخار (يدخل) : أخشى أني في طريق الجنون .

كليوباترا (تبعه) : لا تستطيع فراراً مني . سوف أجبرك
على الاصغاء اليّ . لقد لعبت على العمال لأنك بحاجة الى
احترامهم . ألقىت اليهم حياة بشرية كما تلقي قطعة من

اللحم الى كلاب هائجة . أنت انساني على حساب
الآخرين ، بضمن دماء الآخرين !
زاخار : ماذا تقول ؟

ياكوف (الى تاتيانا) : من الأفضل أن تخرجي . (يخرج .)
بولينا : أنظري اليّ ، يا سيدتي الرائعة . اننا قوم لائقون ،
ولن نسمح لامرأة لها سمعتك أن تصيح في وجهنا . . .
زاخار (مرتاعاً) : احتفظي بهدوئك ، يا بولينسا ، بحق
السموات !

كليوباترا : ما الذي يجعلك تحسب انكم قوم لائقون ؟ لأنكم
تثرثرون في قضايا السياسة ؟ في بؤس الجماهير ؟ في
التقدم والانسانية ؟ أهذا هو السبب ؟

تاتيانا : كليوباترا بتروفنا ! كفي عن ذلك !
كليوباترا : أنا لا أتكلم معك . أنت لست من هذا المكان ،
وليس هذا من شأنك البتة . كان زوجي انساناً
شريفاً - صريحاً وشريفاً . وكانت معرفته بعامة الناس
أفضل من معرفتكم بهم . وهو لم يثرثر مثلكم . ولقد
خنتموه . قتلتموه ببلاهتكم الشريرة .

تاتيانا (الى بولينا وزاخار) : أخرج ، أنت وهو !
كليوباترا : سأخرج أنا . أنت تبعثين فيّ الاشمئزاز . . .
أنتم جميعاً تبعثون فيّ الاشمئزاز !

(تخرج)

زاخار : اليكم هذه المرأة المجنونة !

بولينا (تغصُ بالدموع) : يجب أن نترك كل شيء ونرحل .
أن تهين الناس على هذا النحو .

زاخار : ما الذي أصابها ؟ لو أنها كانت تحبُّ زوجها ، أو عاشت راضية معه ! أما أن تتخذ عاشقين على الأقل كل سنة ، ثم تروح تصيح على هذا المنوال !

بولينا : يجب أن نبيع المعمل !

زاخار (بتكدر) : نتركه ، نبيعه . . . ليس هذا هو المخرج . ينبغي أن نفكر في الأمور ، وأن نفكر فيها ملياً . لقد كنت أتحدث الى نيقولاي فاسيليفيتش عندما اندفعت هذه المرأة بيننا وقطعت علينا حديثنا .

بولينا : نيقولاي فاسيليفيتش يكرهنا هو الآخر . انه انسان وضع .

زاخار (وقد تمالك نفسه) : انه غاضب ومصدوم . لكنه شخص ذكي ، ولا سبب لديه كي يكرهنا . ثمة اعتبارات عملية خالصة تربطه بنا منذ وفاة ميخائيل .

بولينا : اني خائفة منه ، ولا أثق به . لسوف يخذعك .

زاخار : هذا كله هراء ، يا بولينا . انه صاحب محاكمة ممتازة . أجل ، انه كذلك . والحقيقة اني اتخذت موقفاً مبهماً في علاقاتي مع العمال ؛ يجب أن أعترف بذلك . عندما تحدثت اليهم ذلك المساء - آه يا بولينا ، لا تستطيعين أن تتصوري كم كانوا ثائرين ضدنا !

بولينا : قلت لك ذلك . وهذا هو بالضبط ما قلته . سوف يكونون أعداءنا على الدوام ! (تضحك تاتيانا بصوت خافت وتغادر المكان . تنظر بولينا اليها وترفع صوتها

عمداً ، وهي تسترسل في حديثها .) الجميع اعداء لنا !
هم جميعاً يحسدوننا ، وهذا هو السبب في أنهم يقفون
جميعاً ضدنا .

زاخار (يسير مسرعاً في غدوة ورواح) : أجل ، أنت على حق
جزئياً بالطبع . يقول نيقولاي فاسيليفيتش : القضية
ليست قضية نضال بين الطبقات ، بل قضية نضال بين
العرقين - الأسود والأبيض . طبعاً ، ان في هذا القول
شيئاً من القسوة . هذا تطرف ، اذا جاز التعبير . ولكن
حين نتوقف كي نفكر في أننا ، نحن القوم المثقفين ،
خلقنا العلم ، والفن ، وما الى ذلك ، فان المساواة -
المساواة الفيزيولوجية - وى . . . حسناً ، لا بأس .
ولكن فليصبحوا انسانين أولاً ، فليتحضروا وعندئذ
نتحدث عن المساواة .

بولينا (في احتراس) : هذا شيء جديد عندك لم أسمعه قط
منك قبلاً .

زاخار : هذا كله تقريبي بعد ، لم أتمعن فيه بصورة تامة .
هذا هو الشيء الرئيسي : اعرف نفسك .

بولينا (تمسك به من ذراعه) : أنت رقيق القلب جداً ، يا
عزيزي . وهذا ما يجعل الأمور على مثل هذه الصعوبة
بالنسبة اليك .

زاخار : اننا نعرف الشيء القليل جداً ، وهذا هو السبب في
دهشتنا المتكررة . خذي سينتزوف ذاك ، مثلاً . لقد
أدهشني وأثار عطفي - هذه البساطة ! هذا التفكير

المنطقي ! ولقد تبين أنه اشتراكي ، ومن هناك يستقي
منطقه وبساطته .

بولينا : آه ، بلى . انه يجتذب الانتباه بقوة . مثل ذلك
الوجه الباعث على النفور ! لكنك تحتاج الى بعض
الراحة ، أفلا تعتقد أنه من الأفضل أن نذهب ؟

زاخار (يتبعها) : ثم هناك عامل آخر - غريكوف . فتى صفيق .
لقد كنا ، نيقولاي فاسيليفيتش وأنا ، كنا نتحدث عن
خطابه لتوّننا . ليس هو أكثر من صبي . ومع ذلك
يتكلم بغطرسة عظيمة . . .

(يخرجان . سكون . تسمع أغنية من خارج المسرح ، ثم
أصوات خافتة . يدخل ياغودين ، ليفشين ، وريابتزوف ،
وهو فتى يكثر من القاء رأسه الى الوراء ، وجهه مدور طيب
السيما . يقف ثلاثتهم تحت الأشجار .)

ليفشين (بصوت خافت وبلهجة من يقول سرّاً) : ذلك في سبيل
القضية العامة ، يا بافل .

ريابتزوف : أعلم . . .

ليفشين : في سبيل القضية العامة ، القضية الانسانية . لكل
نفس طيبة ثمن مرتفع هذه الأيام ، يا أخي . أبناء
الشعب ينهضون بعقولهم . انهم يصغون ، ويقرأون ،
 ويفكرون . وأولئك الذين توصلوا منهم الى الفهم لا
يقدرّون بثمن . . .

ياغودين : هذا صحيح ، يا بافل .
ريابترزوف : أعلم ذلك . فلا ضرورة لهذا الحديث . سوف
أفعل ذلك .

ليفشين : لكن لا يجوز أن تفعله بدافع الحماسة وحدها .
ينبغي أن تفهم لماذا . أنت شاب بعد ، وهذا يعني
الأشغال الشاقة .

ريابترزوف : لا بأس في ذلك . سوف أهرب .
ياغودين : ربما لن يعني ذلك ، فأنت أصغر من أن يحكم
عليك بالأشغال الشاقة ، يا بافل .

ليفشين : لنفكر أنه ليس كذلك . بقدر ما تزيد الأمور سوءاً
يكون ذلك أفضل . إذا أراد امرؤ أن يتحمل أسوأ
العذاب ، فذلك يعني أنه عقد عزمه حتى النهاية .

ريابترزوف : لقد عقدت العزم .
ياغودين : لا تتسرع . فكر في الأمر ملياً . . .
ريابترزوف : فيمَ تريدني أن أفكر ملياً ؟ لقد قتل ، فلا بدّ
إذن أن يتحمل شخص ما عواقب ذلك .

ليفشين : هذا صحيح . يجب أن يفعل شخص ما ذلك . وإذا
لم يتقدم شخص ويسلّم نفسه ، فسوف يُدعى عدة
أشخاص لتقديم الحساب عن ذلك . سوف يستدعون
أفضل جماعتنا ليقدموا الحساب عن ذلك ، يا بافل ،
أولئك الذين هم أعظم منك قيمة بالنسبة الى قضيتنا .
ريابترزوف : أنا لا أعترض ، أليس كذلك ؟ قد أكون شاباً ،
لكنني أفهم . ينبغي لنا أن نتماسك بصورة متينة .
مثل حلقات السلسلة .

ليفشين (متنهداً) : هذا صحيح .
ياغودين (مبتسماً) : سوف نضم أيدينا الى بعضها ،
ونطوقهم ، ونضيق عليهم الخناق ، وهكذا نخلص
منهم !

ريابتزوف : حسناً ، لقد عقدت عزمي . ليست لي أسرة ،
وهكذا فانا الذي ينبغي لي أن اذهب . الا أنه أمر
يوسف له جداً أن ندفع ثمناً باهظاً من أجل مثل ذلك
الدم الفاسد .

ليفشين : ليس من أجل ذلك الدم ، بل في سبيل مصلحة
رفاقتك .

ريابتزوف : أجل ، لكنني اعني أنه كان شرساً . حثالة ،
تلك كانت حقيقته .

ليفشين : ولهذا السبب قُتل . الناس الطيبون يموتون ميتة
طبيعية . فليس من يبتغي التخلص منهم .

ريابتزوف : حسناً ، أهذا كل شيء ؟

ياغودين : هذا كل شيء ، يا بافل . وهكذا سوف نخبرهم
صباح الغداة ؟

ريابتزوف : لمَ الانتظار حتى الغداة ؟ انا قلت لكم : «عقدت
عزمي !»

ليفشين : من الأفضل أن تنتظر حتى الغداة . فالليل ناصح
جيدٌ كالأم نفسها .

ريابتزوف : حسناً . هل أستطيع الذهاب الآن ؟

ليفشين : فليكن الله معك !

ياغودين : اذهب قدماً ، أيها الأخ ، وكن ثابتاً .

(يخرج ريباتزوف دونما عجلة . يتطلع ياغودين الى العصا التي يعلبها بين يديه . يحقق ليفشين في السماء .)

ليفشين (بصوت خافت) : يشبّ أناس رائعون كثيرون في هذه الأيام ، يا تيموفي .

ياغودين : طقس جيد ، محصول جيد .

ليفشين : يبدو أننا سنتخلّص من هذا المأزق .

ياغودين (في تعاسة) : ذلك سيبيّ جداً بالنسبة الى الصبي .

ليفشين (بصوت خافت) : أجل . ذلك سيبيّ جداً ، واني

لأرثي له يذهب الى السجن وبمثل هذه التهمة .

والعزاء الوحيد أنه فعل ذلك من أجل رفاقه .

ياغودين : أجل .

ليفشين : لكن من الأفضل أن تمسك لسانك . تك ! تك ! ما

الذي حمل أكيهوف على شد ذلك الزناد ؟ أي خير في

القتل ؟ لا خير على الاطلاق . أقتل كلباً ، فيشتري

المعلم كلباً آخر ، وليس للرواية نهاية .

ياغودين (بحزن) : كم من جماعتنا يدفعون حياتهم ثمناً !

ليفشين : تعال ، أيها الخفير ! ينبغي لنا أن نخفر أملاك

المعلمين ! (يخرجان .) اللعنة !

ياغودين : ما بالك ؟

ليفشين : هذه الحياة القاسية ! لو كنا نستطيع فقط أن نسرع

ونحقق شيئاً في هذا الشأن !

ستار

الفصل الثالث

غرفة كبيرة في دار باردين . في الجدار الخلفي أربع نوافذ وباب ينفتح على شرفة ومن خلف زجاج النوافذ يشاهد بعض الجنود ، ورجال الدرك ، وجماعة من العمال ، بينهم ليفشين وغريكوف . تلوح على الغرفة علامات عدم السكن : فالأثاث القليل يتألف من قطع غريبة بالية ، وورق الجدران ممزق ، وثمة طاولة عريضة موضوعة الى اليمين . ترتفع الستارة وكون يضع عدة مقاعد حول الطاولة غاضباً ، وأغرافينا تمسح الأرض . وثمة بابان مضاعفان عريضان في الجدارين الأيمن والأيسر .

أغرافينا : حسنا ، لا حاجة لأن تفضب مني !
كون : لست بغاضب . يمكنهم جميعاً أن يذهبوا الى الشيطان
ولا أبالي . شكراً للسماء لأنني سأموت عاجلاً . فقلبي
ينهار منذ الآن .

أغرافينا : لسوف نموت جميعاً ، فليس ثمة مبرر للمباهاة .
كون : لقد اكتفيت' . . . قرفت من كل شيء . عندما تبليغين
الخامسة والستين لن تتحملي قذارتهن أكثر مما
تحملت . لكأنك تحاولين اذن كسر جوزة قاسية بلثة
لا أسنان فيها . . . تصوري جمع هؤلاء البشر جميعاً
وأغراقهم في الأمطار هناك خارجاً !

(يدخل رئيس الدرك بوبويدوف ونيقولاي من الباب الأيسر)

بوبويدوف (فرحاً) : اذن ستكون هذه قاعة المحكمة ؟ عظيم .
اعتقد أنك تتصرف بصورة تتفق مع واجباتك المهنية ؟

نيقولاي : نعم . كون ، نادِ العريف !

بوبويدوف : والآن ، اليك كيف سننظم ذلك : في المركز
ذلك . . . ما اسمه ؟

نيقولاي : سينتزوف .

بوبويدوف : سينتزوف . ذلك مؤثر جداً . ويحتفُّ به عمال
العالم المتحدون ، ها ؟ سيكون ذلك منظرأً يبعث الدفء
في القلب ! ان صاحب هذا المكان رجل لطيف ، لطيف
جداً . كان انطباعي عنه يختلف كل الاختلاف . أنا
أعرف زوجة أخيه من مسرح مدينة فورونيج . انها
ممثلة بارعة . (يدخل كفاش من البوابة .) حسناً ، يا
كفاش ؟

كفاش : فتشناهم جميعاً ، يا صاحب السعادة .

بوبويدوف : وماذا وجدت ؟

كفاش : لم نجد شيئاً . خبأوا كل شيء . اسمح لي ان أقول
ان رئيس الشرطة كان في عجلة كبيرة من أمره بحيث
لم يقدِر بواجبه على أكمل وجه ، يا سيادة النقيب .

بوبويدوف : كان يجب ان أتوقع هذا . فالشرطة هكذا دائماً .
هل وجدت شيئاً في المنازل ؟

كفاش : وجدنا أشياء خلف الأيقونات عند ليفشين ، يا سيادة
النقيب .

بوبويدوف : أحضروا كل شيء الى غرفتي .

كفاش : حاضر ، يا سيادة الرئيس . ذلك الدركي الشاب

الذي قدم من الجيش حديثاً . . .

بوبويدوف : ما شأنه أيضاً ؟

كفاش : هو الآخر لا يتقن عمله .

بوبويدوف : حسناً ، عليك الاشراف على ذلك بنفسك . هيا

امض الآن . (يخرج كفاش .) يا له من مكار ، كفاش

هذا . لا هو يملأ النظر ، وتلوح عليه بعض علائم

البلاهة والغباء ، لكن له أنف كلب الصيد .

نيقولاي : انصح لك أن توجه عناية خاصة الى ذلك الكاتب ،

يا بوغدان دينيسوفيتش .

بوبويدوف : آه ، بل ، حقيقة . سنذيقه مرّ العلقم ، لا

تخف .

نيقولاي : لا أتحدث عن سينتروف ، بل عن بولوغي . أحسب

انه قد يكون ذا فائدة لنا .

بوبويدوف : آه ، ذلك الشاب الذي كنا نتحدث عنه ! أجل ،

بالطبع . لسوف نجره الى القضية .

(يذهب نيقولاي الى الطاولة ويرتب بعض الوثائق بعناية)

كليوباترا (على الباب الأيمن) : ما رأيك بقدم من الشاي ،

يا رئيس ؟

بوبويدوف : أجل ، شكراً لك ، ان كان ذلك لا يزعجك

كثيراً . هذه المنطقة جميلة . بقعة لطيفة . ولقد تبين

اني أعرف السيدة لوغوفايا . أفلم تك تمثل على
مسرح فورونيج ؟
كليوباترا : أعتقد ذلك . أعثرت على شيء عندما قمت بعملية
التفتيش ؟

بوبيدوف (في لطف) : كل شيء . عثرنا على كل شيء . لا
تقلقي ، في استطاعتك التأكد من أننا سنعثر على كل
شيء دائماً . حتى ان لم يكن هناك ما يمكن العثور
عليه .

كليوباترا : ما كان المرحوم زوجي ينظر الى هذه المنشورات
في جدّ . وكان يقول دائماً ان الأوراق لا تصنع ثورة .
بوبيدوف : همّ . مما لا ريب فيه أن هذا ليس بصحيح
تماماً .

كليوباترا : وكان يقول ان المنشورات هي أوامر سريّة
مرسلة من أناس حمقى الى أناس أغبياء .

بوبيدوف : يا للذكاء - ومع ذلك فهو غير صحيح .
كليوباترا : وترى الآن أنهم تقدموا من توزيع المنشورات الى
مباشرة العمل .

بوبيدوف : يمكن أن تتأكدى من أنهم سيعاقبون بشدة -
بشدة قصوى .

كليوباترا : تلك تعزية عظيمة . لقد شعرت بالراحة منذ
قدومك .

بوبيدوف : من صلب عملنا أن نرفع معنويات الناس .
كليوباترا : لا أستطيع أن أعبر لك عن السرور الذي يغمر

المرء عندما يجد شخصاً نجيعاً كفوّاً . مثل هؤلاء
الاشخاص أمسوا قلّة هذه الأيام .
بوبيدوف : اواه ، الجميع أكفاء في فصائل الدرك عندنا .
كليوباترا : فلنمضِ الى الطاولة .
بوبيدوف (متحرّكاً) : بكل سرور ! همّ ، لعلك تستطعين
اخباري اين تمثل السيدة لوغوفايا في هذا الموسم ؟
كليوباترا : آسفة . انا لا ادري .

(تدخل تاتيانا وناديا من جهة الشرفة)

ناديا (مضطربة) : ارايت كيف كان ذلك العجوز ليفشين ينظر
الينا ؟
تاتيانا : نعم .
ناديا : كم تبدو كل هذه الاشياء غير لائقة ومخجلة ،
بصورة فظيعة ! لماذا تفعل ذلك ، يا نيقولاي
فاسيليفيتش ؟ ولم اعتقل هؤلاء الناس ؟
نيقولاي (بجفوة) : ثمة أسباب أكثر من كافية تدعوني الى
اعتقالهم . ويجب أن اطلب اليك الا تستعملي الشرفة
ما دام هؤلاء . . .
ناديا : اوه ، لن نفعل .

تاتيانا (ترنو الى نيقولاي) : وهل اعتقل سينتروف ايضاً ؟
نيقولاي : لقد اعتقل السيد سينتروف ايضاً .
ناديا (تراوح في الغرفة وتغادي) : سبعة عشر شخصاً !
وزوجاتهم واقفات عند البوابات يبكين ويذرفن

العبرات . . والجنود يتردونهنّ ويهزؤون بهنّ . قل
للجنود ان عليهم على الأقل ان يتصرفوا بصورة لائقة .
يقولاي : ليس هذا من شأني . الملازم ستريبيتوف مسؤول
عن الجنود .
ناديا : سأذهب وأسأله ذلك .

(تخرج من باب اليمين . تاتيانا تبتسم وتقترب من الطاولة .)

تاتيانا : اصغ ، يا مقبرة القوانين ، كما يدعوك الجنرال . .
يقولاي : لا أجد الجنرال على قدر كافٍ من الذكاء . ولا أحب
ترديد نكاته .

تاتيانا : أوه ، لا ، لقد أخطأت . نعش القوانين - هكذا
يسميك . ألا تحب ذلك ؟

يقولاي : لست في حال تسمح لي بالعزاح .

تاتيانا : أتريدني أن أعتقد أنك انسان جدي ؟

يقولاي : فلاذكرك أنهم قتلوا أخي نهار البارحة .

تاتيانا : وماذا يعني ذلك بالنسبة اليك ؟

يقولاي : أستميحك عذراً ، انما . . .

تاتيانا (مبتسمة) : كفاك ادعاء ، فلست بأسف على أخيك .

وانت لم تحسّ الأسف على انسان أبدأ . مثلي أنا ،

على سبيل المثال . الموت ، أقصد الموت الفجائي ،

صدمة دائماً . لكن اسمح لي أن أؤكد لك أنك لم

تحسّ لحظة واحدة أسفاً صادقاً ، انسانياً ، على أخيك .

فهذا ليس من خصالك .

ثيولاي (متضايقاً) : هذا يبعث على الاهتمام . ماذا تريد مني ؟

ثاتيانا : أفلم تلاحظ أنني وإياك روحان متقاربتان ؟ كلا ؟ هذا مؤسف ! أنا ممثلة - مخلوقة باردة جامدة العواطف ، تتملكني رغبة وحيدة - أن أمثل دوراً جيداً . وأنت أيضاً قاسي القلب ، تواق مثلي الى دور جيد . أخبرني صراحة ، أتريد حقاً أن تكون مدعيّاً عاماً ؟

ثيولاي (بصوت خافت) : أريد أن تكفي عن هذا .
ثاتيانا (ضاحكة بعد فترة صمت قصيرة) : أنني دبلوماسية رديئة . جئت اليك على نية أن . . . أقصد أنني نويت أن أكون لطيفة وفاتنة ، لكنني لم أكد المحك حتى شرعت أهينك . فانت تحفزني دائماً الى الرغبة في إيذائك . أكنت تتنزه أم كنت تستريح ، أكنت تتحدث أم تصدر الأحكام على الناس في صمت . سوى أنني أريد سؤالك . . .

ثيولاي (مطلقاً ضحكة قصيرة) : في امكاني تخمين ذلك .
ثاتيانا : ربما ! لكنني أعتقد أنني تأخرت كثيراً ؟
ثيولاي : سيكون الأوان قد فات في أي وقت . فالسيد سينتزوف متورط جداً .

ثاتيانا : أعتقد انه يرضيك أن تخبرني بهذا ، اليس كذلك ؟
ثيولاي : لا اكنتم ذلك .

ثاتيانا (متنهدة) : هذا يبين بالضبط مبلغ الشبه الذي بيننا . فانا أيضاً حقيرة وضعيفة . قل لي - هل

سينتروف واقع في قبضتك بصورة تامة ، أعني في قبضتك «أنت» على الخصوص ؟

يقولاي : طبعاً .

تاتيانا : وإذا سألتك اطلاق سراحه ؟

يقولاي : لا تستفيدين شيئاً .

تاتيانا : حتى إذا سألتك ذلك بلهفة عظيمة ؟

يقولاي : ذلك لا يغيّر شيئاً . . أنت تدهشينني .

تاتيانا : حقاً ؟ لماذا ؟

يقولاي : أنت امرأة جميلة ذات فكر أصيل من دون ريب .

أنت شخصية . وثمة فرص عديدة أمامك لتعيشي حياة

رخصة مترفة . . . ومع ذلك تهتمين بهذا اللاشيء .

ان الشذوذ مرض ، وكل رجل مهذب ينتابه الغيظ من

جاء تصرّفك . . . وليس من يغفر لك هذا ممسّن

يعجبون بالنساء ويقدرّون الجمال .

تاتيانا (تنظر اليه بفضول) : اذن ، هذا حكمك عليّ !

وأسفاه ! وسينتروف ؟

يقولاي : سيذهب ذلك الجنتلمان الى السجن هذه الليلة .

تاتيانا : اذلك نهائي ؟

يقولاي : أجل .

تاتيانا : دون اية تنازلات اكراماً لسيدة ؟ لا اصدق هذا .

فاذا أنا رغبت في ذلك بشدة ، فسوف تطلق سراح

سينتروف .

يقولاي (بصوت أجش) : حاولي أن ترغبي فيه بشدة -

بشدة عظيمة .

تاتيانا : لا أستطيع . ولا أعرف كيف . لكن ، أصدقني -
ولن يصعب عليك كثيرا أن تصدقني الحقيقة مرة في
حياتك - هل ستفرج عنه ؟

نيقولاي (بعد صمت قصير) : لست أدري .
تاتيانا : أنا أدري ! (صمت ، زفرة حرة) يا لنا من
وضيعين !

نيقولاي : ثمة أشياء لا تغتفر حتى في امرأة .
تاتيانا (في غير مبالاة) : أوه ، ماذا في ذلك ؟ نحن وحيدان .
وليس من يسمعنا . ولي الحق أن أخبرك وأخبر نفسي
أنا كلينا . . .

نيقولاي : أرجوك . لا أريد أن أسمع مزيدا .
تاتيانا (في هدوء واصرار) : وتظل الحقيقة أنك تضع لمبادئك
ثمنًا أرخص من ثمن قبلة من امرأة .
نيقولاي : قلت لك من قبل اني لا أبالي بالاستماع اليك .
تاتيانا (في هدوء) : أخرج من هنا اذن . أنا واثقة أنني لن
أستبقيك .

(يخرج بسرعة . تاتيانا تلفت نفسها بوشاحها ، وتقف في
وسط الغرفة وترنو الى الشرفة . تدخل ناديا والملازم من
جهة اليمين)

الملازم : أقسم لك ان الجندي لا يمكن ان يهين امرأة قط .
فالمرأة مقدسة بالنسبة اليه .
ناديا : حسنا ، سترى .

الملازم : هذا مستحيل . . فالموقف الفروسي من المرأة لم يحتفظ به سوى الجيش وحده .

(يعبران حتى الباب الأيسر . تدخل بوليننا ، زاخار ، وياكوف .)

زاخار : انت ترى ، يا ياكوف . . .

بولينا : لكن كيف يمكن أن يكون الأمر خلاف ذلك ؟

زاخار : يجب ان نواجه الواقع ، فالحاجة ماسة .

تاتيانا : عمّ تتحدثان ؟

ياكوف : انه ينشد لي مرثاة .

بولينا : أن يعدم الشعور على هذه الصورة المدهشة ! الجميع

يلوموننا ، حتى ياكوف ايفانوفيتش ، ذلك الحليم

الوديع أبدأ . . وكأنها خطيئتنا إن جاء الجنود ! ولم

يدع أحد الدرك أيضاً . انهم يجيئون دائماً من تلقاء

أنفسهم .

زاخار : ويلومونني على هذه الاعتقالات !

ياكوف : أنا لا الومك .

زاخار : لم تلمني مباشرة ، ولكنني أشعر . . .

ياكوف (الى تاتيانا) : كنت جالساً هناك عندما قدم وقال :

«حسناً ، يا أخي ؟» فأجبتة : «فسدت الأمور ، يا

أخي» . وهذا كل شيء .

زاخار : أفليس في وسعك أن تفهم أن التبشير بالاشتراكية

على النحو الذي تقدم به ههنا مستحيل في أي مكان

آخر ؟ ذلك لا يمكن ان يحدث أبداً !

بولينا : يمكن للناس جميعاً ان يهتموا بالسياسة وهذا امر ضروري ، لكن ما دخل الاشتراكية بالسياسة ؟ هذا ما يقوله زاخار ، وانه لعل حق .

ياكوف (مكتئباً) : أي صنف من الاشتراكيين هو المعجوز ليفشين ؟ انه يهذي من العمل الشاق ليس غير ، من الانهاك المحض .

زاخار : جميعهم يهدون .

بولينا : يجب أن يكون في قلوبكم شيء من رحمة ، أيها السادة . فلقد قاسينا كثيراً .

زاخار : أعتقدون أنني لا أبالي لأنهم حولوا داري الى محكمة ؟ وذلك كله من صنع نيقولاي فاسيليفيتش ، ولكنكم لا تستطيعون مناقشته بعد مثل هذه المأساة .

كليوباترا (تدخل بسرعة) : أسمعتم ؟ لقد وجدوا القاتل . وهم يسوقونه الى هنا .

ياكوف (متمتماً) : آه ، بحقّ الاله . . .

تاتيانا : من هو ؟

كليوباترا : غلام . وأنا مسرورة . قد لا يكون ذلك انسانياً ،

لكنني مسرورة . وحتى اذا تبين انه صبي صغير ،

فسوف أجعلهم يجلدونه كل يوم حتى المحاكمة . . .

أين نيقولاي فاسيليفيتش ؟ أرايتموه ؟ (تمضي الى

الباب الأيسر ، وهناك تلتقي بالجنرال .)

الجنرال (متجهماً) : هؤلاء أنتم هنا ، متحلقون مثل عصابة من

الدجاج الميتل .

زاخار : ذلك مزعج جداً ، يا عماء .

الجنرال : الدرك ؟ نعم ، ذلك النقيب شاب وقح . وبودي أن
أهزأ به . أهم يقضون الليل هنا ؟

بولينا : لا أظن ذلك . ولم يفعلون ؟

الجنرال : يا للأسف ! لو كانوا باقين هنا ، لأحببتُ رؤيته
وقد انهال سطل من الماء البارد عليه عندما يزحف الى
سريره . هكذا كنت أعامل الضباط الخائرين في فيلقي .
ليس أبعث على السخرية من رؤية رجل مبلل عريان
يدبٌ ويخبٌ ويصيح .

كليوباترا (تقف قرب الباب) : لماذا بربك تتحدث هكذا ، يا
جنرال ! ان النقيب رجل محترم ونشيط كل النشاط .
ولم يكذب حتى قبض على كل المجرمين . يجب أن
نقدّر ذلك حق قدرة . (تخرج)

الجنرال : هم . . . كل رجل طويل الشاربين هو رجل محترم
بالنسبة اليها . لكن ينبغي للناس أن يعرفوا أماكنهم .
هذه هي القضية . هذا هو سر الاحترام . (يخطو
صوب الباب الأيسر .) كون !

بولينا (في صوت خافت) : يخيل الى المرء أنها المسؤولة عن
جميع الأمور هنا . أنظروا فقط كيف تتصرف ! بكل
هذه الجفوة وقلة الأدب !

زاخار : لو أنهم يسرعون وينهون الأمر ! لشدّ ما أتوق الى
السلام والهدوء !

ناديا (تدخل راکضة) : أيتها العمّة تاتيانا ، ذلك الملازم
غبيّ تماماً ! أعتقد أنه يضرب جنوده . . . لله كيف
راح يدور ويزعق ويكشر . يجب أن يسمحوا للموقوفين

برؤية زوجاتهم ، يا زاخار ايفانوفيتش . ان خمسة من أولئك الرجال متزوجون . فاخرج وقل لذلك الدركي . . . انه هو المكلف بالأمر .

زاخار : لكن أنت ترين ، يا ناديا . . .

ناديا : أرى أنك لا تتحرك . هيا اذهب . أخرج ، أخرج واخبره . هنّ يبكين . هيا ، أقول لك اخرج .

زاخار (وهو خارج) : أخشى ألا يفيد ذلك شيئاً .

بولينا : أنت تزعجين الجميع على الدوام ، يا ناديا .

ناديا : بل أنتم الذين تزعجون الجميع دائماً .

بولينا : نحن ؟ فكرى فقط فيما . . .

ناديا (مهتاجة) : أجل ، نحن ، نحن جميعاً - أنت وأنا وزاخار

ايفانوفيتش . نحن الذين لا نبرح نزعج الناس . نحن

لا نفعل شيئاً ، ولكن هؤلاء الجنود والدركي جاؤوا

بسببنا ، وهذه القضية كلها بدأت بسببنا أيضاً .

وقد اوقف أولئك الناس ، والنساء يذرفن العبرات .

وكل ذلك بسببنا نحن !

تاتيانا : تعالي هنا ، يا ناديا .

ناديا (تسير نحوها) : حسنا ، ها أنا ذي . ماذا تريدان ؟

تاتيانا : اجلسي وهدئي من روعك . أنت لا تفهمين شيئاً ،

وليس ما تستطيعين القيام به . . .

ناديا : أترين ، ليس لديك حتى ما تقولين . وأنا لا أريد أن

أهدى من روعي . لست أريد ذلك .

بولينا : كانت أمك المرحومة على حق يوم قالت انك فتاة

عنيذة صعبة المراس .

ناديا : أجل ، كانت على حق . كانت تكسب الخبز الذي
تأكله . اما انتم - ماذا تفعلون ؟ وخبز من تأكلون ؟
بولينا : هذي هي تثرثر ثانية ! يجب أن اطلب اليك تغيير
لهجتك ، يا ناديا . كيف تجرئين على الصياح في وجه
مَنْ يكبرك سنًا ؟

ناديا : انتم لا تكبرونني سنًا . انتم شيوخ فقط . وهذا كل
شيء .

بولينا : تاتيانا ، كل هذا من تأثيرك ، وينبغي لك أن
تخبريها أنها فتاة صغيرة غبية ليس غير .

تاتيانا : أسمعتِ ؟ أنت فتاة صغيرة غبية . (تربت على
كتفها .)

ناديا : أليس ثمة ما تقولون غير هذا ؟ لا شيء ! انتم لا
تستطيعون حتى الدفاع عن أنفسكم . . . يا لهؤلاء
الناس ! ماذا تستطيعون أن تفعلوا ؟ لا شيء . انتم ،
في الحقيقة ، لا تصلحون لشيء ، حتى ولا هنا في بيتكم
الخاص . بكل بساطة ، لا تصلحون لشيء .

بولينا (في حدة) : أو تفهمين ما يثرثر به لسانك ؟

ناديا : هؤلاء الناس جميعاً جاؤوا الى هنا - درك ، جنود ،
حمقى ذوو شوارب طويلة ، وكل ما يفعلون هو اصدار
الأوامر ، وشرب الشاي ، والقرقعة بسيوفهم ، والقعقة
بمهاميزهم ، والتجول ضاحكين مكشرين عن
أنيابهم . . . يقبضون على الناس ، ويزعقون في
وجوههم ، ويهددونهم ، ويجعلون النساء يذرفن

العبرات . وأنتم ؟ ما نفعكم ههنا ؟ لقد رموا بكم في
احدى الزوايا . . .

بولينا : أنت تنطقين بالهراء ! هؤلاء الناس جاؤوا لحمايتنا .
ناديا (بمرارة) : آه ، أيتها الخالة بولينا ! ليس في قدرة
الجنود حماية أي شخص من الغباء ! هذا في الحقيقة
ليس في قدرتهم .

بولينا (ساخطة) : ما . . . ذا ؟

ناديا (تمدّ ذراعيها نحوها) : لا تغضبي . أني أقصد الجميع .
(تخرج بولينا مهرولة) يا الهي ، لقد هربت . ستخبر
زاخار ايفانوفيتش اني فظة غير طيعة ، وسوف
يوبخني طويلاً حتى ان الذباب يتساقط ميتاً من
الضجر .

تاتيانا (متفكرة) : لست أتصور كيف ستتابعين الحياة في هذا
العالم !

ناديا (تومئ بذراعيها ايماءة عريضة) : لن أعيش هكذا ! لن
أعيش هكذا بأي ثمن ! ولا أدري ماذا أنا فاعلة . . .
لكنني لن أفعل شيئاً كما تفعلونه أنتم . لقد عبرت
الشرفة منذ فترة مع ذلك الضابط ، فرأيت غريكوف
يراقبنا ، يدخن وعيناه تضحكان . ومع ذلك فهو يعرف
أنهم سيرسلون به الى السجن . أفلا ترين ؟ أولئك
الذين يعيشون حسبما يريدون أن يعيشوا لا يخافون
شيئاً . وهم على الدوام مغتبطون مرحون . واني لأخجل
من النظر الى ليفشين وغريكوف ! لست أعرف الآخرين ،

أما هذان . . . لن أنساها أبداً . آه ، ها قد أقبل
الأحمق ذو الشاربين . آو - و - وه !
بوبيوف (داخلاً) : ما أرهب ذلك ! من ذلك الذي
تحاولين اخافته ؟

ناديا : اني خائفة منك . أفلن تسمح للنساء بالذهاب الى
أزواجهن ؟

بوبيوف : كلا ، لن أسمح . فأنا وغد نذل !
ناديا : لا ريب في هذا ، ما دمت من الدرك . ولم لا تسمح
للنساء بالذهاب الى أزواجهن ؟

بوبيوف (في أدب) : هذا مستحيل في الوقت الحاضر . فيما
بعد ، عندما يساق الرجال سأسمح لهم بتوديعهن .
ناديا : ولكن ، لم ذلك مستحيل ؟ ذلك كله يتوقف عليك ،
أليس كذلك ؟

بوبيوف : لا عليّ . . بل على القانون .
ناديا : أوه ، وما شأن القانون بهذا ؟ اسمح لهن بذلك ،
أرجوك .

بوبيوف : ماذا تعنين بقولك - ما شأن القانون بهذا ؟
أتحددين القانون ، أنت أيضاً ؟ هيا ، هيا !

ناديا : لا تخاطبني بمثل هذه اللهجة . فلست طفلة صغيرة .
بوبيوف : ألسن طفلة الآن ؟ الأطفال والثوار وحدهم
يتحدون القانون .

ناديا : اذن ، أنا ثورية .
بوبيوف (ضاحكاً) : أوهو ! اذن من واجبي أن أزجّ بك في
السجن . أعتقلك وأرمي بك في السجن !

ناديا (بشقاء) : لا تجعل من ذلك هزلاً . اسمح لهن بالدخول .

بوبيدوف : هذا ما لا أستطيع . انه القانون .

ناديا : القانون الأحق .

بوبيدوف (جاداً) : هم . . . ينبغي ألا تقولي هذا . اذا لم تكوني طفلة كما تزعمين ، فعليك أن تفهمي أن القوانين يصوغها أولئك الذين يملكون زمام السلطة ، وبدونها لا يمكن أن تكون دولة .

ناديا (في حرارة) : قوانين ، سلطة ، دولة ! لكن قل لسي بربك ، أفلم تخلق هذه الأشياء من أجل الشعب ؟

بوبيدوف : هم . . . طبعاً . يعني من أجل النظام في المحل الأول .

ناديا : اذن ، فهذا النظام سيي* ، اذا كان يبكي الناس . لسنا في حاجة الى سلطتكم والدولة اذا كانا يُبكيان الناس ! الدولة ! يا للحماقة ! ماذا أبغي منها ؟ (تتجه صوب الباب .) الدولة ! فيم يدس الناس في أمور لا يفهمون منها شيئاً ؟ (تخرج . يرتبك بوبيدوف نوعاً ما)

بوبيدوف (الى تاتيانا) : فتاة أصيلة العقلية ، لكن ذات انحرافات خطيرة في التفكير . . . يبدو أن زوج خالتها ذو آراء حرة . ألسنت مصيباً ؟

تاتيانا : ينبغي أن تعرف ذلك أفضل مني . فانا لا أعرف المقصود من الآراء الحرة .

بوبيدوف : ماذا تعنين ؟ الجميع يعرفون هذا . ازدراء

أصحاب السلطة - تلك هي الليبرالية . لكن لنغيرنّ
الموضوع . شاهدتك في فورونيچ ، يا سيّدة لوغونايا .
نعم ، من دون شك ، ولقد سُحرت بتمثيلك المعجز .
تمثيل رائع ، وربّي ! ولعلك لاحظت وجودي - فأنا
أجلس دائماً الى جانب نائب الحاكم . كنت في ذلك
الوقت ياوراً في الادارة المحلية !

تاتيانا : لا ، لا أذكر ذلك . ان الدرك موجودون في كل
مدينة ، فيما أعتقد .

بوبيدوف : آه ، نعم ، صحيح . في كل مدينة بدون
استثناء ! واسمحي لي أن أخبرك أننا ، نحن أناس
الادارة المحلية ، المحبون الصادقون للفن . حسناً ،
لربما التجار أيضاً . خذي مثلاً على ذلك التبرعات لابتياح
هدية لمثلة مشهورة بمناسبة تمثيلها في حفلة خاصة
بها . لسوف تجدین أسماء جميع ضباط الدرك في كل
لائحة . وهذا تقليد مرعي الاجراء بيننا ، اذا صح
التعبير . هل لي أن أسأل أين تنوين التمثيل في
الموسم القادم ؟

تاتيانا : لم أقرر بعد . وطبيعي أن ذلك سيكون في مدينة
تضمّ محبين صادقين للفن . هذا ما لا يمكن اجتنابه ،
فيما أعتقد ؟

بوبيدوف (دون أن يفهم ما عنته) : آه ، طبعاً . ستجدينهم
في كل مدينة . وعلى أي حال ، فالناس يزادون ثقافة .
كفاش (من على الشرفة) : انهم يحضرون ذلك الفتى ،
يا سيدي ، ذلك الذي أطلق النار ! أين تريده ؟

بوبيدوف : هنا . . . جيئوا بالجميع الى هنا . نادِ مساعد المدعى العام . (الى تاتيانا) أستميحك عذراً ، يجب أن ألتفت الى عملي فترة من الوقت .

تاتيانا : هل ستستجوبهم ؟

بوبيدوف (في أدب) : فترة من الوقت . بشكل سطحي تماماً - لأتعرف اليهم فقط . . . تلاوة أسمائهم ليس غير ، اذا صح التعبير .

تاتيانا : هل أستطيع الحضور ؟

بوبيدوف : هم . هذا ليس مألوفاً علي العموم . ليس في القضايا السياسية . لكن ما دامت القضية جنائية ، وما دما لسنا في دوائرنا الخاصة ، فيسرني أن أحقق لك هذه الرغبة . . .

تاتيانا : لن يراني أحد . سأراقب القضية من هناك .

بوبيدوف : رائع ! أنا سعيد جداً لاستطاعتي أن أردد لك بعض السرور الذي أعطانيه تمثيلك . علي أن أذهب الآن لاحضار بعض الأوراق الهامة . (يخرج . يدخل من الشرفة عاملان كهلان يقودان ريابتروف كل من ذراع . يسير كون الى جانبهم ، وهو يختطف نظرات مسترقة الى وجه السجين . يسير خلفهم كل من ليفشين وياغودين وغريكوف وبعض العمال والدرك .)

ريابتروف (غاضباً) : لماذا أوثقتم يدي ؟ حلوا وثاقي !
هيا !

ليفشين : حلوا وثاق يديه ، يا فتيان . لماذا تذلولونه ؟
ياغودين : لن يهرب .

أحد العمال : يجب أن نفعل ذلك . فالقانون يأمر بأن نشد
وثاقه .

ريابتروف : لن أقبل بذلك ! حلوا وثاقي !
عامل آخر (الى كفاش) : أنفعل ذلك ، يا سيدي ؟ فالفتى
هادئ ساكن . لا نستطيع أن نصدق أنه قد يكون ذلك
الذي . . .

كفاش : حسناً . حلوا وثاقه .
كون (فجأة) : لقد قبضتم على شخص آخر ! كان هذا الفتى
عند النهر حين اطلاق النار . لقد رأيته ، وكذلك رآه
الجنرال ! (الى ريابتروف) تكلم ، أيها الأحمق ! هيا ،
قل لهم انك لست من فعل ذلك . فيم سكوتك ؟
ريابتروف (في حدة) : أنا أطلقت النار .

ليفشين : أعتقد أنه يعرف أكثر منك ، أيها الجندي . . .
ريابتروف : أنا هو !

كون (صائحاً) : أنت تكذب ! أنت تنوى الاخلال بالأمن !
(يدخل بوبويدوف ونيقولاي سكروبوتوف .) لقد كنت
تجذب على صفحة الماء وتغني ساعة حدث هذا . . .
أستطيع أن تنكر ذلك ؟

ريابتروف (في هدوء) : كان هذا فيما بعد .

بوبويدوف : أهذا هو ؟

كفاش : نعم ، يا سيادة النقيب .

كون : كلا ، ليس هو .

بوبويدوف : ماذا ؟ كفاش ، أخرج هذا العجوز . كيف دخل
هذا العجوز الى هنا ؟

كفّاش : انه وصيف الجنرال ، يا سيادة النقيب .
نيقولاي (متفحصاً ريباتزوف) : لحظة واحدة ، يا بوغدان

دينيسوفيتش . دعه وشأنه ، يا كفّاش .

كون : أرفع يديك عني . فأنا جندي أيضاً .

بوبويوف : لا بأس ، يا كفّاش !

نيقولاي (الى ريباتزوف) : أنت الذي قتلت المعلم ؟

ريباتزوف : نعم أنا .

نيقولاي : ولم فعلت ذلك ؟

ريباتزوف : كان يعاملنا بقسوة .

نيقولاي : ما اسمك ؟

ريباتزوف : بافل ريباتزوف .

نيقولاي : آه . . . ماذا كنت تقول ، يا كون ؟

كون (شديد الاضطراب) : لم يقتله ! كان على النهر حينما

حدث ذلك ! . . وأنا على استعداد لأن أقسم على هذا .

الجنرال وأنا رأيناه . بل لقد قال الجنرال : «أفلن

يكون طريفاً أن نقلب مركبه ونجعله يغطس في الماء؟»

. . . هذا ما قال . أسمعني ، أنت أيها المخاتل ؟

ترى ، ما الذي تطبخه ؟

نيقولاي : ما الذي يجعلك على مثل هذا اليقين من أنه كان

على صفحة النهر حينما حدثت الجريمة ، يا كون ؟

كون : لا بدّ من مسيرة ساعة من المصنع حتى المكان حيث

كان .

ريباتزوف : لقد ركضت .

كون : كان يجذف في قارب ويغني . أنت لا تطلق عقيرتك
بالغناء عندما تكون قتلت انساناً لتوك .

نيقولاي (الى ريباتزوف) : أتدرك أن القانون صارم جداً بحق
الذين يدلون بمعلومات كاذبة ويحاولون اخفاء معالم
الجريمة ؟ . . أتدرك هذا ؟

ريباتزوف : لست أبالي .

نيقولاي : حسناً . اذن ، فأنت الذي قتلتَ المدير ؟

ريباتزوف : نعم ، أنا .

بوبويدوف : الوحش !

كون : انه يكذب !

ليفشين : أنت لستَ من هنا ، أيها الجندي !

نيقولاي : ماذا ؟

ليفشين : أقول انه ليس من هنا ، ويظلّ يتدخل . . .

نيقولاي : وما الذي يجعلك تظن أنك من هنا ؟ لعلّ لك في

الجريمة ضلعاً ؟

ليفشين (ضاحكاً) : أنا ؟ قتلت مرة أرنباً بعصاي ، فكنت

أتعذب كثيراً .

نيقولاي : إذن احتفظ بفمك مقفولاً . (الى ريباتزوف) أين

المسدس الذي استعملتَ ؟

ريباتزوف : لست أدري .

نيقولاي : ما نوعه ؟ صفه لنا .

ريباتزوف (متضيقاً) : مانوعه ؟ النوع العادي .

كون (متهللاً) : يا للفاجر ! لم يرسَ قط مسدساً في

حياته !

نيقولاي : وما حجمه ؟ (يصنع اشارة تبلغ نصف ذراع بيديه .) أبهذا الطول ؟
ريابتروف : نعم . . . أوه ، لا ، أصغر .
نيقولاي : لحظة واحدة ، يا بوغدان دينيسوفيتش . . .
(ينتحي بوبويدوف زاوية ويخفض صوته) ان في هذه القضية خديعة . يجب أن نكون أشد قسوة مع هذا الفتى . فلنتركه وحيداً حتى يجيء مفتش المباحث .
بوبويدوف : ولم نفعل ذلك ؟ . . لقد اعترف بكل شيء .
نيقولاي (بصورة ذات مغزى) : انت وأنا نشتبه أن هذا الفتى ليس هو القاتل ، بل مجرد قناع يخفي المجرم الحقيقي ، هل تفهم ؟

(يدخل ياكوف باحتراس سكران حتى الشماله ، ويقف قريباً من تاتيانا صامتاً يتطلع حوالية . ومن حين لآخر يسقط رأسه على صدره وكأنه يغفو ، ومن ثم ينفضه الى الخلف ويروح يرنو حوالية وقد ارتسمت على وجهه نظرة رعب)

بوبويدوف (دون أن يفهم) : آه - - - هيم - م .
أجل ، أجل . تصوّر ذلك !
نيقولاي : تلك مؤامرة ! جريمة جماعية .
بوبويدوف : يا للوغد !
نيقولاي : فليأخذ العريف الآن ويحرص على الاحتفاظ به في حبس انفرادي ضيق . سأخرج لحظة . تعال معي ، يا كون . أين الجنرال ؟

كون : انه يحفر التراب بحثاً عن دودة صيد السمك .

(يخرجان)

بوبويلوف : كفاش ، خذ هذا الفتى من هنا ، وراقبه ! راقبه جيداً ، هيا !

كفاش : حاضر ، يا سيادة النقيب . تعال ، يا فتى !
ليفشين (بتأثر) : وداعاً ، يا بافل . وداعاً ، يا صديقي . . .
ياغودين (متجهماً) : وداعاً ، يا بافل .
ريابتزوف : وداعاً . لا بأس .

(يخرجون ريابتزوف)

بوبويلوف (الى ليفشين) : أتعرفه ، أيها العجوز ؟

ليفشين : طبعاً أعرفه . فنحن نعمل معاً .

بوبويلوف : ما اسمك ؟

ليفشين : ييفيم ييفيموفيتش ليفشين .

بوبويلوف (في صوت خفيض الى تاتيانا) : هلا راقبت

التطوّرات الآن . (الى ليفشين) قل لي الحقيقة ، يا

ليفشين ، فأنت رجل عجوز عاقل . يجب عليك ، دائماً ،

أن تقول الحقيقة لرؤسائك .

ليفشين : أجل ، من دون ريب . وفيّمْ أكذب ؟

بوبويلوف (في نشوة) : هذا حسن . والآن ، أصدقني

القول ، ماذا تخبي' خلف الأيقونات في بيتك ، ايه ؟
الحقيقة ، تذكر !

ليفشين (في هدوء) : لا شيء .

بوبويدوف : أهذه هي الحقيقة ؟

ليفشين : نعم ، هذه هي .

بوبويدوف : ألا تخجل ، يا ليفشين ! ها أنت ذا ، أصلح

شائب ، ومع ذلك تكذب مثل طفل صغير . ان رؤساءك

يعرفون ليس أفعالك فقط ، بل وأفكارك أيضاً . هذا

مخز ، يا ليفشين . ما هذه الأشياء التي في يدي ؟

ليفشين : لا أستطيع الرؤية . نظري ضعيف .

بوبويدوف : سأقول لك ما هي . انها كتب منعها حكومتنا ،

كتب تحرض الناس على الثورة ضد القيصر . وقد

وجدت هذه الكتب خلف الأيقونات في بيتك ! والآن ،

ما قولك ؟

ليفشين (في هدوء) : لا شيء .

بوبويدوف : اعترف انها تخصك ؟

ليفشين : من المحتمل انها تخصني . فالكتب جميعاً متشابهة .

بوبويدوف : لماذا تكذب في شيخوختك ؟

ليفشين : لقد أخبرتكم بالحقيقة الصريحة ، يا صاحب

السعادة ، سألتني عما يوجد خلف الأيقونات في بيتي ،

ولما سألتني مثل هذا السؤال عرفت' انه لا يمكن أن

يكون شيء خلف الأيقونات لأنكم أخذتموه . وهذا ما

قلت' أنا - لا شيء . لم تجرب أن تخجلني ؟ أنا لم

أصنع شيئاً أخجل منه .

بوبيدوف (مرتبكاً) : هكذا تأخذ الأمور اذن ! انما ينبغي أن
أطلب اليك أن تقتصد في الحديث . . فليست رجلاً
يتحامق الناس عليه . من أعطاك هذه الكتب ؟
ليفتشين : لِمَ تريد أن تعرف ذلك ؟ ليس في وسعي اخبارك ،
لأنني في الواقع نسيت من أين حصلت عليها . فلا
تقلق لمثل هذا الشيء التافه .

بوبيدوف : ماذا ؟ حسناً جداً ! الكسي غريكوف ! من منكم
غريكوف ؟

غريكوف : أنا .

بوبيدوف : هل سبق أن رفعت القضية بحقك في سمولنسك
بخصوص نشر الدعاية الثورية بين العمال ؟

غريكوف : نعم ، هذا صحيح .

بوبيدوف : مثل هذا الفتى الصغير السن ، ويتمتع بمثل هذا
الذكاء ! يسعدني جداً أن أتعرف اليك . . أيها الدرك ،
خذوا هؤلاء القوم حتى الشرفة خارجاً ! فالجو يصبح
خانقاً هنا . ياكوف فيريباييف ؟ حسناً . . . أندريه
سفيستوف ؟

(الدرك يقودون الجميع حتى الشرفة ، يتبعهم بوبيدوف
والقائمة في يده)

ياكوف (في لطف) : أحب هؤلاء الناس .

تاتيانا : أفهم ذلك ، ولكن لِمَ كل شيء فيهم على مثل هذه
البساطة ؟ . لِمَ يتكلمون بكل هذه البساطة وينظرون

الى الأمور بكل هذه البساطة ؟ لماذا ؟ أفلا تحركهم
أهواء ؟ أفليس عندهم بطولة ؟

ياكوف : انهم يملكون ايماناً ثابتاً بعدالة قضيتهم .
تاتيانا : لا يمكن ألا تحركهم أهواء - أو بطولة . أفلمست
تشعر جيداً بازدرائهم لكل شخص ههنا ؟

ياكوف : ليفشين ذلك رجل عظيم . يا لعينيه الحزيتين
والودودتين والذكيتين ! يلوح أنه يقول : «ما جدوى
ذلك كله ؟ لو أنكم تتنحون عن طريقنا وتمنحونا
حريتنا ! لو أنكم تتنحون عن طريقنا !» .

زاخار (يتطلع من الباب) : ان حماقة هؤلاء السادة الذين
يمثلون القانون تبعث على الدهشة بكل بساطة . لقد
طينخوا محاكمة رائعة ! ونيقولاي فاسيليفيتش يتصرف
وكأنه فاتح للعالم .

ياكوف : اعتراضك الوحيد ، يا زاخار ، هو أن هذه القضية
تنفذ تحت أنفك .

زاخار : حسنا ، كان يمكن أن يخلصوني من هذه المسرة !
لقد جنّت ناديا تماماً . كانت وقحة مع بولينا ومعى ،
وهي تسمى كليوباترا بالهرة المتوحشة ، وهذه هي
الآن متكوّرة على الكنبه في غرفتي وقد انتفتحت عينها
من البكاء . السماوات وحدها تعرف ماذا يجري هنا !
ياكوف (متفكراً) : وانني لأزداد نفوراً واشمئزأاً من فكرة
هذا الذي يحدث يا زاخار .

زاخار : أستطيع تقدير ذلك . . . لكن ماذا نفعل ؟ عندما
يهاجمونك ، يجب أن تدافع عن نفسك . لم يبق في

الدار زاوية واحدة تشمّ منها عبق البيت . . . وكان
كل شيء يقف على رأسه . والأمطار تحيل كل شيء
بارداً رطباً . . . يا له من خريف باكر !

(يدخل نيقولاي وكليوباترا وكلاهما متهيجان)

نيقولاي : أنا على يقين الآن من أنهم رشوه !
كليوباترا : لم يكن في مقدورهم التفكير بهذا من تلقاء
أنفسهم . لا ريب أن في هذه القضية انساناً يحمل
رأساً طيباً فوق كتفيه .

نيقولاي : أتشتبهين في سينتروف ؟
كليوباترا : ومن سواه ؟ آه ، ها هو السيد بوبويدوف .
بوبويدوف (يدخل من الشرفة) : في خدمتك !
نيقولاي : انني موقن اليقين كله أن ذلك الفتى قد ارتشى
(يتحدث هامساً .)

بوبويدوف (في صوت خفيض) : أو - وه ! هم - م -
م . . .

كليوباترا (الى بوبويدوف) : اتفهم ؟
بوبويدوف : هم - م - م . تصوري هذا ! يا للاوغاد !

(يختم نيقولاي والنقيب عبر الباب المزدوج وهما يتناقشان
في حمية . كليوباترا تتطلع حوالها فتقع أنظارها على
تاتيانا) .

كليوباترا : اوه ! أنت هنا !

تاتيانا : هل حدث شيء جديد ؟

كليوباترا : لا أعتقد أن ذلك يهمك في كثير أو قليل . هل

بلغك خبر سينتزوف ؟

تاتيانا : نعم .

كليوباترا (متحدية) : لقد أوقفوه . ما أعظم سروري اذ

استأصلوا أخيراً شأفة جميع العناصر الشريرة في

المعمل . ألسنت مسرورة ؟

تاتيانا : لا أعتقد أنك تبالين بمشاعري .

كليوباترا (في سرور خبيث) : كنت تتعاطفين مع سينتزوف

ذاك . (ترق ملامحها وهي ترنو الى تاتيانا .) ما أغرب

طلعتك ! وكأنك تعانين العذاب المرّ . . . لماذا ؟

تاتيانا : أعتقد أنه الطقس .

كليوباترا (تدنو منها) : اسمعي . لعلّ هذا حماقة ، لكن . . .

أنا مخلوقة صريحة . وقد رايت في الحياة كثيراً .

أغرمت كثيراً ، فأمسي عيشي نكيداً . وأنا اعرف أن

المرأة وحدها يمكن أن تكون صديقة امرأة أخرى .

تاتيانا : أتريدن أن تسأليني شيئاً ؟

كليوباترا : أن أخبرك شيئاً . انني معجبة بك . فانت ، على

الدوام ، حرة في أعمالك ، وتتأقنين في ملابسك .

وتعرفين كيف تعاملين الرجال . وأنا أحسدك ، أحسد

طريقتك في الحديث ، وطريقتك في المشي . لكنني لا

أحبك في بعض الأحيان . بل وأكرهك .

تاتيانا : هذا يبعث على الاهتمام . لماذا ؟
كليوباترا (بلهجة غريبة) : من أنتِ ؟
تاتيانا : ماذا تقصدين . . .

كليوباترا : لا أستطيع سبيلاً الى اكتشاف هويتك . أحب أن أكون صورة واضحة عن الناس ، وأن أعرف ما يبغون . ويصور لي أن الناس الذين لا يعرفون ماذا يبغون هم ناس خطرون . فهم لا يمكن أن يؤتمن جانبهم .

تاتيانا : هذا قول غريب . لماذا تخبريني بوجهات نظرك ؟
كليوباترا (في اندفاع وقلق) : يجب أن يكون الناس اخوة ، قريبين من بعضهم البعض ، بحيث يثقون ببعضهم بعضاً ! أفلا ترين ماذا يجري ؟ انهم بدأوا يقتلوننا ويسعون الى سرقتنا . أفلم تلاحظي تلك الوجوه اللصوصية التي كانت لأولئك الموقوفين ؟ أوه ، انهم يعرفون ماذا يريدون معرفة تامة ! وهم يعيشون في صداقة وثيقة ! ويثقون ببعضهم البعض ! انني أكرههم وأخافهم ! نحن نعيش في البغضاء ، لا نؤمن بأي شيء ، ولا نرتبط بأي شيء . فكل انسان يعيش على هواه . . . نحن نعتمد على الجنود والدرك - وهم يعتمدون على أنفسهم . وهم أقوى منا !

تاتيانا : وأنا أيضاً أحب أن أسألك سؤالاً صريحاً . أكنت سعيدة مع زوجك ؟

كليوباترا : فيم تسألين مثل هذا السؤال ؟

تاتيانا : بدافع الفضول الخالص .

كليوباترا ('بعيد برهة تأمل) : كلا . فقد كان أبدأً مشغولاً
بقضايا أخرى لا تتيج له التفكير في . . .

بولينا (وهي تدخل) : أبلغكما الخبر ؟ تبين أن ذلك الكاتب
سينتزوف اشتراكي . وكان زاخار يطلععه على كل
شيء ، بل كان يريد أن يجعل منه مساعد المحاسب !
وطبيعي أن ليس لهذا أهمية كبيرة ، لكن أنظرا كم
أصبحت الحياة معقدة . ان أولئك الذين خلقوا أعداء
مبدئين لكم يستطيعون العيش بجواركم من دون أن
يخطر لكم ذلك في بال مطلقاً !

تاتيانا : شكراً لله لأنني لست ثرية .

بولينا : لن تقولي هذا عندما تهرمين . (بلطف ، الى
كليوباترا) كليوباترا بتروفنا ، انهم ينتظرونك من
أجل البروفة . وقد أرسلوا النسيج الحريري .

كليوباترا : حسناً . ثمة شيء على غير ما يرام - فقلبي
ينبض بشدة ! وأنا لا أطيق أن أمرض .

بولينا : اذا أردت أعطيتك بعض القطرات لقلبك . فهي تفيد
حقاً .

كليوباترا (وهي خارجة) : هذا لطف كبير منك .

بولينا : سألحق بك بعد لحظة . (الى تاتيانا) من الضروري أن
نعاملها بلطف ، فاللطف يفعل فعل المهدىء . ما أشد
غبطني اذ تحدثت اليها . . . وعلى العموم ، فانا
أحسبك ، يا تاتيانا . . . أنت ماهرة على الدوام في

اتخاذ الموقف الحيادي المريح . . . سأذهب وأعطيتها
بعض القطرات .

(تغادر الغرفة ، فتتطلع تاتيانا الى الشرفة حيث صفّ الجنود
الرجال الموقوفين . يمدّ ياكوف رأسه من الباب .)

ياكوف (مكايدياً) : كنت طوال الوقت ههنا أسترق السمع .
تاتيانا (في شرود) : يقولون ان استراق السمع ليس بالأمر
المستحب .

ياكوف : على العموم ، ليس سماع أقوال الناس مما يبعث على
السرور . ذلك يجعلك تترثين لهم . حسناً ، يا تاتيانا ،
أنا راحل .

تاتيانا : الى أين ؟

ياكوف : الى مكان لا أعرفه بعد . وداعاً .

تاتيانا (بعاطفة) : وداعاً . أكتب لي .

ياكوف : أصبح هذا المكان بغيضاً .

تاتيانا : ومتى ترحل ؟

ياكوف (في ابتسامة مفتضبة) : اليوم . لعلك ترحلين أيضاً ؟

تاتيانا : أجل ، اني أنوي الرحيل . لماذا تبتسم ؟

ياكوف : لا لسبب خاص . قد لا نلتقي ثانية .

تاتيانا : هراء !

ياكوف : اصفحي عني ! (تقبل تاتيانا جبهته . يضحك قليلاً

وهو يدفعها عنه .) قبلتني كما لو كنت جثة

بالضبط . (يخرج على مهل . وبينما تاتيانا تراقبه ، تميل

الى اللحاق به ، لكنها توميّ بحركة ضعيفة من ذراعها .

تدخل ناديا حاملة مظلة .)

ناديا : تعالي الى الحديقة معي . . أرجوك ، تعالي . فانسا
أعاني صداماً في رأسي من كثرة البكاء . كنت أنوح
مثل حمقاء . وان ذهبت وحدي فسأعود الكرة من
جديد .

تاتيانا : ولماذا تبكين ، يا صغيرتي ؟ ليس ما يدعو الى البكاء .
ناديا : كل شيء يبعث على الحيرة - فأنا لا أستطيع ان أفهم
شيئاً من هذه الأمور كلها . من هو على حق ؟ زوج خالتي
يقول هو . . . لكنني لا أصدقّه . أهو رجل لطيف ،
زوج خالتي ؟ كنت دائماً أعتقد ذلك . . . أما الآن
فلست واثقة منه . وحينما يحدثني أشعر وكأني ، أنا
نفسي ، وضيفة بلهاء . . . وعندما أفكر فيه - وأطرح
الأسئلة على نفسي لا أفهم شيئاً !

تاتيانا (في حزن) : اذا بدأت تسألين نفسك ستصبحين ثورية .
وستتلاشين في ذلك التيه ، يا عزيزتي . .
ناديا : حسناً ، لا بدّ لي ان أصبح شيئاً ما ، اليس كذلك ؟
(تضحك تاتيانا في لطف) ماذا يضحكك ؟ طبعاً لا بدّ
لي . فانت لا تستطيعين الاستمرار في الحياة وانت
تطرفين بعينيك فقط دون ان تفهمي شيئاً !
تاتيانا: أنا اضحك لأن الجميع يقولون هذا اليوم - الجميع ،
وبصورة مباغتة .

(تخرجان ، وفي طريقهما تلتقيان بالجنرال والملازم . يتعد
هذا الأخير برشاقة عن دربهما .)

الجنرال : التجنيد ضروري ، أيها الملازم ! وهو يخدم هدفاً
مضاعفاً . (الى ناديا وتاتيانا) أين تذهبان ؟
تاتيانا : في نزهة .

الجنرال : اذا التقيتما بذلك الكاتب . . ما اسمه ؟ ما اسم
ذلك الشاب الذي قدّمته لك قبل برهة ، أيها الملازم ؟
الملازم : بوكاتي * ، يا صاحب السعادة .

الجنرال (الى تاتيانا) : أرسله لي . سأكون في غرفة الطعام
أتناول الشاي والكونياك مع الملازم . ها - ها - ها !
(يرنو حواليه ، وقد غطي فمه بيده .) شكراً ، أيها
الملازم ! فذاكرتك عظيمة ممتازة ! وهذا شيء حميد .
على الضابط أن يتذكر اسم ووجه كل جندي في قطعه .
عندما يكون الجندي حديث عهد ، فهو يكون شرساً
مكثراً - خبيثاً وغيبياً وكسولاً . ويتغلغل الضابط في
باطنه وينتظم كل شيء من جديد ، بحيث يخلق من
الحيوان الشرس انساناً - انساناً عاقلاً يعرف واجبه
كل المعرفة . .

(يدخل زاخار ، يبدو عليه الاضطراب .)

زاخار : رأيت ياكوف ، يا عماء ؟
الجنرال : كلا ، لم أره . . أيقدمون الشاي هناك ؟
زاخار : نعم . (يخرج الجنرال والملازم . يدخل كون ، غاضباً
أشعث الهمد ، من الشرفة .) كون ، رأيت أخي ؟

* تلاعب بالألفاظ . كلمة «بوكاتي» مرادف لكلمة
«بولوغي» وتعني «منحنى» بالروسية . الناشر .

كون (متجهماً) : كلا . اني احتفظ بقمي مغلِقاً من الآن فصاعداً ، حتى اذا رأيتَه فلن أقول شيئاً . لقد بُحْتُ بآرائني كثيرا طول حياتي ، وشكراً .

بولينا (داخلة) : جاء أولئك الفلاحون من جديد يسألونك أن تؤجل دفع ما يستحق عليهم .

زاخار : اختاروا أطيب الأوقات !

بولينا : يشكون أن المحصول كان سيئاً ، وانهم لا يملكون ما يدفعون .

زاخار : هم دائماً يشكون ! . . ألم تري مصادفة ياكوف في مكان ما ، ايه ؟

بولينا : كلا . ماذا أقول لهم ؟

زاخار : الفلاحون ؟ فليذهبوا الى المكتب . . لا أنوي التحدث اليهم .

بولينا : لكن ليس في المكتب انسان . وانت نفسك تعرف ان الفوضى الشاملة تعم كل شيء . لقد أزف وقت الغداء ، وذلك النقيب ما يزال يطلب الشاي . والسماور لم يُنقل من غرفة الطعام منذ الصباح . بينا يلوح أننا ، على وجه العموم ، نعيش في دار للمجانين !

زاخار : أعرفت أنه خطر لياكوف أن يرحل فجأة ؟

بولينا : اصفح عما سأقول ، فهو يفعل حسناً برحيله .

زاخار : أنت على حق ، من دون ريب . فقد أمسى نزقاً حاداً الطبع في الفترة الأخيرة - يثرثر على الدوام بأشياء لا معنى لها . وقد ظلّ يلحّ عليّ مؤخراً بالسؤال عما اذا كان من الممكن قتل غراب بمسدسي . وقد أهانني

كثيراً ، ومن ثم خرج يحمل المسدس . . وهو ثمل
أبدأ . .

(يدخل سينتروف من الشرفة يصعبه دركيان وكفاش . بوليننا
تحملق فيه في سكون من خلال لورنيتهها ، ثم تخرج . زاخار
يصلح من وضع نظارتيه في شيء من الارتباك ، ويخطو مبتعداً
وهو يتكلم)

زاخار (موبخا) : هذا مؤسف جداً ، يا سيد سينتروف . أنا
في غاية الأسف ، حقاً .

سينتروف (مبتسماً) : لا تقلق لذلك . فهو لا يستحق هذا .
زاخار : بل يستحق ! يجب على الناس أن يتعاطفوا مع بعضهم
البعض . . حتى إذا تبين أن شخصاً وضعت فيه ثقتي
لا يستحق تلك الثقة ، فاني أعتبر مع ذلك أن من
واجبي التعاطف معه عندما تحلّ مصيبة في ساحه . هذا
هو شعوري ، وداعاً ، يا سيد سينتروف .
سينتروف : وداعاً .

زاخار : ليس لديك ما . . يؤخذ عليّ !

سينتروف : أبدأ ، أبدأ .

زاخار (مرتبكاً) : عظيم . حسناً ، الوداع ! سوف ترسل
ماهيّتك اليك . . (مغادراً الغرفة) هذا لا يُطاق . لقد
تحوّل منزلي الى مركز للدرك .

(يضحك سينتروف ضحكة خفيفة . يظل كفاش يراقبه)

باهتمام ، ويراقب يديه بصورة خاصة . وعندما يلاحظ سينتروف ذلك يروح ينظر اليه في عينيه عدة ثوان ، حتى يكشر كفاش عن أنيابه على حين غرة)

سينتروف : حسناً ، ماذا يدغدغك ؟
كفاش (في سعادة) : لا شيء ، لا شيء البتة .
بوبويلوف (داخلاً) : سوف ترسل الى المدينة ، يا سيد سينتروف .

كفاش (في مرح) : انه ليس السيد سينتروف ، يا سيادة النقيب ، بل هو شخص آخر مختلف تماماً .
بوبويلوف : ماذا ؟ كن أكثر وضوحاً .

كفاش : أنا أعرفه . كان يعمل في مصنع بريانسكي ، وكان اسمه هناك مكسيم ماركوف . . ولقد اعتقلناه هناك قبل سنتين ، يا سيادة النقيب . ان ابهامه الأيسر بدون ظفر - أنا أعرفه ! لا بدّ أنه هرب ما دام يعيش تحت اسم مستعار .

بوبويلوف (مدهوشاً بصورة بهيجة) : أصحيح هذا ، يا سيد سينتروف ؟

كفاش : انها الحقيقة الصراح ، يا سيادة النقيب .
بوبويلوف : اذن انت لست سينتروف على الاطلاق ! حسناً ، حسناً ، حسناً !

سينتروف : فلاكن من أكون ، فمن واجبك ان تتصرف بأدب معي . . لا تنس هذا !

بوبويلوف : او هو ! من السهل أن يرى المرء انك لست

بالشخص الأحمق الذي يمكن خداعه ! أنت نفسك
ستخفرك ، يا كفاش . . فافتح عينيك جيداً !
كفاش : حاضر ، يا صاحب السعادة .

بوبيولوف (مسروراً) : حسناً اذن ، يا سيد سينتروف ، او
مهما كان اسمك ، لسوف نرسلك الى المدينة . (الى
كفاش) وحالما تصل هناك ، أخبر المسؤولين بكل شيء
عنه ، واطلب في الحال سجله من الشرطة . لكن من
الأفضل أن أشرف على هذا بنفسى . رويدك برهة ،
يا كفاش . . (يهرع خارجاً)

كفاش (في لطف) : ها نحن نلتقي مرة ثانية !
سينتروف (بضحكة قصيرة) : أمسرور أنت ؟
كفاش : لم لا ؟ فأنت من معارفي القدماء .

سينتروف (في نفور) : أعتقد أنه حان لك أن تكف عن ذلك
الآن . لقد شاب شعرك ، ولا تبرح مع ذلك تتعقّب
الناس كالكلب . أفلا تكون زعلان من نصيبك هذا ؟
كفاش (في لطف) : آه ، لقد اعتدت ذلك - عملت فيه طيلة
ثلاثة وعشرين عاماً . وليس كالكلب أبداً ! فالناس
الذين فوق يملكون فكرة طيبة عني - وقد وعدوني
بوسام . ومن المؤكد أنهم سيمنحونني اياه الآن .

سينتروف : بسببى أنا ؟

كفاش : بالطبع . من أين هربت ؟

سينتروف : ستكتشف ذلك في الوقت المناسب .

كفاش : لا ريب أننا سنكتشف ذلك . اتذكر ذلك الشاب
الأسود الشعر ذا النظارتين في مصنع بريانسكي ؟ كان

معلماً ، وأظن " أن اسمه - سافيتسكي . وقد
اعتقلناه هو الآخر . . . ليس من زمن بعيد . ولكنه
مات في السجن . كان مريضاً ، مريضاً جداً . وعلى كل
حال ، فليس عددكم كبيراً .

سينتروف : سيكون عددنا كبيراً . . . انتظر فقط .
كفاش : أوهو ! هذا رائع . كلما ازداد عدد خصومنا
السياسيين تحسنت أمورنا !
سينتروف : فتكثر المكافآت ؟

(يظهر بوويدوف والجنرال والملازم وكليوباترا ونيقولاي في
فسحة الباب)

نيقولاي (يلقي نظرة الى سينتروف) : كنت اتوقع هذا بطريقة
ما . (يختفي)

الجنرال : ياله من شاطر !
كليوباترا : لقد اتضحت الآن هوية المحرّض .
سينتروف (متهمكاً) : اصغ ، ايها النقيب ، أفلا ترى أنك
تتصرف بصورة خرقاء ؟

بوويدوف : لا تحاول أن تعلمني !
سينتروف (في عناد) : بل سأفعل ! ضعوا خاتمة لهذه
المسرحية السخيفة .

الجنرال : أسمع هذا ؟
بوويدوف (يصيح) : كفاش ! خذه من هنا !
كفاش : أمرك ، يا صاحب السعادة . (يقود سينتروف
خارجاً .)

الجنرال : يجب أن يكون نمرأ حقيقياً ، ها ؟ أرايتسم كيف
يزمجر ؟

كليوباترا : أنا واثقة من أنه في أصل المشكلة كلها .

بوبيولوف : محتمل . . محتمل تماماً .

الملازم : هل ستكون هنالك محاكمة ؟

بوبيولوف (مبتسماً) : أوه ، أبدأ ! اننا نلتهمهم من دون

مقبلات . والأمران سواء على أية حال . .

الجنرال : كالمحارة . . مذاقاً !

بوبيولوف : سنعمل سريعاً ، يا صاحب السعادة ، على إنهاء

هذه اللعبة الآن ، ونريحك من هذه المتاعب كلها .

نيقولاي فاسيليفيتش ! أين أنت ؟

(يخرج الجميع من الغرفة . يدخل رئيس الشرطة من الشرفة)

رئيس الشرطة (الى كون) : هل سيجري الاستجواب هنا ؟

كون (عابساً) : لا أدري . . لست أعرف شيئاً .

رئيس الشرطة : طاولة ، وأوراق . . يلوح أنه سيجري

هنا . (يخاطب شخصاً ما على الشرفة) أدخل الجميع الى

هنا ! (الى كون) لقد أخطأ المرحوم . قال ان الذي

أرداه أحمر الشعر ، وظهر الآن أن لونه يضرب الى

السمرة .

كون (مهمماً) : الأحياء أنفسهم يخطئون . .

(يأتون بالرجال الموقوفين مرة ثانية من الشرفة)

رئيس الشرطة : صفهم هنالك . وأنت قف في آخر الصف ،

أيها العجوز . أفلا تنجبل من نفسك ، أيها الشيطان
العجوز ؟

غريكوف : لماذا تستعمل هذه اللغة ؟
ليفشين : هوّن عليك ، يا الكسي . هذا لا يهم .
رئيس الشرطة (مهدداً) : سارينك !
ليفشين : هذه وظيفته - أن يهين البشر .

(يدخل نيقولاي وبوبويدوف ويجلسان وراء الطاولة . يتخذ
الجنرال مقعده الوثير في الزاوية ، وينتصب الملازم
خلفه . تقف كليوباترا وبولينا في الممشى وتنضم إليهما بعد
قليل تاتيانا وناديا . يتطلع زاخار في سخط من فوق
أكتافهن . يظهر بولوغي من مكان ما ، ويدبّ في حذر ،
منحنياً للجالسين الى الطاولة ، ومن ثم يقف مرتبكاً حائراً في
وسط الغرفة . الجنرال يومي له ، فيتجه اليه على أطراف
أصابعه ، وينتصب قرب مقعده . يأتون بريابتزوف.)

نيقولاي : انتباه ! بدأت الاجراءات . بافل ريبابتزوف ؟

ريبابتزوف : حسناً ؟

بوبويدوف : لا تقل «حسناً» ، أيها الاحمق ، بل قل «نعم» ،
يا صاحب السعادة» .

نيقولاي : اتصرّ على أنك قتلت المدير ؟

ريبابتزوف (ضجراً) : سبق ان قلت لكم ذلك . . . فماذا
تريدون أيضاً ؟

نيقولاي : اتعرف الكسي غريكوف ؟

ريابتروف : من هو ؟

نيقولاي : الشاب الذي يقف الى جوارك .

ريابتروف : انه يعمل في معملنا .

نيقولاي : اذن ، أنت تعرفه ؟

ريابتروف : نحن جميعاً نعرف بعضنا بعضاً .

نيقولاي : بكل تأكيد . لكن ، هل زرته في داره ، وقضيت

وقت راحتك معه ؟ بكلمات أخرى ، هل تعرفه جيداً ؟

أصديقه أنت ؟

ريابتروف : انني أقضي وقت راحتي مع الجميع ، وجميعنا

اصدقاء .

نيقولاي : حقاً ؟ أخشى انك لا تقول الحقيقة . يا سيد

بولوغي ، كن كريماً ، وصارحنا بالحقيقة - ما هي

الصلة بين ريابتروف وغريكوف ؟

بولوغي : صلة صداقة حميمة . ثمة جماعتان قائمتان ههنا ،

يرأس الشباب منهما غريكوف ، وهو شاب كثير

الصفافة في موقفه من الناس الذين يسمون عليه مرتبة

بما لا يقاس . ويرأس الكهول منهما ييفيم ليفشين .

وهو شخص ذو حديث غريب وأخلاق ثعلبية .

ناديا (في همس) : يا للشقي !

(بولوغي يتطلع حوالياً ويرنو اليها ، ثم يلتفت صوب نيقولاي

متسائلاً . نيقولاي يلقي نظرة الى ناديا بدوره .)

نيقولاي : تابع .

بولوغي (متنهداً) : وترتبط الجماعتان بواسطة السيد

سينتزوف ، وهو ذو علاقة طيبة بهم جميعاً . وهذا الشخص لا يشبه الانسان العادي الطبيعي التفكير . فهو يطالع جميع اصناف الكتب ، وله وجهة نظره الخاصة في كل شيء . وفي جناحه ، الذي يمكن أن اضيف أنه يقع قبالة جناحي تماماً ومؤلف من ثلاث غرف

يقولاي : في استطاعتك حذف التفاصيل .
بولوغني : أستميحك العذر ، لكن الحقيقة تتطلب شرحاً وافياً للقضية . وكانت جماعات مختلفة من الناس تزور جناحه ، بما فيهم بعض الحاضرين ههنا - غريكوف ،
. . . و

يقولاي : غريكوف ، أصحيح هذا ؟
غريكوف (بهدهوء) : لا توجه اليّ أية أسئلة ، فأنا أرفض الاجابة عنها .

يقولاي : من العبث أن تسلك هكذا !
ناديا (بصوت عال) : يا لها من شطارة !
كليوباترا : ما معنى هذا ؟
زاخار : ناديا ، عزيزتي . . .
بوبويدوف : هس - س - س !

(ضجيج في الخارج على الشرفة)

يقولاي : لا أرى سبباً يدعو الى وجود أولئك الذين لا مكان لهم هنا .
الجنرال : هم . . . م . وماذا تعني بالضبط بأولئك الذين لا مكان لهم هنا ؟

بوبيدوف : اذهب ، يا كفاش ، وانظر سبب هذه الضجة .
كفاش : ثمة امرؤ يحاول اقتحام الباب ، يا سيادة النقيب .
يسبّ ويحاول الدخول ، يا صاحب السعادة .

نيقولاي : ماذا يريد ؟ من هو ؟

بوبيدوف : اذهب واستطلع الأمر .

بولوغي : أتريدني أن أتابع شهادتي ، أم يجب أن أنقطع
عنها ؟

ناديا : يا للمخلوق الكريه !

نيقولاي : كفّ عن ذلك . سأطلب من أولئك الذين لا مكان
لهم هنا أن يتركونا !

الجنرال : كيف يجب أن أعتبر ذلك ؟

ناديا (تصيح مهتاجة) : أنتم الذين لا مكان لكم هنا ! ليس
أنا ، بل أنتم ! أنتم لا مكان لكم على الإطلاق ! هذا
منزلي ! ولي الحق في أن أطلب اليكم الخروج !

زاخار (الى ناديا ، في حنق) : اذهبي حالا ، أسمعيني ؟
حالا !

ناديا : اتعني ما تقول ؟ حسناً . هذا يعني - أنني حقيقة لا
مكان لي هنا . سأذهب ، لكن اسمح لي أولاً أن أقول
لكم . . .

بولينا : الجمها ، والا نطقت بشيء مريع !

نيقولاي (الى بوبيدوف) : قل للدرك أن يغلّقوا الأبواب .
ناديا : أنتم بلا وجدان ! بلا قلب ! جميعكم أشقياء ،
حقيرون . . .

كفاش (يدخل مسروراً) : شخص آخر يريد أن يعترف ، يا سيادة النقيب .

بوبيدوف : ماذا ؟

كفاش : قاتل آخر سلّم نفسه !

(يخطو أكيهوف ، وهو فتى أصهب الشعر طويل الشاربين ، متمهلاً في اتجاه الطاولة)

نيقولاي (منتفضاً رغباً عنه) : ماذا تريد ؟

أكيهوف : أنا الذي قتلت المدير .

نيقولاي : أنت ؟

أكيهوف : نعم ، أنا .

كليوباترا (في همس) : أيها الشقي ! اذن فان لك ضميراً !

بولينا : أيتها السموات الطيبة ! يا لهؤلاء الناس الفظيعين !

تاتيانا (في هدوء) : هؤلاء الناس سيربحون في النهاية .

أكيهوف (متجهماً) : حسناً ، ها أنذا . أسعيدون أنتم ؟

(اضطراب عام . نيقولاي يهمس حثيثاً شيئاً في أذن

بوبيدوف . فيبتسم هذا في ارتباك . يقف المعتقلون صامتين

لا حراك بهم . تقف ناديا قريباً من الباب ترنو الى أكيهوف

وتبكي . بولينا وزاخار يتهامسان . وصوت تاتيانا الهادئ

يُسمع بوضوح في قلب السكينة .)

تاتيانا (الى ناديا) : لا تبكي . سيربح هؤلاء الناس في النهاية .

ليفشين : آه ، أكيهوف ! ما كان يجب . . .

بوبيدوف : صمتاً !

ناديا (الى اكيوموف) : لماذا فعلت ذلك ؟ لماذا ؟
ليفشين : لا تزق ، يا صاحب السعادة . فانا اكبر منك
سنأ .

اكيوموف (الى ناديا) : أنت لا تفهمين . وتفعلين حسناً اذا
خرجت من هنا .

كليوباترا : وما أكثر ما ادعى ذلك العجوز الشقي أنه تقى !
بوبويدوف : كفاش !

ليفشين : حسناً ، ماذا تنتظر ، يا اكيوموف ؟ تكلم . قل لهم
انه وضع مسدساً على صدرك ، وعند ذلك . . .
بوبويدوف (الى نيقولاي) : أسمع ماذا يقول له ، ذلك
الكذاب العجوز ؟

ليفشين : أنا لست كذاباً !

نيقولاي : حسناً ، كيف حالك الآونة ، يا ريباتزوف ؟
ريباتزوف : هذا ليس من شأنك .

ليفشين : لا تقل شيئاً . أبق فمك مغلقاً . انهم خبثاء ، وفي
مقدورهم استعمال الكلمات أفضل منا .

نيقولاي (الى بوبويدوف) : ازمه خارجاً !

ليفشين : أوه ، لا ، لن تفعل ! لم يعد بالامكان رمينا خارجاً !
لقد ولت الأزمان لما رمونا الى الخارج . لقد بقينا في
الظلام - دون أية حقوق - زمناً طويلاً . كفاية ! اما
اليوم فاشتعلنا جميعاً ، ولن تستطيع تهديداتكم
ووعيدكم اطفاء نيراننا . لن ترمونا خارجاً أبداً ! أبداً
لن تستطيعوا !

ستار

بيجور بوليتشوف وآخرون

(مشاهد)

كتب غوركوي مسرحية «بيجور بوليتشوف وآخرون» في عام ١٩٣١ . مثلت المسرحية للمرة الاولى على كل من مسرح فاختانفوف الحكومي في موسكو ومسرح بولشوي الدرامي في لينينغراد في ٢٥ ايلول (سبتمبر) ١٩٣٢ .

الشخصيات

- بيجور بوليتشوف .
- كسينيا (أكسينيا) - زوجته .
- فارفارا (فاريا) - ابنته من كسينيا .
- ألكسندرا (شورا) - ابنة غير شرعية لبيجور .
- ميلانيا (مالاشا) - رئيسة دير ، أخت زوجته .
- أندريه زفونتسوف - زوج فارفارا .
- ستيبان تياتين - ابن عم زفونتسوف
- موكي باشكين .
- فاسيلي (فاسيا) دوستيجايف .
- إيليزافيتا (ليزا) - زوج دوستيجايف .
- انطونينا (نونيا) { طفلا دوستيجايف من زوجته الأولى .
- الكسي
- بافلين - كاهن .
- طبيب .
- نافخ بوق .
- زوبونوفا - عرّافة .
- برووتوي (بروكوبي المقدس) - نصف مجنون .
- جلافيرا (جلاشا) - خادمة .

تاييسيا - خادمة ميلانيا ، راهبة مبتدئة .
موكرووسوف - شرطي .
ياكوف (ياشنا) لابتيف - ابن بوليتشوف
في العماد .
دونات - حارس غابة .

الفصل الأول

غرفة الطعام في دار تاجر غني في يوم شتوي مشرق . الأثاث فخم ضخم . والى جانب متكأ وثير عريض من الجلد سلّم يقود الى الطابق الثاني . وفي الزاوية ، الى اليمين ، نافذة كبيرة تطلُّ على الحديقة . كسينيا جالسة الى المائدة تنظف بعض الأقداح والملاعق . جلافيرا تقف الى جانب النافذة تصف الأزهار . ألكسندرا (شورا) تدخل الغرفة ، مرتدية ثياب النوم ، وقدماها العاريتان مغروztان في خفيها ، وشعرها مرسل غير معقوص ، أحمر اللون ، مثل شعر ييجور بوليتشوف .

كسينيا : أنت عظيمة في النوم ، يا شورا . . .
شورا : كفاك تفحين ، فذلك لا يفيد على الإطلاق . جلاشا -
شيئا من القهوة ! أين الجريدة ؟
جلافيرا : سعدتُ بها الى فارفارا ييجوروفنا .
شورا : أنزليها اذن . لديهم صحيفة واحدة للمنزل بأسره ،
أولئك الشياطين !
كسينيا : من هم الشياطين ؟
شورا : هل والدي في الدار ؟
كسينيا : خرج لزيارة الجرحى . ممن هم الشياطين - آل
زفونتسوف ؟
شورا : نعم . (على الهاتف) واحد ، سبعة ، ستة ، ثلاثة .

كسينيا : انتظري . لسوف أخير آل زفونتسوف بأية أسماء
تنعتينهم !

شورا : هلاّ ناديتم تونيا على الهاتف !

كسينيا : لن ينتهي سلوكك هذا بخير !

شورا : أهذا أنت ، يا أنطونينا ؟ هل سنذهب للترحلق على

الجليد ؟ كلا ؟ لماذا ؟ المسرح ؟ ألا تختلقين عذرا ؟

أوه ، أنت أيتها الأرملة غير الشرعية ، أنت ! أوه ،

حسناً !

كسينيا : كيف تلقين الفتاة بأرملة ؟

شورا : ألم يمت خطيبها ؟

كسينيا : ومع ذلك فهي لا تزال بنتاً .

شورا : وما أدراك ؟

كسينيا : آه منك ، أيتها العديمة الحياء !

جلافيرا (تقدم القهوة) : ستأتي فارفارا ييجوروفنا نفسها

بالصحيفة .

كسينيا : أنت تعرفين الكثير وما يزيد بالنسبة الى عمرك .

ألا فاحذري - فكلما قلت معرفتك تحسّن نومك . لم

أكن أعرف شيئاً يوم كنت في مثل سنك . . .

شورا : وما زلت حتى الآن . . .

كسينيا : أنت مقرفة !

شورا : هذه شقيقتي قادمة بوقار تام . بون جور مدام !

كومان سافا ؟ *

* صباح الخير ، كيف حالك ؟ (بالفرنسية) . **المعرب** .

فارفاراً : انها الحادية عشرة ، وأنت لم ترتدي ثيابك بعد ،
 ولم تسرحي شعرك . . .
شورا : هانتذي تنعبين ثانية .
فارفاراً : تزاددين وقاحة لأن الوالد يدللك ، ولأنه
 مريض . . .
شورا : وهل ستستمرين على هذا المنوال طويلاً ؟
كسينيا : وما يعينها من أمر صحة والدها ؟
فارفاراً : سوف أضطر الى اخباره عن سلوكك . . .
شورا : شكراً سلفاً . هل انتهيت ؟
فارفاراً : أنت حمقاء !
شورا : أنت مخطئة . فلست أنا الحمقاء .
فارفاراً : أيتها البلهاء الشقراء !
شورا : أنت تبدين جهودك عبثاً ، يا فارفاراً ييجوروفنا .
كسينيا : لا فائدة ترجى من محاولة تهذيبها !
شورا : ان خلقك ليسوء أيضاً .
فارفاراً : أوه ، لا بأس ، لا بأس ، يا عزيزتي ! أماء ،
 فلنذهب الى المطهى . فالطاهي أخذته نوبة غضب من
 جديد . . .
كسينيا : انه قلق البال ، فقد قُتل ولده .
فارفاراً : حسناً ، ليس هذا بسبب كاف لتتملكه ثورات
 الغضب . ان العديد من الناس يقتلون في هذه
 الأيام . . .

(تخرجان)

شورا : آه لسوف تتعرض لنوبة ان قتلوا عزيزها
أندريوشا !

جلافيرا : اية فائدة ترجين من اغاظتها على هذا الشكل ؟ اشربي
قهوتك بسرعة ، فيجب أن ارتب المكان . (تخرج ،
حاملة السماور .)

(تجلس شورا على المقعد وتستند بظهرها اليه وقد أغلقت
عينها ، وشبكت يديها خلف رأسها الأحمر .)

زفونتسوف (يهبط الدرج على مهله وقد لبس خفيه ،
يتلصص حذراً مقرباً من شورا من الخلف ويعانقها) :
بمَ كنت تحلمين ، أيتها القطة الحمراء ؟

شورا (من غير ان تفتح عينها او تتحرك) : لا تلمسني .
زفونتسوف : ولمَ لا ، انت تحبين هذا ، اليس كذلك ؟ قولي
نعم . اتحيينه ؟

شورا : كلا .

زفونتسوف : ولمَ لا ؟

شورا : دعك من هذا . انت تدعي ذلك فقط . فانا لا أعجبك
اطلاقاً .

زفونتسوف : ولكنك تريدان ان تعجيبيني ، اليس كذلك ؟

(تظهر فارفارا على السلم .)

شورا : اذا اكتشفت فارفارا . . .

زفونتسوف : هس ! (يتحرك مبتعداً ، ويتحدث بلهجة
 ارشادية تعليمية .) هيم . . . نعم أنت . . . يجب ان
 تستجمعي قواك . يجب أن تدرسي . . .
فارفارا : هي تفضل أن تكون وقحة فظة ، وان تلهو بنفخ
 فقاعات من الصابون مع أنطونينا . . .
شورا : حسناً ، ولم لا أفعل ؟ انني أحب نفخ الفقاعات . هل
 تأسفين على الصابون ؟
فارفارا : انا آسفة من أجلك . لا أستطيع ان أتصور كيف
 ستعيشين . لقد طردت نهائياً من المدرسة
 الثانوية . . .
شورا : ليس هذا صحيحاً .
فارفارا : ورفيقتك نصف مجنونة .
زفونتسوف : انها تريد دراسة الموسيقى .
فارفارا : مَنْ ؟
زفونتسوف : شورا .
شورا : ليس هذا صحيحاً . لا أريد دراسة الموسيقى ابداً .
فارفارا : من أين جئت بهذه المعلومات ؟
زفونتسوف : أفلم تخبريني ، يا شورا ، أنك تودين ذلك ؟
شورا (وهي خارجة) : انا لم أقل شيئاً من هذا القبيل .
زفونتسوف : هم . . . غريب . وأنا لم أخلق ذلك ! أنت
 شديدة القسوة في معاملتها ، يا فاريبا .
فارفارا : وأنت كثير اللطف والتودد .
زفونتسوف : ماذا تعنين بقولك «كثير اللطف والتودد» ؟ انت
 تعرفين ما هي خطتي ، الا تعرفين ؟

فارفارا : لا أقول شيئاً عن خطتك ، انما يبدو لي أنك كثير اللطف والتودد الى درجة تثير الريبة .
زفونتسوف : أية حماقات تتسلط على رأسك !
فارفارا : حماقات ، ها ؟
زفونتسوف : فكري في هذا بنفسك . هل تناسب مشاهد الغيرة في مثل هذه الأوقات الخطيرة ؟
فارفارا : لماذا نزلت الى هنا ؟
زفونتسوف : أنا ؟ ثمة . . . اعلان هنا في الجريدة . وقد جاء حارس الغابة ، وهو يقول ان الفلاحين حاصروا دبا .
فارفارا : ان دونات في المطهى . ماذا يقول الاعلان ؟
زفونتسوف : لقد طفع الكيل ! انا لا أحب لهجتك ! من تحسبيني - انا طفل صغير ؟ يا للجنة !
فارفارا : كفاك ، كفاك ، لا تتشُرْ ! أعتقد أن والدي جاء الى الدار . هلا نظرت الى هيئتك !

(يهرع زفونتسوف الى الطابق الثاني . وتخرج فارفارا لاستقبال أبيها . تسرع شورا الى الهاتف ، وهي ترتدي صديرية دافئة من الصوف الأخضر وقبعة خضراء . يدخل بوليتشوف فيقطع عليها الطريق ، ويضمها اليه في سكون . يدلف الأب باقلين ، مرتديا غفارة بنفسجية اللون ، الى الغرفة مقتفياً خطوات بوليتشوف .)

بوليتشوف (يجلس الى الطاولة وقد أحاط خصر شورا بذراعه ، بينما هي تسرح بأصابعها شعره النحاسي

اللون ببواكر الشيب فيه) : وهكذا شوها الكثيرين .
هذا شيء رهيب !
بافلين : كيف حالك ، يا شورا - تتفتحين وتزهرين ، على ما
أرى ؟ اعذريني اذ لم أحيك حينما دخلت . . .
شورا : كان من واجبي أنا ان أفعل ذلك ، أيها الأب بافلين .
لكن والدي أمسك بي واحتضنني كالدب . . .
بوليتشوف : رويدك ، يا شورا ! اصغي ! ماذا يتوجب على
هؤلاء الناس أن يفعلوا الآن ؟ لدينا كثرة من الناس
الذين لا فائدة ترجى منهم حتى قبل الحرب . ما كان يجب
أن نتدخل في هذه الحرب . . .
بافلين (وهو يصعد زفرة) : اعتبارات السلطات العليا . . .
بوليتشوف : كانت سياستنا سيئة جداً ازاء اليابانيين
أيضاً ، وكانت النتيجة ان تعرضنا للعار أمام العالم
أجمع . . .
بافلين : ولكن الحروب لا تسبب الدمار فحسب ، بل هي تغني
المرء أيضاً - ان بالتجربة أو بال . . .
بوليتشوف : بعض الناس يقاتلون ، والآخرين يسلبون
وينهبون .
بافلين : وخلاف هذا ، لا شيء في الحياة يحدث بدون ارادة
الله - فأني مغزى نأمل من غمغماتنا ؟
بوليتشوف : والآن ، انظر إليّ ، يا بافلين سافيليف ،
كفّ عن هذه المواعظ . . . أكنت ذاهبة للترزج على
الجليد ، يا شورا ؟
شورا : نعم ، وأنا في انتظار انطونينا .

بوليتشوف : حسنا ! اذا بقيت هنا ، فسوف اناديك بعيد
خمس دقائق .

(تخرج شورا راکضة)

بافلين : لكم كبرت هذه الصبية ! . . . وغدت فتاة . . .
بوليتشوف : نعم ، هي بديعة التكوين ، خفيفة الحركة
رشيقتها ، لكن وجهها يخيّب الأمل بعض الشيء . كانت
أمها قبيحة . كانت ذكية كالشيطان ، لكن قبيحة .

بافلين : وجه ألكسندرا ييجوروفنا . . . أخاذ . . . و . . . لا
يخلو من فتنته الخاصة . من أين كانت أمها ؟

بوليتشوف : سيبرية الاصل . انت تتحدث عن السلطات
العليا . . . و ارادة الله . . . والى آخر ما هنالك .
حسناً ، وما رأيك بمجلس الدوما ؟ من أين جاءنا هذا ؟

بافلين : مجلس الدوما . . . حسناً ، انه اذا جاز التعبير . . .
انقاص ذاتي للسلطة . وكثير من الناس ينظرون اليه
على كونه غلطة قاتلة ، انما لا يليق بأحد خدام
الكنيسة المقدسة ان يستقضي مثل هذه الأمور . وفيما
عدا ذلك فانه يقع على عاتق اكليروس هذه الايام ان
يضمروا روح الثبات والعزم . . . وأن يرعوا حب القيصر
والوطن . . .

بوليتشوف : لقد اضمروا الحمية وذاقوا المنية . . .

بافلين : أنت تعلم اني اقنعت وكيل الكنيسة حيث أخدم بان
يوسع جوقة المرتلين والمنشدين ، وكذلك تحدثت الى

الجنرال بيتلينغ بخصوص تبرُّع لصنع ناقوس
للكنيسة الجديدة التي تشيّد على مجد شفيعك القديس
ييجور الطاهر . . .

بوليتشوف : وهو لم يعطك شيئاً ، فيما اعتقد ؟
بافلين : هو لم يكتف بالرفض ، بل روى نكتة غير محتشمة ،
فقال : «أنا لا أطيق النحاس حتى في فرق الموسيقى
العسكرية» . والآن ، ما قولك في الاكتتاب بشيء من
المال من أجل الناقوس نظراً لانحراف صحتك ؟
بوليتشو (وهو ينهض) : رنين الناقوس لا يشفني
الامراض .

بافلين : من يدري ؟ فالعلم لم يكتشف بعد الأسباب المؤدية
الى كثير من الامراض . لقد سمعت أنهم يشفون بعض
الأمراض بواسطة الموسيقى في بعض المصحات في
الخارج . وكان ثمة إطفائي عندنا يسعف المريض
بالعزف على البوق . . .

بوليتشوف (ضاحكاً) : أى صنف من الأبواق ؟
بافلين : بوق نحاسي . ويقولون انه بوق كبير تماماً .
بوليتشوف : حسناً ، بالطبع ، مادام البوق كبيراً . . . وهل
كان ينجح ؟

بافلين : يقولون انه كان ينجح . كل شيء ممكن ، يا عزيزي
ييجور فاسيليفيتش ! كل شيء ممكن ! اننا نحيا في
الأسرار ، في حلقة عدد من أسرار غامضة لا حصر لها .
ويبدو لنا أننا نرى نوراً وانه ينبثق من عقلنا ، لكنه
لا يبدو نوراً الا بالنسبة الى بصرنا فحسب ، في حين

يمكن لعقلنا أن يعمل على اظلام روحنا ، ان لم يخمدنا
تماماً .

بوليتشوف (متنهداً) : آي° ، ما أكثر ما تجيد الكلام !
بافلين (بحمية متزايدة) : خذ ، مثلاً ، بروكوفي الطاهر ؛
بأية غبطة عاش هذا الرجل ، وهو الذي يسميه الجهلة
أحمق .

بوليتشوف : آه ، عدنا الى المواعظ ثانياً ! وداعاً ، فأننا
متعب .

بافلين : مع أصدق تمنياتي لك بالصحة الجيدة . لسوف
أصلي الى الله من أجلك . . . (يخرج)
بوليتشوف (يلمس جنبه الأيمن . ثم يخطو في اتجاه المتكأ ،
وهو يزمجر) : ذلك الخنزير الضخم . . لقد سمن على
حساب دم المسيح وجسده . . . جلافيرا ! هيه !

(تدخل فارفارا)

فارفارا : ما بالك ؟

بوليتشوف : لا شيء . كنت أنادي جلافيرا فقط . آه .
يا عزيزتي ، أراك متأنقة . الى أين أنت ذاهبة ؟
فارفارا : الى حفلة خيرية يرصد ريعها لمساعدة الجنود
الناقين . . .

بوليتشوف : وتضعين النظارات على أنفك أيضاً ؟ كذب أن
عينيك في حاجة اليهما ، الموضة . . .

فارفارا : يجب أن تتحدث الى الكسندرا ، يا أبتِ ، فسلوكها
مقيت . وهي لا تطاق في الحقيقة .

بوليتشوف : يا لكم من مجموعة رائعة ، أنتم جميعاً ! هيا !
(تخرج فارفارا . يهتمهم بينه وبين نفسه) لا تطاق !
انتظروا حتى تتحسن صحتي ، فأريئكم اي شيء يحتمل
ويطاق !

(تدخل جلافيرا)

جلافيرا : هل ناديتني ؟

بوليتشوف : نعم . آه ، يا جلاشا ، ما أجملك ! تتفجرين
صحة وقوة ! اما فارفارا - فليست أكثر من فزاعة !
جلافيرا (تربو الى السلم) : هذا من حسن حظها . لو كانت
جميلة الطلعة لما ترددت في جرّها الى فراشك هي
الأخرى .

بوليتشوف : ابنتي أنا ؟ فكري فيما تقولين ، يا حمقاء !
جلافيرا : انني أعرف ما أقول ! أنت تهصر شورا وكأنها
غريبة . . . مثل أحد الجنود تماماً !

بوليتشوف (معقود اللسان) : انت مجنونة ، يا جلافيرا !
أنت تغارين من ابنتي ، اليس كذلك ؟ اياك والتجاسر
على الظن بشورا هكذا ! مثل احد الجنود . . . وكأنها
غريبة ! هل صدف ووقعت أنت نفسك بين يدي جندي ؟
ايه ؟

جلافيرا : ليس هذا بالمكان المناسب . . ولا هو الوقت
الملائم ، لمثل هذا الحديث . فيمَ دعوتني ؟
بوليتشوف : أرسلني دونات اليّ . مهلاً ! ناوليني يدك .
انك تحبينني ، ها ؟ بالرغم من مرضي ؟
جلافيرا (تطوق عنقه بذراعيها) : آه ، انك تحطم قلبي . .
لا تمرض بعد الآن ! أوه ، لا تمرض ! (تمتزع نفسها
منه ، ثم تولي خارجة)

(يبتسم بوليتشوف ، رغم التقطية العبوس التي تعلقو
حاجبيه ، ويلحس شفثيه بلسانه ، ثم يهز رأسه ،
ويضطجع على المتكأ . يدخل دونات)

دونات : كيف حالك ، يا ييجور فاسيليفيتش ! آمل ان تكون
بخير وعافية .
بوليتشوف : شكراً . ما وراءك من أخبار ؟
دونات : أخبار طيبة . لقد حاصرنا دياً .
بوليتشوف (متنهداً) : آه ، هذا الخبر يثير غيرتي اكثر من
فرحي . الدب لا يسليني في هذه الأيام . هل يقطعون
الاشجار ؟
دونات : ليس كما ينبغي ، فليس لدينا ما يكفي من العمال .

(تدخل كسينيا ، متزينة بأبهى حللها ، وقد حملت أصابعها
بالخواتم)

بوليتشوف : ما الأمر ؟

كسينيا : لا شيء . أرجو الا تفكر بأي صيد للدببة ،
يا ييجور ، فحالك لا تسمح بذلك .

بوليتشوف : انتظري لحظة ! انتَ تقول انه ليس لدينا ما
يكفي من العمال ؟

دونات : لم يبق غير الشيوخ والأطفال . لقد أعطي الأمير
خمسین من أسرى الحرب ، ولكنهم لا يصلحون للعمل في
الغابات .

بوليتشوف : أراهن انهم يصلحون للعمل مع النساء ، مع
ذلك .

دونات : أنت قلتَ .

بوليتشوف : أجل . . . فالنساء جاعات هذه الأيام .
كسينيا : تناهى اليّ أن القرى بأجمعها غارقة في موجة من
الفحش والدعارة . . .

دونات : ولم تسمينها دعارة ، يا أكسينيا ياكوفليفنا ؟
فالرجال قتلوا ولا بدّ من ولادة الأطفال ، اليس
كذلك ؟ ويتبين ان اولئك الذين اقترفوا القتل هم
الذين يجب ان يقوموا بعملية الاخصاب .

بوليتشوف : هذا هو الظاهر . . .

كسينيا : هراء ، ما صنف اولئك الأطفال الذين تنجبههم
النساء من أسرى الحرب ؟ ومن جهة أخرى ، اذا كان
الرجل قوياّ معافى . . .

بوليتشوف : وكانت المرأة غبية حمقاء - فهو لن يريد أطفالاً
منها .

كسينيا : نساؤنا لسن حمقاوات . المشكلة هي أن جميع الرجال الاقوياء سيقوا الى الحرب ، ولم يتخلف في البيوت غير . . . النواب !

بوليتشوف : لقد هلك وتشوه عدد مريع من الناس . . .
كسينيا : مقابل ان الباين سيكونون في حال ايسر .
بوليتشوف : وجدتها !

دونات : القياصرة لا يكتفون بشعبهم .
بوليتشوف : ماذا قلت ؟

دونات : قلت ان القياصرة لا يكتفون بشعبهم . ليس لدينا ما يكفي لاطعام شعبنا ، ومع ذلك نريد أن نغزو الشعوب الأخرى .

بوليتشوف : صحيح . هذا صحيح تماماً !
دونات : ليس ثمة معنى آخر لقتالنا هذا . وهاهم يضربوننا عقاباً لشرهنا .

بوليتشوف : ان ما قلت صحيح ، يا دونات ! وهذا ما يقوله ياكوف ابني في العماد : «الشراة وراء كل شر» . كيف حاله هناك ؟

دونات : على أحسن حال . فهو شاب ذكي .
كسينيا : هه ! وجدته ذكياً ! انه صفيق ليس غير .
دونات : ان ذكاءه يجعل منه وقحاً ، يا أكسينيا ياكوفليفنا .
لقد قبض على عشرة وثيف من الفارين من الخدمة العسكرية ، يايبيجور فاسيليفيتش ، وأجبرهم على العمل ، وهم الآن يعملون بجد ونشاط . هذا يمنعهم من السرقة على الأقل .

بوليتشوف : ولكن . . . لو علم موكرووسوف بهذا لأثار
المتاعب .
دونات : موكرووسوف يعلم ذلك . بل وسراً منه . فذلك
يسهّل الأمور عليه .
بوليتشوف : حسناً ، دبّر نفسك . . .

(يهبط زفونتسوف السلم)

دونات : وماذا عن الدب اذن . . .
بوليتشوف : الدب انه حظك السعيد .
زفونتسوف : لعلك تسمح لي باهداء الدب الى الجنرال
بيتلينغ ؟ أنت تدري أنه يقدم لنا . . .
بوليتشوف : نعم ، أدري ، قدمه اليه . أو قِدمه للمطران ،
إذا شئت !
كسينيا (ضاحكة) : بودي أن أرى المطران وهو يطلق النار
على الدب .
بوليتشوف : كفى ، انني متعب . طاب يومك ، يا دونات .
يبدو ان الاحوال سيئة نوعاً ما ، أليس كذلك ، ايها
الأخ ؟ ساءت الاحوال منذ مرضي .

(ينحني دونات في صمت ، ويخرج)

بوليتشوف : إبعثي لي شوركا من فضلك ، يا أكسينيا .
والآن ، يا اندريه ، ماذا كنت تبغي ان تقول ؟ انطق ،
يا رجل !

زفونتسوف : الأمر يتعلق بلا بتيف .

بوليتشوف : وما باله ؟

زفونتسوف : سمعت أنه يختلط ب . . مشبوهين سياسيين ،
وقد خطب في جمع من الفلاحين عدة مرات في سوق
كوبوسوفو مهاجماً الحكومة .

بوليتشوف : هراء ! أية أسواق هنالك في هذه الأيام ؟ واي
فلاحين ؟ وفيم تشكون جميعاً من ياكوف ؟

زفونتسوف : حسناً ، انه من أسرنا ، نوعاً ما . . .

(تدلف شورا راكضة .)

بوليتشوف : نوعاً ما ! . . حقاً ، أنتم لا تعتبرونه فرداً من
العائلة . ولذا فهو يرفض حتى القدوم للغداء معنا أيام
الآحاد . . اذهب عني الآن ، يا أندريه ، فستخبرني
بهذه الأمور فيما بعد .

(يخرج زفونتسوف)

شورا : أكان يفتاب ياكوف ؟

بوليتشوف : ليس هذا من شأنك . اجلسي هنا . فالجميع
يتدمرون منك ، أنت أيضاً .

شورا : من هم الجميع ؟

بوليتشوف : أكسينيا ، فارفارا . . .

شورا : أوه ، هؤلاء ليسوا الجميع .

بوليتشوف : اني اتحدث جاداً ، يا شورا .

شورا : لا . فأنت لا تتحدث هكذا عندما تكون جاداً .

بوليتشوف : أنت كثيرة الوقاحة مع الجميع ولا تعملين شيئاً . . .

شورا : اذا كنت لا أعمل شيئاً ، فمن أين جاءت وقاحتي ؟
بوليتشوف : أنت لا تسمعين أحداً .

شورا : انني أسمع الجميع . وقد مللت السماع لهم ، ايها الزنجبيل .

بوليتشوف : اذا كنتُ الزنجبيل - فأنت زنجبيلة اللون أكثر مني . وأنت تتواقحين معي أيضاً ! من واجبي أن أوبخك ، بيداً أنني لا أحسُّ رغبة في ذلك .

شورا : اذا كنت لا تريد ذلك ، فلا حاجة بك اليه اذن .
بوليتشوف : هكذا ! لتكون الحياة أسهل اذن ، انما لا يجوز ذلك .

شورا : من يمنعك ؟

بوليتشوف : كل شيء . الجميع . لكن هذا أكثر من أن تفهميه .

شورا : حسناً علّمني اذن ، وهكذا أفهم ، بحيث لا يمنعونني . . .

بوليتشوف : هذا شيء لا يمكن تلقينه ! أهذه أنت أيضاً ، يا أكسينيا ؟ فيم تجوالك من فوق الى تحت ؟ عمّ تفتشين ؟

كسينيا : لقد قدم الطبيب . وباشكين ينتظر مقابلتك . هلاً أرخيت تنورتك ، يا الكسندرا ؟ يا لها من طريقة للجلوس !

بوليتشوف (ينهض) : حسناً ، أدخلني الطبيب (تخرج)

كسينيا .) الاضطجاع يزعجني ، انه يبھطني آخ !
(الى شورا .) أركضي ، يا فتاتي ! احذري ان تلوي
عقبك !

الطبيب : أسعدت صباحاً ! كيف حالك اليوم ؟
بوليتشوف : على اسوأ حال . أدويتك لا تفيدني كثيراً ،
أيها الطبيب .

الطبيب : حسناً ، حسناً ، فلنذهب الى غرفتك .
بوليتشوف (خارجاً مع الطبيب) : صف لي ألعم الأدوية التي
تعرفها واثمنها ؛ لا بدّ لي من التحسن ! فاذا شفيتني ،
فلسوف أشيد مستشفی وأجعلك مديراً له ، واذّاك
تستطيع أن تفعل ما يحلو لك . . . (يخرجان)

(يدخل باشكين وكسينيا)

كسينيا : ماذا قال الطبيب ؟

باشكين : قال انه السرطان ، سرطان الكبد . . .

كسينيا : خلصنا ، يا الله ! هذا ما خطر في بالهم !

باشكين : وقال انه داء خطر .

كسينيا : سيقول ذلك بالطبع ! كل انسان يعتقد ان عمله

أصعب الأعمال وأقساها . . .

باشكين : تصوري ان يمرض المرء في مثل هذا الوقت !

فالاموال تتساقط في كل مكان وكأنها تهوي من جيب

ممزق ؛ والمتسولون يربحون الآلاف الباذخة ، بينما

هو . . .

كسينيا : هذا صحيح ! الناس يصبحون أغنياء ، أغنياء جداً !

باشكين : دوستيجايف سمن الى درجة انه يتجول هنا وهناك
مفكوك الأزرار ، ولا يتحدث الا بالآلاف . واذا سألتني
عن ييجور فاسيليفيتش - فيبدو أن سحابة تحوم في
فكره . لقد قال قبل أيام : «انني أعيش ، وقد فاتني
الشيء الحقيقي طوال الوقت .» ترى ، ماذا يقصد ؟
كسينيا : أوه ، لاحظت ذلك ، أنا أيضاً - اقواله غريبة !
باشكين : ولقد بدأ حياته على اكتاف دراهمك ودراهم
أختك . كان يجب ان يزيد ذلك المال .
كسينيا : لقد أخطأت ، يا موكي ، وهو شيء أدركته منذ
زمن بعيد . تزوجت بائعاً - ولكنني أخطأت الاختيار .
لو اني تزوجتك أنت - ما أنعم الحياة التي كنا عشناها
معاً اذن ! أما هو . . . يا الهي ! الأمور التي أقدم على
صنعها ! والامور التي كان لا بدّ لي ان أتحمّلها من
قبله ! جاء بابنة زنى الى بيتي ، وحملني عبء
رعايتها . واختار صهرأ ليس أردأ منه ! أنا خائفة ،
يا موكي بتروفيتش ، خائفة أن يطوفاني ويخدعاني ،
صهري هذا وفارفارا ، لسوف يدمراني . . .
باشكين : لن يدهشني ذلك . انها الحرب . والناس في
الحروب لا يعرفون خجلاً أو شفقة .
كسينيا : أنت خادم قديم لعائلتنا ، وقد أوقفك والدي على
قدميك - فكر في أمري . . .
باشكين : إنني أفكر .

(يظهر زفونتسوف)

زفونتسوف : هل ذهب الطبيب ؟
 كسينيا : كلا ، لمّا يزل هنا .
 زفونتسوف : ماذا جرى بشأن الجوخ ، يا موكي
 بتروفيتش ؟
 باشكين : رفض بيتلينغ استلامه .
 زفونتسوف : كم يجب أن ندفع له ؟
 باشكين : حوالي خمسة آلاف ، لا أقل .
 كسينيا : اللص ! وهو شيخ عجوز ايضاً !
 زفونتسوف : بواسطة جانا ؟
 باشكين : نعم - بالطريقة المعتادة .
 كسينيا : خمسة آلاف روبل ! ولماذا ؟
 زفونتسوف : بخست قيمة المال هذه الايام .
 كسينيا : عندما يكون هذا المال في جيب شخص آخر . . .
 زفونتسوف : وهل وافق حمى ؟
 باشكين : هذا ما جئت لأعرفه ، ما اذا كان قد وافق أم
 لا . . .
 الطبيب (يخرج في هذه اللحظة ويأخذ زفونتسوف من ذراعه) :
 حسناً ، يجب أن أخبرك . . .
 كسينيا : أوه ، أرجو أن تخبرنا بما يفرحنا . . .
 الطبيب : ينبغي للمريض أن يلزم فراشه قدر المستطاع .
 فالأعمال ، والانفعالات ، والضجيج ، كل هذا من
 الأمور التي تسيء إليه . يجب أن يحصل على الراحة
 والهدوء . . . وإذ ذاك . . . (يهمس بشيء ما الى
 زفونتسوف) .

كسينيا : لماذا لا تخبرني ؟ انني امرأته !
الطبيب : هنالك أمور يستحسن ألا نحدث النساء عنها .
(يهمس من جديد .) سنهيهُ ذلك في هذا المساء اذن .

كسينيا : ستهيئان ماذا ؟
الطبيب : استشارة مع عدة أطباء آخرين .
كسينيا : يا للسا - وات !
الطبيب : أوه ، ليس في ذلك شيء رهيب . حسناً ، وداعاً .
(يخرج .)

كسينيا : يا له من رجل صارم . . . وهو ليس أفضل من
الآخرين ! يقبض خمسة روبلات أجراً لخمس دقائق .
ستون روبلاً في الساعة - ما رأيك بهذا ؟

زفونتسوف : يقول إن الأمر يستوجب عملية .
كسينيا : ماذا ، السكين ؟ لا شيء من هذا القبيل ! لن أسمع
بأن تتناوله السكين . . .

زفونتسوف : لكن اسمحي لي . . . هذا جهل خالص ! الجراحة
والعلم . . .

كسينيا : لا أبالي بعلمك البتة . وهكذا ! فانت قليل الأدب
معي ايضاً .

زفونتسوف : انا لا أتحدث عن الأدب الآن - إنني أتحدث عن
جهلك . . .

كسينيا : وأنت متنور جداً ، اليس كذلك ؟

(يلوح زفونتسوف بذراعيه في غيظ ، ثم يخطو مبتعداً . وفي
تلك اللحظة ، تندفع جلافيرا الى وسط الغرفة)

كسينيا : إلى أين تنطلقين ؟
جلافيرا : جرس غرفة النوم . . .

(تتبعها كسينيا إلى غرفة نوم بوليتشوف)

زفونتسوف : اختار حمى أن يمرض في وقت غير ملائم .
باشكين : نعم . وهذا مزعج . في مثل هذه الأوقات يتصيد
الأذكياء المال في الهواء كالمشعوذين .
زفونتسوف : هم ، بلى ! وبالإضافة إلى هذا فثمة ثورة تفرع
الأبواب .

باشكين : وهذا ما لا أوافق عليه . لقد قامت ثورة عام
١٩٠٥ ، وكانت فقاعات لا فائدة منها .

زفونتسوف : في عام ١٩٠٥ حدث عصيان - لا ثورة . في ذلك
الوقت كان العمال والفلاحون في بيوتهم - أما الآن ،
فهم جميعاً في الجبهة . وستقوم الثورة ، هذه المرة ،
ضدّ الموظفين الكبار ، والحكام ، والوزراء .

باشكين : إذا كانت الحال ما ذكرت ، فليباركها اللّٰه
ويتعهدا برعايته ! فالموظفون أكثر شراً من القراد .
إذا التصقوا بجلدك مرة ، فلن تستطيع انتزاعهم
منه . . .

زفونتسوف : ومن الواضح أن القيصر لا يصلح للحكم .
باشكين : يتردد مثل هذا القول بين التجار أيضاً . يقولون ان
فلاحاً أو ماشابه يحوم حول القيصرة .

(تظهر فارفارا على السلم ، وتقف مرهفة أذنيها)

زفونتسوف : نعم ، جريجوري راسبوتين .
باشكين : على كل حال فانا لا أوْمَن بالسحر .
زفونتسوف : أفلا تؤْمَن بالعشاق أيضاً ؟
باشكين : تلك تبدو حكاية ملفقة بالنسبة اليّ . فلديها
المئات من الجنرالات تستطيع الانتقاء من بينهم .
فارفارا : يا للهراء !

باشكين : الجميع يقولون هذا ، يا فارفارا ييجوروفنا . أما
من جهتي أنا ، فأعتقد أننا عاجزون عن العمل بدون
قيصر .

زفونتسوف : نحن في حاجة الى قيصر - ليس في بتروغراد -
بل في رؤوسنا . (الى فارفارا) هل انتهت المسرحية ؟
فارفارا : أُجِلّت . لقد جاء أحد المفتشين ، وقال إن دفعة
جديدة من الجرحى تُنتظر هذه الليلة ؛ خمسمائة رجل
تقريباً ، ولا يوجد لهم مكان .

(تدخل جلافيرا)

جلافيرا : إنه يسأل عنك ، يا موكي بتروفيتش .

(تخرج جلافيرا وباشكين . يترك الأخير قبعته على الطاولة)

فارفارا : كيف تثق به وتأتمنه ؟ أنت تدري أنه يتجسس
علينا لحساب أمي . إنه يلبس هذه القبعة منذ عشر

سنوات ، هذا الشحيح ! ذلك كله دنس وقذارة !
لست أفهم فيم تصاحب هذا المحتال و . . .
زفوتشوف : آه ، كفاك . . إنما أبغي أستدانة المال منه
كي أرشو بيتلينغ . . .
فارقارا : لكنني أخبرتك أن ليزا دوستيجاييفا ستدبر كل
هذا بواسطة جانا ! وسيكون ذلك أرخص أيضاً . . .
زفوتشوف : لسوف تخدعك ، ليزا . . .
كسينيا (من غرفة نوم زوجها) : تعالوا وارغموه على
الاضطجاع ! إنه يتابع التجوال في الغرفة ، والصياح في
وجه باشكين . . . يا إلهي ارحمني ! . . .
زفوتشوف : اذهبي اليه ، يا فاريبا . . .
بوليتشوف (في منامته وخفيه المكسوين باللباد) : حسناً ،
وماذا أيضاً ؟ هذه الحرب المشؤومة ؟
باشكين (يتبعه) : من ينكر ذلك ؟
بوليتشوف : مشؤومة بالنسبة الى من ؟
باشكين : لنا نحن .
بوليتشوف : ومن تقصد ب . . . «نحن» ؟ أنت تقول انهم
يجمعون الملايين من هذه الحرب ؟ حسناً ؟
باشكين : كنت أقصد للشعب . . .
بوليتشوف : إنما الشعب هو الفلاح ، وسواء لديه أعاش
أم مات ! هذه هي كل الحقيقة التي تتحدث عنها !
كسينيا : لا تهتج ، محبة بالله . فالهياج يؤديك .
باشكين : لم أقصد ذلك البتة . أي نوع من الحقيقة تسمي
ذلك ؟

بوليتشوف : الحقيقة الصادقة . هذه هي الحقيقة . وأقول
بصراحة ان عملي هو جمع المال ، أما عمل الفلاح -
فزرع الحبوب ، وشراء السلع . وهل هناك حقيقة غير
هذه ؟

باشكين : هذه هي الحقيقة طبعاً ، انما . . .
بوليتشوف : حسناً ، ماذا تقصد بـ«انما» ؟ فيمَ تفكر عندما
تسرقني ؟

باشكين : لِمَ تهينني هكذا ؟
كسينيا : لم لا تفعلين شيئاً ، يا فاريبا ؟ أقنعيه ، فالمطلوب
منه أن يضطجع في فراشه .

بوليتشوف : أفي الشعب أنت تفكر ؟
باشكين : تهينني أمام الجميع ! أنا سرتك ! هذا يتطلب
برهاناً !

بوليتشوف : ليس هنالك شيء يُبرهن عليه . الجميع
يعرفون أن السرقة عمل مشروع . وليس من مبرر
لاهاتك . فالاهانة لا تجعل منك انساناً أفضل ، بل
تزيدك سوءاً ليس غير . ثم لست أنت السارق ، بل
الروبل . الروبل بالذات هو اللص الأعظم . . .

باشكين : لا يمكن أن يقول هذا القول سوى شخص مثل
ياكوف لابتيف .

بوليتشوف : هذا ما يقوله بالضبط . حسناً ، في مقدورك
الذهاب الآن . إن بيتلينغ لن يحصل على أية رشوة .
لقد حصل منا على ما يكفي ، ما يكفي ثمننا لنعشسه

وكفنه ، ذلك الشيطان العجوز ! (يخرج باشكين) ماذا تفعلون هنا ؟ ماذا تنتظرون ؟

فارقارا : لا ننتظر شيئاً .

بوليتشوف : لا شيء حقاً ؟ حسناً ، اذا كنتم لا تنتظرون شيئاً ، فهيا الى أعمالكم . افليس لديكم ما تعملون ؟ أكسينيا ، مري أحدهم بتهوية غرفتي . انها خانقة الجو - عابقة برائحة الأدوية الحادة . وبعد ، قل لي لجلافيرا أن تحمل لي بعض الكفاس المصنوع من التوت البري .

كسينيا : لا يجوز لك ان تشرب الكفاس .

بوليتشوف : هيا ، هيا من هنا ! إنني أعلم ما يجوز لسي وما لا يجوز .

كسينيا : (وهي خارجة) : لو كنت تعلم فقط . . .

(الجميع يغادرون الغرفة)

بوليتشوف (يدور حوالي الطاولة ، مستنداً اليها بيده . يرنو إلى المرأة ، ويقول بأعلى صوته) : أنت في حالة سيئة ، يا ييجور . وبوزك . وبوزك هذا - لا يبدو أنه بوزك ايضاً !

جلافيرا (تدخل حاملة قحماً من الحليب على صينية) : اليك قليلاً من الحليب .

بوليتشوف : أعطيه للقطعة . واثيني بي بعض الكفاس - الكفاس المصنوع من التوت البري .

جلافيرا : قالوا لي الا اقدم اليك كفاساً .
بوليتشوف : لا تهتمي بما يقولون لك - هيا اثيني به .
مهلاً ! ماذا تحسبين - هل ساموت ؟
جلافيرا : هذا غير معقول .
بوليتشوف : لماذا ؟
جلافيرا : لا اصدق ذلك !
بوليتشوف : لا تصدقين ذلك ؟ لا ، يا عزيزتي ، حالتني
رديئة ! رديئة جداً . انا اعرف !
جلافيرا : لا اصدق ذلك .
بوليتشوف : امرأة عنيدة ، هذه حقيقتك . هيا ، ولتناول
الكفاس إذن . وسأشتف قطرة من فودكا
البرتقال . . . فذلك يفيدني . (يتجه نحو الخزانة .)
لقد أقفلوها ، حلت عليهم اللعنة . الخنازير القذرة
يحافظون عليّ ! يخيل اليّ لكأنسي سجين ، او
معتقل . . .

ستار

الفصل الثاني

غرفة استقبال آل بوليتشوف . زفونتسوف وتياتين يجلسان في احدى الزوايا الى طاولة صغيرة مدورة ، وعلى الطاولة تنتصب زجاجة من الخمرة .

زفونتسوف (يشعل دخينة) : أفهمتي ؟

تياتين : بصراحة ، يا أندريه ، لا أحب ذلك . . .

زفونتسوف : ولكنك تحب المال ، اليس كذلك ؟

تياتين : أنا آسف ، ولكنني أحبه .

زفونتسوف : من الذي تأسف له ؟

تياتين : نفسي ، بالطبع .

زفونتسوف : إنها لا تستحق ذلك !

تياتين : لكنك تعرف ، مع ذلك ، ان صديقي الوحيد هو انا

نفسى .

زفونتسوف : يحسن ان تقلل من فلسفتك ، وأن تفكر

قليلاً .

تياتين : انني أفكر . انها شابة مدللة ، وسوف تكون

مشكلة عويصة .

زفونتسوف : تستطيع ان تطلقها .

تياتين : فاحتفظ هي بالمال . . .

زفونتسوف : سنرتب الأمور بحيث تحصل عليه أنت . أما

شورا ، فلسوف أروضها بنفسى .

تياتين : بشرفي اني . . .
زفونتسوف : عندما أسوّي الأمر معها فسوف يتعجلون
تزوجها وإعطاء بائنة أعظم .
تياتين : هذه فكرة رائعة وربّي ! وكم هي البائنة ؟
زفونتسوف : خمسون .
تياتين : ألفاً ؟
زفونتسوف : كلا . خمسون زراً .
تياتين : حقاً ؟
زفونتسوف : لكنك ستكتب لي وصلاً بعشرة .
تياتين : آلاف ؟
زفونتسوف : كلا . روبلات ! يا حمار !
تياتين : لكن هذا كثير . . .
زفونتسوف : فلنقل الموضوع ، إذن .
تياتين : هل أنت جادٌ بهذا الشأن ؟
زفونتسوف : وحدهم الحمقى لا يكونون جادين في موضوع
المال . . .
تياتين (يضحك في سره) : انها فكرة رائعة .

(يدخل دوستي جايف)

زفونتسوف : يسعدني ان اراك قادراً على استيعاب شيء ما !
ان مثقفاً بروليتارياً مثلك لا يستطيع في هذه الأيام
المتوحشة . . .
تياتين : نعم ، بالطبع . حسناً ، يجب ان اسرع الى المحكمة
الآن .

دوستيجايف : ما الذي يقلقك ، يا ستيبان ؟

زفونتسوف : كنا نتحدث عن راسبوتين .

دوستيجايف : ياله من سعد ، ها ؟ فلاح سيبيريّ عادي - ويلعب «الداما» مع المطارنة والوزراء . لا بدّ أن مئات الألوف من الروبلات مرّت بين يديه . لم يقبل قط رشوة تقل قيمتها عن عشرة آلاف ! انها حقيقة - استقيتها من مصدر موثوق ، لم يقبل اقل من ذلك ! ماذا تشربان ؟ بورغوندية ؟ انها حمرة ثقيلة ، لا تشرب الا في فترة الغداء ، أيها الجهلاء !

زفونتسوف : كيف عثرت على حمى ؟

دوستيجايف : لم اضطر للعثور عليه ، فهو لم يكن مختبئاً . جنني بقدر ، يا ستيبان ! (تياطين يخرج على مهله) يجب أن اعترف ان بوليتشوف ، والحق يقال ، في حال سيئة . حالته خطيرة . . .

زفونتسوف : يخيل الي ، أنا الآخر ، أن . . .

دوستيجايف : نعم . بالضبط . ثم هو يخشى الموت ، وهكذا لا بد ان يموت . لا تنس هذا . هذه هي ايام العمر حيث لا يجوز أن تضبط متثائباً ويداك في جيبيك . ذلك لن ينفع شيئاً . إن الخنازير تهاجم سياج الدولة من كل مكان ، أما أن الثورة ستستعمل فأمرٌ يدركه حتى الحاكم المحلي . . .

تياطين (يدخل حاملاً قدحاً فارغاً) : خرج ييجور فاسيليفيتش الى غرفة الطعام .

دوستیجایف (یتناول القدرح) : شکرأ ، یا سستیبان . تقول
انه خرج ؟ حسنأ ، فلنذهب الى هناك اذن . . .
زفونتسوف : يبدو ان الصناعیین يعرفون ما ینبغي ان
یفعلوا . . .

(فارفارا وإیلیزافیتا تدخلان)

دوستیجایف : أتعني أولئك الذین فی موسکو ؟ انهم يعرفون
بالضبط !

إیلیزافیتا : یجلسون هنا یعاقرون الخمرة مثل جماعة من
عصافیر الدورى ، بینا بولیتشوف هناك یجسأر
ویخور ! هذا رهیب بكل بساطة !

دوستیجایف : لماذا تزدهر أمیرکا ؟ لأن اصحاب الأعمال
هناك هم فی السلطة .

فارفارا : ان جانأ یتلینغ تعتقد بصورة راسخة أن طبأخی
أمیرکا یتبضعون فی سيارات .

دوستیجایف : هذا محتمل والأرجح مع ذلك أنها أكذوبة .
وانت ، یا فاریا ، لا تبرحین مشغولة مع العسکریین علی
ما أعتقد ؟ هل تریدین شغلاً مع عقید ما ؟

فارفارا : آه ، تلك نکتة قديمة ! بماذا تحلم ، یا تیاتین ؟
تیاتین : آوه ، أبدأ ، لاشيء ، عموماً . . .

إیلیزافیتا (أمام المرآة) : روت لی جانأ البارحة نکتة
رائعة ! مدهشة !

دوستیجایف : حسنأ ، تعالی ، قصیها علینا .

**إيليزافيتا : لا أستطيع ذلك أمام الرجال .
دوستيجاييف : لا بدّ أنها مدهشة !**

(فارفارا تهمس بشيء في أذن إيليزافيتا)

**إيليزافيتا : حسناً ، يازوجي ! أمزمع أنت على البقاء هنا حتى
تفرغ الزجاجة ؟**

**دوستيجاييف : لا أعترض سبيل أحد ، أليس كذلك ؟
إيليزافيتا (إلى تياتين) : أنت تعرف ، يا عزيزي ستيبان ،
ما يقول المزمور : «مبارك هو الانسان الذي لا يسير
على طريق الضلال ، ولا يقف في طريق الخطأة !» .**

**تياتين : نعم ، أعتقد أنني أتذكر شيئاً مثل هذا . . .
إيليزافيتا (تتأبط ذراعه) : حسناً ، هؤلاء جميعاً خطأة
شريرون ، وأنت شاب لطيف خلقت لضوء القمر ،
والحب ، وإلى آخر ما هنالك . ألسنت كذلك (تقوده
بعيداً)**

**دوستيجاييف : يالها من ثرثرة !
فارفارا : فاسيلي ييفيموفيتش ، أنت تعلم أن والدتي
وباشكين أرسلوا في طلب العمّة ميلانيا .**

**دوستيجاييف : الراهبة ؟ أو - و - ه ، المدفعية الثقيلة !
إنها ستقف ضدّ شركة دوستيجاييف وزفونتسوف .
لسوف تفعل . إنها تؤيد لوحة يكتب عليها «كسينيا
بوليتشوفنا ودوستيجاييف» .
زفونتسوف : قد تسحب حصتها من المشروع .**

دوستيجاييف : كم تبلغ حصة ميلانيا من المال ؟ سبعون ألفاً ؟

زفونتسوف : تسعون .

دوستيجاييف : مبلغ محترم ! وهل هو من مالها الخاص أو من مال الدير ؟

فارفارا : كيف يمكن اكتشاف ذلك ؟ من يدري ؟

دوستيجاييف : أوه ، هذا يمكن . يمكن اكتشاف كل شيء .

فالألمان مثلاً لا يعرفون عدد جنودنا في الميدان

فحسب ، بل حتى عدد القمل في جسد كل واحد منهم .

فارفارا : أفلا تستطيع أن تكون جاداً في أمر ما ؟ . .

دوستيجاييف : يا عزيزتي فاريا ، لا تستطيعين أن تتاجري

أو تخوضي غمار الحرب إلا إذا كنت تعرفين كيف

تحصين ما في جيبك من مال . نستطيع أن نعرف أمر

أموال ميلانيا على هذا الغرار : هنالك سيدة تدعى

سيكلاتيا بولوبويارينوفا شاركت المحترم نيكاندر

سهره الليلي ، ونيكاندر هذا يعرف كل ما يجب معرفته

عن أموال الآخرين . وبالإضافة ، هنالك رجل في

المجمع المقدس - وسوف نحفظ به كاحتياطي .

أريدك أن تكلمي بولوبويارينوفا هذه ، يا فاريا ،

فاذا تبين أن المال يخص الدير - حسناً ، اننا نعرف

موقفنا إذن ! أين تسلت زوجتي العزيزة ، يا ترى ؟

جلافيروا : أرسلوني أدعوكم الى غرفة الطعام .

دوستيجاييف : سنكون هنالك بعد ثوان . تعالوا بنا ،

جميعاً .

فارفاراً (تتظاهر بأن طرف ثوبها علق في ذراع المقعد) :
أندريه ، هلاًّ ساعدتني في تخليص هذا ! . . هل
تصدقه ؟

زفونتسوف : وهل أبدو مجنوناً ؟

فارفاراً : أوه ، يا له من لص غشاش ! كانت فكرتي بشأن
العمة جيدة ، وماذا عن تياتين ؟

زفونتسوف : لسوف أقنعه .

فارفاراً : يجب الاسراع في هذا . . .

زفونتسوف : لماذا ؟

فارفاراً : لأنه لن يكون لك بدٌ من الانتظار طويلاً بعد
الجنائز . ووالدي قلبه ضعيف أيضاً . . وبالإضافة الى
هذا ، فلديّ أسباب أخرى .

(يخرجان ، فيواجهان جلافيرا في الطريق . تلاحقهما بنظرة
حقود ، ثم تشرع في تنظيف الطاولة . يدخل لابتيف .)

جلافيرا : انتشرت إشاعة نهار البارحة تقول انك معتقل .

لابتيف : حقاً ؟ لا أعتقد أنها صحيحة .

جلافيرا : أنت دائم الدعابة والمزاح !

لابتيف : لا شيء للتغذية بينما الكثير للسخرية .

جلافيرا : لسوف تُدق عنقك ذات يوم من جراء سخرياتك .

لابتيف : السخرية الجيدة تنال المديح ، أما ياكوف فسيدق

عنقه بسبب دعاياته السيئة .

جلافيرا : آوه ، أيها الثرثار ! شورا هنالك برفقة تونينا دوستيجايفا .

لابتيف : بررر - لا شأن لي بتونيا !

جلافيرا : هل أنادي شورا الى هنا ؟

لابتيف : فكرة رائعة . كيف حال بوليتشوف ؟

جلافيرا (ساخطة) : ليس هو بوليتشوف بالنسبة إليك - إنه عرابك .

لابتيف : لا تغضبي ، ياعمة جلافيرا .

جلافيرا : حاله سيئة جداً .

لابتيف : سيئة جداً ؟ رويدك لحظة ! شركائي جياع . افليس

في وسعك ، يا عمة جلافيرا ، أن تحصلي على بعض

الدقيق لهم ، بودين أو لنقل كيساً كاملاً ؟

جلافيرا : أتريدني أن أسرق مستخدمٍ من أجل خاطرك ؟

لابتيف : وكأنها المرة الأولى ! فقد أخطأت من قبل على أية

حال - عبء الخطايا يقع على عاتقي . الشبان ساغبون ،

يبغون شيئاً يسدُّ الرمق . وباعتبار العمل الذي

تقومين به في هذا البيت ، فإن لك حقاً أكثر ممَّا

لمستخدميك .

جلافيرا : سمعت هذه الأقاصيص منك قبلاً ! سيرسلون

الطحين غداً صباحاً الى دونات ، فتستطيع اخذ كيس

منه . (تخرج)

لابتيف : شكراً ! (يجلس على المتكأ ، ويتنأب حتى تنهمر

الدموع من عينيه ، فيمسحها ويتطلع حواليه) .

كسينيا (تدخل وهي تجمجم) : يهربون لما تهرب الشياطين
من البخور . . .

لابتيف : نهارك سعيد . . .

كسينيا : أوه ! فيم جلوسك هنا ؟

لابتيف : هل يحسن بي أن أتجول إذن ؟

كسينيا : إما أنه لا يوجد في مكان ، أو ينبثق فجأة ! وكأنه
يلعب الاستغماية ! عرابك يضطجع مريضاً ، وأنت لا
تبالي .

لابتيف : وماذا أفعل ؟ أمرض ، أنا الآخر ؟

كسينيا : لقد جننتم جميعاً ، وها أنتم تحاولون دفع الآخرين
إلى الجنون . الحقيقة أن المرء لا يستطيع أن يفهم شيئاً
من شيء ! هل سمعت أنهم يريدون وضع القيصر في
قفص مثلما فعلوا ببوغاتشيوف * ؟ والآن ، أنت عالم
فقل لي ، أهم يكذبون أم ماذا ؟

لابتيف : كل شيء محتمل ، كل شيء !

جلافيرا (تصيح من خارج المسرح) : اكسينيا ياكوفليفنا ،
تعال لي لحظة .

كسينيا : ما الأمر الآن ؟ لا أملك دقيقة راحة وسلام .
ساعدني ، يارب ! (تخرج .)

* بوغاتشيوف ايميليان (١٧٤٢-١٧٧٥) زعيم حرب الفلاحين
(١٧٧٣-١٧٧٥) أثار انتفاضة القوزاق عام ١٧٧٣ تحت إسم
القيصر بطرس الثالث . سلم بأمريين عام ١٧٧٤ للسلطات . اعدم
في موسكو . الناشر .

شورا (تدخل راكضة) : مرحباً !
لابتيف : شورا ، انني راحل الى موسكو ، ولا أملك
كوبيكاً - ساعديني !
شورا : لدي ثلاثون روبلاً . . .
لابتيف : أفلا تجعلينها خمسين ، أفلا تستطيعين ؟
شورا : سأتدبرها لك .
لابتيف : هذا المساء انطلاق قبل قطار الليل ، هل تهيئين ذلك ؟
شورا : نعم إسمع : هل ستكون هنالك ثورة ؟
لابتيف : كيف ، لقد انفجرت منذ الآن ! ألا تقرئين الصحف ؟
شورا : لا أستطيع فهمها .
لابتيف : حسناً ، سلمي تياتين .
شورا : ياكوف ! أخبرني صراحة ، ماذا تظن في تياتين ؟
لابتيف : ظريف ! أنت ترينه كل يوم منذ قرابة ستة
شهور .
شورا : هل هو شريف ؟
لابتيف : حسناً . . . نعم .
شورا : لا تبدو شديد الثقة بما تقول .
لابتيف : أوه ، إنه رخو نوعاً ما . من ذلك النوع البليد .
لعله يشعر بالغبن .
شورا : من أساء اليه ؟
لابتيف : طردوه من الجامعة في عامه الثاني . وعمل عند ابن
عمه ككاتب حسابات ، وابن عمه . . .
شورا : زفونتسوف لص غشاش ، أليس كذلك ؟

لابتيف : بل ليبرالي ، من الحزب الدستوري الديموقراطي ،
وهم جميعاً لصوص غشاشون على العموم . أعطي المال
الى جلافيرا وهي ستعطيه لي .

شورا : وهل تساعدك جلافيرا وتياتين ؟

لابتيف : في أي عمل ؟

شورا : لا تراوغ ، يا ياكوف ! فأنت تفهم تماماً ! أريد
المساعدة بدوري ، هل تفهم ؟

لابتيف (مذهولاً) مابالك ، يا صبيّة ؟ أنتِ تمثلين وكأنك
أفقتِ لتوكِ .

شورا (ساخطة) : اياك والتجرؤ على السخرية مني ! أنتِ
أحمق !

لابتيف : لعلي أحمق ، ومع ذلك أريد ان افهم . . .
شورا : إن فارفارا آتية !

لابتيف : أوه ، لا أريد رؤيتها .

شورا : تعال ، إذن ، أسرع !

لابتيف (يحوط كتفيها بذراعه) : لا ، أخبريني ، ماذا يعمل
في جوفك ؟

(يخرجان ، ويفلقان الباب خلفهما)

قارفارا (وقد سمعت قرقعة القفل ، تسرع الى الباب وتدير
قبضته) : أهذه أنت ، يا جلافيرا ؟ (صمت) أهناك
أحد ؟ ما أغرب ذلك ! . . (تخرج مسرعة)

(تظهر شورا ، وهي تشدُّ دونات من يده)

دونات : الى اين تجرينني ، يا شورا ؟
شورا : قف ! قل لي الآن : هل يحترمون والدي في المدينة ؟
دونات : الأغنياء محترمون في كل مكان . يالك من وحشة
كاسرة ! . .

شورا : أهم يحترمونه أم يخافونه ؟
دونات : ان لم يخافوه ، فلن يحترموه إذن !
شورا : وما يحبون فيه ؟
دونات : يحبونه ؟ لست أدري .

شورا : هل تدري انهم يحبونه حقاً ؟
دونات : هوَ ؟ حسناً - يبدو ان سائقي العربات يحبونه ؛
فهو لا يساومهم أبداً ، ويدفع لهم الأجر الذي يطلبون .
وكل سائق عربية يخبر غيره طبعاً ، وهكذا دواليك . . .
شورا (تضرب الأرض بقدمها) : هل تسخر مني ؟
دونات : لا . انني أخبرك الحقيقة .

شورا : اضحيت شريراً . وتحولت الى رجل مختلف تماماً !
دونات : وكيف اتحول الى رجل مختلف ؟ لقد فات الوقت من
أجل ذلك .

شورا : لقد اعتدت أن تمتدح والدي امامي .
دونات : وانا لا أحط من قيمته الآن . إن لكل سمكة
حراشفها الخاصة .

شورا : جميعكم كذابون .
دونات (يتنهد مطاطناً رأسه) : لا تغضبني ، فالغضب لا يثبت
شيئاً .

(تدخل جلافيرا)

شورا : أخرج من هنا ! (يخرج دونات) إسمعي ،
يا جلافيرا . . . صه . أحدهم قادم ! (تختبي خلف
الستائر)

(يدخل الكسي دوستيجايف ، وهو شاب متصنع مغرور
يرتدي سروال ركوب الخيل ، وسترة سويدية ذات أحزمة لا
تُحصى ، وشرايط وجيوب)

الكسي : أنت تزادين حسناً وبهاء يوماً بعد يوم ، يا
جلافيرا !

جلافيرا (في جفاء) : يسعدني أن أسمع ذلك .

الكسي : لكنني لست سعيداً . (يسد درب جلافيرا) لا أحب
شيئاً جميلاً ما لم يكن ملكاً لي .

جلافيرا : دعني امرء ، من فضلك .

الكسي : بكل تأكيد . (يتنأب ويحملق في ساعته)

(تخرج جلافيرا وتدخل أنطونينا يتبعها تياتين بعد قليل)

شورا (تخرج من خلف الستائر) : أنت تغازل الخادما
أيضاً ، كما أرى ؟

أنطونينا : لا فرق لديه حتى ولو كانت سمكة .

الكسي : الخادما لسن أسوأ من السيدات عندما تعريهن .

أنطونينا : أسمعت هذا ! انه يتحدث هكذا على الدوام
كما لو انه لم يعيش في ساحة حرب بل في خمارة .

شورا : نعم . كان من قبل كسولاً كما هو حاله الآن ، ولكنّه لم يكن شجاع اللسان الى هذه الدرجة .

الكسي : انني مقدم في الأفعال أيضاً .

انطونيا : أوه ، يا للكذاب ! إنه جبان ، وأي جبان ! إنه يموت فرعاً من ان تعتمد امرأة ابيه الى إغوائه .

الكسي : فيم اختلاق هذه الأفاصيص ؟ حمقاء !

انطونيا : وهو نهم لدرجة مقرفة . وهل تعلمين أنني أدفع له روبلاً وعشرين كوبيكاً لقاء كل يوم لا يقول لي فيه شيئاً بديئاً ! وانه يأخذ المبلغ !

الكسي : هل تعجبك انطونيا ، يا تياتين ؟

تياتين : نعم ، كثيراً .

شورا : وأنا ؟

تياتين : أتريدين الحقيقة ؟ . .

شورا : بلى ، الحقيقة طبعاً !

تياتين : ليس كثيراً .

شورا : هكذا ؟ هذه هي الحقيقة ، ها ؟

تياتين : نعم .

انطونيا : لا تصدقيه ، إنه يرجع صدى إنسان سواه ليس غير .

الكسي : بودي أن تتزوج انطونيا ، يا تياتين . لقد مللتها .

انطونيا : أيها الحمار الأخرق ! اخرج من هنا ! أنت ، يامن تبدو كفسالة حبلى .

الكسي (يلف خصرها بساعده) : أوه ، يا للفتاة

الأرستقراطية ! لا تأكلي حبوب عبّاد الشمس ،
يا عزيزتي . سي موفي تون * .
أنطونيا : دعني وشأني !
الكسي : بكل سرور ! (يرقص وإياها)
شورا : لعلي لا أعجبك مطلقاً ، يا تياتين ؟
تياتين : ولماذا تصرّين على معرفة ذلك ؟
شورا : يجب أن أعرف ، فذلك يهمني .
الكسي : لماذا تدور حول الموضوع ، ياتياتين ؟ ترجو أن
تتزوج بها . الفتيات بأجمعهن في عجلة من أمرهنّ
اليوم ، يبغين أن يصبحن أرامل الأبطال . هذا معناه
جراية طيبة ، وهالة من التمجيد ، ومعاش تقاعدي . . .
أنطونيا : ويظنّ أنه ذكيّ .
الكسي : حسناً ، سأرحل خبيّاً الآن . هلاّ رافقتني الى
المدخل ، يا تونكا ؟
أنطونيا : لا أريد !
الكسي : أودّ إطلاعك على أمرٍ ما . تعالي ، فالأمر جدّي .
أنطونيا : الأمر حماقة ، على ما أعتقد .

(يخرج الكسي وأنطونيا)

* تلك عادة سينة (بالفرنسية) . **المعرب** .

شورا : أنت رجل صادق يا تياتين ؟

تياتين : كلا .

شورا : لماذا ؟

تياتين : ذلك لا يفيد .

شورا : اذا كنت تقول هذا فمعنى الأمر أنك صادق . قل لي

الآن صراحة - هل نصحوك ان تخطبني ؟

تياتين (بعد فترة صمت ، أشعل خلالها دخينة) : نصحوني .

شورا : وأنت تفهم أنها نصيحة سيئة ؟

تياتين : أفهم .

شورا : وهكذا فأنت . . . حسناً ، لم أكن أتوقع هذا !

حَسِبْتُ أَنْكَ . . .

تياتين : كان يجب أن تظني بي السوء . أليس كذلك ؟

شورا : كلا ، فأنت رائع ! لكن لعلك ماكر فقط ، إيه ؟

ولعلك تدعي الاستقامة كي تخدعني ؟

تياتين : ذلك كثير بالنسبة إليّ . فأنت ذكية وأنت سريعة

الغضب ، مشاكسة - نسخة طبق الأصل عن أبيك

تماماً . وبصراحة ، أنا أخافك . ثم إن الشعر الأحمر

يتورج رأسك مثل ييجور بوليتشوف . إنه يشبه

شعلة الحريق .

شورا : أنت ظريف ، يا تياتين ! لكنك مكار بصورة

رابعة . . .

تياتين : وإن وجهك بديع . . .

شورا : حديثك عن وجهي محاولة لتلطيف الضربة ، أليس

كذلك ؟ آه ، انك داهية على كل حال !

تياتين : فكري ما تشائين . أما رأيي فيك فهو انه مقدر لك أن تقترفي . . . جريمة ما . أما أنا - فقد اعتدت الحياة ومخالبي ظاهرة واضحة - مثل جرورٍ مذنب . . .

شورا : مذنب بماذا ؟

تياتين : لا أدري . لكنني جروراً ولا أملك أنياباً أعضُ بها .
أنطونيا (تدخل) : قرصني ذلك الأحق الكسي قرصة مؤلمة في أذني . وأخذ جميع ما أملك من مال - ذلك اللص ! هل تدرين أنه سيسرب حتى الموت - أنا واثقة من هذا ! هو وأنا لسنا سوى ولدين من أولاد التجار لا نصلح لشيء . أضحكك هذا ؟

شورا : تونيا ، انسي كل السوء الذي تفوهت به عنه .

أنطونيا : عن تياتين ؟ ماذا قلت عنه ؟ لا أذكر .

شورا : حسناً ، انه يريد ان يخطبني .

أنطونيا : وأي سوء في هذا ؟

شورا : لأن المال هو الدافع .

أنطونيا : آه ، بلى ! تلك قذارة منك ، يا تياتين !

شورا : من المؤسف أنك لم تسمعي أجوبته عن أسئلتي .

أنطونيا : فاروماتك ؟ هل تتذكرين «فاروم» * شوبيرت ؟

تياتين : هل هي لشوبيرت ؟

أنطونيا : ان فاروم ليرنُ وقعها أشبه «أبوسعن» ، ذلك

النوع المكتتب من الطيور القاطن في . . . أفريقيا .

شورا : يا للأشياء التي تختلقينها !

* كلمة المانية Warum تعني : لماذا ؟ الناشر .

انطونيينا : إنني أتعشق الأشياء الراحبة أكثر من اي شيء
آخر . عندما يرتعب المرء ، فهو لا يضجر إذن . أحب
الآن الجلوس في الظلمة ، منتظرة ان يزحف اليّ شعبان
ضخم . . .

تياتين (مقهياً) : هل تعنين ذلك الشعبان الذي كان في جنّات
عدن ؟

انطونيينا : كلا ، بل أكثر منه رعباً وهولاً .
شورا : أنت ظريفة ! على الدوام ، تستنبطين شيئاً جديداً ،
في حين يجمع الجميع بالأشياء عينها : الحرب
وراسبوتين والقيصرة والألمان ، أما الحرب
والثورة . . .

انطونيينا : سوف تكونين مثلة أو راهبة .
شورا : راهبة ؟ يا للكلام الغث !
انطونيينا : صعب جداً ان تكوني راهبة . فلا بدّ لك إذن ان
تلعبى ، على الدوام ، الدور نفسه .

شورا : أريد ان أصير لعوباً ، مثل نانا زولا .
تياتين : يارب ! ما هذا الذي تقولين ؟
شورا : أريد ان أفسد الناس ، فأخذ بثأري وأنتقم .
تياتين : ممن ؟ ولماذا ؟

شورا : لأنى حراوية الشعر ، ولأن والدي مريض . . .
ولكل شيء ! انتظر ، حتى تنفجر الثورة . . . ولسوف
أريكم ! لسوف ترى !

انطونيينا : هل تصدقين أنه ستكون هنالك ثورة ؟
شورا : نعم ، أصدق !

تياطين : نعم ، لسوف تشتعل ثورة .

(تدخل جلافيرا)

جلافيرا : جاءت الأم ميلانيا ، يا شورا ، ويريد ييجور فاسيليفيتش أن يستقبلها ههنا .

شورا : هه - العمة ميلانيا ! تعالوا الى غرفتي ، ايها الاطفال ! هل تحترم أخاك ، يا تياتين ؟

تياتين : إنه - ابن عمي .

شورا : ليس هذا بجواب .

تياتين : يبدو لي أن الأقرباء على العموم نادراً ما يحترمون بعضهم بعضاً .

شورا : الآن ، هذا جواب !

أنطونيا : كفاكما ثرثرة عن أشياء مضجرة .

شورا : إنك مضحك ، يا تياتين .

تياتين : حسناً ، وماذا أستطيع أن أفعل بعد ذلك ؟

شورا : وأنت تلبس ثيابك بطريقة مضحكة أيضاً .

(يخرجون . تفتح جلافيرا باباً مختفياً خلف ستارة كثيفة

ثقيلة ، ويظهر بوليتشوف في اللحظة ذاتها على العتبة التي

خرج منها الشبان . تدخل الراهبة ميلانيا بخطوات بطيئة

مهيبية ، تمسك عصا في يدها . تقف جلافيرا محنية الرأس ،

وهي تردُّ الستارة الى الخلف)

ميلانيا : وهكذا فأنت تتسكعين بعد في هذه النواحي ، ايتها الخاطئة ؟ أفلم يطرودك بعد ؟ لكن سوف يطرودك قريباً .

بوليتشوف : وعندها تقتادينها الى الدير ، وتجعلين منها راهبة - فهي تملك الكثير من المال .

ميلانيا : آه - أنت ، أنت ، هنا ؟ عجباً يا ييجور ، لشد ما تبدو ضعيفاً ! أعانك الله !

بوليتشوف : أغلقي الباب ، يا جلافيرا ، ولا تأذني لأحد بالدخول . إجلسي . . . يا صاحبة القداسة ! عن أي عمل سوف نتحدث ؟

ميلانيا : لم يفدك الأطباء كثيراً ، ها ؟ أنت ترى : ان الله يمنع يده ليوم واحد ، لسنة ، لجيل . . .

بوليتشوف : لسوف نتحدث عن الله فيما بعد - الأعمال أولاً . أنا أعرف أنك جئت تتحدثين عن مالك .

ميلانيا : المال ليس مالي ، لكنه يخص الدير .

بوليتشوف : ذلك سواء ، الدير ، الغير ، الطير . . . فيم يقلق المال أفكارك ؟ أتخافين أن أموت فيضيع عليك ؟

ميلانيا : لا يمكن أن يضيع ، بيئدَ أني لا أريده أن يقع في أيدي غريبة .

بوليتشوف : أنت ترغبين في سحبه من الأعمال اذن ؟ ذلك سواء بالنسبة إليّ - خذيه اذا كانت تلك رغبتك .

لكن احذري - ستخسرين بذلك . فالروبلا تتوالد هذه الايام وتنمو مثل القمل المعشش في الجنود . أما

أنا فلن أموت - فأنا لست مريضاً حتى هذه
الدرجة . . .

ميلانيا : لا نعلم اليوم أو الساعة التي يجيء الموت فيها ! هل
كتبت وصيتك ؟

بوليتشوف : كلا !

ميلانيا : حان الوقت ! اكتبها . فلنفترض أن الله دعاك
بصورة مباغتة . . .

بوليتشوف : وماذا يروم مني ؟

ميلانيا : كفّ عن وقاحتك هذه ، فأنت تعلم أنني لا أحب
الأصغاء إليها . وبالإضافة ، فإن مركزي المقدس لا
يسمح . . .

بوليتشوف : آه ، تناسي ذلك ، يا مالاها ! فنحن خبيران
بما يعتلج في باطننا . تستطيعين سحب المال إذا
شئت - فبوليتشوف يملك الكثير منه !

ميلانيا : لا أبغي سحب رأس مالي من الأعمال ، لكنني أريد
تحويل السندات الى اسم كسينيا . وهذا ما جئت أخبرك
به .

بوليتشوف : فهمت . حسناً ، هذا شأنك . لكن ، إذا مت
أنا ، فسيخضع زفونتسوف كسينيا . وستساعده
فارفارا على ذلك . . .

ميلانيا : هذا ما تقول إذن ؟ ذلك أمر جديد بالنسبة اليك .
ولا ضغينة في صوتك أيضاً .

بوليتشوف : حولت ضغينتي في اتجاه آخر . حسناً ، فلنتحدث
الآن عن الله ، والمسيح ، والروح .

عندما تزجى الفتوة في النهب والخطيئة ،
يقضي المرء الشيخوخة في انقاذ روحه .

ميلانيا : حسناً ، تكلم اذن !

بوليتشوف : خذي نفسك مثالا . أنت تخدمين الله ليلاً
ونهاراً ، لنقل مثلما جلافيرا تخدمني .

ميلانيا : لا تكفر ! هل جنتت ؟ كيف تخدمك جلافيرا ليلاً ،
كيف ؟

بوليتشوف : هل أخبرك ؟

ميلانيا : لا تكفر ، أقول لك ! عد الى صوابك !

بوليتشوف : لا تعوي ! فانا أتكلم صراحة ، وأقول كلمات
إنسانية بسيطة وليس صلوات رسمية . لقد أخبرت
جلافيرا أنها ستطرد عما قريب ، فأنت تعتقدين إذن
أن الموت سيطوي عمري سريعاً . لكن ، فيم ذلك ؟
إن فاسكا دوستيجاييف يكبرني بتسع سنين وهو أكثر
اعوجاجاً مني ، لكنه يتمتع بصحة جيدة وسيعيش زمناً
طويلاً بعد . وزوجته امرأة محظوظة . انني خاطي
بكل تأكيد ، وقد آذيت الناس ، و - على العموم - فانا
خاطي جداً . ولكن البشر جميعاً يؤذون بعضهم بعضاً .
هكذا هي الحياة ، وليست غيرها .

ميلانيا : لا أمامي ولا أمام الناس يجب أن تندم وتتوب ، بل
أمام الله ! الناس لن يغفروا لك ، لكن الله غفور
رحيم . وأنت تعرف كيف أخطأ للصوم في الأيام

ميلانيا (معمودة اللسان) : ما هذا ، يا ييجور ؟ ماذا أصابك ؟
هل جنتت ؟ ارحمنا يا الله . . .

بوليتشوف : تصليين ليل نهار ، والأجراس تدق فوقك ،
ولمن تصليين - أنت لا تعرفين اطلاقاً !

ميلانيا : ييجور ! انت تسقط الى أعماق الجحيم ! الى شدقي
جهنم . . . في مثل هذه الأيام . . . حيث جميع الأشياء
تنحو الى الخراب والدمار . . . وعرش القيصر يهتز
ويتزعزع تحت وقع قوى الشر . . . إنه زمن المسيح
الديجال . . . ولعلّ يوم الدينونة قاب قوسين منا . . .

بوليتشوف : لقد اخترت وقتاً مناسباً لذكره ! يوم الدينونة !
المجيء الثاني للمسيح ! آه أنت - أنت ، يا غراب !
ترفرين ههنا وتنعبين ! هيا الآن ، اليك عني ، وامضي
الى كهفك واعشقي فتيات جوقتك ! وعوضاً عن المال ،
ستحصلين مني على هذا - انظري ! (يمدّ لها لسانه .)
ميلانيا (مصعوقة ، تكاد تنهاوى في مقعد قريب) : آه ، يا
للنذل . . .

بوليتشوف : اذا كانت جلافيرا عاهرة زانية ، فما أنت ؟ ما
أنت ؟ ايه ؟

ميلانيا : كذاب ! أنت كذاب ! (تشب على قدميها .) أيها
الغشّاش ! لسوف تنفق سريعاً ! يا حشرة !

بوليتشوف : إليك عني ! أخرجي قبل أن . . .

ميلانيا : أفعى . . . شيطان . . . (تخرج .)

بوليتشوف (وحيداً ، يحكُ جنبه الأيمن ويصيح مزمجرأ) :
جلافيرا ! هيه . . .

(تدخل كسينيا)

كسينيا : ما الأمر ؟ أين ميلانيا ؟

بوليتشوف : طار العصفور .

كسينيا : هل تشاجرت معها من جديد ؟

بوليتشوف : أتتوّن البقاء هنا طويلاً ؟

كسينيا : ييجور ، هلا تركت لي فرصة للتفوه بكلمة واحدة .
لقد امتنعت عن الحديث معي تماماً في المدة الأخيرة ،
وكأنني قطعة من الأثاث . لماذا تحملق فيّ على هذا
المنوال ؟

بوليتشوف : تابعي ، تابعي حديثك !

كسينيا : ما هذا الذي يجري في هذه الدار ؟ أنهاية العالم

أم ماذا ؟ لقد حوّل صهرنا جناحه في الطابق العلوي الى

حانة حقيقية ، وثمة أناس يتحلّقون ويتحدثون طوال

ساعات مديدة . ولقد شربوا البارحة سبع زجاجات من

الخمير الأحمر ، هذا عدا الفودكا . . . ويشكو البواب

اسماعيل أن الشرطة تضايقه - تستوضحه باستمرار

عن القادمين الى منزلنا . وفوق يعزفون باستمرار اللحن

ذاته ويتحدثون عن القيصر ووزرائه . ويتكرر هذا في

كل يوم - حانة حقيقية . لم تحزن ؟

بوليتشوف : تابعي ، تابعي ! عندما كنت شاباً ، كنت أعشق

الجلوس في حانة ، صحبة الموسيقى .

كسينيا : فيمَ جاءت ميلانيا الى هنا ؟
بوليتشوف : لا تجيدين الكذب ، يا اكسينيا ! انت اغبي من
ذلك بكثير .

كسينيا : ماذا قلت كذباً ؟ ومتى ؟
بوليتشوف : هذه اللحظة بالذات ، لقد جاءت ميلانيا الى هنا
بالاتفاق معك كي تتحدث عن مالها .
كسينيا : من قال اني اتفقت معها - عمّ تتحدث ؟
بوليتشوف : اوه - كفى !

(يدخل دوستيجاييف وزفونتسوف والاب بافلين ، وقد بدا
الانتعاش في ملامحهم)

دوستيجاييف : هلاء اصغيت الى الاخبار التي حملها الاب
بافلين من موسكو ، يا ييجور . . .
كسينيا : افلا يحسن ان تستلقي في فراشك ، يا ييجور ؟
بوليتشوف : انني مصغ اليك ، ايها . . . الاب !
بافلين : في جمعيتي قليل من الاخبار الطيبة وفي اعتقادي ان
الطيب منها سييُ جداً ايضاً ، لان احداً لا يستطيع
ان يفكر في شيء افضل من الحياة التي كنا نعيشها قبل
الحرب .
دوستيجاييف : كلا ، كلا ، انا لا اوافق !

(زفونتسوف يهمس شيئاً في اذن حماته)

كسينيا : اهي تبكي ؟
دوستيجاييف : من يبكي ؟
كسينيا : الراحبة .
دوستيجاييف : ما بالها ؟
بوليتشوف : أسرع وانظر ماذا يرعبا . وانت ، ايها الأب ،
استرح ههنا وهات ما عندك من أخبار .
دوستيجاييف : ترى ، ما الذي يبكي ميلانيا ؟
بافلين : يسود موسكو اضطراب عظيم . وحتى اصحاب العقول
الراجحة يؤكدون أن القيصر يجب أن يُخلع عن
العرش ، وذلك لعدم كفاءته .
بوليتشوف : كان كفوءاً طيلة السنوات العشرين
المنصرمة . . .
بافلين : القوة البشرية تتلاشى على كرا* السنين .
بوليتشوف : يوم احتفل آل رومانوف بعيدهم الثلثمائي عام
١٩١٣ ، صافحني نيقولاي . وابتهجت الأمة بأسرها في
ذلك الحين . كوستروما * بأسرها .
بافلين : نعم ، لقد حدث هذا . تلك حقيقة واقعة . . . لقد
ابتهج الشعب .
بوليتشوف : وماذا حدث بعدئذ ؟ حصلنا على الدوماسا
ايضاً . . . لا ، ليس هو القيصر - بل شيء آخر في
الأساس بالذات . . .
بافلين : الأساس هو الحكم المطلق .

* مدينة صغيرة على نهر الفولفا في روسيا الوسطى . الناشر .

بوليتشوف : كل فرد يقف لوحده . . . بفوته الخاصة . . .
نعم ، لكن أين هي ، هذه القوة ؟ ما أن حدثت الحرب ،
حتى لم نجد شيئاً منها .

بافلين : كان الدوما مسؤولاً عن تقويض قوانا .
إيليزافيتا (على الباب) : أتعرفه ، أيها الأب بافلين ؟
بافلين : يا له من سؤال !
إيليزافيتا : أين هو زوجي ؟
بافلين : كان هنا .

إيليزافيتا : لكم تبدو جدياً هذا النهار ، أيها الأب بافلين !
(تختفي .)

بوليتشوف : أبانا . . .
بافلين : ماذا كنت تقول ؟
بوليتشوف : جميعنا آباء . الله أب ، والقيصر أب ، وأنت
أب ، وأنا أب . ومع ذلك فجميعنا ضعفاء لا نملك
ثمالة من قوة ، وجميعنا نحيا لنموت . لا أقصد نفسي ،
وإنما أتحدث عن الحرب ، الموت الكبير . ذلك يشبه
ملعب سيرك أفلت نمرأ متوحشاً على الناس .

بافلين : أفرخ روعك ، يا ييجور فاسيليفتش . . .
بوليتشوف : وبماذا أفرخ روعي ؟ ومن يهدى نائرتي ؟ وكيف
أفرخ لي روعي اذن . . . يا أبانا ! أرني قوتك !

بافلين : اقرأ الكتاب المقدس . اقرأ العهد القديم ، ومن
المستحسن مثلا أن تتذكر يسوع . . . ان الحرب
محتومة الناموس . . .

بوليتشوف : دعك منها ! أي صنف من الناموس هذا ؟ هراء

ليس غير ! ولا حول لاحد على ايقاف الشمس ،
تهرف . . .

بافلين : التذمر من الله خطيئة مميتة . يجب أن نتقبل
بتواضع ووداعة وبقلب تائب الدينونة المفروضة علينا
بسبب حياتنا الخاطئة .

بوليتشوف : وهل تقبلت أنت باذعان اهانة الكسي جوبين
وكيل الكنيسة ؟ كلا ، بل رفعت شكوى ضده امام
المحكمة ، وطلبت الى زفوننتسوف أن يكون محاميك ،
وقد شدّ المطران أزرك ، أليس كذلك ؟ وأنا - امام
أية محكمة أرفع الشكوى ضد علتي ودائي ؟ ضد موتي
قبل الاوان ؟ وهل تستسلم للموت في اذعان وتواضع ؟
بوداعة وقلب ثابت ؟ ايه ؟ كلا ، بل سوف ترمجر
وتزعق !

بافلين : مكانتي تمنعني من الاصغاء الى مثل هذا الكلام . فهذا
الكلام . . .

بوليتشوف : دع عنك هذا ، يا بافلين ! أنت انسان . وليست
غفارتك غير صباغ واق - أما تحتها فانت انسان
مثلي . وبالمناسبة ، يقول الطبيب ان قلبك سيء فهو
مصاب بالاستحالة الشحمية . . .

بافلين : الى أين يقودك مثل هذا الكلام ؟ فكّر ، وليكن في
قلبك الخوف ! لقد ثبت منذ القدم . . .

بوليتشوف : ثبت ، لكن ليس بصورة راسخة جدا فيما
يبدو .

بافلين : كان ليف تولستوي هرطوقيا ، وقد حرّمته الكنيسة

ولعنته لكفره وجوده ، ولكنه التجأ الى اعماق الغابات
هاربا من الموت ، مثله مثل وحش مفترس .

(تدخل كسينيا)

كسينيا : ييجور فاسيليفيتش ، جاء موكي ، وهو يقول ان
الشرطة اعتقلت ياكوف الليلة الفائتة ، وهو يريد ان
يعرف . . .

بوليتشوف : حسنا ، شكرا ايها الأب بافلين . . . عسى
موعظتك ! لسوف أزعجك في وقت آخر . (يخرج
بافلين .) نادي باشكين الى هنا ، يا أكسينيا . واخبري
جلافيرا أن تحضر عصيدة . وفودكا برتقال .

كسينيا : الفودكا . . . لا يمكن . . . (تخرج)

بوليتشوف : كل شيء ممكن ! هيا ، اذهبي . (يتطلع حو اليه
فيهمهم ويدمدم .) الأب . . . بافلين . . .
جوبلين . . . يجب أن تعتاد التدخين ، يا ييجور .
فالأمر أخف وطأة في سحابة من الدخان . فبعض
الأشياء لا تمكن رؤيتها . (يدخل باشكين) ماذا
هنالك ، يا موكي ؟

باشكين : كيف حالك ، يا ييجور فاسيليفيتش ؟
بوليتشوف : تزداد تحسنا كل يوم . اذن ، لقد اعتقل
ياكوف ؟

باشكين : نعم ، الليلة الفائتة . يالها من فضيحة !
بوليتشوف : اعتقل لوحده ؟

باشكين : يقال انهم اعتقلوا معه ساعاتيا فتى ؛ وكالميكوفا ،
المعلمة التي كانت تدرس ألكسندرا ييجوروفنا ؛
وييريخونوف الوقتاد ، وهو متهورّ مشهور . حوالي
العشرة ، حسب ما يقولون .

بوليتشوف : وجميعهم من نمط «فليسقط القيصر» ؟
باشكين : من مختلف الأنماط . بعضهم ضد القيصر ، وبعضهم
الأخر ضد جميع الأغنياء ويريدون العمّال أن يتسلموا
دفة الدولة . . .

بوليتشوف : هراء !

باشكين ؛ طبعا .

بوليتشوف : سيتلفون الدولة في غمرة السكر .

باشكين ؛ هذا ما لاشك فيه .

بوليتشوف : نعم . . . ولنفترض أنهم لم يفعلوا !

باشكين : وماذا يفعلون من غير أرباب العمل ؟

بوليتشوف : أنت على حق . لن يستطيعوا المضيّ من دونك

ودون فاسكا دوستيجاييف .

باشكين : وأنت رب عمل بدورك . . .

بوليتشوف : طبعا ! أنا ايضا . وماذا يغنون ؟

باشكين (متنهدا) : لقد تخلينا عن العالم القديم . . .

بوليتشوف : ثم ماذا ؟

باشكين : ونفضنا غباره عن أقدامنا . . .

بوليتشوف : هذا أشبه بالصلاة .

باشكين : أي نوع من الصلوات هذا ؟ هم يقولون : نحن

نكره القيصر ، والقصور . . .

بوليتشوف : آها ، هكذا ؟ أبالسة ماكرون ! (يفكر برهة)
حسنا ، وماذا تريد ؟

(تحمل جلافيرا العصيدة والفودكا)

باشكين : أنا ؟ لا شيء .

بوليتشوف : وفيم مجيئك ، اذن ؟

باشكين : لأستوضح عن أضع مكان ياكوف .

بوليتشوف : سيرجي بوتابوف .

باشكين : له ذات الأفكار أيضا - فهو لا يؤمن بالله أو

القيصر . . .

بوليتشوف : اوه ، فهو واحد منهم أيضا ؟

باشكين : هل لي أن أقترح - موكرووسوف . فهو تواق الى

العمل لحسابك . وهو رجل مثقف ونشيط .

جلافيرا : تبرد عصيدتك .

بوليتشوف : ذلك الشرطي ، ذلك المرتشي ؟ ما الذى يسعى

اليه ؟

باشكين : أضحي عمل الشرطة عملا خطيرا هذه الايام ، مما

جعل الكثيرين ينسحبون منها .

بوليتشوف : خطيرا ؟ اليس كذلك ؟ الجرذان ! لا بأس ،

ابعث لي بوتابوف الى هنا غدا صباحا . تستطيع

الانصراف . . . جلاشا ، هل جاء غازف البوق ؟

جلافيرا : انه قابع في المطبخ .

بوليتشوف : تستطيعين ادخاله بعدما أتناول عصيديتي .
لماذا يسود الهدوء الدار بأسرها ؟
جلافيرا : لأنهم ، جميعا ، في الطابق العلوى .
بوليتشوف (يجرع قدحا من الفودكا) : أوه ، لا بأس ، لماذا
أنت مضطربة ، ما خطبك ؟
جلافيرا : أتمنى ألا تشرب . لا تؤذ نفسك ، لا تمرض ! أترك
كل شيء وارحل عنهم . لسوف يلتهمونك حيا -
كالديدان ! فلنرحل . . . الى سيبيريا . . .
بوليتشوف : دعيك من هذا ، فهو يوجع . . .
جلافيرا : سنذهب الى سيبيريا ، وسأستغل . . . ما الذى
يربطك الى هذه البقعة ؟ ولماذا ؟ ليس من يبالي
بك - بل هم جميعا ينتظرون موتك . . .
بوليتشوف : كفى ، يا جلاشا . لا تكدريني . فأنا عالم بكل
شيء وأرى كل شيء ! وأعرف من أنت بالنسبة
لي . . . أنت وشورا . . . لقد حصلت على ما حصلت
عليه من الحياة ، بينا خسارة لا تعوّض . . . لربما
ستتحسن حالي . . . حسنا ، نادي ، نادي عازف البوق .
جلافيرا : كل عصيدتك اولا .
بوليتشوف : آه ، بثس العصيدة ! نادي شورا اليّ .

(يبقى بوليتشوف وحيدا ، يجرع الكأس تلو الكأس من
الفودكا بشره ونهم ، يدخل عازف البوق . وهو ذو وجه مجونى
شاحب ، وملامح تدعو الى الشفقة ، وبوق ضخّم موضوع في
كيس معلق على كتفه .)

عازف البوق : أتمنى لسعادتك الصحة الجيدة .
بوليتشوف (مذهولا) : طاب يومك ! اجلس . (يصيح) . أغلقتي
الباب ، يا جلاشا ! وهكذا ، فهذا أنت .

عازف البوق : نعم ، يا سيدي .
بوليتشوف : أنت لا تملأ العين ! قل لنا ، كيف تشفي
المرضى ؟

عازف البوق : دوائي ، يا صاحب السعادة ، بسيط كل
البساطة ، غير أن الناس اعتادوا اثقال أنفسهم بأدوية
مستحضرة عند الصيادلة . ويأبون تصديقي ، ولذا
أطلب دائما أن أقبض أجري سلفا .

بوليتشوف : ليست تلك بالفكرة السيئة . لكن ، هل تشفي
الناس مع ذلك ؟

عازف البوق : شفيتهم بالمثات .
بوليتشوف : ولا أرى أنك أثريت .

عازف البوق : لا يثري المرء بالأعمال الطيبة .
بوليتشوف : آها ، أصغوا إليه الآن ! وما نوع الأدوية التي
تشفيها ؟

عازف البوق : جميع الأدوية مأتاها واحد - هواء فاسد في
البطن ، ولهذا كان دوائي يصلح للجميع .

بوليتشوف (ضاحكا) : مرحى ! حسنا ، والآن ، أرنا كيف
يعمل بوقك هذا . . .

عازف البوق : أتستطيع أن تدفع روبلا ؟
بوليتشوف : روبل ؟ سنجده ، كما اعتقد . جلاشا ، هل عندك
روبل ؟ اليك . ذلك رخيص .

عازف البوق : هذا للبداية فقط . (يفك الكيس ويستخرج منه بوقا نحاسيا)

(تدخل شورا راكضة)

بوليتشوف : ياله من سماور ! انظري يا شورا ، ما اروعه طبيبا ! حسنا ، هلا نفخت فيه ؟

(ينظف العازف حلقومه ، وينفخ نفخة - غير قوية ولا عالية ، ثم يسعل)

بوليتشوف : أهذا كل شيء ؟

عازف البوق : أربع مرات في اليوم لمدة خمس دقائق - ويتم كل شيء !

بوليتشوف : وتستنفد قوى الانسان ؟ ويموت ؟

عازف البوق : أبدا ! لقد شفيت الناس بالمشات .

بوليتشوف : أرى ذلك . حسنا ، قل لي الآن الحقيقة : ماذا تعتبر نفسك ، أحق أم محتالا ؟

عازف البوق (متنهدا) : اذن ، أنت الآخر ترفض تصديقي ، مثلك مثل الجميع .

بوليتشوف (ضاحكا) : لا تبعد البوق عنك بعد . أخبرني صراحة ، أنت أحق أم محتال ؟ سأعطيك مالا .

شورا : لا تنهره ، يا أبتاه !

بوليتشوف : أنا لا أنهره ، يا شورا . ما اسمك ، أيها الطبيب ؟

عازف البوق : جبرائيل أوفيكوف .

بوليتشوف : جبرائيل ؟ (يضحك .) أوه ، لعن الله هذا

كله ! . . أهو جبرائيل ، ها ؟

عازف البوق : انه اسم عادي . . . ولم يسخر أحد منه أبدا !

بوليتشوف : حسنا . . . من أنت : أحقق أم محتال ؟

عازف البوق : اتمنحني ستة عشر روبلا ؟

بوليتشوف : جلاشا - هاتي المال اليّ ! انه في غرفة

النوم . . . لم ستة عشر ، يا جبرائيل ؟

عازف البوق : أخطأت ! كان يجب أن أطلب أكثر من ذلك .

بوليتشوف : اذن ، فأنت أحقق ؟

عازف البوق : كلا لست بأحقق . . .

بوليتشوف : محتال اذن ؟

عازف البوق : ولست بمحتال أيضا . . . أنت تعرف من تلقاء

نفسك - لا يستطيع المرء أن يعيش من دون أن يخدع

الناس .

بوليتشوف : هذا صحيح ! ذلك ليس ظريفا ، يا عزيزي .

ولكنه صحيح !

شورا : ولكن ، أليس من العار خداع الناس ؟

عازف البوق : ليس اذا كانوا يؤمنون به .

بوليتشوف (مهتاجا) : وهذا صحيح أيضا ! أتفهمين ، يا

شورا ؟ انه صواب تماما ! اما الأب بافلين فهو لم يقل

شيئا من هذا القبيل ! فهو لا يجسر !

عازف البوق : يجب أن تنفخني مبلغا زائدا لقاء الحقيقة .

فبوقي وشرقي ، يساعد بعض الناس .

بوليتشوف : اصدقك - اعطيه خمسة وعشرين روبلا ،
يا جلاشا . اعطيه أكثر . اعطيه كل ما عندك !
عازف البوق : شكرا جزيلا ، يا سيدي . لعلك تريد تجربة
البوق ؟ الشيطان وحده يعرف كيف ينفع ، ولكنه ينفع !
بوليتشوف : كلا شكرا . ايه ، جبرائيل ، ولكن كيف يشتغل . . .
تعال ، انفخ فيه ! بقوة !

(عازف البوق ينفخ بشدة نغما أصم . جلافيرا ترنو الى
بوليتشوف بقلق . وشورا تسدّ أذنيها وتضحك)

بوليتشوف : أنفخ بكل ما فيك من قوة !

(يهرع الزوجان دوستيجايف والزوجان زفونتسوف وباشكين
وكسينيا الى الغرفة)

فارفارا : ما هذا ، يا أبتاه ؟
كسينيا : ييجور ، ماذا تقصد من جديد ؟
زفونتسوف (الى عازف البوق) : أنت سكران ؟
بوليتشوف : دعوه وشأنه ! لا تتجاسروا ! استمر ، يا
جبرائيل . هلا حطمت طبله آذانهم ! هذا هو جبرائيل
رئيس الملائكة ينفخ في البوق معلنا نهاية العالم ! . . .
كسينيا : آه ، يا الهي ! لقد جنّ . . .

باشكين (الى زفونتسوف) : أخبرتك بذلك ، وهذا أنت ترى
بنفسك .

شورا : أسمع ، يا أبتاه ؟ يقولون انك جنت ! اذهب ،
أيها العازف في البوق ، اذهب .

بوليتشوف : لا ، لا تذهب . أنفخ ، يا جبرائيل ، أنفخ ! انه
يوم الدينونة ! نهاية العالم ! . . أنفخ - خ - خ !

ستار

الفصل الثالث

غرفة الطعام . جميع ما في الغرفة يبدو وكأنما نقل من موضعه الأصلي . الطاولة لم تنظف ؛ فهي مفروشة بالصحن القذرة ، والسماور ، وقراطيس متاجر ، والزجاجات . وفي زاوية الغرفة عدة حقائب . تاييسيا ، وهي راهبة مبتدئة ، في قلنسوة طويلة مدببة ، تفتح احدى الحقائب . جلافيرا تتوانى بالقرب منها حاملة صينية في يدها . الغرفة منارة بقنديل يتدلى فوق الطاولة .

جلافيرا : اجاءت الام ميلانيا للاقامة طويلا ههنا ؟
تاييسيا : لا أدري .
جلافيرا : لمَ لمَ تنزل في ضيافة الكنيسة ؟
تاييسيا : لا أدري .
جلافيرا : كم هو عمرك ؟
تاييسيا : تسع عشرة سنة .

(يظهر زفونتسوف على السلم)

جلافيرا : وأنت لا تعرفين شيئا ! ماذا دهاك ؟ اهمجية أنت ، أم ماذا ؟
تاييسيا : محظور علينا الحديث مع العلمانيين .
زفونتسوف : هل شربت الراهبة شايبا ؟

جلافيرا : كلا .
زفونتسوف : اذن يفضل ان تسخني السماور تاهبا لذلك .

(تحمل جلافيرا السماور وتخرج)

زفونتسوف : ماذا حدث هناك - هل اخافكن الجنود ؟
تاييسيا : نعم ، يا سيدي .

زفونتسوف : وماذا فعلوا حتى اخافوكن ؟

تاييسيا : قتلوا بقرة ، وهددوا بحرق الدير . اعذرني .
(تخرج حاملة حزمة من البياضات بين يديها .)

فارفارا (من المدخل) : يا للطقس الماطر! اكنت تثرثر مع
المبتدئة هنا ؟

زفونتسوف : هل تعرفين ، شيء مزعج ان تقيم راهبة في
دارنا .

فارفارا : لم تصبح دارنا بعد . وماذا عن تياتين ؟ هل وافق ؟
زفونتسوف : تياتين حمار ، او انه يدعي الشرف .

فارفارا : انتظر . يلوح ان والدي ينادي . (تصغي عند باب
غرفة والدها)

زفونتسوف : رغم ان الأطباء يقولون ان والدك سليم العقل ،
ولكني بعد ذلك المشهد السخيف مع البوق . . .

فارفارا : اثار مشاهد كثيرة أسوأ من هذا المشهد في زمانه .
يبدو ان الكسندرا وتياتين على اتمّ وفاق .

زفونتسوف : نعم ، الا انني لا ارى شيئا حسنا في هذا .

شقيقتك الصغيرة تلك خبيثة نوعا ما . . . وسوف
تسبب لنا كثيرا من المتاعب .
فارقارا : من المؤسف أنك لم تفكر في شيء من هذا يوم كانت
تغازلك . لكنك كنت تحب ذلك وقتذاك .
زفونتسوف : كانت تغازلني لتغيظك فقط .
فارقارا : وهل أنت آسف ؟ ها قد جاء بافلين . انه يغدو
زائرا يوميا .
زفونتسوف : لدينا هنا فضلة من الأكليروس .

(تدخل ايليزافيتا والاب بافلين يتجادلان ، يتبعهما موكي
باشكين)

بافلين : الصحف تكذب كعهدا . مساء الخير !
ايليزافيتا : وأنا أقول لك ان ذلك غير صحيح !
بافلين : ثبت بصورة لا تقبل الشك أن القيصر تنازل عن
العرش ، ليس بإرادته ، بل تحت ضغط القوة
والاكراه ، وقد اعتقلته على طريق بيتروغراد جماعة من
أعضاء الحزب الديموقراطي الدستوري . . . نعم ،
يا سيدتي .

زفونتسوف : وماذا يترتب على ذلك ؟
ايليزافيتا : الاب بافلين ضد الثورة والى جانب الحرب . أما
أنا فمضدّ الحرب ! فأنا أريد الذهاب الى باريس . . .
كفانا قتالا . ألا توافقيني ، يا فاريا ؟ أنتِ تذكرين

ما قال هنري كتر * مرة : «باريس أفضل من الحرب» .
نعم ، أعرف أنه لم يقل هذا بالضبط ، ولكن تلك
كانت خطيئته .

بافلين : لا أصرّ على شيء ، لأن كل شيء مزعزع مقلقل .
فارقارا : نحن في حاجة الى السلام ، أيها الأب بافلين -
السلام ! أفلا ترى كيف يتصرف الرعاع ؟

بافلين : بوضوح تام ، للأسف ! كيف حال مريضنا ؟ كيف
حاله هنا ؟ (يضع اصبعه على جبهته .)

زفونتسوف : لم يجد الأطباء أية علامات للاختلال .

بافلين : حسنا ، يسرني أن أسمع هذا . وان كان الأطباء ،
على العموم ، لا يجدون شيئا دون خطأ الا أجورهم .

ايليزافيتا : ما أخبت ذلك منك ! فاريا ، لقد عزمنا جاتا على
العشاء .

باشكين : لقد أطلق سراح المساجين ، والشرطة في مأزق
حرج .

بافلين : هكذا اذن . هذا أمر خارق ! أية حسنات تتوقع من
هذه الأحداث ، يا أندريه بيتروفيتش ؟

زفونتسوف : القوى الاجتماعية تحتشد بصورة منهجية ،
وسوف تقول كلمتها عما قريب . وأنا أعني بالقوى
الاجتماعية الناس الذين يملكون مصالح اقتصادية
ثابتة . . .

* الرابع (بالفرنسية) . الناشر .

فارفارا : اسمع ، لقد دعتنا جانا على العشاء . . .

(تقوده جانبا وتهمس في أذنه)

زفونتسوف : افهميني ، ذلك مسرح نوعا ما بالنسبة اليّ .

راهبة من جهة ولعوب من جهة أخرى . . .

فارفارا : هس - س ، من فضلك !

باشكين : أندريه بيتروفيتش - لقد جاء موكرووسوف -

أنت تعرفه فهو ضابط الشرطة .

زفونتسوف : نعم ؟ ماذا يريد ؟

باشكين : تخلّى عن وظيفته لأنها أمست خطرة جدا ، رهو

راغب في العمل لحسابنا ، في الغابات .

زفونتسوف : وهل يناسبنا ذلك ؟

فارفارا : انتظر ، يا أندريه . . .

باشكين : يناسبنا تماما . فلابتيف سيرفع الآن رأسه

وسيتمرد . أما دونات ، كما تعلم - فهو فتى غير ملائم ،

زد على أنه منشق ، ويبربر دون انقطاع عن قانون

الحقيقة ، وأية حقيقة يستطيع المرء أن يتوقع

عندما . . . حسنا ، تستطيع فهم ذلك بنفسك !

زفونتسوف : لكن هذا هراء كلكه ! فنحن نشاهد بواكير

انتصار الحقيقة بالذات . . .

فارفارا : أوه ، أنتظر يا أندريه ، من فضلك .

زفونتسوف : الحقيقة والعدالة .

فارفارا : ماذا تريد ، يا موكي ؟

باشكين : أنا اريد توظيف موكرووسوف . واقترحت ذلك على
بيجور فاسيليفيتش .
فارفارا : وماذا قال ؟

(يعبس زفونتسوف ويغادر الغرفة)

باشكين : لم يقل شيئا محمدا .
فارفارا : خذ موكرووسوف اذن .
باشكين : الا تودين القاء نظرة عليه ؟
فارفارا : لماذا ؟
باشكين : لتتعرفي اليه فقط . فهو هنا .
فارفارا : حسنا ، ناده اذن . . .

(يخرج باشكين الى المدخل . فارفارا تخطّ شيئا في مذكرتها .
يعود باشكين يصحبه موكرووسوف ، وهو رجل قمّي مدوّر
الوجه ، ذو حاجبين مرتفعين بتقطيية دهشة وشده على
الدوام ، ورغم أن ابتسامه صغيرة تتجول على شفّتيه ، الا
أنه يبدو وكأنه يتهاى لقف شتية قاسية . يرتدي بزّة
الشرطة ، ويتدلى مسدس على وركه . يفرقح بحذائيه ،
وينتصب في وضع تهيؤ واستعداد)

موكرووسوف : أتشرف بان اقدم نفسي ، يا سيدتي ! في
خدمتك ، يا سيدتي . . .
فارفارا : تسرني رؤيتك . أرى أنك في بزّتك الرسمية ؟
سمعت أن الشرطة ينزع سلاحها .

موكرووسوف : هذا صحيح ، يا سيدتي . ومن الخطر علينا أن نظهر في الشوارع بمظهرنا العادي ، ولذا أرثدي معطفا مدنيا ، رغم أنني متسلح . أما الآن ، باعتبار أن آمالا كاذبة قد شاعت ، فقد هدا الرعاع واستكانوا - ولذا . . . فانا لا أحمل سيقي .

فارقارا : ومتى تتوقع أن تبدأ العمل لحسابنا ؟

موكرووسوف : أنا منذ زمن بعيد خادمكم المطيع بالفكر ، يا سيدتي . وانا على استعداد للانطلاق غدا الى الغابات اذا شئت . فأنا أعزب ، و . . .

فارقارا : وهل تظن ان كل هذا سيدوم طويلا ، اعني ، هذا العصيان ؟

موكرووسوف : طوال الصيف ، على ما اعتقد .

فارقارا : طوال الصيف فقط ؟

موكرووسوف : وبعده يتدخل المطر والجليد ، فيمسي التلكز في الشوارع أمرا مزعجا .

فارقارا (مبتسمة) : لا اظن ان الثورة رهن بالطقس .

موكرووسوف : اغفري لي ، يا سيدتي ، بل هي رهن به بكل تأكيد ! فللشتاء تأثير مبرّد .

فارقارا (ما تزال تبتسم) : أنت متفائل .

موكرووسوف : الشرطيون متفائلون عموما .

فارقارا : آه ، حقا ؟

موكرووسوف : من دون ريب ، يا سيدتي . ذلك أن الشرطة تعي قوتها .

فارقارا : هل خدمت في الجيش ؟

موكرووسوف : نعم ، يا سيدتي . خدمت في فرقة بوزولوك
الاحتياطية . كنت ملازما ثانيا .

فارفارا (تمدّ يدها) : حسنا ، الوداع ، وحظا طيبا .
موكرووسوف (يقبل يدها) : اني شاكر لك جزيل الشكر .

(ينحني ويخرج مقرقا بعقبه)

فارفارا (الى باشكين) : يبدو انه احمق ، أليس كذلك ؟
باشكين : ليس في هذا شيء من الأذية . أنظري الى ما يفعل
الناس الأذكياء . أعطيهم فرصة فيقبلون وجه العالم ،
مثل الجيب تماما .

بافلين (الى باشكين وايليزافيتا) : يجب أن يمنح الاكليروس
الحقّ المطلق في الوعظ والتبشير بحرية تامة ، والا لم
ينتج شيء من ذلك !

(تدخل جلافيرا وشورا ، يسندان ييجور بوليتشوف . تسود
السكينة الغرفة . الجميع يراقبونه . أما هو فيعبس)

بوليتشوف : حسنا ؟ لماذا خرستم جميعا على حين فجأة ؟ كنتم
توعوعون وتجمعون . . .

بافلين : بغتنا بالمشهد غير المتوقع . . .
بوليتشوف : أي مشهد ؟

بافلين : مشهد رؤية رجل مقاد . . .

بوليتشوف : مقاد؟ عندما تتضعضع ساقا الانسان ، فيجب

أن يقاد اذن ! مقاد ! هل أفرج عن ياشكا لابتيف ،
يا موكي ؟
باشكين : نعم ، أفرج عن جميع المساجين .
زفونتسوف : يعني المساجين السياسيين .
بوليتشوف : اذن ، فلابتيف حر ، والقيصر سجين ! ما قولك
في هذا ، أيها الأب بافلين ؟
بافلين : لست خيرا في هذه القضايا ، لكن يستحسن ، في
رأيي المتواضع ، أن نتأكد أولا مما ينوي هؤلاء
الرجال أن يقولوا ويفعلوا
بوليتشوف : سيختارون قيصراً آخر بالطبع . فسوف تمسكون
جميعا بخناق بعضكم بعضا ان لم يكن هناك قيصر
بافلين : يبدو وجهك منتعشا اليوم ؛ من الواضح أنك تستعيد
صحتك وقواك ؟
بوليتشوف : هذا صحيح ، فانا أستعيدهما ! . . . أنتم ، أيها
المتزوجون ، وأنت ، يا موكي ، دعوني وحيدا مع
بافلين . لا تذهبي ، يا شورا .

(باشكين يخرج الى المدخل . آل زفونتسوف وآل
دوستيجايف يصعدون الى الطابق العلوي . بعيد لحظة او
لحظتين تهبط فارفارا حتى نصف السلم وترهف أذنيها)

شورا : اضطجع ، يا ابتاه .
بوليتشوف : لا أريد . ما الأمر ، أيها الأب بافلين ؟ أعتقد
أنك جثثني بشأن ناقوس الكنيسة ؟

بافلين : كلا . جئت على أمل أن أراك في حال أفضل ، ولم أخطئ في هذا . لكنني ، وأنا أتذكر عطاياك السخية الوافرة في الماضي ، هذه العطايا التي أسهمت في عظمة المدينة وكنيستها . . .

بوليتشوف : أنت لا تصلي من اجلي كما يجب ، ولذا تسوء حالي . ولا أشعر برغبة أن أدفع لله . ولماذا أدفع ، على أية حال ؟ لقد دفعت الكثير ، فما الفائدة ؟

بافلين : ان هباتك وعطاياك . . .

بوليتشوف : مهلا ! أريد أن أطرح عليك سؤالاً : أفلا يجب أن يخجل الله من نفسه ؟ لمَ هو يرسل الموت ؟

شورا : آه ، لا تتحدث عن الموت ، أرجوك !

بوليتشوف : صه ، لا تتكلمي أنت ! بل اصغي فقط . فأنا لا أتحدث عن نفسي .

بافلين : ينبغي ألا تكدر نفسك بمثل هذه الأفكار . وما أهمية الموت عندما تكون الروح خالدة ؟

بوليتشوف : لم هي ، اذن ، محشورة في قطعة من لحم وسخ ؟

بافلين : ان الكنيسة لاتعتبر هذا السؤال عبثاً فحسب . . . ولكن . . .

(تضحك فارفارا في منديلها وهي قابعة على السلم)

بوليتشوف : لا تتلعثم ! قل لنا بصراحة . شورا ، أتذكرين عازف البوق ؟

بافلين : في حضور الكسندرا ييجوروفنا . . .
بوليتشوف : آه ، لا تهتمّ بهذا . عليها أن تعيش فعليها أن
تعرف ! أنا عشت حياة مديدة ، وها أنا أسألك الآن :
لماذا تعيش ؟

بافلين : انني أقوم بالخدمة المقدسة في الكنيسة . . .
بوليتشوف : أعرف أنك تخدم في الكنيسة ! لكنك ستموت
عاجلا أو آجلا . فماذا يعني هذا ؟ ما هو - موتنا هذا ،
يا بافلين ؟

بافلين : أسئلتك . . . غير منطقية ولا مُجدية . واغفر لي -
اذ يجب ألا تفكر في أشياء أرضية في مثل هذا
الوقت . . .

شورا : اياك ومثل هذا القول !
بوليتشوف : لقد جئت من الأرض - وأنا أرضي بكل ذرة من
ذراتي .

بافلين (ينهض) : ليست الأرض سوى تراب ورماد . . .
بوليتشوف : تراب ورماد ؟ اذن فأنت . . . اذن فأنت نفسك
يجب أن تفهم أن الأرض ليست سوى تراب ورماد !
تراب ورماد - ومع ذلك فأنت تلبس غفارة من
الحرير . تراب ورماد - وصليب من الذهب ! تراب
ورماد - ومع ذلك فأنت شره نهم . . .
بافلين : أنت تقترف خطايا دنسة في حضور هذه الفتاة
المراهقة . . .

(فارارا تصعد السلم بسرعة)

بوليتشوف : انهم يدربون الحمقى أشباهك مثلما يدربون
الكلاب لملاحقة الأرانب البرية . . . لقد أصبحتم اغنياء
على حساب المسيح المسكين . . .
بافلين : مرضك يجعلك حقودا ، فتهدر كالدب المتوحش . . .
بوليتشوف : اذن ، فأنت ذاهب ، ها ؟ آها . . .

(بافلين يخرج)

شورا : لا يجوز أن تزعج نفسك ، يا أبتاه . فذلك يضرّ
بصحتك . لشدّ ما أنت نزق !
بوليتشوف : لا تراعي ! لم أفعل شيئا آسف عليه آه ، لا
أستطيع أن أطيق هذا الكاهن ! احفظي عينيك وأذنيك
مفتوحة . فأنا أفعل هذا عن قصد كي تفهمي . . .
شورا : خمنت ذلك من نفسي . . . فلست طفلة ، ولا حمقاء !

(يظهر زفونتسوف على السلم)

بوليتشوف : قرروا أنني مجنون ، بعد حفلة عازف البوق
تلك ، لكنّ الأطباء كذّبواهم ! أنت تصدقين الأطباء ،
يا شورا ، ايه ؟
شورا : أنا أصدقك أنت . . . وأنت وحدك . . .
بوليتشوف : يا لك من فتاة طيبة ! لا تخافي ، فعقلي في
أحسن حال . والأطباء يعرفون ذلك . وصحيح أنني

اصطدمت بشيء قاس . ولكن كل انسان يود أن يعرف ما معنى الموت . أو الحياة ، مثلا ! أتفهميني !
شورا : لا أعتقد أنك شديد المرض حقا . يجب أن تغادر الدار هذه . ان جلافيرا على حق . يجب أن تتداوى بصورة جدية . ولكنك لا تسمع لأحد .

بوليتشوف : انني اسمع للجميع . ولسوف نجرب الآن تلك الساحرة الطيبية . فقد تفيدني ، من يعلم . حان وقت قدومها . فالألم . . . انه أشبه بحزن قارض !

شورا : كفى ، يا عزيزي ! أوه ، كفى ! اضطجع ، هيا . . .
بوليتشوف : تزداد الأمور سوءا عندما اضطجع . هذا يعني الاستسلام ، كما هي الحال في حفلات الملاكمة . أنا أريد أن أتحدث . أريد أن أروي لك أشياء . افهمي مقصدي - أنا أعيش في الشارع الغلط ! وقد ارتبطت مع الناس الغلط - وجميعهم من الغرباء . . . ثلاثون سنة مرت عليّ ، وأنا بين الغرباء . ولا أريد أن يحدث لك مثل هذا الأمر! كان والدي يسوق عوامات . وأنا - أنظري اليّ . . . لا أستطيع تفسير ذلك لك .
شورا : لا تتسرّع ، تكلمْ مثلما اعتدت أن تروي لي الأقايصيص .

بوليتشوف : تلك لم تكن أقايصيص - لم أكن أروي لك دائما سوى الحقيقة الناصعة . أفلا ترين . . . هؤلاء الكهّان والقياصرة والحكام . . . ماذا أريد منهم بحق الشيطان ؟ لا أؤمن بالله . وكيف يمكن أن يوجد الله ؟ أنت ترين بنفسك . . . وليس ثمة أناس طيبون أيضا .

هم نادرون مثل . . . مثل العملة المزورة ! وأنت ترين
الناس ومن يشبهون . وهؤلاء هم يتخبطون من جراء
الحرب ، وقد جنّ جنونهم ! لكن ، ما لي ولهم ؟ وماذا
يريد ييجور بوليتشوف منهم ؟ وأنت . . . أنت ، كيف
ستعيشين وإياهم ؟

شورا : لا تقلق عليّ . . .

كسينيا (تدخل) : جاءت تونيا وشقيقها لرؤيتك ، يا
الـكـسـنـدرا ، يصحبهما ذلك الفتى . . .

شورا : فلينتظروا .

كسينيا : هيا أسرعى اليهم . لا بدّ لي أن أتحدث مع والدك .
بوليتشوف : وهل لا بدّ لي من ذلك ؟

شورا : لا تتكلمي كثيرا . . .

كسينيا : لا تعلميني ! يا ييجور فاسيليفيتش ، لقد جاءت
زوبونوفا .

بوليتشوف : شورا ، هلا دعوت ضيوفك الى هنا بعد قليل .
(شورا تخرج .) حسنا ، نادي زوبونوفا هذه !

كسينيا : لحظة واحدة فقط . كنت أريد أن أقول لك أن
الـكـسـنـدرا توطد صداقتها مع ابن عم أندريه ، ذلك

الفتى الرذيل . . . وتستطيع التأكد بنفسك من أنه لا
يصلح لها . لقد أدخلنا الى بيتنا شحاذا مرة ، فانظر

الآن كيف يتصرف مع الجميع على حد سواء .

بوليتشوف : يا أكسينيا ، أنت أشبه بحلم رديء - حقا !
كسينيا : هيا أهنتي ، اذا شئت ! انما ينبغي لك أن تمنعها

من الغزل بتياتين ذلك .

بوليتشوف : وماذا أيضا ؟

كسينيا : ميلانيا باقية هنا . . .

بوليتشوف : ولم ؟

كسينيا : وقعت في بعض المتاعب . لقد هاجم الفارون من الخدمة العسكرية الدير ، وقتلوا بقرة ، وسرقوا فأسين ، ورفشا ، وربطه من الجبال . من الواضح أن المصاعب ستتالي ! وحتى دونات ، ذلك الذي يقوم بحراسة الغابات لنا ، انه يؤوي بعض الشخصيات المريبة . وهم يعيشون في كوخ في منطقة قطع الأشجار . . .

بوليتشوف : لاحظت أنني عندما أحب امرأة فالجميع يمقتونه
أذن .

كسينيا : لعلك تتصالح معها ؟

بوليتشوف : مع ميلانيا ؟ ولماذا ؟

كسينيا : اسمع . كنت أقصد أن . . . صحتك . . .

بوليتشوف : حسنا . . . سوف أصالحها . وسأقول لها :
يقول الرب «واغفر لنا ما علينا» .

كسينيا : كن لطيفا معها . . . (تخرج)

بوليتشوف (يهمم) : «واغفر لنا ما علينا ، كما نغفر نحن لمن لنا عليه» . . . كذب وخداع . . . يا للشياطين !

(تدخل فارفارا)

فارفارا : أبي ، سمعت أمي تحدثك عن ستيبان تياتين . . .

بوليتشوف : نعم . أنت تسمعين كل شيء ، وتعرفين كل

شيء

فارقارا : تياتين شاب متواضع ، وهو لن يطلب بائنة كبيرة
من الكسندرا ، وهو يصلح لها كثيرا .

بوليتشوف : أنت كثيرة الاهتمام ، أليس كذلك ؟

فارقارا : كنت أرقبه مليا .

بوليتشوف : ممن الذى تهتمين به فى الواقع ؟ آه ،

يا لكم . . . من شياطين منازل !

(تدخل ميلانيا وكسينيا ، تتبعهما تاييسيا التى تتوقف عند
العتبة)

بوليتشوف : حسنا ، يا مالاشا ؟ فلنتصالح ؟

ميلانيا : هذا أفضل . يالك من مشاغب ! تهين الجميع دون
سبب أو مبرر

بوليتشوف : «واغفر لنا ما علينا» ، يا مالاشا !

ميلانيا : ليس المقصود ما علينا وما لنا . كفاك معاكسة !

أنظر الى ما يجري فى العالم . فهذا القيصر - ظل

المسيح - أسقط عن عرشه . أتدري ما معنى هذا ؟

هذا يعنى أن الله أغرق شعبه فى الظلمة والفوضى ؛

لقد جنوا خوفا ، وهم يحفرون الأحاديث والحفر تحت

أقدامهم ذاتها . ولقد ثار الأوباش ، فالنسوة الفلاحات

فى كوبوسوفو صحن فى وجهي أنهنّ يشكلن الشعب

المواطن : «أزواجنا ، الجنود ، هم الشعب !» هل

يعجبك هذا ؟ وهل سمعت يوما أن الجنود يعتبرون
الشعب ؟

كسينيا : هذا ما كان ياكوف لابتيف يقوله دائما . . .
ميلانيا : لقد جرّد محافظ المقاطعة من سلطته ، وحلّ مكانه
اوسمولوفسكي ، كاتب العدل .

بوليتشوف : هذه معدة سميئة أخرى .
ميلانيا : قال المطران نيكاندر نهار البارحة : «نحن على عتبة
حوادث مشؤومة فاجعة . أيمن أن تتولى السلطنة
المدنية الحكم ؟ لقد كانت الشعوب ، منذ عهد التوراة ،
محكومة باليد المسلّحة بالسيف والصليب» . . .

فارفارا : لم يكونوا يعبدون الصليب زمن التوراة . . .
ميلانيا : أمسكي لسانك ، أنت أيتها الأنسة الذكية . . . ان
العهد الجديد والعهد القديم مرتبطان في كتاب مقدس
واحد ، أليس كذلك ؟ والصليب هو السيف ! وأعتقد
أن المطران يعرف أكثر مما تعرفين ما الذي كان يعبد
ومتى . أنتم أصحاب المطامح تفرحون لسقوط القيصر
عن العرش . حذار من أن يتحول فرحكم الى دموع مرّة
لاذعة . . . بودي التحدث واياك حديثا خاصا ،
يا ييجور .

بوليتشوف : وننتهي الى شجار من جديد ؟ لا بأس ، نستطيع
أن نثرثر قليلا ، انما فيما بعد . فالمرأة الشافية آتية
الآن ، وأنا أريد أن تتحسن حالي ، يا مالاشا .

ميلانيا : زوبونوفا شافية مشهورة . ولا يدانيها الأطباء
اطلاقا ! وأنا في مكانك أجرب بروكوبي المبارك أيضا .

بوليتشوف : ذلك الذى يناديه الصبية الصغار بروبوتي ؟
سمعتهم يقولون انه مشعوذ .
ميلانيا : لا ، يا الهي ! كيف تجرؤ على التفوه بمثل هذا
الكلام ؟ يجب أن تستقبله .
بوليتشوف : حسنا ، فليات بروبوتي أيضا . فانا أشعر
ببعض التحسن هذا النهار . . . ما عدا ساقى . . .
وكانى أشعر بسرور ما ، فكل شيء يبدو في عينيّ
مضحكا . . . أدخلى الساحرة الطيبة ، يا
أكسينيا . . .

(كسينيا تخرج)

ميلانيا : آه ، يا ييجور ، لا يزال فيك الكثير من ذلك !
بوليتشوف : هذه هي القضية . . . الشيء الكثير .
كسينيا (داخلة) : تقول انه يجب أن يغادر الجميع الغرفة .
ميلانيا : حسنا ، فلنخرج اذن .

(الجميع يغادرون الغرفة . يجلس بوليتشوف وهو يبتسم
ساخرا ، ماسحا على صدره وخاصرته . تدخل زوبونوفا .
تلوي فيها خلسة ، لكن بشكل كاف كي يلحظه المرء -
وتنفخ جهة اليمين ، ويدها اليمنى ضاغطة على قلبها ، بينما
تخفق بيدها اليسرى مثل زعنفة السمكة . ومن ثم تنتصب
جامدة ، وتمرّ بيدها اليمنى على وجهها .)

بوليتشوف : ماذا تفعلين - أتصلين للشياطين ؟
زوبونوفا (في نغمة غنائية) : ايه ، أيتها الأمراض المؤلمة
للدّم والجسد ! ألا اخرجي ودعي خادم اللّٰه في سلام !
منذ هذا اليوم ومنذ هذه الساعة ، أطردك بكلماتي
الجبارة الى أبد الأبدن . نعمت مساء ، يا صاحب
السعادة المقدسة ، المدعو ييجوري !

بوليتشوف : أسعدت مساء ، يا عمّتي ! أكنت تطردين
الشياطين ؟

زوبونوفا : يا الهي ، كلا - هل يمكن للانسان أن يتعامل
معهم ؟

بوليتشوف : يمكنه ، ان كان لا بدّ من ذلك ! فالكهنة
يصلّون الى اللّٰه ، ولكنك لست من الكهنة ، ولذا لا
بدّ أنك تصلين للشياطين .

زوبونوفا : آه ، ما هذه الكلمات المخوفة التي تنطق بها ؟
الحقّي وحدهم يقولون اني أتعامل مع الشرير .

بوليتشوف : في هذه الحال لانفع منك ، يا عمّتي . لقد صلي
الكهنة الى اللّٰه من أجلي ، لكنه رفض أن يمدّ لي يد
العون .

زوبونوفا : لا ريب أنك تمزح ، أيها الرجل العزيز . فأنت
تقول هذا لأنك لا تؤمن بي .

بوليتشوف : كان يمكن أن أوّمن بك لو جثتني رأسا من قبل
الشياطين . ولكنه بلغك ، بالطبع ، انني انسان فظ ،
وأنتي قاس مع الناس ، وأنتي نهم أعبد المال . . .

زوبونوفا : سمعت هذا ، الا أنني لا أصدق أنك ستبخل عليّ
بشيء قليل من مالك العظيم .

بوليتشوف : انني خاطئٌ كبير ، يا امرأة ، والله لا يريد
أن تكون لي به علاقة . لقد تخلى الله عن ييجور
بوليتشوف . وهكذا ، اذا لم تكوني صديقة للشياطين
يفضل أن تذهبي وتجهضي مومسات البلدة . هذه هي
تجارتك ، ها ؟

زوبونوفا : آه ، صحيح اذن ما يقال عنك - انك انسان
مشاكس ؟

بوليتشوف : حسنا ، أية أكاذيب كنت ستسردين الآن ؟
انطقي بها !

زوبونوفا : ما تعلّمت الكذب قط . هيا أخبرني الآن بما
تعاني من آلام ، كيف هي وأين موضعها .

بوليتشوف : في البطن . يؤلمني كثيرا . . ههنا بالضبط .
زوبونوفا : اليك حقيقة الأمر . . . لكن لا تفه بنبسة واحدة
مما سأقول .

بوليتشوف : لن أقول . لا تخافي .

زوبونوفا : ثمة أمراض صفر وأمراض سود ، والمرض
الأصفر يمكن أن يشفيه حتى الطبيب ، أما المرض
الأسود فيعجز الكاهن أو الراهب عن طرده ! المرض
الأسود يتأتى من الشرير ، وليس ثمة غير علاج واحد
له . . .

بوليتشوف : يقتل أو يشفي ، ها ؟

زوبونوفا : انه علاج باهظ الثمن .

بوليتشوف : بالطبع . لقد خمنت ذلك .
زوبونوفا : هذه قضية لا بدّ لك فيها من التعامل مع
الشرير .

بوليتشوف : مع ابليس نفسه ؟
زوبونوفا : حسنا ، ليس معه مباشرة ، وانما . . .
بوليتشوف : وهل تستطيعين ذلك ؟
زوبونوفا : لكن - اياك أن تتفوه بنبسة واحدة لأي شخص
كان . . .

بوليتشوف : اذهبي الى الجحيم ، يا عمتي !
زوبونوفا : تمهّل لحظة . . .
بوليتشوف : طيري من هنا . والا ناولتك . . .
زوبونوفا : أصغ لي . . .
جلافيرا (من المدخل) : لقد أمرك بالذهاب ، أفلم تسمعي ؟
زوبونوفا : ما بالكم ، أيها الناس ؟
بوليتشوف : اطرحيها خارجا !
جلافيرا : هيا من هنا - وتدّعين أنك ساحرة !
زوبونوفا : انت الساحرة انظري الى سحنتك هذه . . . آه ،
انت . . . الا فلتحرما أنتما الاثنين من النوم والراحة !

(تخرج المرأتان)

بوليتشوف (يرنو حواليه ، ثم يتنهد تنهدة قصيرة) : فو !

(الراهبة ميلانيا وكسينيا تدخلان)

ميلانيا : أفلم ترق لك زوبونوفا - أفلم ترضك ؟

(يحملق بوليتشوف في وجهها بصمت)

كسينيا : أنها حادة المزاج ، هي الأخرى ! لقد امتدحوها
كثيرا ، فتكبرت وتعجرت .

بوليتشوف : ما قولك ، يا مالاشا - أصيب الله مرة بالم
في المعدة ؟

ميلانيا : لا تك أحقق . . .

بوليتشوف : لا بد أن المسيح أصيب كثيرا بالأم في
معدته - فقد كان يعيش على الأسماك .

ميلانيا : كفى هذا ، يا ييجور . اتحاول اغاظتي ؟

(تعود جلافيرا)

جلافيرا : تريد زوبونوفا أن ندفع لها أتعابها .

بوليتشوف : أعطيتها شيئا ، يا أكسينيا ! اصفحي عني ،

يا مالاشا ، فأنا تعب - سأذهب الى غرفتي . ليس ثمة

ما يرهق قواك أكثر من التحدث الى الحمقى . والآن ،

يا جلاشما، ساعديني . . .

(جلافيرا تقوده خارجا . تعود كسينيا وتتطلع الى أختها

مستفسرة)

ميلانيا : انه يتظاهر بالجنون . يتظاهر . . .

كسينيا : أظنين ؟ أشكّ في هذا . . .

ميلانيا : ذلك لا يهمّ . فليمثل دوره . وسينقلب هذا كله

ضدّه في النهاية ، فيما اذا نقضت وصيّته في المحكمة ،

فستكون تاييسيا شاهدة اذن ، وهنالك زوبونوفا

أيضا ، والأب بافلين ، وعازف البوق - كثيرون من

الناس ! نستطيع أن نثبت أن الرجل لم يكن سليم

العقل عندما كتب وصيته . . .

كسينيا : أوه ، لا أعرف في الحقيقة ماذا أفعل . . .

ميلانيا : ولهذا أعلمك ما تفعلين ! هه ، أنت . . . لقد تعجلت

الزواج جدا ! وأنا أخبرتك أن تتزوجي من باشكين .

كسينيا : تذكرت . . . كان هذا قبل زمن بعيد ! وكان ييجور

مثل النسر - وأنت نفسك حسدتني .

ميلانيا : من ؟ أنا ؟ هل جننت ؟

كسينيا : آه ، حسنا ، ما الفائدة من نبش الماضي الآن ؟

ميلانيا : فلتغمرنا الرحمة ! تقول انني حسدتها ! أنا ؟

كسينيا : وماذا عن بروكوبي ؟ لعله لا ينبغي ذلك ؟

ميلانيا : لماذا - لا ينبغي ؟ بعدما بعثنا في طلبه واتفقنا على

جميع الترتيبات ؟ لا تتدخل في الأمر . اذهبي

وحضريه ، ثم عودي به الى هنا . تاييسيا !

(تدخل تاييسيا من المدخل)

ميلانيا : نعم ؟

تاييسيا : لم أكتشف شيئا .

(تغادر كسينيا الغرفة)

ميلانيا : لماذا ؟

تاييسيا : رفضت أن تقول شيئا .

ميلانيا : ماذا تعنين برفضت أن تقول شيئا ؟ كان يجب أن تنتزعي ذلك منها .

تاييسيا : حاولت ، فزارت كالقطة - وهي تشتم الجميع .
ميلانيا : ماذا قالت ؟

تاييسيا : نعتتهم جميعا بالمحتالين .
ميلانيا : لماذا ؟

تاييسيا : قالت انكم تحاولون أن تدفعوا بالرجل الى الجنون .
ميلانيا : أقالت ذلك لك ؟

تاييسيا : كلا ، بل قالته لبروبوتي الأبله المبارك .
ميلانيا : وماذا قال ؟

تاييسيا : هو يقول أشياء مضحكة دون انقطاع .

ميلانيا : أشياء مضحكة ؟ أيتها الحمقاء ، أنت ! انه رجل مبارك ، وهو يتنبا ، يا غبية ! اجلسي في المدخل واياك والحركة من هناك . . . أكان أحد آخر في المطبخ ؟

تاييسيا : كان موكي هناك . . .

ميلانيا : حسنا ، اذهبي الآن . . . (تمضي الى باب غرفة بوليتشوف وتقرعه .) ييجور ، بروكوبي المبارك هنا .
(كسينيا وباشكين تقودان بروبوتي المبارك الى الغرفة ، وهو

يلبس سندلا من ليف النبات ، وقميصا طويلا من الكتان
الأسمر يصل حتى رسغيه ، ومجموعة من الصلبان النحاسية
المختلفة وبعض الايقونات تتدلى على صدره . مظهره مخيف
نوعا ما : فشعره كثيف متلبّد ، ولحيته طويلة ، ضيقة قليلة
الكثافة ، وحركاته تشنجية مهتزة .)

بروبوتي : آه ، يالرائحة التبغ الحادة ! الروح تختنق !
كسينيا : ليس من يدخن هنا ، يا أبتاه . . .

(بروبوتي يقلّد صفيّر ربيع الشتاء)

ميلانيا : رويدك ، انتظر حتى يجيء . . .
بوليتشوف (يخرج من غرفته تقوده جلافيرا) : أنظري اليه !
بروبوتي : لا تخف ! لا خوف عليك ! (يقلّد صفيّر الريح)
كل شيء فان ، كل شيء مقدّر له الموت ! لقد تسلق
جريشا السلم ، ومارس المداواة ، وبلغ السقف -
فجروه الى الجحيم .

بوليتشوف : أعتقد أنه يقصد راسبوتين !
بروبوتي : لقد خلع القيصر عن العرش ، والمملكة تفنى ،
والملوك الذين يسودون الآن هم الخطيئة والموت !
الريح تنبج ، والعاصفة تزمجر . (يقلّد صفيّر الريح ،
يشير الى جلافيرا بعصاه) الشيطان يقف الى جانبك
بشكل امرأة ، فاطردها !

بوليتشوف : سأطردك أنت ! لا تدع لسانك يتهور بك . من
علمه هذا ، أنت يا ميلانيا ؟

ميلانيا : عجباً ! أيمن أن يلقن المجنون شيئاً ؟
بوليتشوف : يبدو أن ذلك ممكن . . .

(تهرع شورا هابطة السلم تتبعها أنظونينا وتياتين . ومن ثم يهبط آل زفونتسوف وآل دوستيجايف . بروبوتي يرسم اشارات على الأرض وفي الهواء بعصاه ، دون أن يتفوه بحرف . ومن ثم ينتصب متفكراً وقد حنى رأسه)

شورا (تهرع الى والدها) : ما هذا الذي يجري ؟ مسرحية أخرى ؟

ميلانيا : أمسكي لسانك !

بروبوتي (وكانه يتكلم بصعوبة) : لا نوم للهراطقة ، والساعة تدق ، تيك ، تيك ، توك ! لكن الله أراد . . . فأنا أحقق منقاد . . . وأكثر الأنام . . . داسوني بالأقدام . . . آي ، آي ! وصوت الشيطان ، فرد ملك الجان ، بصوت يصم الآذان ! وانتصف الليل ، وصاح الديك ، كوكو - كوكو . . . و . . . تيك ، توك ، توك - تيك . . . هذه هي نهاية الهراطيك !

بوليتشوف : لا بأس ! علموك وأحسنوا تعليمك . . .

ميلانيا : لا تقاطعه ، يا ييجور ، لا تقاطعه !

بروبوتي : ماذا ينبغي أن نفعل ؟ ماذا نقول للناس ؟

أنظونينا (بأسف) : أوه ، ليس هو مخيفاً على الإطلاق !

بروبوتي : قتلوا قملة وقبروها . . . لعله يجب أن نرقص ؟
تعالوا اذن ولنرقص ، وليضحج صوت المسرات !

(يضرب الأرض بقدميه ويهمهم بلطف بادیء الأمر ، ثم بصوت عال وهو يقفز .) أستاروث ، ساباتان ، أسكافات ، ايدوميز ، نفرويز . . . ان لم تستطع فقد انهيت ، كاراتيلي - بر ، بر ، اضرب رأسك على القبر ! هاي . . . بف ، بف - ماذا تهف ؟ هو كي بوكي ، أرضي شوكي ! ابليس يلعب بفريسته ، أوه ، اي ! انه يذهب الى الامام ، في الأرض وحيدا بين الأنام . وأطبقت عليه زاخاتاما الساحرة ، وأخذته على ظهرها تلك العاهرة . لا فرار من الخطيئة ومن العهر . وييجور ولد من أجل القهر . . .

شورا (صارخة) : أطرده !

بوليتشوف : ما بالكم ؟ هل تريدون اخافتي ؟
زفوتسوف : يجب أن يوضع حدّ لهذه الفظاعة . . .

(تركض جلافيرا صوب بروبوتي ، فيلوّح ، دون ان يتوقف عن الدوران ، بعصاه في وجهها)

بروبوتي : هيك ، هوك ، هاك ، أيها الشرير أدر وجهك !

(تياين يختطف العصا من بروبوتي)

ميلانيا : ماذا تفعل ؟ وكيف تجرؤ ؟
شورا : أبي ، اطردهم جميعا من هنا . . . فيمَ لا تنطق بحرف ؟

بوليتشوف (بحركة ضجرة من يده) : انتظري . . . انتظري . . .
(يجلس بروبوتي على الأرض ، يزعق ويصيح .)
ميلانيا : اياك أن تمسه ! انه في غيبوبة ، في اشراق !
دوستيجاييف : يجب أن ينال صفة رنانة على عنقه ، أيتها
الأم ميلانيا ، من أجل مثل هذه الاشراقات .
زفونتسوف : انهض ! واخرج من هنا - حالا !
بروبوتي : ايه . . . أين ؟ (يقلد صوت الريح النابحة)

(كسينيا تبكي)

ايليزافيتا : ما اذكاه ! كأنما يغني بصوتين !
بوليتشوف : أخرجوا من هنا ، جميعكم . . . لقد تشاءبتم ما
طاب لكم ههنا . . .
شورا (تضرب الأرض بقدمها أمام نصف المجنون) : أخرج من
هنا ، أيها الدجال ! ستيبان ، اطرده !
تياتين (يمسك بروبوتي من مؤخرة عنقه) : تعال معي ، أيها
الرجل القديس ، هيا انهض ! (يخرجان .)
تاييسيا : لم يكن مخيفا اليوم . انه يتقن ذلك أكثر من قطرة
من الفودكا . . .

ميلانيا : من طلب اليك الحديث ؟ (تضرب الفتاة على وجهها .)
زفونتسوف : يجب أن تخجلي من نفسك !
ميلانيا : أخجل ؟ أمامك أنت ؟
فارقارا : هدئي روعك ، يا عمتي . . .
كسينيا : يا للسموات ! . . . ما هذا كله ؟

(شورا وجلافيرا ترقدان بوليتشوف على الأريكة ، بينما يقف

دوستيجايف يرمقه مليا . آل زفونتسوف يقودان كسينيا
وميلانيا الى الخارج)

دوستيجايف (الى زوجته) : الأفضل أن نذهب الى البيت ،
ياليزا ، فلنمضِ الى البيت ! فبوليتشوف مضطرب
المزاج كثيرا . . . والمظاهرة بدأت ، ومن الأفضل أن
ننضمَّ اليها .

ايليزافيتا : أفلم تكن طريقته في تقليد الريح رائعة ؟ لم
أكن أتصور ذلك .

بوليتشوف (الى شورا) : هذا كلّه من صنع الراهبة . . .
شورا : هل أنت متضايق ؟

بوليتشوف : هي . . . نوع من الخدمة الجنائزية . . . على انسان
حي .

شورا : قل لي . . . هل أنت متضايق ؟ أرسل في طلب
الطبيب ؟

بوليتشوف : كلا ، لا حاجة لذلك . لقد قال ذلك بنفسه -
ذلك المهرج - حين تكلم عن المملكة : هل سمعته ؟
«لكن الله أراد . . . فأنا أحق منقاد» .

شورا : يجب أن تنسى هذا كله . . .

بوليتشوف : لسوف ننساء ، بكل تأكيد ! اذهبي وانظري
ماذا يفعلون هناك . احرصي على ألا يصيبوا جلافيرا
بأذية أو ضرر . . . ما هذا الغناء في الشارع ؟

شورا : لا تنهض !

بوليتشوف : لسوف تفنى مملكة النتانة . لا أستطيع أن

أرى شيئا . . (ينهض ، ويستند الى الطاولة بيده
الواحدة ، ويحك عينيه .) «فليات ملكوتك !» . . أي
ملكوت ؟ يا للحيوانات ! ملكوت . . «أبانا الذي . .»
لا . . هذا لا يصح أي صنف من الآباء أنت بالنسبة
اليّ اذا كنت حكمت عليّ بالموت ؟ ولماذا ؟ الجميع
يموتون ؟ لماذا ؟ لا بأس ، فليموتوا - لكن لِمَ أموت
أنا ؟ (يترنّج) حسنا ؟ ما هذا ، يا ييجور ؟ (يصيح
بصوت أجش) شورا . . جاشا . . الطيبب ! هـي ،
أين أنتم ، أيها الشياطين ! ييجور . . . بوليتشوف . .
ييجور !

(شورا وجلافيرا وتياتين وتايسيا يسرعون الى بوليتشوف
الذي يتمايل ويترنّج ، ثم يسقط في أحضانهم . الغناء في
الشارع يزداد علوا ووضوحا . جلافيرا وتياتين يسندان
بوليتشوف . شورا تهوّل الى النافذة وتفتحها . الغناء يندفع
في الغرفة)

بوليتشوف : ما هذا ؟ الجنّاز من جديد ! شورا ! من هذا ؟
شورا : تعال هنا ، تعال وانظر !
بوليتشوف : آه ، شورا . . .

ستار

فاسا جيليزنوف

الصياغة الثانية

كتب غوركي هذه المسرحية في ديسمبر ١٩٣٥ في القرم .
ولم يتسن له ان يشاهدها معروضة على خشبة المسرح لأنه
توفي في حزيران ١٩٣٦ .

الشخصيات

فاسا بوريسوفنا جيليزنوف ، في حوالي الثانية والأربعين ، وتبدو أصغر من عمرها .

سيرغي بتروفيتش جيليزنوف ، زوجها ، في الستين ، قبطان متقاعد ، خدم في البحر الأسود ، ومن بعد على سفن نهريّة .

بروخور بوريسوفيتش خرابوف ، شقيقها في السابعة والخمسين .

لودميلا (لودا) في السادسة عشرة
ناتاليا (ناتا) في الثامنة عشرة { ابنتاها .

راشيل ، كنتها ، في حدود الثلاثين .

آنا (انيوتا) أونوشينكوف ، تجاوزت الثلاثين ، أمينة سرها وموضع ثققتها

ميلنيكوف ، موظف في محكمة المقاطعة .

يفجينى ، ولده .

غوري كروتكيخ ، مدير شركة جيليزنوف-خرابوف الملاحية .
ليزا وبوليا ، خادمتان .

بياتيوركين ، عمره بين ٢٧ و ٣٠ ، جندي سابق ، ويعمل الآن في الشركة . له جمّة من شعر كثيف خشن وشارب

مشذب .

الفصل الأول

غرفة رحبة في ركن من المنزل الذي عاشت فيه فاسا وقضت معظم أيامها خلال السنوات العشر الأخيرة . هنالك فوتيل خفيف ذو ذراعين ومقعد خشبي أمام مكتب ضخم . إلى جانبه خزانة حديد . على الجدار خارطة كبيرة ملونة للمجرى الأعلى والمجرى الأوسط لنهر الفولغا ، من مدينة ريبينسك إلى مدينة قازان . وتحت الخارطة أريكة عريضة فوقها سجادة وعدد من الوسائد . وفي وسط الغرفة منضدة بيضوية الشكل متوسطة الحجم ومقاعد مساندها الخلفية مرتفعة . أبواب مزدوجة زجاجية تؤدي إلى الشرفة المطلة على الحديقة . ونافذتان تطلان على الحديقة أيضاً . وثمة مقعد كبير منجد بالجلد . وعلى افريزي النافذتين أزهار الجيرانيوم . بالقرب من الجدار ، في الفراغ القائم بين النافذتين ، برميل شجرة غار . وهنالك رف صغير فوقه إبريق فضي ومغارف فضية مذهبة . باب قريب من الأريكة يوصل إلى حجرة النوم . وباب آخر ، قريب من المنضدة ، يُفضي إلى غرف أخرى . الوقت صباحاً . الغرفة مترعة بأشعة شمس أواخر شهر آذار المتسللة من النافذتين والأبواب المزدوجة الزجاجية . مما يثير في النفس مرحاً . إنها عموماً غرفة نيرة فسيحة الجنبات تبعث على الغبطة . تدخل فاسا وكروتكيخ .

فاسًا : ثلاثة روبلات ونصف مقابل ألف بود * - أي خمس وثلاثون جزء من كوبيك واحد للبود الواحد . إنه مبلغ زهيد من دون ريب لعمال تفريغ السفن وتحميلها في شركات نقل الركاب والشحن . إن عليهم أن ينقلوا أحمالهم على ظهورهم قرابة عشرين ساجين * * وأكثر . يربحون روبلاً واحداً يومياً بالمتوسط ، ولكنهم يأكلون كثيراً ولا يستطيعون الاستغناء عن اللحم في غذائهم . عليك أن تلفت الانتباه إلى ذلك . اطلب مقالة في الصحيفة حول هذا الموضوع ، واعثر على من يتحدث مع الحمالين بشأنه . هل ذلك في مقدورك ؟

كروتكيخ (مسروراً) : طبعاً !

فاسًا : حسن ! هذه الشركات الملاحية الكبيرة تستوجب ان تنعصر . ولكن شركتنا صغيرة وشحناتنا ليست كبيرة . وما نحمله من شحنات يلقي به بحارتنا من فوق جانب السفن على الرصيف ، وهكذا لا نضطر إلى استخدام عمال تفريغ في كثير من الأحيان ، على ما هو معلوم لديك .

كروتكيخ : الامر ليس في هذا فقط . فإن مبلغ روبلين لكل ألف غير كافٍ بالنسبة إلى البحارة !

* بود مقياس الوزن الروسي القديم يوازي ١٦,٣ كغم
الناشر .

* * ساجين مقياس الطول الروسي القديم يساوي مترين و١٣ سنتم .
الناشر .

فاسّا : وفيهم نعطيهم أكثر ؟ والآونة إذا عملتَ كما ترفع
«القوقاز - ميركوري» والشركات الأخرى أسعارها إلى
خمسنة روبلات لآلف بود ، فسوف يفضل الناس
سفننا ، واذا ذلك نمنح بحارتنا زيادة . هكذا اذن !
أرجو المعذرة لا اوافق على المذكرة التي قدمتها .

كروتكيخ (عابساً) : لكن ، يا فاسا بوريسوفنا . . .
فاسّا : لم لا تتحدث مع الخزافين ، وصغار الطحانين - مع
الحرفيين الصغار عموماً ! خفض الاسعار لهم قليلاً
ليقدموا بضائعهم للنقل إلى شركتنا . سيفيدنا ذلك .
كروتكيخ (في أنفة) : لقد انهينا أعمالنا بصورة حسنة في
السنة الماضية . وجئنا ربحاً طيباً !

فاسّا : لِمَ بصورة طيبة دائماً ؟ يجب أن يكون أفضل
وأفضل . والا ستكون الحياة مملّة بهذه «الصورة
الطيبة» . حسنا . مع السلامة ! فأشغالي تنتظرني .

(ينحني كروتكيخ في صمت ، ويخرج)

فاسّا (مرهفة سمعها) : انبوتا !

(تدخل آنا)

فاسّا : خذي ، انسخي من هذه صورة علي عجل ! هل كان
غوري متذمراً ؟
آنا : أجل ، لم يكن راضياً .

فاسًا : ماذا قال ؟

آنا : لم أسمعه تماماً . قال شيئاً عن النهج المحافظ .
فاسًا : من كل بدّ ! فهو يتخيل نفسه اشتراكياً !
والاشتراكية عنده بمثابة الله عند بروخور . إنه
يصلي بتأثير العادة - وليس من قبيل الأيمان . لا
تلقي بالآء إلى أحاديثه الطنّانة . . . ماذا ناقشتما
البارحة ؟

آنا : كان يحدثني كيف كان الاشتراكيون الألمان يتعاملون
مع ملكهم .

فاسًا : حذار أن تحملي في بطنك ولدآ من جراء اشتراكيته
هذه .

آنا : أبدأ ! لقد حفظت درسي ! فهو يغازل ناتاليا سيرغييفنا .
فاسًا : أعرف . ولكن ناتا ليست غبية .

آنا : وهو يسعى وراء لودا أيضاً . . .

فاسًا : كم هو . . . متنوع الاهتمام . (يرن الهاتف .) نعم .
هي آنا . مؤكد . سأنتظرك . إنه المستأجر لدينا -
ميلنيكوف . (تشير إلى آنا بالخروج من الغرفة ، تقف
عند المنضدة غارقة في التفكير ، ويداهما تنبشان بين
الأوراق والأشياء الموضوعة عليها . تحديق فيما أمامها
عابسة .)

ميلنيكوف (من غرفة آنا) : أسعدت صباحاً ، يا سيدتي
المحترمة .

فاسًا : أسعدت صباحاً . أدخل واغلق الباب . أرجوك أن
تجلس . ما الأخبار ؟

ميلنيكوف : ليست أخباراً سارة . إن نتائج التحقيق الأولي أرسلت إلى النائب العام . وقد أكد لي المحقق أنه لطف الأمور قدر المستطاع .

فاسنا : مقابل الثلاثة آلاف التي قبضها كان يمكن أن يُلطّف القضية تماماً .

ميلنيكوف : هذا مستحيل . قرأت شهادة تلك المرأة ، تلك القوادة . لقد أفرغت كل ما في قلبها أمام كرسي الاعتراف .

فاسنا : إذن ، ستكون هنالك محاكمة ؟

ميلنيكوف : هذا أمر حتمي .

فاسنا : وما هي العقوبة ؟

ميلنيكوف : قد تكون الأشغال الشاقة .

فاسنا : وماذا تسمون أنتم هذا . . . هذا الشيء ؟

ميلنيكوف : أي شيء على وجه الدقة ؟

فاسنا : هذا اللعب مع . . . القاصرات ؟

ميلنيكوف : التفرير .

فاسنا : يا للكلمة المقيتة ! وماذا سيحدث الآن ؟

ميلنيكوف : سيصدر النائب العام قرار الاتهام ، ثم يوجهونه

إلى المتهمين فيعتقلونهم .

فاسنا : الثلاثة جميعاً ؟ والقوادة أيضاً ؟

ميلنيكوف : دون ريب .

فاسنا : أيستطيع النائب العام أن يقوم . . . بأي تلطيف

للأمور ؟

ميلنيكوف : أجل ، يستطيع . ولكن نائبنا ينوي ان يبني

مستقبلاً باهراً . واشكّ أن يبدي تسامحاً . رغم أن هنالك اشاعات تقول ان من كان الى جانب المشتركين في . . . هذه الفعلة يبذل جهده . . .

فاسّا : آه : اذن فلنحاول ذلك ، نحن أيضاً . فافعل ، أرجوك ، إفعل ما في طاقتك . اعرض على النائب العام عقد صفقة تفادياً للفضيحة . يجب أن أخدم هذه القضية ، أخدمها تماماً ! ان عندي ابنتين كما تعلم .
ميلنيكوف : أنا أحترمك ، يا فاسّا بوريسوفنا ، وأقدر لك سخاءك التقدير كله ولكن . . .

فاسّا : اختصر كلامك ! سنتحدث عن السخاء بعد أن نخدم القضية بكل هدوء وعلى خير وجه . فابذل قصارك !
ميلنيكوف : ولكنني لست قادراً على ذلك . أنا لا أستطيع أن أفعل ذلك .

فاسّا : أنا لا أبخل بالمال في هذه القضية ، فابق هذا في ذهنك ! اذا نجحت في مسعاك سأعيد اليك كل سنداتك ، وفي مقدوري أن أضيف اليها ألفاً وخمسمائة روبل . وهذا يجعل المبلغ كله خمسة آلاف . أفلا يكفي هذا ؟

ميلنيكوف : أجل ، ولكن . . . مع ذلك . . . أنا . . .
فاسّا : اكمل بشجاعة اكبر !

ميلنيكوف : يكون أفضل لو أنك شخصياً . . .
فاسّا : كلا ، سيكون سخاء كبيراً جداً مني بالنسبة للنائب العام ان أنحني أمامه . سأدفع له . موافقة على ذلك . ولكنني لن أوافق على الانحناء أمامه . وفضلاً عن هذا

فأنا غليظة وصريحة جداً ، ولا أستطيع أن أنجح في ذلك . إفعل ذلك حالاً ، وهذا النهار بالذات ، أتوسل اليك ! ثم اتصل بي هاتفياً واخبرني عن المبلغ . أتمنى لك حظاً سعيداً . مفهوم ؟

ميلنيكوف : اسمحي لي بالانصراف . . . فأنا في عجلة من أمري للوصول الى المحكمة .

فاسّا : أجل ، من دون ريب . أسرع ! (تجلس فترة من الوقت مغلقة العينين ، ثم تفتح درجاً وتبحث فيه . تعثر على علبة صغيرة ، وتتفحص محتوياتها ، وهي تحركها بطرف مسكة ريشة . ترتفع ضجة عند الباب . تدسّ العلبة بسرعة في جيبها . تدخل لودميلا .)

لودميلا : مرحباً ، يا أماه ! لقد حملت لتوي حلماً رائعاً ، يا حبيبتي . كان في غاية الروعة !

فاسّا (تقبلها) : الواقع رائع أيضاً بالنسبة اليك ، يا عزيزتي لودا .

لودميلا : أصغي اليّ فقط .

فاسّا : اروي لي ذلك خلال الغداء .

لودميلا : ستضحك ناتا مني عندئذ ، أو يقطعني أحد ، أو أنسى أنا أحداث الحلم . فالأحلام أشياء ينساها المرء سريعاً جداً . يفضل ان تصغي الي هنا .

فاسّا : كلا ، يا عزيزتي ، اذهبي عني الآن ! وقولي لليزا أن تحضر اليّ على الفور .

لودميلا : أوه ، يا الهي ! لكم أنت فظة اليوم !

فاسّا (تزمجر وقد بقيت وحدها) : فظة . . . يا للحمقاء

الصغيرة . . . (تدخل ليزا .) يشكو أخي من أنك لا تطيعينه . فلم تشحمني له أقفاله .
ليزا : فاسًا بوريسوفنا ، ليس لدي وقت . يصعب عليّ كثيراً أن أرفع شؤون الجميع ، أنا وحيدة في البيت بأكمله ! جيئني بفتاة تساعدني . . .
فاسًا : لا تتوقعي مني ذلك ! لا أطيق رؤية أناس زائدين حواليّ في البيت . فإبنتايّ تساعدانك . وأنت تقبضين أجره مجزية . فابذلي جهدك . ولا تنامي كثيراً . هل شقيقي في البيت ؟
ليزا : كلا .

فاسًا : أخبرني سيرغي بتروفيتش أني أريد رؤيته .

(تقف في وسط الغرفة مستغرقة في التفكير ، تفرقع بأصابعها وتتحسس جيبها . يدخل جيليزنوف في روبه ، شعره الأجدع غير مسرّح ، ووجنتاه وذقنه في حاجة الى حلاقة . وله شارب غليظ أشيب)

فاسًا : هل نهضت للتو من نومك أم أنك ستلجأ الى فراشك ؟

جيليزنوف : ماذا تريدن ؟

فاسًا (تغلق الباب المؤدي الى غرفة آنا أونوشينكوفا جيداً) : لا تصرخ . فلن تخيف به أحداً .

(يذهب جيليزنوف الى الباب الذي خرج منه)

فاسًا (تتجاوزه وتغلق هذا الباب أيضاً) : التهمة الموجهة

الك صدق عليها النائب العام .

جيليزنوف (يتشبث بظهر أحد المقاعد) : لا أصدق ذلك !
أنت تكذبين !

فاسا (في هدوء) : لقد صادق عليها .

جيليزنوف : لقد خسرت تسعة آلاف معه في لعب الورق ،
ذلك الوغد . وقد نوّهتُ بأني سأعطيه أحد عشر ألفاً
أخرى . . .

فاسا : سيبلغونك قرار الاتهام في غضون أيام قليلة ، ثم
يحضرون للقبض عليك ، والقائك في السجن .

جيليزنوف : لقد ضننت بالمال اذن ! ولم تدفعي ! أعطيتِ
المحقق قليلاً . ولملك لم تدفعي لميلنيكوف ما يكفي
أيضاً . هيا ، اخبريني كم دفعت له ؟

فاسا : التغيرير بالقاصرات عقوبته الأشغال الشاقة .

جيليزنوف (يجلس وهو يهز رأسه ، ثم يتحدث في صوت
خشن) : وأنت مسرورة ، أليس كذلك ؟

فاسا : ان لديك فتاتين في سن الزواج . فماذا يحلّ بهما
عندما يرسلونك للأشغال الشاقة ؟ وأي رجل محترم
يتزوج من احدهما ؟ ولك حفيد أيضاً . عن قريب
سيبلغ الخامسة من العمر . كنت أفضل ان تقتل
شخصاً من أن ترتكب مثل هذا العمل القذر !

جيليزنوف : كان يجب أن أقتلك - هذا ما كان ينبغي أن
أفعل ! أقتلك ، وأمزق قلبك القاسي ، وألقي به الى
الكلاب . أنت من ضللتني ، ورمى بي في هذه الورطة .
. . . أنت

فاسا : لا تكذب ، يا سيرغي . فذلك لن يساعدك . وعلى من تكذب ؟ على نفسك فقط . لا تكذب . الاصغاء اليك مقرف (تقترب من زوجها ، وتضع راحة يدها على جبهته ، وتدفع رأسه الى الوراء ، وتحقق في وجهه .) أرجو ألا تترك القضية تصل الى المحكمة كيلا تشين عائلتك . أنا لم أطلب منك أموراً كثيرة خلال حياتي معك - وهي حياة مضمية يندى لها الجبين خجلاً مع سكير وعاهر . وأطلب ذلك منك الآن ليس من أجل نفسي بل من أجل الأولاد .

جيليزنوف (مرتعباً) : ماذا تطلبين مني ؟ ماذا تريدان ؟ ماذا ؟

فاسا : أنت تعرف ما أطلب منك .

جيليزنوف : لا ، أبداً ! لا . . .

فاسا : أأجثو على ركبتني ؟ أجثو أنا أمامك انت !

جيليزنوف : ابتعدي . دعيني أذهب ! (يحاول النهوض .)

فاسا (تضغط بيديها على كتفيه وترغمه على البقاء في مقعده) : خذ مسحوقاً .

جيليزنوف : اليك عني !

فاسا : ففكر - ستذهب الى السجن ، ومن بعد يحضر أهل البلدة بأسرها الى المحكمة ليتفرجوا عليك ، وبعد ذلك ستموت ميتة طويلة بطينة وأنت معتقل في الأشغال الشاقة . ستموت في الخزي ، والوحشة - ميتة رهيبية مخجلة ! أما بهذه الطريقة ففوراً ودون آلام أو خزي . يكفّ القلب عن الخفقان - وكأنك تغطّ في النوم .

جيليزنوف : اليك عني ! فليحاكموني . لست أبالي .

فاسا : وماذا بشأن الأولاد ؟ والفضيحة ؟

جيليزنوف : سأطلب نفيي الى أحد الأديرة . سأصير راهباً .

ناسكاً . سأعيش تحت الأرض ، في كهف - ولكنني
سأعيش !

فاسا : سخافات ! خذ المسحوق !

جيليزنوف (ينهض واقفاً) : كلا . . . لن آخذه ! لن آخذ

منك شيئاً . . .

فاسا : خذه بنفسك .

جيليزنوف : وإذا لم أفعل ؟ هل تدسين لي السم ؟

فاسا : سيرغي ، اذكر فتاتيك ! ان أمامهما حياتهما . الاولاد

غير مسؤولين عن أفعال آبائهم الدنيئة .

جيليزنوف : وأمھاتهم ؟

فاسا : هراء ما قلت . إھم هذا ، يا سيرغي ، فلن أقف

صامتة في المحكمة . سأتكلم عن المومسات اللواتي

كنت تحضرھن الى بيتي ، وكيف فسقت معھن ، وكيف

أطلعت ناتاليا ولودميلا على عصبة الفاجرات . وسأروي

لھم كيف علّمت ابنتيك على الشراب . . .

جيليزنوف : هذا كذب ! انه بروخور ، شقيقك ، من علّمهما

على الشراب . بروخور !

فاسا : وقد أرعبت لودا فأصبحت شبه معتوهة . وهي لم

تعد قادرة على الدراسة أو تصلح لأي شيء كان .

جيليزنوف : أما ناتاليا فصورة طبق الأصل عنك !

فاسّا : استوعبُ هذا جيداً - سأخبر المحكمة بكل شيء ،
وأخبر الناس جميعاً !

جيليزنوف (يقف أمامها ويصرخ) : ابتعدي ! يربعني النظر
اليك ! دعيني أمرّ ! (يدفعها جانباً ويخطو صوب
الباب)

فاسّا (تلحق به) : خذ المسحوق ، يا سيرغي . . .
جيليزنوف : أبدأ ! (يخرجان . تظهر ليزا عند الباب . تحمل
صينية عليها عدة أقفال مختلفة الأشكال يتبعها بروخور
خرابوف الى الغرفة حاملاً قفلاً ضخماً)

بروخور (عابساً) : فيم كانا يتخاصمان ؟
ليزا : لست أدري . كانت تحثّه على تناول بعض المسحوق
أو غيره . . . هذا كل ما سمعت .

بروخور : أي مسحوق ؟

ليزا : دواء ، على ما يترأى لي .

بروخور : أي دواء ؟

ليزا : من أين لي أن أعلم !

بروخور : أنت غبية ! ليس سيرغي في حاجة الى أي دواء .

فهو يتمتع بصحة جيدة مثل ثور . كنا نلعب الورق حتى

الساعة الرابعة صباحاً ونشرب الكونياك طوال الوقت .

ليزا : لعلّها قصدت مسحوق الصودا .

بروخور : انت غبية ثانية ! ليس من يحتاج الى مسحوق

الصودا بعد الكونياك . فيم تقفين هنا ؟ ضعي الأقفال

على المنضدة . فأنت لا تلاحظين شيئاً ! لا تعرفين

شيئاً ! فلماذا أقدم لك الهدايا ؟

ليزا : أعطيت لاحشائي هدية ! وسرعان ما سيرهاها الناس .
بروخور : حسن لو كنت انا الفاعل وليس بياتيوركين . انقلي
هذا المقعد العريض . فالشمس تتلف الجلد ، وقد
كلفنا خمسة وستين روبلاً .

ليزا : قصدت الشمس ؟
بروخور : المقعد ، وهو هديتي لشقيقتي ! الشمس لا تكلف
شيئاً . مهلاً ! ما هذا ؟ أتحاولين مداعبتي بالمزاح ؟
لا تنسي مكانك ! الشمس ! لقد دلتك شقيقتي مثلما
تدلل العانس قطتها . أخرجي من هنا ! (يعمن النظر الى
الأوراق على المنضدة ويعطس ، ثم يشرع يغني
كالرهبان)

خريف كئيب بلون الخطيئة
وفي الدرب تمشى فتاة وحيدة
تهاوت وكانت . . . وكانت بريئة
وفي بطنها العبل . . .

ناتاليا (تدخل الى الغرفة) : يا لليوم الجميل . . .
بروخور : هذا ما لا نعرفه بعد ، فالنهار ما برح في بدايته .
فيم انت بهذا الشكل ؟ شعرك منفوش ولباسك
اخرق . . .

ناتاليا : اسمع . لقد قرروا محاكمة والدي .

بروخور (مذعوراً) : من قال هذا ؟

ناتاليا : يفجيني ميلنيكوف .

بروخور (يجلس) : اللعنة والدمار ! القبطان لم يفلت من
ذلك اذن . آل جيليزنوف ! وآل خرابوف . . . هذا

الاسم الذي كان عريقاً ومحترماً ! وهذا ما انتهينا اليه !
لقد قاد القبطان سفينتنا الى سبيل رائع . أي خزي
ينتظرنا ! سنشبع جميعاً خزياً حتى آخر يوم في حياتنا .
ناتاليا : قد يبرى القضاء ساحته ؟

بروخور : ليست المشكلة هنا ! بل المحاكمة ، والعار . وقد
يجدونه مذنباً فهذه هي الموضة في هذه الأيام اذا
كان المرء غنياً فهو مذنب اذن . مصيبة أن يكون المرء
غنياً ! حاولي أن تفهمي - هم لن يحاكموا القبطان
جيليزنوف بقدر ما سيحاكموننا نحن ، آل خرابوف .

ناتاليا : الا يمكننا أن نفعل شيئاً ؟

بروخور : أن نهرب الى أميركا حيث يلجأ جميع اللصوص .

ناتاليا : ورشوة القضاة ؟

بروخور : فعلنا ذلك . فقد دفعت أختي ألوف الروبلات لخنق
الفضيحة . قبضت الشرطة جزءاً ، وقبض المحقق
جزءاً . لم يجد ذلك نفعاً اذن . ولن تتاح لي الآن فرصة
أن أغدو عمدة للمدينة ، وأنت ولودميلا لن تستطيعا
الزواج برجلين من طبقتكما رغم بائنتيكما . لقد لوثكما
والدكما ، ذلك الوغد النذل ! لكم كانت بلهاء

ناتاليا : مَنْ . . . أمي ؟

بروخور : طبعاً .

ناتاليا : هي ليست بلهاء .

بروخور : أي شيطان دفعها الى اذن الزواج من ذلك القبطان ؟

ويكبرها بعشرين سنة تقريباً .

ناتاليا : أنت أقنعتها . فهو صديقك .

بروخور : أنا فعلت ؟ أنا ؟ أنا سابع في دنيا الخيال ! أنا من طراز رقيق . فنان بطبعي . حين كنت شاباً أردت أن أصير ممثلاً كوميدياً في ملهاة موسيقية . ولكنه كان يعجب البحار السبعة ! واذن ؟ ثمة أقدار كثيرة تطفو على البحر !

ناتاليا : هل كانت تحبه ؟

بروخور : اذهبي الى الشيطان ! ليس هو الحب حين تتزوج فتاة من خارج فئتها وتنفصل عنها ، بل هو الجنون ! فقط لأن الأرسقراطيين كانوا يتزوجون من العجريات والممثلات ، ولكن هذا لا يغدو مثلاً تسير فئتنا على هديه !

فاسا : ما الذي لا يغدو مثلاً تسير على هديه ؟

بروخور : كنت وناتاليا نتحدث . . .

فاسا : أرى هذا تماماً .

بروخور : كيف حال سيرغي ؟

فاسا : لا بأس . انه يشكو من قلبه . ناتا ، اذهبي واطلبي اليهم أن يأتوني بقليل من الشاي .

ناتاليا : الافضل ان تقولي صراحة ان وجودي يضايقك .

فاسا : أجل ، وجودك يضايقني . وأنا لم أشرب الشاي بعد . (الى بروخور .) فيم كنت تصرخ ؟

بروخور : هنالك ما يرغم المرء على أن يصرخ ! ألم تستطيعي الحيلولة دون وصول الأمر الى القضاء ؟

فاسا : لا تخبر الفتاتين بهذا الموضوع بعد . سأخبرهما بنفسني .

بروخور : ناتاليا عرفت به . وقد أخبرتني بذلك .
فاسا : من أخبرها ؟

(تدخل لودميلا هادئة الخطوات)

بروخور : ابن ميلنيكوف . لا ينبغي على الفتاتين أن تستقبلاه
مثلما تفعلان .

لودميلا : انه ظريف ونحن نشكو من السأم ! وصديقاتنا
يمرضن على الدوام ولا يزرنا .

فاسا : اذهبي وساعدي ليزا في تنظيف الغرف ، يا لودا .

لودميلا : أريد البقاء معك . لماذا تبعدينني دائماً ؟

فاسا : لأنني مشغولة ، يا عزيزتي . ان لديّ عملاً ألتفت
اليه .

لودميلا : أنت وعملك على الدوام ! ولا توفرين دقيقة واحدة
لابنتك !

فاسا : حسناً ، عودي أثناء تناولي الشاي ، وسنتحدث .
أما الآن فاذهبي !

لودميلا : ذلك يجعلني على حافة البكاء . أعرف أنك ستلومين
الخال بروخور لأنه نعت والدي بالفاجر ، أعرف هذا
جيداً !

فاسا (تداعب شعر ابنتها ، وترافقها حتى الباب) : الفاجر
ليست كلمة بذيئة . انها تعني بالضبط العثور على
السبيل . بعضهم ضلّ سواء السبيل ، وهو يعثر لهم

عليه . مثلي أنا . فلقد كنت أبحث عن السبيل للخروج
من هذا التيه طوال عمري . . .
لودميلا : أنت تمزحين ! أنا أعرف ما معنى كلمة فاجسر !
الفاجر هو الخال بروخور .

(تحاول فاسًا اغلاق الباب خلفها ، فلا توفق)

لودميلا (تفلت من تحت ذراع أمها) : انه فاجر . لقد حملت
ليزا منه . وهو يشتم أبي باستمرار ، فهو لا يحبه .
بروخور : أنت واهمة ! ولكن الشيوخ يخلون بحبهم عادة .
لودميلا : وأنت لا تحبينه أيضاً ، اليس كذلك ، يا أمي ؟
فاسًا : هذا يكفي . يكفي .

لودميلا : لماذا لا تحبينه ؟ خالي رجل سكير أيضاً ، ولكنك
تحبينه . . . الادمان على الشراب مرض . يقول جينيا *
ميلنيكوف . . .

بروخور : هذا المصدر للحكمة ! عليه اللعنة !
لودميلا : انه مثل وجع البطن وانه . . .

(تدخل ليزا حاملة سماورا صغيراً . تتبعها ناتاليا تحمل
صينية عليها أدوات الشاي . تعانق فاسًا ابنتها وتجوس
أرض الغرفة كمن يرهف السمع الى شيء ما . انها مضطربة

* جينيا اسم التدليل من اسم يفجيني . الناشر .

ولكنها تخفي هذا الاضطراب . تتوقف أخيراً وتوجه انتباهها
الى الأقفال)

فاسا (الى شقيقتها) : أما برحت تستمتع بهذه اللعبة ؟ الم
تسامها بعد ؟

بروخور : انها لعبة لا تكلف كثيراً . وقد لا تكون لعبة على
الاطلاق ؟

فاسا : ما هي اذن ؟

بروخور : من يدري ؟ ليس هنالك من يجمع الأقفال القديمة

غيري . وهكذا ، فأنا أختلف عن الناس جميعاً ! أجل .

القفل شيء عظيم ! فكل شيء في هذا العالم يعلق عليه

بقفل ومفتاح ، كل شيء مصان بهما . ولو لم يتعلم

الناس أن يقفلوا على أملاكهم لما كانت هناك أملاك

البتة . أنت لا يمكن أن تدري حصاناً من دون لعجام .

فاسا : هذه هي فكرتك اذن ! وفيها شيء من الحكمة . صبي

الشاوي ، يا ناتاليا .

بروخور (يراقبها) : تزعمين أنني أبعثر نقودي ، ولكنني دفعت

سبعة روبلات ثمن هذا القفل الضخم ، والآن يوجد

شخص يود أن يشتريه بخمسة وعشرين روبلاً .

سأجمع ألفاً من الأقفال وأبيعها على أحد المتاحف -

بحوالي عشرين ألف روبل .

فاسا : حسناً ! حسناً ! لينزل الله عليك هذا الحظ . (الى

لودميلا فجأة ، وفي صوت مرتفع .) . أحببت والدك يوم

لم تتجاوز الخامسة عشرة بعد . وتزوجنا وأنا في

السادسة عشرة . هكذا اذن . وفي السابعة عشرة ،
وأنا حبل بفيودور ، وفي احد الاعياد - وهو عيد
الثالوث المقدس الذي تحبه جميع الفتيات - اسقطت
اثناء تناول الشاي شيئاً من القشدة على جزمة زوجي .
فأرغمني على لعقها بلساني . وقد فعلت ذلك - في
حضور اناس غرباء ايضاً . لم تكن عائلتنا - آل
خرابوف - محترمة عند الناس .
لودميلا : أوه ، يا اماء ! فيم تروين لنا هذا ؟

(ناتاليا تراقب أمها في انتباه من وراء السماور)

فاسا : كان فتى مرحاً . يملا ايامنا سروراً .
لودميلا : هل كان يمزح ؟
فاسا : هل تذكرين ، يا ناتاليا ، كيف حفرت ثقباً في الجدار
لمراقبة ملاهي والدك ؟
ناتاليا : اذكر .
فاسا : ثم جئت اليّ راكضة والدموع في عينيك تصيحين :
«اطرديهن من البيت ، اطرديهن !»
ناتاليا : اذكر . اتعقدين محكمة عائلية ؟
بروخور : أوه ، يا للأفنى !

فاسا : وهكذا ، فانت تذكرين ، يا ناتاليا ؟ هذا جيد ! لا
يجوز للناس ان يعيشوا دون ذكريات . لقد حملت
منه تسعة اطفال ، لم يبق منهم غير ثلاثة . ولد أحدهم
ميتاً ، وطفلتان لم تبلغ كل منهما سنة واحدة ، وطفلان

سلاماً أن يعيش المرء وحيداً - عندها يكون سيئاً
هكذا كان الامر ، يا فتاتي ! أقول لكما هذا كله كيلا
تستعجلا الزواج .

لودميلا : أنت لم تخيرينا أبداً بمثل هذه الأمور من قبل .
فاسا : لم يكن لديّ وقت .

لودميلا : لماذا مات الجميع وبقينا نحن ؟

فاسا : لقد كنتم على شيء من الحظ . مات الآخرون لأنهم
ولدوا ضعفاء ، وولدوا ضعفاء لأن والدك كان يسكر
كثيراً وكان يضربني باستمرار . وخالك بروخور على
علم بذلك .

بروخور : أجل ، كان يضربها ! هذا ما كان حقاً . وكان عليّ
أن أنقذها من بين يديّ القبطان . لقد تعلمت في البحر
كيف يضرب ، فمارس هذا العلم جيداً !

لودميلا : ولماذا لم تتزوج أنت ؟

بروخور : تزوجت مرة . ثمة أغنيئة في إحدى المهازل
الموسيقية :

رأيت الزواج طريفاً يسيراً
وأما الحياة معاً . . . آه منها

لودميلا : أنت تنشيد جميع أغانيك بنغمة واحدة .

بروخور : تكون أسهل على هذا الفرار - فأستطيع تذكر
الكلمات بشكل أفضل . عشت مع امرأتي أربع
سنوات . ولم أستطع الاحتمال أكثر من ذلك . أكثر

سلاماً أن يعيش المرء وحيداً - عندها يكون سيّد
نفسه . لماذا يمتلك المرء خيولاً طالما أن هنالك
كثرة من الخيول الممتازة بالاجرة ؟

ناتاليا : هل سيعيش فيودور معنا ؟

فاسّا : طبعاً . بعد أن تتحسن صحته .

ناتاليا : وراشيل ؟

فاسّا : وكيف لا ؟ فهي زوجته .

لودميلا : يالها من لطيفة جداً !

ناتاليا : هل يجيئان للعيش معنا - بعد محاكمة والدنا ؟

فاسّا (منفجرة غضباً) : أنت تطرحين اسئلة كثيرة ،

يا ناتاليا ! وفضولك ليس طيباً .

لودميلا : لا تفضبي ! لا تفضبي !

ليزا (وقد امتلات رعباً) : فاسّا بوريسوفنا . . . ان سيرغي

بتروفيتش . . .

فاسّا (كانها تترنح . بصوت هادئ) : ماذا ؟ هل يطلبيني ؟

ليزا : يبدو انه مات . . .

فاسّا (غاضبة) : أنت مجنونة ! (تخرج متسارعة . تلحق

لودميلا بها . تهب ناتاليا على قدميها وتنظر الى خالها .

فينظر هو اليها مرتبكاً)

بروخور : أنا . . . ساقاي ترتجفان ! اذهبي ، يا ناتا .

اذهبي ! واعرفي ماذا حدث هنالك ؟

ناتاليا : اذا كان مات فلن تكون هنالك أية محاكمة ، اليس

كذلك ؟

بروخور : اقول لك اذهبي ! (حينما يصبح وحيداً يشرب

شايًا باردًا ويتمتم لنفسه .) هكذا اذن ، اللعنة !
بررر !

ليزا (تندفع راكضة ، وتحدث في صوت خافت مرعوب) :
بروخور بوريسوفيتش ، كيف هذا ؟ كان في صحة
جيدة . . .

بروخور : لم تسألين كيف هذا ؟ كان حيًا ، والآن لم يعد
كذلك ! أو لعله أغمي عليه ؟

ليزا : كان في صحة جيدة . . . بروخور بوريسوفيتش -
ذلك المسحوق . . .

بروخور (مصعوقًا) : . . . اذ . . . ا ؟ هل أنت . . . (يقبض
على عنقها غاضبًا ويهزها .) اذا أنت لم تنسي يا
قبيحة . . . اذا أنت - كيف ، أيتها الأنفى ! ماذا
تخترعين ، قولي ؟ كيف تجرؤين ؟ (يدفعها عنه ويمسح
العرق عن صلعته)

ليزا : لكن أنت الذي أمرتني أن أخبرك بكل شيء .
بروخور : تخبرينني بأي شيء ؟ ما تشاهدين وتسمعين -
هذا هو ! لكن ، ماذا شاهدت ؟ لقد لفقت هذا !
ل . . . ت . . . ت . . . ه ! ولم تشاهديه ! أخرجي ،
أيتها البلهاء ! مسحوق ! سأعطيك مسحوقًا ! انسي
وقع هذه الكلمة . . .

(يدفعها خارجًا ، ويرواح في الغرفة ويقادي في وحشية . حين
يصل الى الباب يبدو عاجزاً عن متابعة خطواته . تدخل فاسًا
ولودميلا يتبعهما بياتيوركين)

بروخور : ماذا به ، يا فاسا ؟ أهذا صحيح ؟

فاسا : أجل . لقد مات .

لودميلا : أماه ، أيمكن اخذ شجرة غار ؟

فاسا : أجل . خذيها .

(بياتيوركين يدفع برميل الشجرة مدوراً اياه في الغرفة . ترفع لودميلا الأزهار عن حفاف النافذتين وتخرج ، ثم تعود أدراجها على الفور)

بروخور : عجيب . ماذا أصابه ؟ كان في صحة تامة . حتى

الساعة الرابعة صباحاً كنا . .

فاسا : تشربان الكونياك .

بروخور : هذا صحيح . وكانت ليزا تخبرني قبل قليل -

المسحوق الذي انت . . .

فاسا : كان يشكو من حرقة في المعدة . وطلب مسحوق

الصودا .

بروخور (في لهفة) : مسحوق الصودا ؟ هه !

لودميلا : انت فظيخ ايها الخال بروخور ! مات بابا لتوه وانت

تبتسم . كيف تفعل ؟

بروخور : لا تبالي ، عزيزتي لودا . . .

فاسا (على الهاتف) : ستة ، خمسة ، ثلاثة . أجل . شكراً .

من ؟ أهذا أنت ، يا ياكوف لفوفيتش ؟ أرجوك أن

تحضر حالاً . أجل حالاً . بل ، سيرغي بتروفيتش

مات . كلا ، كانت صحته جيدة تماماً . فجأة . لم
يشاهد أحد كيف حدث ذلك . . . أرجوك .
بروخور (بصوت خافت وباعجاب) : أنت رائعة والله ،
يا فاسًا !
فاسًا (مذهولة) : ما هذا ؟ عماذا تثرثر ؟ استردّ صوابك !
أيها الأحمق . . .

ستار

الفصل الثاني

بعيد عدة شهور . الحجرة البهيجة ذاتها . فاسًا جالسة على المقعد الجلدي الوثير . لودميلا وناتاليا وأنا ويفجيني ميلنيكوف يجلسون على الكنبية . لقد انتهوا من تناول الشاي ، ولكن السماور وأدوات الشاي لا تزال على المنضدة . الوقت مساء . مصباح يلتهب ولكن الغرفة تسودها عتمة خفيفة . في الحديقة ضوء قمر وأشجار سود .

فاسًا : حسنًا ، لقد أخبرتكم عن عادات الزواج القديمة ، وأخبرتكم عن كيف كان الأزواج والزوجات يعيشون في غابر الزمان . . .

آنا (في رقة) : كانت حياتهم رهيبة .

ناتاليا : وحمقاء جداً .

لودميلا : لماذا الناس تعساء ، يا فاسًا ؟

يفجيني : لأنهم حمقى .

فاسًا : لست أدري سبب تعاستهم ، يا لودا . أونيجين *

وناتاليا هنا يعرفان - ويقولان انه من الغباء . وبعضهم

يقولون - وأنا نفسي رأيت ذلك - ان الأذكيا أكثر

تعاسة من الحمقى .

* اشارة الى بطل قصيدة الشاعر بوشكين «يفجيني أونيجين» . المترجم .

يفجيني : اذا قبلنا واقع أن الأغنياء أكثر ذكاء من الفقراء . . .

فاسا : طبعاً ، الأغنياء أكثر ذكاء ، ولكنهم يعيشون حياة وضيفة تعيسة . والغني عاجز عن أن يمرح ويستمتع مثلما يفعل الفقير .

أنا : هذا صحيح .

ناتاليا : اذن ينبغي على المرء أن يعيش في الفقر .

فاسا : هكذا بالضبط . أجل ، تماماً . حاولي ذلك ، يا ناتا .

جربي . تزوجي أونيجين وعيشي على هذا الغرار .

لسوف يغدو ملازماً ثانياً في المشاة وتصيرين أنت

زوجة ضابط . هذا الصنف موجود . لن تحصلني مني

على أي بائة ، وهكذا ستعيشان على أربعين روبلاً في

الشهر . وبهذا المبلغ يجب أن تؤمنا الكسوة والطعام

والشراب واستقبال الضيوف وكرامهم . كما أنكما

ستنجان الاطفال وبين ايديكما نفس المبلغ أيضاً ،

كما . . .

ناتاليا : لن أنجب أطفالاً على الاطلاق . لماذا أزيد عدد

التعساء في هذا العالم ؟

فاسا : هذا أمر غاية في الحكمة من دون ريب . فيم تفعلين

ذلك حقاً ؟ اذن ، يا أونيجين ما ينتظرك هو أربعون

روبلًا في الشهر ، وجندي خادم يشوي لكما كوستاليتا

من لحم رخيص قاسي الألياف يومياً .

يفجيني (مقطباً) : قد أنتقل الى البحرية . . .

لودميلا : أنا الأخرى لن أتزوج قط - فالزواج رهيب جداً !

سأسافر بالأحرى وأتفرّج على جميع حدائق النباتات
والمستنبطات الزجاجية والمروج الجبلية . . .
ناتاليا : يجب تبديل كل شيء - الزواج ، والحياة نفسها ،
وكل شيء !

فاسّا : باشري تبديلها اذن . وسيطلعك غوري كروتكيخ من
أين تبدأين .

ناتاليا : أعرف من دونه . الثورة هي البداية !
فاسّا : لقد اشتعلت الثورة وانطفأت - ولم يبق منها غير
الدخان .

آنا : أتقصدين دوما الدولة ؟

فاسّا : ذلك أيضاً . انه أشبه بكومة من الجمرات الخامدة .
الحطب الرطب لا يحترق جيداً . ولكن غوري كروتكيخ
سيعلمك كيف تفعلين . انه يعلمني كيف أدبر شؤون
بيتي بمائتي روبل شهرياً ، وسيعلمك كيف تحققين
الثورة بحوالي خمسة عشر - أي بخمسين كوبيكاً
للدروس الواحد . حين دخل خدمتي كان سرواله بالياً ،
ولكنني رأيت زوجته في المسرح منذ فترة . يلتمع
عليها شيء ما من الذهب . هكذا الأمور ، يا فتاتي !
وهكذا ستصير بحاراً ، يا أونيجين ؟

يفجينني : لم أتخذ قرارى بعد . لماذا تنادينني أونيجين ؟
فاسّا : إتخذ قرارك . حان الوقت كي تصير ضابطاً ، ولكنك
لا تبرح طالباً في الكلية العسكرية . وأنا أناديك
أونيجين . . .

ناتاليا : انه لا يشبه أونيجين ألبتة .

فاسًا : لا يشبهه ؟ ولكنه متشامخ مثله تماماً . حسناً ،
لا تبالي . مؤكّد ، يا نانا ، فأنت تعرفين مَنْ يشبهه
أكثر مني .

ناناليا : انه لا يشبه أحداً .

فاسًا : من اليشّر ؟

يفجيني (غاضباً) : لا أستطيع مطلقاً أن أميّز متى تمزحين ،
ومتى تجديّن . يا له من أسلوب غريب في الكلام !

فاسًا : لا تغضب ولا تزعل . الأحرى أن تميّز الأمور .
إسمع ما أحدثك . حين وقع اضراب في حوضنا الخاص
بتصليح السفن وجاء الجنود ، قال أحد الميكانيكيين ،
ويدعى فيز لومتسيف ، للملازم الثاني : «أنت تقبض
أربعين روبلاً شهرياً ، يا صاحب السعادة ، وأنا أقبض
خمسة وسبعين ، وفي مقدوري رفع المبلغ الى مائة اذا
حاولت . ولذلك ، وطالما أنت تخدم الأغنياء ، وأنا
أكثر منك ثروة ، فلا يليق لك أن تصيح في وجه رجل
ثري مثلي» .

يفجيني : لا أرى في هذه القصة شيئاً من نفع .

ناناليا : أمي تحب اغاظة الناس .

فاسًا : هذا هو ذنبي . أنا عدو للناس .

لودميلا : ليس هذا صحيحاً ، يا فاسا !

فاسًا : بلى ، هو صحيح . انا عدو لهم . حسناً ، حسبكم هذا !

لقد تحدثنا ، وثرثرنا . فالى غرفتيكما ، يا فتاتي . ان

لدي عملاً - يجب تدبير أمورنا . أنت ابقني معي ،

يا آنا . هيا اخرجوا ، اخرجوا ! سنلتقي على العشاء . (الى

آنا) أصحيح أن والد يفجيني إنضم الى «اتحاد الشعب الروسي» * ؟

آنا : أجل ، صحيح .

فاسّا : فعل ذلك ، الأحق ، من أجل ولده . فهم ينوون طرد يفجيني من الكلية العسكرية . أخشى أن ينتهي هذا النذل الى افساد ابنتي .

آنا : اعتقد ان السّامة تدفع ناتاليا لان توليه اهتماماً .

فاسّا : الحاقدون لا يعرفون سامة .

آنا : أصبحت متجهمة جداً منذ وفاة أبيها . ثم ان الأقاويل بالطبع . . .

فاسّا : وهل تستمرّ هذه الأقاويل ؟

آنا : أجل .

فاسّا : وتصدقينيها ؟

آنا : كلا . ما أقلقني حقاً هو انتحار ليزا . لا أفقه لماذا فعلت ذلك . كانت فتاة طيبة . وعاشت لديكم منذ طفولتها . ويحبها الجميع .

فاسّا : انها فعلة بروخور . أنه أخافها بوسيلة ما .

آنا : هل كانت تعيش معه ؟

فاسّا : أرغمها على ذلك . الا يصدّق الناس أن ليزا اختنقت من الدخان في الحمام ؟

* منظمة رجعية تشكلت في اكتوبر ١٩٠٥ ودامت حتى ثورة فبراير ١٩١٧ . كانت لها فروع في كثير من المدن . الناشر .

آنا : قليلون من الناس وحسب .

(تدخل بوليا)

فاسا : ماذا تريدين ؟ فيم وقوفك هنا مترددة ؟ تكلمي .

بوليا (في هدوء) : هنالك امرأة في الباب .

فاسا : من ؟ في مثل هذا الوقت من الليل ؟

بوليا : اسمها صعب علي . . . فلانة مويسييفنا .

فاسا : . . . ن ؟ (تسرع ناحية الباب ، ولكنها تقف

وتخاطب آنا .) لا تقولي للفتاتين شيئاً . فلتكن

مفاجأة لهما . ولا تأذني لأحد بدخول هذه الغرفة . (الى

بوليا) خذي هذا السماور واحضري الصغير .

(تخرج)

آنا : حسناً ، أنت تعتادين على الأمور ؟

بوليا : انه عمل مرهق . حسبت أنني سأخدم الأنستين فقط ،

وسيكون للسيدة وصيفتها . وبروخور بوريسوفيتش

يحتاج الى خادم خاص ، ولا أستطيع أن أخدمه .

آنا : هل يعاكسك ؟

بوليا : انه عديم الحياء لا يعرف للخجل معنى ! وهو الآن

يتواثب هنا وهناك في قميصه الداخلي فقط مردداً

دائماً الأغنية ذاتها . البارحة ، حين أوى الجميع الى

مضاجعهم ليلاً ، استمرّ هو في هز أقفاله وغناؤه .

انه يسبب لي الملالة حقاً . ما باله ، يا آنا

فاسيليفنا ؟

آنا : ليس هو سليم العقل تماماً . فهو مدمن . وبكلمات أخرى سكتير .

بوليا : وأنا شاكرة جداً لك . فاليبيت بيت طيب .

آنا : تقصدين القول فيما عدا أهله ، أليس كذلك ؟

بوليا : ليس لي الحق في الحكم . لقد حوكت مرة ، في المحكمة . ولكنني أظهرت براءتي . غير أنني كنت في السجن . وفضلاً عن ذلك ، فقد أخبروني أن الخادم التي كانت تعمل قبلي شنقت نفسها في الحمام .

آنا : هذا كذب . لقد خنقها الدخان في الحمام . حدث ذلك حينما كانت تسخن الماء . وكانت حاملاً .

بوليا : هكذا اذن ، أترين - لقد كانت حبل !

لودميلا (تدخل حاملة مقعداً مدوراً صغيراً لا ظهر له ، يلحق بها بياتيوركين يحمل نبتة في برميل صغير) : ضعها هنا ، فهي تحتاج الى كثير من الشمس . لا ، ليس هنا - في الوسط .

بياتيوركين : حاضر . أهكذا ؟ (طرح هذا السؤال وقد ركع على ركبته)

لودميلا : جيد . يا لشعرك المخيف ! لا ريبة أنه خشن قاس !

بياتيوركين : أبدأ . إلمسيه .

لودميلا (تلمس شعره) : مثل جمّة الأسد .

بياتيوركين : أصبت . فألجميع يقولون ذلك .

لودميلا : من هم الجميع ؟

بياتيوركين : انهم معارفي . الناس عموماً .

لودميلا : وفيما انت راكم ؟
بياتيوركين : من دواعي سروري أن أركع أمامك .
لودميلا : أنت الآن . . . تختلق الأمور ! فانا لن أركع
ابداً أمام رجل .
بياتيوركين : لا حاجة بك لذلك . فهو الذي سيركع
أمامك . . . في مقدورك أن تفعل بالرجل أي شيء
يرغب فيه فضولك .
لودميلا : لا أريد أن أفعل شيئاً . ولن أفعل .
بياتيوركين : أنت وما تريدين .
لودميلا : رويدك برهة ، وسأسأل الجنائي ما يجب أخذه من
هنا . (تخرج)
آتا (من غرفتها) : أنت تعض ما هو أكبر من أن تستطيع
مضغه ، يا بياتيوركين .
بياتيوركين : لا تكوني غيورة . من يدري ؟ كل شيء يمكن ان
يحدث . كل شيء جدير بالمحاولة .
آنا : لو سمعت فاساً خطبك . . .
بياتيوركين : ممّن ستسمع ؟
آتا : ستطردك من البيت على الفور .
بياتيوركين : أنت لن تخبريها ، وحين تعضّ لودميلا الصنارة
يكون الأوان قد فات . لذلك لا تدسي أنفك ، لا فائدة
لك من دس أنفك . أنت تحصلين على ربحك هنا
بانتظام ، أما أنا فقد أطرّد غداً . واذ ذاك ستتزعزع
أمورك أيضاً .

آتا : وما شأنني أنا ؟ ولكن رؤيتك انت بين اسيادي تبو
لي شيئاً مؤذياً .

لودميلا (تعود أدراجها الى الغرفة) : تستطيع أن تذهب ،
يا بياتيوركين . فليس لك عمل هنا .

بياتيوركين : أتمنى لك السعادة اليوم وحتى آخر أيام حياتك .
لودميلا : هو خدم جداً .

آتا : اجل .

لودميلا : والطريقة التي يرقص بها ! مدهش !

آتا : ومع هذا ينبغي أن تأخذي حذرك منه ، يا لودا .

لودميلا : أي أذية يمكن أن يلحقها بي ؟

آتا : يمكن أن يمنحك طفلاً .

لودميلا : أف ، يا لها من قذارة !

آتا : الطفل ؟

لودميلا : هذا الذي تقولينه أنت ! (تخرج)

آتا (في اثرها) : كنت أتكلم عن طفل بالذات !

فاسا (بحركة واسعة من ذراعها تشير الى آنا وبولينسا

بالخروج من الغرفة . راشيل لم تبلغ الثلاثين من العمر

بعد . ترتدي ثياباً أنيقة بسيطة . جمالها فاتسن .)

أدخلني ، يا راشيل ، واجلسي واروي لي كيف وصلت

الى هنا ، ومن أين كان مجيئك ؟

راشيل : جئت من الخارج .

فاسا : اجل لا شك في هذا . بصورة شرعية ؟

راشيل : كلا . جئت مع موسيقية ، بصفتي مرافقة لها .

فاسا : واستخدمت جواز سفر مزوراً اذن ؟ انست امرأة

شجاعة . شاطرة ، وأنت أكثر جمالاً من قبل . مخلوق
جميل مثلك و . . . حسناً ، لنترك هذا ! كيف هو
فيودور ؟ قول لي الحقيقة .

راشيل : اخفاء الحقيقة ليس في ديدني . لا أمل له يا فاساً
بوريسوفنا . انه يزوي . ويقول الأطباء انه لن يعيش
أكثر من شهرين أو ثلاثة .

فاستا : اذن ، هذه هي نهاية ابن القبطان جيليزنوف .
راشيل : أجل . لقد نحل جسده وشفّ تقريباً . وهو يعرف
انه يموت . ولكنه لا يبرح مرحاً حاد الذهن مثله
أبداً . وأين كوليا ولدي ؟

فاستا : وهكذا انتهى فيودور جيليزنوف . انتهى وريشى .
وصاحب كل املاكي .

راشيل : هل كوليا نائم ؟

فاستا : كوليا ؟ لست أدري . اظن ذلك .

راشيل : هل يمكن ان القي عليه نظرة ؟

فاستا : كلا .

راشيل : لماذا ؟

فاستا : هو ليس هنا .

راشيل : كيف هذا ! انت . . . ما معنى هذا ؟

فاستا : ليس هنالك ما يُخيف . فكوليا يعيش في الريف ، في
غابة من شجر الصنوبر . الأرض هناك رملية . والمناخ
صحي أيضاً . لا يفيد في شيء ان يعيش في المدينة .
فلوزتاه ملتهبتان . لقد أورثه والداه صحة سيئة .

راشيل : هل المكان بعيد ؟
فاستا : حوالي ستين فرسخاً .
راشيل : وكيف أصل الى هناك ؟
فاستا : لا ضرورة لذلك . حسناً ، يا راشيل ، فلنتحدث
الآن صراحة .
راشيل : هل مات ؟
فاستا : لو مات لما كان هناك ما نتحدث عنه - فكلمة واحدة
تكفي . كلا ، هو حي وصحته جيدة . وهو ولد لطيف
وذكي . فيم تريدينه ؟
راشيل : قررت أن أرسله الى الخارج . شقيقتي هناك
متزوجة من بروفسور في الكيمياء . وليس لديهم
اولاد .
فاستا : هذا ما خطر لي تماماً - من المؤكد أن راشيل
ستقتاد الطفل الى وسطها . كلا ، لن أعطيك كوليا !
راشيل : ماذا تقولين ؟ أنا أمه !
فاستا : وأنا جدته ! مؤسسة العائلة . اولادي هم يداي ،
وأحفادي هم أصابعي . أتفهمين ؟
راشيل : لحظة . . . لا أفهمك . هل أنت جادة ؟ هذا كلام
امرأة جاهلة متخلفة . ولكنك امرأة ذكية ، ولا يمكن أن
يخطر هذا في ذهنك .
فاستا : كيلا نقول كلاماً فارغاً اصمتي واصغي . لن أعطيك
كوليا .
راشيل : لكن هذا مستحيل !
فاستا : لن أعطيه لك . فكري : ماذا يمكن أن تفعلني ضدي ؟

لا شيء ! بقدر ما يتعلق الأمر بالقانون فأنت لا وجود لك على الإطلاق . أنت خارجة على القانون ، أنت ثورية هاربة . وحالما تظهرين نفسك يلقونك في السجن .

راشيل : هل تزمعين حقاً أن تستفيدي من الوضع الذي أنا فيه ؟ لا أصدق هذا ! لن تفعلي هذا لسوف تعطينني ولدي .

فاستا : أنت تهرفين . كلامك فارغ . لسوف أفعل ما عقدت عزمي عليه .

راشيل : لا !

فاستا : لا تصرخي ! تمالكي نفسك . لن أعطيك كوليأ . ان مصيراً مختلفاً ينتظره .

راشيل : ماذا أنت - هل أنت وحش ؟

فاستا : أقول لك لا تصرخي ! فما فائدة الصراخ ؟ أنا لست وحشاً . الوحش يغذي صغاره ويتركها من بعد تتدبر أمر غذائها . لا يهمله ما ستأكل ، سواء أكان ذلك فراخاً أم عجولاً . طبعاً أنا أتحدث عن الحيوانات المفترسة وليس عن الأرانب الجبانة . أما أنت فلن تتركني ولديك يدبر أمر نفسه . ولا أنا أترك أمر حفيدي . ان حفيدي سيرث شركة ملاحه جيليزنوف وخرابوف . وهو الوارث الوحيد لأملك تساووي الملايين . وعمته ، ناتاليا ولودميلا ستنالان حصة صغيرة قدرها خمسون ألف روبل تقريباً لكل منهما - وهو مبلغ كبير بالنسبة اليهما على أية حال . أما ما تبقى فسيكون له .

راشيل : أنت مخطئة اذا ظننت أن في مقدورك رشوتي أو
مواساتي بهذا الأسلوب . أنت مخطئة تماماً . هذا
مستحيل !

فاسا : فيم أرشوك أو أواسيك ؟ أنت تعرفين ، يا راشيل ،
أني لا أعتبرك عدوة لي ، حتى حين رأيتك تأخذين
أبني مني . فماذا كانت فائدته بالنسبة لي ، هو
المريض العاجز ؟ لم أكن لطيفة معه ، ورأيت أنك
تحبينه . اذ ذاك قلت لك - هيا ، أحييه ، فلست
أبالي ! الرجل المريض يملك الحق في قليل من
السرور في الحياة . بل كنت ممتنة لك بخصوص
فيودور .

راشيل (منفجرة غضباً) : هذه اكاذيب كلها ! اكاذيب تثير
العرف ! لا أستطيع أن أصدق . . . هذه وحشية !
فاسا : انت لا تصدقين ولكنك تشتمين . ومع هذا فلن
أبالي . تابعي شتائمك . أنت تشتمين لأنك لا تفهمين .
فكري ! ماذا يمكن أن تقدمي لولدك ؟ أنا أعرفك ،
أنت عنيدة . ولن تعدلي عن حلمك وعملك . أنت
تريدين اشعال ثورة من جديد . وأنا اريد أن أعزز
أعمالي . لسوف تسجنين وتعرضين للنفي . وسيعيش
الطفل مع الغرباء ، في أرض غريبة - يتيم . أفهميني ،
يا راشيل . لن أعطيك ولدك ! أبداً !

راشيل (في مزيد من الهدوء وبازدراء) : أجل ، أنت قادرة على
ذلك ، وأنا أعرف هذا . بل يمكنك أن تسلميني الى
الشرطة .

فاسا : أجل ، قد أصل الى هذه الحدود ! الى أي شيء !
اللعبة هي لعبة !

راشيل : كيف يمكن أن أحسّ ذهنك المتوحش ؟ قلبك
الهمجي ؟

فاسا : ما زلت تتحدثين عن الوحوش ! لو سألتيني رأيي
سأقول لك ان الناس أسوأ من الوحوش ! أجل ،
أسوأ ! أنا أعرف هذا ! هنالك بعض الناس يجعلونك
تتمين أن تهاجمهم في شراسة - فتدمرين بيوتهم ،
وتحرقين كل شيء ، تتركينهم عراة ، جائعين ،
وتجمدينهم مثل الصراصير . . . هكذا !

راشيل : عليك اللعنة ، لكن ثمة شيئاً له قيمته في حقدك
هذا .

فاسا : أنت امرأة ذكية ، يا راشيل . قد أسفت غير مرة
لأنك لم تكوني ابنتي . وأظنني قلت لك ذلك مرة !
فأنا على الدوام أقول ما يخطر في ذهني من أمور .

راشيل (تنظر في ساعتها) : أيمكنني قضاء هذه الليلة هنا ؟
فاسا : وكيف لا ؟ ابقِي ! لن أسلمك الى الشرطة . وستسر
الفتاتان برؤياك - تسران حقاً . فهما تحبانك . لكنني
لن أعطيك كوليا ! اعرفي هذا !

راشيل : سنرى اذن !

فاسا : هل ستحاولين سرقة ؟ هراء . . .

راشيل : لا ، لن اتحدث عن هذا بعد الآن . فأنا مهدودة
القوى ، وأعصابي على شفا الانهيار ، وفوق كل شيء
صعقتني أنت بهذه الصدمة . يا لك من مخلوق رهيب !

الاصغاء اليك يجعلني أفكر أن هنالك نمطاً مجرمًا في الحقيقة .

فاسا : كل شيء موجود ! لن يستطيع المرء اختراع شيء أسوأ مما هو موجود .

راشيل : أنت والناس من طبقتك - أنتم السادة - لم يبق أمامكم وقت طويل . ثمة سيد جديد ، قوة جديدة هائلة ، تنمو الى الوجود . ولسوف تسحقكم . تسحقكم تماماً !

فاسا : لكم هذا رهيب ! آه ، يا راشيل ، لو كنت صدقت هذا لقلت لك : خذي ثروتي كلها ودهائي كله ، فكل شيء ملك لك !

راشيل : أنت الآن تكذابين ليس غير !

فاسا : لكنني لا أصدقك يا نبية . لا أستطيع أن أصدقك . والأمر لن تجري كما تشتهين ، لن تجري !

راشيل : أنت آسفة على انها لن تجري ؟ آسفة حقاً ؟

فاسا : لنفرضنّ هذا ؟ فما جدواه ؟ آه ، أنت لا تفهمين ... يوم قام زوجي العزيز بجميع سفننا ، ومرافئنا ، وبيوتنا وأملاكنا كلها على مائدة اللعب - فأنت لن تصدقي هذا - ولكنني فرحت الفرحة كلها ! اجل ، فرحت ، أتصدقين ام لا ؟ ثم سحب آخر خاتم في اصبعه ، وراهن به واستردّ كل شيء ، بل أكثر مما خسر . . . وبعد هذا ، وأنت تعرفين ، شرع يدمن الخمر والفسق ، وهذه أنا طوال خمسة عشر عاماً أحمل

هذا العبء كله ، عملنا الكبير كله في سبيل الأولاد .
آه لو تعلمين الطاقات التي بذلت ! وهذه أنا الآن أضع
آمالي كلها في أولادي . وحفيدي هو التبرير الوحيد
لجميع الأشياء التي عشت من أجلها .

راشيل : أيمن أن تتصورى كم يغبطني أن أسمع أن ولدى
هو تبرير لصفقاتك المشبوهة وضحية أعمال دنيئة .
فاستا : لم تترك الفكرة ، اليس كذلك ؟ لا تبالي ، فقد سمعت
منك شيئاً أو شيئين لم أستسغهما بدورى . فلنشرب
الشاي . لسوف نحافظ على الظاهر أمام الفتاتين . هلاً
فعلنا ذلك ؟

راشيل : لا ضرورة لأخبارهما أنى وصلت بصورة غير
مشروعة . ولا موجب لأن تعرفنا شيئاً عن خصامنا
أيضاً . فليس الأمر في يدهما .
فاستا : واضح انه لا ضرورة لذلك .

(تظهر بوليا عند الباب)

فاستا : اذهبي ونادى الفتاتين . أخبريهما أنا لا أرغب في
وجود الطالب العسكرى . قولى ذلك في هدوء كيلا
يسمعا . واحضري لنا سماوراً . هيا . وعلى هذا
الغرار كان لقاؤنا ، يا راشيل !

راشيل : لقاء غير مستحب .

فاستا : ليس باليد حيلة . وخدمهم الأطفال يحيون حياة
سارة - وليس لوقت طويل على أى حال .

راشيل : وهذا كله يبدو لي بعيداً عن التصديق .
فاسا (ترفس مقعدا في هياج) : وما الذي لا يصدّق فيه ؟
لودميلا (تدخل راكضة ووراءها تخطو ناتاليا) : أوه ، من هنا ؟ ماذا ؟ يا راشيل . . . راشيل !
ناتاليا : لم ترسلي برقية - لماذا لم تفعلي ذلك ؟
فاسا : ناتا مغرمة بطرح الأسئلة . قولي لها مرحبا فتسألك لماذا .

راشيل : أنت لم تتبدلي ، يا لودا . جذابة مثلك أبدأ . بل يبدو أنك لم تكبري خلال هاتين السنتين .
لودميلا : وهل هذا شيء سيء ؟
راشيل : بالتأكيد لا ! ولكن ناتا . . .
ناتاليا : قد هرمت .

راشيل : لعلّ كلمة «نمت» ليست الكلمة المناسبة بالنسبة الى فتاة ، لكن ذلك هو بالضبط الانطباع الذي تعطينه .

ناتاليا : الناس يقولون عادة «نضجت» .
راشيل : ليس هذا هو الشيء ذاته !

(الشقيقتان مغتبطتان لرؤية راشيل ، ولكنها تتحدث في وهن ، وعيناها عالقتان بفاسا معظم الوقت تقريبا . تشدها الابتتان الى الكنبه . فاسا هادئة . تجلس الى المنضدة تهيبُ الشاي)

لودميلا : اجلسي ، وانفضي الينا الأخبار كاملة .

ناتاليا : كيف حال فيودور ؟ هل هو أحسن ؟

راشيل : كلا ، صحته سيئة جداً .

ناتاليا : اذن لماذا سافرت وتركته وحيداً ؟

راشيل : جئت آخذ ولدي كوليا .

فاسا : وأنا لن أسمح بأن يغادر الحدود .

لودميلا : يا راشا العزيزة ، ما أروعه من صبي الآن ! انه

ذكي وشجاع . . . يعيش في الغابات في خوموتوفو .

وهو مكان رائع . وهناك غابة كبيرة من الصنوبر .

ناتاليا : هل نقلوه من بوغودوخوفو ؟

لودميلا : وبوغودوخوفو مكان رائع أيضاً ! هنالك غيضة

كاملة من أشجار الزيزفون وخلايا النحل . . .

راشيل : اذن ، أنتما لا تعرفان حتى مكانه ؟

فاسا : الى المائدة ، ارجوكم .

راشيل : أخبريني كيف تسير أمورك ؟

لودميلا : كل شيء رائع بالنسبة اليّ . أنت ترين ، انه

الربيع وأنا وفاسا بدأنا العمل في الحديقة . تأتي

وتوقظني في بكور الصباح ، قائلة : «ها انهضي !»

ونتناول قليلاً من الشاي ، وننتقل الى الحديقة . أوه ،

يا راشا ، يا لها من حديقة غناء الآن !

(تدخل آنا ، تومي* برأسها تحية لراشيل . تهمس لفاسا

شيئاً ما وتخرجان معا)

لودميلا : ننتقل الى الحديقة حين تكون غارقة كلها بالندى

تتلاً تحت أشعة الشمس ، وكأنها ثياب الكهنة
الموشاة ، كأنها من البروكار . انها تحبس أنفاسك ،
أنها تسحر القلب ! في العام قبل الماضي طلبنا بذاراً
للزهور بما يعادل مائة روبل تقريباً . وليس في المدينة
كلها من يملك زهوراً فاتنة مثل زهورنا . ولدي
بعض الكتب عن البستنة ، وأنا أدرس الألمانية .
وهكذا نتابع عملنا في صمت مثل الراهبات مثل
الخرسان . ونحن لا ننتق بحرف ، ولكننا نعرف ما يجول
في ذهن كل منا . أنا انشد أغنية عادة . وإذا توقفت
تهيب بي فاساً أن أستمر . وأرى وجهها في مكان
بعيد ، وجهها اللطيف الحنون .

راشيل : تعيشين حياة سعيدة اذن ؟
لودميلا : أجل ! سعيدة حتى الشعور بالخجل . انها رائعة
مدهشة !

راشيل : وانت ، يا ناتا ؟
ناتاليا : أنا في حال مستمرة من الدهشة .
بروخور (سكران يحمل قيثارة) : ها ! انها راشيل ! (يغني .)
«من أين جئت ، أيها الطفلة الفاتنة ؟» * آه كم ازداد
جمالك !

راشيل : وانت على ما عرفتك .
بروخور : لا أفضل ولا أسوأ . أنا كما كنت من قبل .
راشيل : هل أنت مستمر في اللهو ؟

* سطر أخير من قصيدة بوشكين «بنت الماء» . الناشر .

بروخور : بالضبط . هذه مهنتي . موهبتي الرئيسية هي
المرح البسيط . ذلك جزء من طبيعتي . لقد مات القبطان
جيليزنوف ، وهكذا فأنا أرعى شرف العائلة والشركة
بأن ألهو الآن لهوا مضاعفا .
راشيل : هل كان شديد المرض في ذلك الحين ؟
بروخور : أجل ، كثيرا - فقد مات .

(تضحك لودميلا)

راشيل : لقد قصدت هل طال مرضه كثيرا ؟
بروخور : القبطان ؟ لم يمرض على الاطلاق . مات فجأة .
بف ! و«فليرقد بسلام مع القديسين» .
فاتاليا : هذا يكفي ، يا خاله ! انه شيء مشين !
بروخور : مشين أن يرقد مع القديسين ؟ لا تحاولي تعليمي ،
يا صغيرتي ! فأنت أصغر من أن تفعلي ذلك ! ومن
أين انبثقت ، مدمرة الحياة ؟ من سويسرة ؟ هل
فيودور حي يرزق بعد ؟
راشيل : أجل .
بروخور : وصحته سيئة جداً ؟
راشيل : جداً .

بروخور : ليست أسرة جيليزنوف سلالة قوية . نحن ، آل
خرابوف ، نملك قوة اكثر ! ولكن ولدك ، كوليا ، ولد
لطيف ، ذلك الشيطان الصغير ! يلتقط الأمور بسرعة .
ذات يوم كنت وجيليزنوف قد تخاصمنا قليلاً على

الغداء . في اليوم التالي سلّمت على كوليا ، فانفجر في وجهي : «انصرف من هنا ، أيها العرييد السكير !» . بلى ، لقد فعل ذلك ! كان الوقت باكراً ، وكنت لا أزال صاحبياً . . . وماذا تصنعون هنا ؟ تشربون الشاي ؟ الحوذيون وحدهم يشربون الشاي . أما الناس المحترمون فيطفئون ظمأهم بالخمرة . . . سأحضرها حالاً . بورتو فاخرة ! أفخر من أي صنف تذوقه الاسبانيون يوماً . وناتاليا تعرف هذا . . . (تدخل فاساً وهو في طريقه الى الباب)

فاسا : ماذا حدث هنالك في النادي ؟

بروخور : في النادي ؟ كيف عرفت ذلك ؟

فاسا : اتصلوا بي هاتفياً .

بروخور : في النادي جرى شجار صغير في موضوع السياسة . لا شيء أكثر من ذلك .

فاسا : وسيظهر اسمك في الصحف مرة أخرى ؟

بروخور : لماذا اسمي ؟ لقد ضربته مرة واحدة . جعل ينبع على «الدوما» فأنزلتها صفقة على فكه .

فاسا : أصغ اليّ ، يا بروخور . . .

بروخور : سأرجع حالاً . وعندما أصغني اليك . . . (يعني .) «لا تغويني دون سبب . . .»

لودميلا : ألا يبعث على الضحك ؟ لقد بدأ يكثر من الشراب مؤخراً . وهو يعلم ناتاليا على الشراب . . .

ناتاليا : لقد علمني وانتهى .

راشيل : اتعنين ذلك حقاً ، يا ناتا ؟

ناتاليا : أجل . فأنا أعشق الخمرة عشقاً . وأهوى الاحساس
بأنني سكرى .

فاستا : يمكنك أن تضيفي الى هذا انه ليس هنالك من
يعاقبك على ذلك .

ناتاليا : وليس هنالك من يعاقبني على ذلك .

فاستا : ناتاليا ! حذار !

ناتاليا : أمرتني أن أضيف ذلك ، فأضفته .

فاستا : تظنين نفسك مجدودة لأنه ليس لدي الوقت لطرده
هذا الشيطان منك !

لودميلا : ناتا دائما وقحة مع أمنا ، كما ترين ، يا راشا .
وفي رأيي أن هذا شيء سيئ .

فاستا : عندك نية أن تعيشي عيشاً سامياً . تدعين أنك
متقفة ، وتتصرفين كالخنازير !

ناتاليا : الخنازير الأصيلة غالية الثمن كثيراً !

فاستا (غاضبة) : هذه هي الحياة التي نعيشها هنا ، يا راشيل .

راشيل : هي حياة متعفنة ، ولكنكم لا تستأهلون شيئاً
أفضل . انما الحياة الخالية من المعنى تماماً .

فاستا : هذا ما أستحقه ؟ هراء !

راشيل : أنا لا أقصدك شخصياً ، بل أتحدث عن طبقتك
الاجتماعية .

فاستا : هذه هي تنطلق الآن !

راشيل : والأمور لا تقل عن ذلك سوءاً في الخارج أيضاً . بل
لعلها أسوأ ، فهم أكثر هدوءاً بشأنها ويعذبون

بعضهم بعضاً أقلل مما تفعلون انتم .

فاتاليا : أهذا صحيح ؟ أم أنك بهذا تواسيننا ؟

راشيل : انه صحيح ، يا فاتاليا . أنا لست ممن يؤاسون الناس . ان عالم الأثرياء ينهار ، رغم انهم هناك اكثر تنظيماً . كل شيء ينهار ، بدءاً من العائلة ، ولقد كانت العائلة هنالك قفصاً حديدياً . أما هنا فالقفص من خشب .

فاسا : راشيل !

راشيل : نعم ؟

فاسا : أقيمي هنا معنا . سيموت فيودور ، هذا ما قلته بنفسك . كفتي عن التطواف والتجوال وعن الاختباء ! تعالي وعيشي معنا . وتستطيعين تربية ولدك . وههنا ابتتاي أيضاً . هما تحبانك . أنت تحبين ولدك .

راشيل : ثمة شيء أكثر قيمة بكثير من روابطنا وعلاقاتنا الشخصية .

فاسا : أعرف . فثمة العمل . مشاكل الشركة . لكن يحدث أحياناً ان يقع شيء ما في متناول يدك ، شيء يجدر ان تقتنيه ، ولكنك لا تشعرين برغبة في ذلك .

راشيل : أنت لا تتحدثين عن نفسك .

فاسا : ماذا تقصدين ؟

راشيل : قد تشعرين أحياناً أنك تعبت من تسوية مشاكلك ، أما أن تشعرين بعدم جدواها ، بفظاظتها ، كلا ، أنت لا تستطيعين هذا . أنا أعرفك . رغم كل شيء أنت

عبدة . أنت ذكية وقوية ، ولكنك عبدة مع ذلك .
فالاشياء تتلفها الدودة والصدأ والعفونة ، وانتم تتلفكم
الاشياء .

فاسا : يا للذكاء ! لكن هذا غير صحيح كما أظن ! سأخبرك
بما كنت أريد ، سأخبرك بذلك أمام ابنتي . كنت
أريد أن يحمل حاكم هذه المقاطعة المبولة لي ، كنت
أريد أن يقيم الكهنة المحليون احتفالهم الدينية على
اسمي أنا وليس على أسماء القديسين ، بل على اسم
روحي الشريرة السوداء الخاطئة .

واشيل : هذا مأخوذ من دوستويفسكي ولا يلائمك
أنت . . .

ناتاليا : أمي لا تعرف شيئاً عن دوستويفسكي . فهي لا تقرأ
الكتب .

فاسا : من دوستويفسكي - من تراه يكون ؟ كلا ، بل من
الاذلال الذي عانيت . من الاذلال الذي لا أستحقه . . .
الفتاتان تعرفانه ، فقد أخبرتاهما اليوم كيف كنت . . .
بروخور (حاملًا زجاجتين من الخمر) : ها هو البورتو ! هيا
بنا الآن ، ولناخذن الأمور بصورة جادة . هل أسكب
لك يا فاسا ؟ لن تندمي . انها بضاعة نادرة ،
وهي . . .

فاسا : حسنا ، هيا ! تعالين الى المنضدة ، يا فتيات . على
اي حال ، لم لا نشرب ؟ كنتي قد . . . جاءت لزيارتي !
أسكب ، يا بروخور . من ضربت ؟
بروخور : ميلنيكوف ، مستأجرك . ضربته على فكه . وضربت

شخصاً آخر أيضاً . . . ذلك هراء في هراء حقاً ! لسوف
يشفى !
فاساً : اتعلم أن ميلنيكوف سجل نفسه في «اتحاد الشعب
الروسي» ؟
بروخور : واذن ؟ لكأن لذلك اية أهمية ! وانا سجلت اسمي
في دليل الهاتف ، ولكنني لا أتبعج بهذا . الأقداح !

(الهاتف یرن)

فاساً : هذا لي . (على الهاتف .) من ؟ أجل ، أنا هي . اية
سفينة ؟ لماذا ؟ يا للحمقى ! من شحنها ؟ في أوفيا ؟
تيرينتييف ؟ افصل هذا الأبله فوراً ! مطلوب
حضورى - لماذا ؟ حجزوا السفينة كلها ؟ وماذا أيضاً ؟
ما عدا الجلود . . . اللعنة عليهم ! تقول ان لجنة
الصحة هناك ؟ ومفتش أيضاً ؟ سأحضر على الفور .
(تلقي السماع بقوة .) حسنا ، ابقوا انتم هنا ولا
تحدثوا شغباً . هنالك فضيحة كبرى نزلت فوق رأسي .
لقد حجزوا احد قوارب الشحن لدي . لقد سمع وكيلى
الأبله بأن تشحن جلود الحيوانات قبل التفتيش
الصحي ، وقبل ترقيمها . كما كانت السفينة تحمل جلود
خراف ، والياف اشجار ، ولحاء . سأذهب الى هناك
حالا . (تخرج ، وتلحظ نظرة راشيل أثناء
خروجها .)

بروخور : ذهبت ترشو شرطة النهر . فشرطة النهر هنا

أفرادها من المحتالين للصوص . وشرطة البر لا
يختلفون عنهم في شيء . لكن ليذهب كل هذا الى
الجهنم ! فانا أصب الخمرة . ناتاليا ، يا حبيبتني ، هذه
تكون أفضل من خمرك المفضلة . (يعني مقلداً
الانشودة الدينية .)

صبّ لي ، يا صاحبي ، في الكاس خمرة
صبّ لا تترك ، فذاك العمر قطرة

ستار

الفصل الثالث

برحت فاسًا الحجره لتوَّها . بروخور يدخن سيجاراً . لودميلا تلتهم بنشوة اصابع من البسكوت تغمسها في صحفة من المرابي . ناتاليا تجلس الى جانب راشيل والكأس في يدها . راشيل مستغرقة في التفكير .

بروخور : هذا هو نمط الحياة التي نعيشها ، يا راشيل - لا نعرف هدوءاً أو سلاماً . لقد اساءت الشرطة الينا . (يقهقه ضاحكاً)

راشيل : هل أنت الآن رئيس مجلس البلدية ؟
بروخور : حصلت على هذا المنصب في أحلامي ، ومن بعد سألت نفسي - لماذا ، وحق الشيطان ، أقيّد نفسي على هذا المنوال ؟ يحسننّ بي أن أعيش كما أنا عليه حراً مثل العصفور .

ناتاليا : ليس هذا صحيحاً ! أنت لست حراً . وأنت هربت من الانتخابات بسبب من جينك .

بروخور : رهيب هو هذا الأسلوب الذي تحب ناتاليا اغاظتي به . والآخرين جميعاً أيضاً . . . صغيرة بعد ولكنها شيطانة . وتبدو مثل احدى الشيطانات أيضاً . . . اهم ! ولكنها على حق تام - فانا انسان بعيد النظر . بعيد وفاة القبطان . . .

ناتاليا : بعيد وفاة والدنا راجت الأقاويل أنه سمّ نفسه .

حتى قيل اننا سقيناه السم تجنباً لفضيحة المحاكمة .
لودميلا : يا للهراء السخيف !
بروخور (في قلق) : لا ريب أنه هراء ! وقد أوقف النائب
العام هذه القضية المقرفة على أية حال . . .
ناتاليا : لعدم اثبات التهمة . وخاف خالي من تلك الأقاويل
وخطر له أنه لن يتم انتخابه رئيساً .
بروخور : هذا يكفي ، يا ناتا !
ناتاليا : في حين كان يجب أن يفعل ذلك رغم الأقاويل ، ورغم
الجميع .

بروخور : انها على هذا المنوال دائما - رغم كل شيء !
راشيل (تمسح على يد ناتاليا) : وهكذا يجب أن تكون !
ناتاليا : اذا لم تثبت التهمة ، يا راشيل ، فهذا لا يعني
بالضرورة أن المتهم لم يكن مذنباً ، اليس كذلك ؟
راشيل : كلا .

لودميلا : وهل هكذا يجب أن نعيش ، يا راشيل - رغم جميع
الناس ؟ أفليس في مستطاع المرء أن يعيش . . .
ناتاليا : أحقق مثل لودميلا جيليزنوفا .
لودميلا : عبثاً تشتمين ، فلن اغتاظ ! أوه ، يا راشيل ،
اني أكره كل هذا - الحقد . . . وما شابه .
ناتاليا : وهي تحب الأصابع المقموسة بالمربي !
لودميلا : هل يثير هذا غيرتك ؟ أنت حاقدة على الدوام لأنك
لا تملكين شهية . اذا أكلت أكثر لن تكوني على هذا
القدر من النعمة !

بروخور (مغنياً) : «أنا لا أغضب رغم الضيق الذي يمزق قلبي» . اضافة الى الأصابع المغموسة بالمربي وجميع أصناف الحلويات ، فان لودميلا تعبد كل ما يمت الى العسكرية بصلة ، وخاصة ما كان له ريش على غرار الهنود .

لودميلا : هذا غير صحيح ابداً .

بروخور : الى الجحيم كل هذه السخافات العائلية ، والماضي وكل شيء آخر . ولنحتفل قليلاً طالما أن صاحبة البيت غائبة . سأريك راقصاً ، يا راشيل - راقصاً يجعلك تدهشين حد الدهول ! لودا ، نادي بياتيوركين !

لودميلا : هذه فكرة صائبة !

بروخور : وقولي له أن يحضر القيثارة ! (الى راشيل) متى ستزورين ولدك ؟

راشيل : اهو في مكان بعيد ؟

بروخور : على مسافة ثلاثة وعشرين فرسخاً - وربما خمسة وعشرين . انه ولد لطيف . ليست صحته قوية ، ولكنه رائع !

راشيل : الجدة لا تريدني أن أخذه .

بروخور : انها على حق في هذا ! لا حاجة بك الى الولد وانت تعيشين حياة الهروب هذه .

راشيل : ما رأيك ، يا ناتا ؟

ناناليا : عليك ان تصري على أخذه . واذا لم تدعن لك فاسرقيه !

بروخور : او هو !

ناتاليا : أجل ، اخطفيه واهربي به وخبيئه . انت ترين حالنا جميعاً ههنا ! ترين ذلك . . .

راشيل : اخطفه . . . اهرب به . لا أستطيع اتيان مثل هذا العمل .

ناتاليا : لماذا ؟

راشيل : ان لديّ اموراً أخرى أكثر أهمية .

ناتاليا : أكثر أهمية من ابنك؟ حقاً؟ لماذا انجبتته اذن ؟
لماذا ؟

راشيل : تلك كانت غلطتي !

ناتاليا : وما هي هذه الأمور ؟ ما سبق ان حدثتني عنها قبل سنتين ؟ اذكر . اذكرها جيداً .

راشيل : ولكنك لا تؤمنين بها ؟

ناتاليا : كلا .

راشيل : ذلك أنك لا تفهمين . أما أنا . . . انا لا أستطيع أن أعيش دون القضية . وحتى لو فقدت . . . ولو لم ار كوليا مرة أخرى . . .

بروخور : رويدك ! انها فكرة هامة ان تخطفيه ! هي فكرة رائعة ، يا راشيل ! ستكون طعنة نجلاء في صدر أختي ! نفذيها ، يا راشيل ! وناتاليا وأنا نساعذك ، فاعتمدي علينا . وأنا عندي بياتيوركين - قادر ان يفعل أى شيء !

راشيل : كفى !

بروخور : ليوشكا بياتيوركين ؟ انه يستطيع ان يخطف مطراناً ، فكم بالحري صبيّاً صغيراً !

راشيل : تريدون أن تلهوا بولدي . . .
بروخور : هذا هو ، بياتيوركين ، جندي شجاع - خدم في
 قوافل التموين ! اليوشكا ، فلنقدم مقطوعة «عصفور
 الله الصغير» ! واذكر أنها مؤلفة للخارج ، لأوروبا !
 ولهذا يجب ألا تشوبها شائبة !
 (ياخذ بروخور القيثارة من بياتيوركين ويدوزن أوتارها .
 تحضر لودميلا طبله وبلايكا . تعطي الطبله الى شقيقتها .)
بروخور : والآن ، أيتها الفتيات ، في هدوء وأسى ! وخاصة
 الطبله ! ينبغي أن تهتمهم لا تفرقع .
لودميلا : نعرف هذا .
بروخور : هيا بنا اذن . (يغني ، كالعادة ، كأنه يبتهل
 بانشودة دينية . لودميلا وبياتيوركين يرافقانه .)

طير صغير هو طير الله
 لا يعرف الهم أو الغم
 حلو ، فما تسمع منه إلاه^{*}
 إلا حناناً دافقاً جميلاً

وأنت في العتمة غفیان^{*}
 والشمس توظك في الفجر
 وصوتك الفرحان نشوان^{*}
 للحنه أعطي أنا عمري

سيدتي ، سيدتي الحلوه^{*}
 سيدتي . . متينة الأعصاب^{*}

سيدتي أغنية حلوه*
الى متى نبقي ، تَرى ، بالباب* !

ليوشكا ! هيا ! ارقص ! بوحشية ! واووو !

بدرّب «دوستوف» رأيناها
سيدة كالضوء شهرتها
وغيرها «اوريل» سكنها
مجهولة كالسرّ سُمعتها
سيدتي ، سيدتي الحلوه*

- . يؤدي بياتيوركين الرقصة الروسية بصورة مسلية رائعة .
 - . لودميلا تغني وقد جرفتها الحماسة . بروخور جذلان طرباً .
 - . ناتاليا تضرب على الطبلبة بصورة آلية وترنو الى راشييل .
- راشييل جالسة وكأنها تتجمد .)

سيدتي الآن ، ولا تسال* ،
قد ذهبت تمرح في «باريس»
والاحمر الرأس ، ولا تعجل* ،
واعدها كأنه ابليس*
سيدتي ، سيدتي الحلوه* . . .

ناتاليا : كفى !
بروخور : لماذا ؟
ناتاليا : لا أريد المزيد .

لودميلا : تفو ، ما أصعب ارضاءك !

(تنهض راشيل وتخطو مبتعدة . تلحق بها ناتاليا متباطئة .
تتوقف عند النافذة)

ناتاليا : حسناً ؟

راشيل : هذا رهيب .

ناتاليا : أفضل أن أقتل ابني ولا أتركه هنا .

راشيل (تضع ذراعيها حول كتفي ناتاليا) : لا أستطيع الخروج
به من البلاد دون مساعدة فاساً بوريسوفنا .

ناتاليا : سيتدبر خالي الأمر . انه يغتبط لأية فرصة تتيح
له ايداء أمي . اذا اختطف كوليا سنعمل على اخفائه ،
ومن بعد نرسله اليك .

راشيل : الى أين ؟ لست أدري أين سأعيش . اذا تدبرت
أمري بالعودة الى سويسرا فأبقى هنالك بضعة
أسابيع . . . يجب أن أقيم في روسيا . وليست لدي
امكانية تنشئة كوليا . أما في لوزان ، عند أختي . . .
فسيكون ذلك رائعاً . . .

بروخود (يوقف بياتيوركين ويصيح) : ألم يعجبك هذا ؟

راشيل : كلا .

بروخود : ليس لديك أي حسّ فني !

راشيل : وغناؤك لا يطاق .

بروخود : أصبت . عندما يتعلق الأمر بالشراب أو لعب
الورق فانا الميرّز الذي لا يجارى ، وأما فيما يتعلق
بالغناء فالطبيعة لم تسبغ عليّ موهبته . ان لي قلباً

حنوناً ، وأما حنجرتي فجافة دائماً . ان نبراتنا خشنة .
بياتيوركين ، اذهب ، أيها الفاشل التافه ! فما أحرزنا
نجاحاً ! راشيل ، تعالي الى غرفتي . سأريك مجموعة
أقفالي .

راشيل : لقد رأيتها .

بروخور : متى كان ذلك ؟ يجب أن تربها الآن ! اني أملك
سبعة وثلاثين قفلاً لمخازن المحصولات ، وأربعة
للقلاع ، واثنتين وأربعين قفلاً موسيقياً . ولن تشاهدي
مثل هذا في أي مكان . تعالي على أية حال ! فلدي
أشياء هامة أخبرك بها .

(يمسك ذراعها ، فتتبعه على مضض)

ناتاليا (ترنو الى شقيقتها) : ما بالك ؟

لودميلا : لا شيء . أشعر بالنعاس .

ناتاليا : اذهبي ونامي اذن .

لودميلا : لقد سئمت . أريد أن أبكي .

ناتاليا : اذهبي الى فراشك ، وابكي ، ونامي .

لودميلا : الأمور دائماً هكذا . سأنتظر فاساً . لا أرتاح

عندما تكون خارج البيت .

ناتاليا : أنت تكثيرين من مناداتها فاساً .

لودميلا : ذلك اني احبها . أما أنت فلا تحبينها .

ناتاليا : لا ، أنا لا احبها .

لودميلا : وهي تعرف هذا .

ناتاليا : تعرفه طبعاً .

لودميلا : ولكنك تشبهينها ، تشبهينها كثيراً !
ناتاليا : ولهذا لا تحب احدانا الأخرى .
لودميلا : انها مولعة بك .
ناتاليا : انها مولعة بتعذيبي .
لودميلا : وانت تعذبينها بدورك .
ناتاليا : نعم ، أنا أقابلها بالمثل .
لودميلا : كم انت بلهاء ! وخالي أبلسه أيضاً - تصوري
 اقتراحه باختطاف كوليا !
ناتاليا : لا تخبري أمنا بهذا .
لودميلا : سأخبرها حتماً .
ناتاليا : لماذا ؟
لودميلا : كلا ، لن أخبرها . لا أريد أن أضايقها .
ناتاليا (زافرة) : أنت قديسة . . . أنت فلتة . ولم تجبلي
 من طينتنا .
فاسا (تدخل الى الغرفة) : ما هذا كله - اكنتما تتخاصمان ؟
لودميلا : كلا ، بل نتحدث وحسب .
فاسا : حديثكما جاد جداً . وبروخور دخن السيجار هنا - كم
 مرة طلبت اليه الا يدخن السيجار في غرفتي . اظن ان
 ناتاليا أفرطت في الشراب .
ناتاليا : لا أبرح قادرة أن أقف على قدمي .
فاسا (تصب لنفسها قدحاً من البورتو) : هل يرد الشاي ؟
 صبوا لي قليلا .

(ناتاليا تصب لها الشاي)

فاسًا : سبعمائة من الروبلات - لكأنني قذفت بها في النار .
الرشوة في كل مكان . هم كلهم مرتشون . ماذا كنتم
تفعلون ؟

ناتاليا : شربنا الشاي .
لودميلا : رقص بياتيوركين رقصة . واصرّ خالي على راشيل
أن تخطف كوليا .

فاسًا : يا له من لاه ! وماذا قالت هي ؟
لودميلا : رفضت . أصبحت نكدة الطبع بصورة بغيضة . لم
تعد مثلما كانت من قبل . مقيتة جداً ! جميع الأذكيا
مقيتون !

فاسًا : هكذا اذن . وماذا أنا في نظرك - غبية ؟
لودميلا : أنت لست ذكية ولست غبية ، أنت مجرد امرأة
انسانة .

فاسًا : لا أعرف - ماذا يعني ذلك ؟ أنا أسوأ من غبية ؟
حسنًا ، فليقف الأمر عند هذا الحد - امرأة انسانة .
خذي السماور واطلبي أن يسخنوه . ناتاليا ، هل
تودين السفر الى الخارج ؟

ناتاليا : أجل ، أود ذلك . وتعرفين هذا .
فاسًا : حسنًا ، في مقدورك أن تسافري . خذي آنا معك .
ناتاليا : لن أسافر مع آنا .

فاسًا : لماذا ؟
ناتاليا : يكفيني ما لقيت منها هنا .
فاسًا : لن أتركك تسافرين وحدك . آه ! يا فتاة . . .
ناتاليا : نعم .

فاسا : ليس لدي فسحة من الوقت لأحداثك .
ناناليا : ألدك فسحة من الوقت لتربية كوليا ؟
فاسا : لن يتطلب مني كثيراً من الوقت .
ناناليا : سوف يتطلب أكثر مني .
فاسا : سافري برفقة آنا . سوف يكون في وسعك الالتقاء
 بفيودور .
ناناليا : هذا لا يغريني .
فاسا (بأعلى صوتها) : أيتها الشيطانة ! اخرجسي !
ناناليا : حسناً . . . سأخرجس .
راشيل (تدخل الى الغرفة) : ماذا جرى ؟
فاسا : أجل ، أجل ، اعترف بانني صرخت عبثاً . كان ذلك
 غلطة مني . لقد اناروني حتى أوجع ذلك قلبي .
 حسناً ، يا راشيل ؟ لقد اقترح بروخور اذن أن تخطفي
 كوليا ؟
راشيل : كان سكران لا يعي .
فاسا : حين يكون صاحباً فهو يمكن أن يقترح هذا أيضاً . . .
 لم لا تذهبان الى فراشيكما ، يا فتاتي ؟ لقد تأخر
 الوقت . ها ؟
لودميلا : والعشاء ؟
فاسا : نسيت العشاء . أريد ان أشرب شيئاً . أريد شايًا
 ساخناً . حسناً . اذهبي واطلبي اليهم تهيئة المائدة
 للعشاء . ما لديك من أقوال ، يا راشيل ؟
راشيل : اصغي اليّ ، يا فاسا بوريسوفنا . أعطيني ولدي
 وسأرسله الى الخارج .

فاسًا : تريدان استئناف الجدل ، أليس كذلك ؟ كلا ، لن أعطيه لك !

راشيل : لا أستطيع أن أتصور أبداً ماذا ستفعلين به . كيف ستربينه ؟

فاسًا : لا تقلقي سنتدبر الأمر فنحن قوم مستقرون . وميسورون . سنستأجر أفضل المربيات . وأفضل المعلمين . . . ونقدم له أفضل تعليم .

راشيل : لن تعلميه الأشياء التي يجب أن يعرفها الانسان الشريف . سيكون على كوليا أن يعيش في هذا البيت الحافل باللبلايكا والقيائر ، بالطعام الدسم ، وبروخور خرابوف نصف السكران ، وبالفتاتين - احدهما مراهقة دائمة ، والأخرى بالغة الحقد . فاسًا بوريسوفنا ، أعرف جيداً طبقتك الاجتماعية سواء هنا في روسيا أم في الخارج . انها طبقة مريضة بصورة ميثوس منها ! أنتم تعيشون مثل البشر الآليين ، تستعبدكم أعمالكم ، وتأمركم قوة الأشياء التي لم تبتدعوها بأنفسكم . أنتم تحيون في ملء الازدراء والحقد المتبادلين دون أن تسألوا أنفسكم لماذا تعيشون ، وأي نفع فيكم للناس . . . حتى ان خياركم وأكثركم ذكاء لا يعيشون الا لأنهم يشمئزون من الموت ويخافونه .

فاسًا : هل انتهيت من أغنيتك ؟ استريحني الآن وأعيريني سمعك . اذا كان هنالك شيء واحد لا أعرفه عنك فهو ما يلي : كيف أن ذهنك هذا الوقاد يصاب بالعمى والضعف حين تأخذين الحديث عن الحياة ؟ تقولين :

الطبقة الطبقة . . . يا سيدتي العزيزة ، ان غوري كروتكيخ - مدير أعمال شركتي الملاحية - يعرف عن الطبقة أكثر مما تعرفين . وهو يقول ان الثورات تكون شرعية حين تخدم هذه الطبقة السخيفة . وانت لا تنفكين تتحدثين عن نوع غير شرعي من الثورات ، عن شيء خارج عن نطاق هذا العالم . بالنسبة الى كروتكيخ كل شيء واضح : على الاشتراكيين أن يوحّدوا العمال لما فيه مصلحة الصناعة والتجارة . هذا ما يقترحه ، وهو فيه على حق ! انه ليس أحق - بخصوص هذا الشيء على أية حال . ولكنه لا يزال أحق بخصوص شؤون العمل .

واشيل : لقبه كروتكيخ اليس كذلك ؟ وفقا لاسمه * ينادي بتدريب البروليتاريين ليكونوا متواضعين وديعين . وليس هو وحيداً في ذلك . ثمة كثيرون جداً على شاكلته . وباعتبار أنهم من خدمك المخلصين فانتم تسمحون لهم أن يسموا عالياً جداً . . .

فاسا : اسمعي . أنا فاسا خرابوفا ، لا ابدى شيئاً من المبالاة بهذه الطبقة ! أنت تقولين انها تلفظ أنفاسها ؟ وهذا شيء لا يثير قلقي . فانا في صحة جيدة . أنا سيدة أعمالتي . وليس من يستطيع أن يعرقلني أو يرعبني . ولدي الكثير مما يكفيني مدى حياتي ، وسأوفر ثروة ضخمة لحفيدي . هذه هي أفكارتي ، هذه

* كروتكيخ يعني وديع . الناشر .

هي حكمتي ! ولن أعطيك كوليها . فلنخلص من هذا الموضوع ! حان أوان العشاء . وأنا مهدودة القوى .
راشيل : لا أريد أي عشاء . فطعامك مكروه لدي . . . أين يمكن أن أستريح ؟

فاسا : اذهبي . سترافك ناتاليا . (تنهض عن مقعدها في صعوبة ، وتعاود الجلوس وتنادي) آنا ! (لا تتلقى جواباً .) طعامي مكروه لديها . . . من غيرها يجرؤ أن يقول لي مثل هذا الكلام ؟ . . . أوه ، يا للأفسي ! (تقرع الجرس)

بوليا : هل قرعت الجرس ؟

فاسا : كلا ، بل هو الشيطان القابع تحت المدفأة . أين آنا ؟

بوليا : مع الأنستين .

فاسا : ناديتها . (تجلس مرهفة سمعها الى شيء ما ، تتحسس حنجرتها وتتنحج . تدخل آنا) ماذا حدث هنا أثناء غيابي ؟

آنا : اقترح بروخور بوريوفيتش اختطاف كوليا .

فاسا : اقترح ذلك بنفسه ؟

آنا : أجل . قال أولاً : «انها على حق في هذا . فلست في حاجة الى ولدك» . ثم انشرح فجأة ، فقال : «ذلك يكون طعنة في صدر شقيقتي» .

فاسا : وناتاليا ؟

آنا : هي التي اقترحت ذلك . . .

فاسا : أنت تخلطين الأمور ! أنت تكذبين !

آتا : أنا لا أخلط الأمور . هذا ما حدث . حين قالت راشيل
موسيسيفنا انك تحتفظين بكوليا هنا ، قال بروخور
بوريسوفيتش : «هي على حق» . وحين اقترحت ناتاليا
الاختطاف ، تحمّس لذلك أيضاً .

فاسنا : هكذا . انه يتوق لأن يغرز أسنانه في لحمي . ولو
كان ذلك في عقبي .

آتا : وقال : «لدينا بياتيوركين هنا . يمكن أن يخطف
مطراناً ، فكم بالحري صبياً صغيراً» .

فاسنا : انه كلب ضار بياتيوركين هذا .

آتا : مخلوق دنيء ! لا يملك شرفاً او ضميراً . وهو وقح
جداً ، وفظ جداً . . .

فاسنا : لسوف نلطفه .

آتا : أمریضة أنت ؟

فاسنا : لماذا ؟

آتا : ألمح ذلك في وجهك .

فاسنا : بنتاي لم تلحظا شيئاً . حسناً ! سوف تسافرين الى
الخارج ، يا آتا .

آتا (مذهولة) : أنا ؟

فاسنا : أجل ، أنت . مع ناتاليا ، او ربما لوحدهك .

آتا : اوه ، ما اشدّ سروري ! لا اعرف كيف اجزل لسك
شكري !

فاسنا : لا ضرورة لذلك . فانت تستاهلين هذا . أنت لم
تكذبي عليّ قط ، اليس كذلك ؟

آتا : ابداً .

فاسا : هذا ما يهمني . سوف تحملين رسالة الى فيودور .
لا تتركي ناتاليا تشاهدها . واكتبي اليّ فوراً عن صحة
فيودور . إسألني الأطباء . هل تتذكرين اللغة الألمانية ؟
آنا : أجل ، أتذكرها .

فاسا : حسناً ! اذا كانت صحة فيودور سيئة جداً ، فابقي الى
جانبه حتى ينتهي الأمر . ولكننا سنناقش هذا الأمر
فيما بعد . والآن إسمعي ما أقول . ستذهبين الآن الى
الشرطة ، واسألني عن الكولونيل بوبوف . يجب أن
تجديه ! قللي لهم أن يبعثوا خلفه . قللي ان الأمر
مستعجل وفي غاية الخطورة .

آنا : فاسا بوريوفنا . . .

فاسا : اسمعي ! أخبريه أن راشيل توباز ، النازحة ، جاءت
تزورني من الخارج . هو يعرف من تكون . فقد اعتقلها
مرة من قبل . واذا كانوا سيعتقلونها الآن فليفعلوا
ذلك في الشارع ، وليس في هذا البيت . مفهوم ؟

آنا : أجل ، لكن . . . كيف ؟

فاسا : أصغي اليّ . هلاًّ أصغيت ! اذا جاؤوا الى البيت
فسيتضح أنك وشيت بها . او فعلت أنا ذلك . ولست
أريد أن تنطلق أقاويل جديدة حمقاء في المدينة . هل
فهمت الآن ؟

آنا : أنا . . . أنا لا أستطيع . . .

فاسا (مشدوهة) : لا تستطيعين ؟ لماذا ؟

آنا : لن أجرؤ .

فاسا : تأسفين عليها ، أليس كذلك ؟ ألا تأسفين على كولييا ؟

لسوف يعتقلونها غداً أو بعد غد في كل حال . فلماذا
ترفضين أن تؤدي لي هذه الخدمة ؟ هذا غريب جداً !
لا أصدق ذلك !

آنا : كلا ، ليس الأمر كذلك ، وحق الله ! اني اضحي
بحياتي في سبيلك ! لماذا أشفق على تلك اليهودية ؟
فلطالما ازدرتني ، كما تعلمين .

فاسا (مرتابة) : ماذا تهمسين ، قولي ؟ لست أفهم !

آنا : أخشى الذهاب الى رجال الشرطة في الليل .

فاسا : هذه حماقة ! أتحسين أنهم ياكلونك ؟ (تنظر في
ساعتها .) لكن ، لعلك على حق - فالوقت متأخر .
سيكون بوبوف يلعب الورق الآن في مكان ما . حسناً ،
تستطيعين القيام بذلك غداً صباحاً . في البكور -
حوالي السابعة . فاطلبي ان يوقظوه من نومه .
آنا : أوه ، شكراً لك ، لكم أنا ممتنة لك ! (تمسك يدها
وتقبلها .)

فاسا (تمسح يدها بتنورتها) : كيف ، أنت تنضحين عرقاً ،
أيتها المخلوقة البلهاء ! انه يقطر من وجهك . . .

(تمسح آنا وجهها)

فاسا : راشيل تداب على اخافتي بنعيها عن الطبقة ! أية
طبقة ؟ أنا طبقة ! انها تكرهني انا . أجل ، أنا ! لقد
سرتك الولد ، مثلما يسرق الغجري حصاناً . والآن لن
أتركها تأخذ حفيدي ! كلا ! (تغرق في برهة من

التفكير .) أشعر بتوعك . ربما تعبت . . . اصنعي لي
شراباً حاراً من توت العليق .
لودميلا : تعالي للعشاء ، يافاستا .
فاستا : أنت مغرمة بالطعام . . .
لودميلا : نعم ، أنا مغرمة به ! مغرمة به جداً .
فاستا : لدي مفاجأة سارة لك ، ولكنها ليست مما يؤكل -
بل ستجعل حياتك أكثر سعادة .
لودميلا : أنت دائماً . . .
فاستا : اتخذت قراري . سأشتري منزل الأميرة كوجوشيغا
العجوزة - وهذا سيكون إضافة رائعة الى حديقتنا ،
أليس كذلك ؟
لودميلا : آه ، يا أماه ، ما أروع ذلك !
فاستا : هذه هي الامور ! أعتقد أن الأمير الصغير خسر مبالغ
طائلة بلعب الورق . . .
لودميلا : ما أروع ذلك ! يا ربي . . .
فاستا : والأميرة مستعجلة للبيع . سادفح العربون غداً .
هذا عيد لك .
لودميلا : كيف تجددين متسعاً من الوقت لجميع هذه الأمور ؟
تعالي ، لنتناول عشاءنا .
فاستا : لست أريد طعاماً . فأنا أشعر بالتوعك . سأشرب
شيئاً حاراً بتوت العليق وألجأ الى فراشي . تناولوا
عشاءكم من دوني !
لودميلا : ألن تشربي قليلاً من الشاي ؟

فاسًا : أجل ، هاتي السماور الى هنا . أشعر بالظماً . هل
راشيل هناك ؟

لودميلا : أغلقت الباب على نفسها في الغرفة الصفراء . وهي
لا تريد أن تأكل أيضاً . لقد صارت سمجة متبخترة !
فاسًا : اذهبي ، يا لودا ، اذهبي . . . (تبقى وحيدة . تتمشى
في الغرفة في حذر وكأنها تدوس على الجليد ، متمسكة
بالمقاعد ، وهي تنحنج وتهمهم) الاعمال . . . تزداد
الاعمال . . . (تحاول أن تجلس ، وتبدل رأيا فتقف
وظهرها الى الباب) أيجب أن أستدعي الطبيب ؟

(بياتيوركين ، سكران ، شعره مشعث أكثر من المألوف ،
يمدّ لسانه لسيدته ويكشر تكشيرة شنيعة ، ويلتقط
القيثارة ويطلق منها نغمة جشاء)

فاسًا (جافلة) : أوه . . . ما هذا ؟ من . . . ماذا تريد ؟
بياتيوركين : جئت آخذ القيثارة . . .
فاسًا : أنصرف ، أيها الشيطان !
بياتيوركين : سأنصرف . لم لا أنصرف ؟ لست كلباً . ولا
أعيش في حجرات الاسياد .

فاسًا : الأحق . . . يا . . . للشيطان . . . (تجلس
متهاكة على الأريكة ، تحاول فك أزرار بلوزتها ،
ولكنها تسقط على جنبها . يخيم الصمت لحظات .)
آنا (حاملة صينية عليها ابريق الشاي وقدر) : هل أحملها
الى غرفة النوم ؟ (تقف في انتظار الجواب . تبدأ الصينية

ترتجف في يدها والقدح يقرقع . تضع الصينية على المنضدة بحدز ، وتنحني على فاسًا وتنظر الى وجهها ، ثم تنتصب وتحدث في همس مرتفع .) يا الله ، يا الله . . . فاسًا بوريسوفنا . . . ما لك ؟ (تصغي برهة ، وتركض الى المكتب وتفتح درجًا . تفتش ، وتعثر على مبلغ من المال تخبئه في صدرها . وتفتح بعد ذلك علبة موضوعة على المنضدة تعثر فيها على نقود تخفيها . وتجد مفاتيح فتضعها في جيبها ، بينما يغلق غطاء العلبة في ضجيج . وتركض آتًا خارجة من الغرفة . صمت . تدخل ناتاليا عجلانة الخطوات يتبعها بروخور . ويأتي بعدهما على التوالي آنا ، وبوليا ، وبياتيوركين .)

ناتاليا (تتحسس وجه أمها بيدها وتحدث في صوت عال لا يناسب الجو) : ماتت .

بروخور : اوخ . . . مات جيليزنوف فجأة . والآن فاسًا ! ستدور الأقاويل في المدينة من جديد . تفو ! هكذا اذن . . . يا للشيطان !

ناتاليا : اصمت !
بروخور : ولماذا اصمت ! ناتا ، يجب أن نراقب آتًا . سنحتاج الى المفاتيح . مفتاح الخزانة . هي تعرف كل شيء ، آتًا هذه ! أنظري في جيب تنورة فاسًا اذا كان المفتاح فيها . . .

ناتاليا : لا أريد ذلك . انصرف .
بروخور : لن أنصرف !

آتا (باكية) : ناتاليا سيرغييفنا ، لقد أغمي على لودا .

ناتاليا : استدعي الطبيب .

آتا : لقد هتفت له . آه ، يا الهي ، ماذا سنفعل الآن ؟

بروخور : أين المفاتيح ؟ مفتاح خزانة النقود ؟

ناتاليا : هل أخبرتم راشيل ؟

آتا : هل هذا ضروري ، يا ناتاليا سيرغييفنا ؟

ناتاليا : يا لك من قذرة ! (تخرج مسرعة .)

آتا (ناشجة) : فيم هذا ؟

بروخور : كفي ، كفي عن النشيح ! مفتاح الخزانة ! أينه ؟

آتا : بروخور بوريسوفيتش ، خدمت ثلاثة عشر عاماً ، لا

تنس هذا . لقد خدمت باخلاص . . . (تنبش في جيوب

فاسًا .)

بروخور : سوف تنالين ما تستحقين . . .

آتا : لقد وهبت لك شبابي كله . هاك المفتاح !

بروخور (يخاطب بياتيوركين في طريقه الى الخزانة) :

ليوشكا ، لا تترك أحداً يدخل . . . لحظة . . . ما هذا ؟

(في فرح ظاهر .) ما تزالان قاصرتين ، وسأعين وصياً !

يا للشيطان ! فيم أفعل هذا ؟ ايه ؟ (ينظر الى آتا

ويطلق ضحكة قصيرة .) أخرجي من هنا ، يا آتا .

لقد انتهت حياتك هنا ، حياة القطة المفضلة ! اذهبي

الى الشيطان ! غداً ! لقد شبعت منك ، أيتها

الjasوسة ! يا وغدة !

آتا : بروخور بوريسوفيتش ، ستندم على ذلك ! انت تفعل

هذا ظلماً . . .

بروخور : انصرفي ! اخرجي من هنا ! لقد قبضت حقك ،
سرقته . كفاية ! اخرجي من هنا !
آتا : لا ، لن أسمح لك ! فأنا لذي . . .
بروخور : بلى ، أعرف ما لديك ! اني عن هذا أتكلم . . .

(تدخل راشيل وناتاليا)

راشيل (الى بروخور الذي ينبش بين الأوراق على المكتب) :
وهذا أنت الآن تسرق ؟
بروخور : لماذا ؟ اني آخذ ما يخصني وحسب .

(بوليا تُدخل لودميلا)

لودميلا (تتملص من يديها وتهول الى الأريكة) : أماء !
أم . . . !
راشيل : ما يخصك ! ما الذي يخصك ؟

ستار

المحتويات

٣	البرجوازيون الصفار
١٦٩	الحضيض
٣٠١	اعداء
٤٣٣	ييجور بوليتشوف وآخرون
٥٣١	فاساً جيليزنوفاً

إلى القراء

ان دار «رادوغا» تكون شاكرة لكم اذا
تفضلتم وأبديتم لها ملاحظاتكم حول ترجمة
الكتاب ، وشكل عرضه ، وطباعته وأعربتم لها
عن رغباتكم .

العنوان : زوبوفسكي بولفار ، ١٧ ،
موسكو ، الاتحاد السوفييتي

«في الايام الاخيرة شاهدت مسرحية
«بيجور بوليتشوف وآخرون» . انتم
لم تتوصلوا ابدا لهذه البساطة الفنية .
هذا بالضبط ما يجب ان يكون عليه
الفن - متحدثا بكلمات مهمة خارجة من
الدماغ ، بسيطة وواضحة ، بدون اشكال
مشروطة . المسرحية تركت انطباعا رقيقا
وعظيما . واروع شيء انكم توصلتم لهذا
الفن الفتى الحديث بعد ان قطعتم مثل
هذا الطريق» .

الكسي تولستوى

مؤلفات مكسيم غوركي المختارة بستسة
مجلدات تحتوى على الكتب التالية :
المجلد ١ - طفولتى
المجلد ٢ - بين الناس . جامعياتى
المجلد ٣ - قصص (عام ١٨٩٢ - عام ١٩١٢)
المجلد ٤ - قصص (عام ١٩١٢ - عام ١٩٣٦)
المجلد ٥ - الام
المجلد ٦ - مسرحيات



تفتتح المؤلفات بمقدمة عن مكسيم غوركي
كتبها الكاتب الاعلامى البارز ومؤرخ الادب
والفن ، اول مفوض سوفيتى للشقافة ،
الاكاديمى اناتولى لوناتشارسكى (١٨٧٥ -
١٩٣٣) .